

التَّسْهِيلُ لِلتَّأْوِيلِ التَّنْزِيلِ
وَقَفْسِيَّةٌ

الْفُرْقَانُ - الشُّعْرَاءُ - التَّمَثُّلُ

فِي سُؤَالٍ وَجَوَابٍ

تَأَلَّفَ
أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُصْطَفَى بْنُ الْعَدَوِيِّ

مَكْتَبَةُ مَكَّةَ

تفسير سورة الفرقان

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (١) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا (٢) وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا (٣) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا (٤) وَقَالُوا أَأَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَكُتِبَ لَهُمْ فِي ثَمَلٍ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٥) قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (٦) [الفرقان: 1-6].

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿تَبَارَكَ - نَزَلَ - الْفُرْقَان - نَذِيرًا - فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا - نَشُورًا - إِنْكَ - أَفْتَرَنَهُ - فَقَدَجَاءُ ظُلْمًا وَزُورًا - أَسْطِيطِرُ الْأَوَّلِينَ - أَكْتَتَبَهَا - ثُمِّلَى عَلَيْهِ - بُكْرَةً - وَأَصِيلًا﴾.

ج:

معناها	الكلمة
تكاثر الخير الوارد منه والواصل إلى عباده - دام خيره وثبتت - تقدس وتعظم	﴿تَبَارَكَ﴾
أنزل شيئاً بعد شيء	﴿نَزَلَ﴾
القرآن الذي يفرق به بين الحق والباطل والصواب والخطأ	﴿الْفُرْقَان﴾
مُحذراً مخوفاً	﴿نَذِيرًا﴾
فخلقه بقدر (على قدر الحاجة) وسير كلاً لما خُلِقَ	﴿فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾
بعثاً بعد الموت - إخراجاً للناس من قبورهم أحياء بعد الموت	﴿نَشُورًا﴾
كذبٌ يُصرف به الناس عن دينهم	﴿إِنْكَ﴾
اختلقه وتقوله من عند نفسه	﴿أَفْتَرَنَهُ﴾
فقد أتوا بقولهم هذا بظلم وزور ووقعوا في ظلم وزورٍ	﴿فَقَدَجَاءُ ظُلْمًا وَزُورًا﴾
حكايات الأولين - خرافاتهم	﴿أَسْطِيطِرُ الْأَوَّلِينَ﴾
طلب أن تُكتب له	﴿أَكْتَتَبَهَا﴾

﴿تَمْلِكُ عَلَيْهِ﴾	تُقرأ عليه
﴿بُكَرَةً﴾	غدوة - صباحًا
﴿وَأَصِيلًا﴾	عشيًا - مساءً



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (١) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا (٢) .

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: تكاثر الخير والوارد منه سبحانه وتعالى ودام إنعامه وثبت إحسانه، ربنا الذي نزل القرآن الذي به يُفريق بين الحق والباطل ويفصل بينهما، ويعلم الحق من الباطل، نزله على عبده ورسوله محمد ﷺ سورة بعد سورة ليكون رسوله ﷺ للإنس والجن نذيرًا محذّرًا من النار مخوفًا منها، والذي نزل الفرقان هو الله الذي له ملك السموات والأرض هما ملك له سبحانه وتعالى يتصرف فيهما كيف يشاء ويقضي فيهما بالذي يريد لا معقب لحكمه ولا رادّ لقضائه، هو ربهما ومالكهما، ولم يتخذ ولدًا، ولم يكن له ولد وكيف يكون له ولد ولم تكن له صاحبة، وكذا فليس له شريك في ملكه سبحانه وتعالى، وقد خلق ٥ كل شيءٍ مُقدّرًا تقديرًا، خلق كل شيءٍ وهياً ويسره لما خلق له، خلق كل شيءٍ بقدر، فترى النصور طويلة العمر بيضها قليل، وترى الذباب يتكاثر بالملايين وعمره قصير، وترى الماء ينزل من السماء بقدر ولو شاء لأهلك به الخلق كلهم، وترى الطول والعرض لبني آدم متقارب،

وهكذا خلق كل شيء فقدره تقديرًا.

وبنحو ذلك قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

تبارك تفاعل من البركة، ثم قال: فقلوه: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ﴾ يقول: تبارك الذي نزل الفصل بين الحق والباطل، فصلا بعد فصل وسورة بعد سورة، على عبده محمد ﷺ؛ ليكون محمد لجميع الجن والإنس، الذين بعثه الله إليهم داعيًا إليه، نذيرًا: يعني: منذرًا ينذرهم عقابه ويخوفهم عذابه، إن لم يوحده ولم يخلصوا له العبادة، ويخلعوا كل ما دونه من الآلهة والأوثان.

وأورد الطبري بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ

الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ قال: النبي النذير. وقرأ ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [فاطر: ٢٤]، وقرأ ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا هُمْ مُنْذَرُونَ ﴿٢٠٨﴾﴾ [الشعراء: ٢٠٨]، قال: رسل. قال: المنذرون: الرسل. قال: وكان نذيرًا واحدًا بلغ ما بين المشرق والمغرب، ذو القرنين، ثم بلغ السدين، وكان نذيرًا، ولم أسمع أحدًا يحق أنه كان نبيًا ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَيْنَا هَذَا الْقُرْآنَ لَنُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٦٥] قال: من بلغه القرآن من الخلق، فرسول الله ﷺ نذيره. وقرأ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال: لم يرسل الله رسولاً إلى الناس عامة إلا نوحًا، بدأ به الخلق، فكان رسول أهل الأرض كلهم، ومحمد ﷺ ختم به.

يقول تعالى ذكره: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾

الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فالذي الثانية من نعت الذي الأولى، وهما

جميعاً في موضع رفع؛ الأولى بقوله تبارك، والثانية نعت لها ويعني بقوله: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الذي له سلطان السماوات والأرض، ينفذ في جميعها أمره وقضائه، ويمضي في كلها أحكامه، يقول: فحق على من كان كذلك أن يطيعه أهل مملكته، ومن في سلطانه، ولا يعصوه، يقول: فلا تعصوا نذيري إليكم أيها الناس، واتبعوه، واعمَلُوا بما جاءكم به من الحق ﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ يقول: تكذيباً لمن أضاف إليه الولد، وقال: الملائكة بنات الله، ما اتخذ الذي نزل الفرقان على عبده ولداً، فمن أضاف إليه ولداً فقد كذب وافتري على ربه ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ يقول تكذيباً لمن كان يُضيف الألوهة إلى الأصنام ويعبدها من دون الله من مشركي العرب، ويقول في تلييته: لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك، كذب قائلو هذا القول، ما كان لله من شريك في ملكه وسلطانه، فيصلح أن يُعبد من دونه. يقول تعالى ذكره: فأفردوا أيها الناس لربكم الذي نزل الفرقان على عبده محمد ﷺ الألوهة، وأخلصوا له العبادة دون كل ما تعبدونه من دونه من الآلهة والأصنام والملائكة والجن والإنس، فإن كل ذلك خَلَقَهُ وفي ملكه، فلا تصلح العبادة إلا لله الذي هو مالك جميع ذلك، وقوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وخلق الذي نَزَلَ على محمد الفرقان كل شيء، فالأشياء كلها خلقه وملكه، وعلى الممالك طاعة مالكم، وخدمة سيدهم دون غيره. يقول: وأنا خالقكم ومالككم، فأخلصوا لي العبادة دون غيري، وقوله: ﴿فَقَدَرَهُ نَفْيِيرًا﴾ يقول: فسوى كل ما خلق، وهَيَّأَ لما يصلح له، فلا خلل فيه ولا تفاوت.

وقال ابن كثير \$:

يقول تعالى حامداً نفسه الكريمة على ما نزله على رسوله الكريم من القرآن العظيم، كما قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۝١ فِيمَا يَنْزِرَ بَاسًا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ لِقَاءَهُ...﴾ الآية [الكهف: ١-٢] وقال هاهنا: ﴿تَبَارَكَ﴾ وهو تفاعل من البركة المستقرة الدائمة الثابتة ﴿الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ﴾ نزل: فَعَلَ، من التكرار، والتكثر، كما قال: ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾ [النساء: ٤]؛ لأن الكتب المتقدمة كانت تنزل جملة واحدة، والقرآن نزل مُنَجَّمًا مُفَرَّقًا مُفَصَّلًا آيات بعد آيات، وأحكاما بعد أحكام، وسورًا بعد سور، وهذا أشد وأبلغ، وأشد اعتناءً بمن أنزل عليه كما قال في أثناء هذه السورة: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ۝٣٢ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ۝٣٣﴾ [الفرقان: ٣٢، ٣٣]. ولهذا سماه هاهنا الفرقان؛ لأنه يفرق بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والغي والرشاد، والحرام والحلال.

وقوله: ﴿عَلَى عَبْدِهِ﴾: هذه صفة مدح وثناء؛ لأنه أضافه إلى عبوديته، كما وصفه بها في أشرف أحواله، وهي ليلة الإسراء، فقال: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ٦]، وكما وصفه بذلك في مقام الدعوة إليه: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ٦]، وكذلك وصفه عند إنزال الكتاب عليه ونزول الملك إليه، فقال ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾.

وقوله: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ أي: إنما خصّه بهذا الكتاب العظيم

المبين المفصل المحكم الذي: ﴿لَا يَأْنِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ ﴿٤٢﴾ **[فصلت: ٤٢]**، الذي جعله فرقانًا عظيمًا -إنما خصَّه به ليخصه بالرسالة إلى من يستظل بالخضراء، ويستقل على الغبراء، كما قال - صلوات الله وسلامه عليه-: «بُعِثْتُ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ». وقال: «أَعْطَيْتُ خَمْسًا لَمْ يَعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي»، فذكر منهن: أنه «كَانَ النَّبِيُّ يَبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَةً»، وقال الله تعالى: ﴿قُلْ يٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ **[الأعراف: ٨٥]** أي: الذي أرسلني هو مالك السموات والأرض، الذي يقول للشيء كن فيكون، وهو الذي يحيي ويميت، وهكذا قال هاهنا: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَنْخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾، فَنَزَّهَ نَفْسَهُ عَنِ الْوَلَدِ، وَعَنِ الشَّرِيكِ.

ثم أخبر أنه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ مَقْدِيرًا﴾ ﴿٢﴾ أي: كل شيء مما سواه مخلوق مربوب، وهو خالق كل شيء وربّه ومليكه وإلهه، وكل شيء تحت قهره وتسخيره، وتدبيره.

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ عَظَّمَ تَعَالَى نَفْسَهُ وَ ﴿وَلَمْ يَنْخِذْ وَلَدًا﴾ نَزَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نَفْسَهُ عَمَّا قَالَهُ الْمُشْرِكُونَ مِنْ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ أَوْلَادَ اللَّهِ يَعْنِي: بَنَاتِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَعَمَّا قَالَتِ الْيَهُودُ: عَزِيرُ ابْنِ اللَّهِ - جَلَّ اللَّهُ تَعَالَى - وَعَمَّا قَالَتِ النَّصَارَى: الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ - تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ - ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ كَمَا قَالَ عَبْدُ الْوَثَّانِ ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ لَا كَمَا قَالَ الْمَجُوسُ وَالتَّنَوِيَّةُ: إِنَّ الشَّيْطَانَ أَوْ الظُّلْمَةَ يَخْلُقُ بَعْضَ الْأَشْيَاءِ وَلَا

كما يقول من قال: للمخلوق قدرة الإيجاد فالآية ردُّ على هؤلاء ﴿فَقَدَرَهُ نَفْيًا﴾
﴿٢﴾ أي: قدَّر كل شيء مما خلق بحكمته على ما أراد، لا عن سهوة
وغفلة بل جرت المقادير على ما خلق الله إلى يوم القيامة وبعد القيامة
فهو الخالق المقدر فأياه فاعبدوه.



الآلهة المعبودة من دون الله

لا تملك لنفسها فضلاً عن غيرها نفعا ولا ضراً

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ

يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلَا حَيَوةً وَلَا شَوْراً﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: واتخذ هؤلاء المشركون من أهل

مكة وغيرهم آلهة يعبدونها من دون الله **هـ**، **وكلمة من دون الله تحتل**

معنيين أحدهما: مع الله هـ، والثاني: بدلاً من عبادة الله هـ، وهذه الآلهة

التي عبدوها من دون الله لا تخلق شيئاً، ولا تقدر على ذلك بل هي

مخلوقة كغيرها من المخلوقات بل إنهم صنعوها بأيديهم وعبدوها (تلك

الأصنام والأوثان) ولا تملك لنفسها - فضلاً عن غيرها - دفع ضررٍ ولا

جلب نفع، بل قد كسر أمثالها الخليل إبراهيم **غ** ولم تدفع عن نفسها شيئاً،

ولا تملك تلك الآلهة لعابديها موتاً، أي: لن تستطيع أن تُميتهم إذا أراد الله

لهم حياة، ولن تستطيع أن تحييهم إذا أراد الله بهم موتاً، وكذا لا تستطيع

تلك الآلهة المعبودة من دون الله **هـ** أن تُبعث أحداً قد مات من قبره.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره مُقرِّعاً مشركي العرب بعبادتهم ما دونه من الآلهة،

ومعجباً أولي النهي منهم، ومنبهم على موضع خطأ فعلهم، وذهابهم عن

منهج الحق، وركوبهم من سبل الضلالة ما لا يركبه إلا كل مدخول

الرأي، مسلوب العقل - واتخذ هؤلاء المشركون بالله- من دون الذي له

مُلْك السموات والأرض وحده، من غير شريك، الذي خلق كل شيء

فقَدَّره- آلهة: يعني أصناماً بأيديهم يعبدونها، لا تخلق شيئاً وهي تُخلق،

ولا تملك لنفسها نفعا تجره إليها، ولا ضررا تدفعه عنها ممن أرادها بضر، ولا تملك إماتة حي، ولا إحياء ميت، ولا نشره من بعد مماته، وتركوا عبادة خالق كل شيء، وخالق آلهتهم، ومالك الضر والنفع، والذي بيده الموت والحياة والنشور. والنشور: مصدر نُشِرَ الميت نشورا، وهو أن يُبعث ويُحيا بعد الموت.

وقال ابن كثير \$:

يخبر تعالى عن جهل المشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله، الخالق لكل شيء، المالك لأزمنة الأمور، الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. ومع هذا عبدوا معه من الأصنام ما لا يقدر على خلق جناح بعوضة، بل هم مخلوقون، ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا، فكيف يملكون لعبادتهم؟! ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ أي: ليس لهم من ذلك شيء، بل ذلك مرجعه كله إلى الله ﷻ، فهو الذي هو يحيي ويميت، وهو الذي يعيد الخلائق يوم القيامة أولهم وآخرهم، ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفْئَسٍ وَّاحِدَةٍ﴾ [لقمان: ١٨]، ﴿وَمَا أَمَرْنَا إِلَّا وَاحِدَةً كُلَّجٍ بِالْبَصْرِ﴾ [القمر: ٢٢]، ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ۖ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات: ٢٤]، ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: ٥٢]. فهو الله الذي لا إله غيره ولا رب سواه، ولا تنبغي العبادة إلا له؛ لأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. وهو الذي لا ولد له ولا والد، ولا عدل ولا نديد ولا وزير ولا نظير، بل هو الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد.

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾ ذكر ما صنع المشركون على جهة

التعجيب في اتخاذهم الآلهة مع ما أظهر من الدلالة على وحدانيته وقدرته ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا﴾ يعني: الآلهة ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ لما اعتقد المشركون فيها أنها تضر وتنتفع عبّر عنها كما يعبر عما يعقل ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لَأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ أي: لا ضرر وجلب نفع فحذف المضاف وقيل: لا يقدر أن يضرُوا أنفسهم أو ينفعوها بشيء ولا لمن يعبدهم؛ لأنها جمادات ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ ٢٠ أي: لا يمتيتوهم أحدًا ولا يحيونه والنشور: الإحياء بعد الموت أنشر الله الموتى فنشروا وقد تقدم. قول الأعشى:

حتى يقول الناس مما رأوا يا عجبًا للميت الناشر



س: **وضح معنى قوله تعالى:** ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ ٤.

ج: **المعنى -** والله أعلم -: وقال الذين جحدوا وحدانية الله وكذبوا رسل الله، قالوا عن هذا القرآن ما هذا القرآن إلا كذب اختلقه محمد ﷺ من عند نفسه ليصرف الناس عن عبادة آلهتهم إلى عبادة الله وحده، اختلقه محمد من عند نفسه وساعده على اختلاقه واختلقه معه أيضًا قوم آخرون من اليهود وغيرهم، فقد علموه ودارسوه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ ١٠٣ [النحل: ١٦]، وهنا كذب الله ٥ هؤلاء الكفار بقوله: ﴿فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ ٤، أي: ولقد أتوا لما قالوا هذه المقولة بمنكر من القول وزور وظلم، لقد ظلموا النبي ﷺ وبخسوه حقه، لما قالوا: إنه افتري هذا القرآن، فالنبي ﷺ الصادق المصدوق فكان من حقه أن يُشكر وأن

يُصدق، وأن يُؤمنوا به فبخسوه حقه وكذبوه وأتوا بميلٍ من القول عن الحق، فالزور الميل عن الحق إلى الباطل.

وكذا ظلموا هذا القرآن لكونهم وصفوه بأنه قول بشر، والله أعلم.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء الكافرون بالله، الذين اتخذوا من دونه آلهة: ما هذا القرآن الذي جاءنا به محمد ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ يعني: إلا كذب وبهتان ﴿أَفْتَرَيْنَاهُ﴾ اختلقه وتخرصه بقوله: ﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ ذكر أنهم كانوا يقولون: إنما يعلم محمدًا هذا الذي يجيئنا به اليهود، فذلك قوله: ﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ يقول: وأعان محمدًا على هذا الإفك الذي افتراه يهود.

وقوله: ﴿فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ يقول تعالى ذكره: فقد أتى قائلو هذه المقالة، يعني الذين قالوا: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ ظلمًا، يعني بالظلم نسبتهم كلام الله وتنزيله إلى أنه إفك افتراه محمد ﷺ. وقد بينا فيما مضى أن معنى الظلم: وضع الشيء في غير موضعه، فكان ظلم قائلو هذه المقالة القرآن بقتيلهم هذا وصفهم إياه بغير صفته، والزور: أصله تحسين الباطل. فتأويل الكلام: فقد أتى هؤلاء القوم في قتلهم ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ كذبًا محضًا.

وقال ابن كثير \$:

يقول تعالى مخبرًا عن سخافة عقول الجهلة من الكفار في قولهم عن القرآن: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكُ﴾ أي: كذب، ﴿أَفْتَرَيْنَاهُ﴾ يعنون النبي ﷺ، ﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ أي: واستعان على جمعه بقوم آخرين. قال الله تعالى: ﴿فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ أي: فقد افتروا هم قولًا باطلًا هم يعلمون أنه باطل،

ويعرفون كذب أنفسهم فيما يزعمون.

وصف الكفار للقرآن بأنه أساطير والرد عليهم

س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أَكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٦﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: وقال أيضاً أهل الكفر والجحود والشرك بالله، قالوا عن هذا القرآن: إنه حكايات وقصص وخرافات الأولين، يعنون الذين سبقوا ومضوا أمر محمد من يكتبها له وتقرأ عليه غدوة وعشيًا.

والظاهر - والله أعلم -: أن فريقاً من أهل الكفر قال عن القرآن: إنه إفك افتراه محمد ﷺ، وفريق آخر منهم قالوا: إنه أساطير الأولين، ويحتمل أيضاً أن قائل هذه المقولة وتلك هم صنف واحد من الكفار. فقل يا رسول الله لهؤلاء القائلين عن هذا القرآن: إنه كذب مفترى، ولهؤلاء القائلين: إنه أساطير الأولين اكتتبها، قل لهؤلاء وأولئك: كلا فليس هو بالإفك المفترى، وليس هو بأساطير الأولين، بل أنزله الله ﷻ الذي يعلم حقائق الأمور، ويعلم ما خفي في السموات والأرض، ويعلم ما أضمرته النفوس وأخفته الصدور إنه كان غفوراً رحيمًا، غفوراً لعباده التائبين والمذنبين والمفترين والمتقولين إن هم تابوا إليه واستغفروه، فتوبوا إلى الله واستغفروه ولا تفتروا بإمهاله لكم وترك تعذيبكم فإنه بكم رحيم إذا أمهلكم حتى تتوبوا وتقلعوا عن غيِّكم وضلالكم. والله أعلم. وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري \$:

فتأويل الكلام: وقال هؤلاء المشركون بالله، الذين قالوا لهذا القرآن: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا فُكْ أَفْتَرَهُ﴾ محمد ﷺ: هذا الذي جاءنا به محمد أساطير الأولين، يعنون: أحاديثهم التي كانوا يسطرونها في كتبهم، اكتبها محمد ﷺ من يهود، ﴿فَهِىَ ثُمْلَى عَلَيْهِ﴾ يعنون بقوله: ﴿فَهِىَ ثُمْلَى عَلَيْهِ﴾ فهذه الأساطير تُقرأ عليه، من قولهم: أمليت عليك الكتاب وأملت ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ يقول: وُثْمِلَى عليه غدوة وعشيًا.

وقوله: ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء المكذبين بآيات الله من مشركي قومك: ما الأمر كما تقولون من أن هذا القرآن أساطير الأولين، وأن محمدًا ﷺ افتراه وأعانه عليه قوم آخرون، بل هو الحق، أنزله الربُّ الذي يعلم سرَّ من في السماوات ومن في الأرض، ولا يخفى عليه شيء، ومُحصي ذلك على خلقه، ومجازيهم بما عزمتم عليه قلوبهم، وأضمروه في نفوسهم ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ يقول: إنه لم يزل يصفح عن خلقه ويرحمهم، فيفضل عليهم بعفوه، يقول: فلأن ذلك من عادته في خلقه، يُمهلكم أيها القائلون ما قلتم من الإفك، والفاعلون ما فعلتم من الكفر.

وقال ابن كثير \$:

﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ يعنون: كتب الأوائل استحسناها ﴿فَهِىَ ثُمْلَى عَلَيْهِ﴾ أي: تُقرأ عليه ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ أي: في أول النهار وآخره. وهذا الكلام -لسخافته وكذبه وبهته - كُلُّ أحد يعلم بطلانه، فإنه قد عُلِمَ بالتواتر وبالضرورة: أن محمدًا رسول الله لم يكن يعاني شيئًا من

الكتابة، لا في أول عمره ولا في آخره، وقد نشأ بين أظهرهم من أول مولده إلى الميأس أن يعثوا به الله نحواً من أربعين سنة، وهم يعرفون مدخله ومخرجه، وصدقه، وبره وأمانته ونزاهته من الكذب والفجور وسائر الأخلاق الرذيلة، حتى إنهم لم يكونوا يسمونه في صغره إلى أن بُعث إلا الأمين، لما يعلمون من صدقه وبرّه. فلما أكرمه الله بما أكرمه به، نصبوا له العداوة، ورَمَوْه بهذه الأقوال التي يعلم كل عاقل براءته منها، وحاروا ماذا يقذفونه به، فتارة من إفكهم يقولون: ساحر، وتارة يقولون: شاعر، وتارة يقولون: مجنون، وتارة يقولون: كذاب، قال الله تعالى: ﴿أَنْظِرْ كَيْفَ صَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ (٤٨).

[الإسراء: ٢٤]

وقال تعالى في جواب ما عاندوا هاهنا وافتروا: ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: أنزل القرآن المشتمل على أخبار الأولين والآخرين إخباراً حقاً صدقاً مطابقاً للواقع في الخارج، ماضياً ومستقبلاً ﴿أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ﴾ أي: الله الذي يعلم غيب السموات والأرض، ويعلم السرائر كعلمه بالظواهر.

وقوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (٦): دعاء لهم إلى التوبة والإنابة، وإخبار بأن رحمته واسعة، وأن جُلْمه عظيم، وأن من تاب إليه تاب عليه. فهؤلاء مع كذبهم وافتراءهم وفجورهم وبهتهم وكفرهم وعنادهم، وقولهم عن الرسول والقرآن ما قالوا، يدعوههم إلى التوبة والإقلاع عما هم فيه إلى السلام والهدى كما قال تعالى:

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ [المائدة: ٧٣- ٧٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَنَوْا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾﴾ [البروج: ١٠]. قال الحسن البصري: انظروا إلى هذا الكرم والجود، قتلوا أوليائه وهو يدعوهم إلى التوبة والرحمة!

قال السعدي \$ في (تيسير الكريم الرحمن):

ومن جملة أقاويلهم فيه أن قالوا: هذا الذي جاء به محمد ﴿أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ كَتَبَهَا أي: هذا قصص الأولين وأساطيرهم التي تتلقاها الأفواه وينقلها كل أحد استنسخها محمد ﴿فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾﴾. وهذا القول منهم فيه عدة عظام:

منها: رميهم الرسول الذي هو أبرُّ الناس وأصدقهم بالكذب والجرأة العظيمة.

ومنها: إخبارهم عن هذا القرآن الذي هو أصدق الكلام وأعظمه وأجله بأنه كذب واقتراء.

ومنها: أن في ضمن ذلك أنهم قادرون أن يأتوا بمثله وأن يضاهي المخلوق الناقص من كل وجه للخالق الكامل من كل وجه بصفة من صفاته، وهي الكلام.

ومنها: أن الرسول قد علمت حالته وهم أشد الناس علمًا بها، أنه لا يكتب ولا يجتمع بمن يكتب له وهم قد زعموا ذلك.



قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿وَقَالُوا مَا لَ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ۝٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ۝٨

أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ۝٩

تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّنْ ذَلِكَ جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ۝١٠ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا

۝١١ إِذَا رَأَتْهُمْ مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْطًا وَزَفِيرًا ۝١٢ وَإِذَا أَلْقَا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنَيْنِ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ۝١٣ لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ۝١٤ قُلْ أَذَلِك خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءٌ وَمَصِيرًا ۝١٥ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ

كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْئُولًا ﴿١٦﴾ ﴿[الفرقان: 7-16].

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿كَزَّ﴾ - جَنَّةٌ - إِنْ تَتَّبِعُونَ - مَسْحُورًا - فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا - تَبَارَكَ - وَأَعْتَدْنَا - سَعِيرًا - تَغِيظًا - وَزَفِيرًا - أَلْقُوا مِنْهَا - دَعُوا هُنَالِكَ - ثُبُورًا - وَعَدًا مَسْئُولًا ﴿﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿كَزَّ﴾	ذهب أو فضة
﴿جَنَّةٌ﴾	حديقة - بستان
﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ﴾	ما تتبعون
﴿مَسْحُورًا﴾	أصابه السحر (فجعله يخرف ويهذي)
﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾	فلا يستطيعون الاهتداء إلى طريق الحق
﴿تَبَارَكَ﴾	تكاثر الخير الوارد منه - تقدس وتعظم
﴿وَأَعْتَدْنَا﴾	أعدنا
﴿سَعِيرًا﴾	نارًا مستعرة
﴿تَغِيظًا﴾	غضبًا عليهم
﴿وَزَفِيرًا﴾	هواءً شديدًا يخرج منها
﴿أَلْقُوا مِنْهَا﴾	ألقوا فيها
﴿دَعُوا هُنَالِكَ﴾	دعوا عندئذٍ - سألوا الله عندها وفيها
﴿ثُبُورًا﴾	هلاكا - تندما - خيبة - تحسرا
﴿وَعَدًا مَسْئُولًا﴾	وعدا وعده الله عباده في الدنيا ويسألونه يوم القيامة أن يحققه لهم.

بشرية رسول الله ﷺ

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُتُبُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ (٧) أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ (٨) انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوهم فلا يستطيعون سبيلاً (٩) تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك جنت تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصوراً (١٠)﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - أن أهل الكفر الذين هم أهل الجحود، جحود وحدانية الله ﷻ، وهم أهل الشرك قالوا مُنفرين عن رسول الله ﷺ مال هذا الرسول يأكل الطعام كما نأكل، ويمشي في الأسواق يبيع ويشترى كما نمشي نبيع ونشتري، فإن كان رسولاً من عند الله ﷻ فلم لم يُنزل معه ملك يؤيده في دعوته ويخبر الناس أن هذا مُنذر ورسول من عند الله حتى يصدق الناس، أو يُلقى إليه من السماء كنزٌ من ذهب أو فضة حتى يتفرغ لدعوته ويكف عن البيع والشراء والمشي في الأسواق، أو تكون له حديقة عظيمة وبستان عظيم يجعله الله له ليأكل منه بدلاً من الخروج إلى السوق للبيع والشراء ثم تمادى أهل الظلم قائلين ما تتبعون يا أصحاب محمدٍ إلا رجلاً مسحوراً قد أصابه السحر فأثر على عقله وجعله يخرف ويدعي الرسالة، فيقول تعالى مُصبراً نبيه ﷺ ومُسلياً له ومطمئناً، انظر إلى ضلال هؤلاء كيف ضربوا لك الأمثال فأرادوا معك ملكاً أو أرادوك ملكاً وأرادوا السماء أن تمطر عليك ذهباً وفضة... إلى غير ذلك مما ذكره، فضلوهم عن الحق والصواب بذلك فلا يستطيعون اهتداء إلى الحق ولو فكروا وأمعنوا النظر وتأملوا وتدبروا لوجدوا أن

هذا القرآن الذي يتلوه رسول الله ﷺ بما فيه من الهدى والنور والآيات النيرات البينات أفضل من كل ما سألوه، فإن الآيات التي طلبوها وسألوها توشك أن تزول وتنتهي أما القرآن فمعجزة باقية، كما قال ﷺ: «ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أُوتي من الآيات ما على مثله آمن البشر، إنما كان الذي أُوتيته وحياً أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أنا أكثرهم تابعاً يوم القيامة».

ويقول تعالى ردّاً على هؤلاء المشركين: ﴿تَبَارَكَ﴾ تقديس وتعظيم وتكاثر الخير الوارد من قبله ودام هذا الخير، تعاضم وتكاثر الخير الوارد من الله الذي إن شاء جعل لك خيراً من كل ما ذكروه، جعل لك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك إن شاء في الدنيا قصوراً تسكنها، ولكن كل هذا الذي في الدنيا متاعٌ زائل، وذاهب. وما عند الله خيرٌ وأبقى.

وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري \$:

فتأويل الكلام: وقال المشركون ما لهذا الرسول يعنون محمداً ﷺ، الذي يزعم أن الله بعثه إلينا يأكل الطعام كما نأكل، ويمشي في أسواقنا كما نمشي ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ﴾ يقول: هلا أنزل إليه ملك إن كان صادقاً من السماء، فيكون معه منذراً للناس، مصدقاً له على ما يقول، أو يلقي إليه كنز من فضة أو ذهب، فلا يحتاج معه إلى التصرف في طلب المعاش ﴿أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ﴾ يقول: أو يكون له بستان ﴿يَأْكُلُ مِنْهَا﴾.

وقال \$:

وبعد، فإن في قوله تعالى ذكره: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ دليلًا بيّنًا على أنهم إنما قالوا له: اطلب ذلك لنفسك، لتأكل أنت منه، لا نحن.

وقوله: ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ﴾ يقول: وقال المشركون للمؤمنين بالله ورسوله: ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ﴾ أيها القوم باتباعكم محمدًا ﴿الْأَرْجُلَ﴾ به سحر.

ويقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: انظر يا محمد إلى هؤلاء المشركين الذين شبهوا لك الأشباه بقولهم لك: هو مسحور، فضلوا بذلك عن قصد السبيل، وأخطؤوا طريق الهدى والرشاد، فلا يستطيعون يقول: فلا يجدون سبيلًا إلى الحق، إلا فيما بعثتك به، ومن الوجه الذي ضلوا عنه.

وقوله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ يقول تعالى ذكره: تقدس الذي إن شاء جعل لك خيرًا من ذلك.

واختلف أهل التأويل في المعنى بـ: ﴿ذَلِكَ﴾ التي في قوله: ﴿جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ﴾ فقال بعضهم: معنى ذلك: خيرًا مما قال هؤلاء المشركون لك يا محمد: هلا أوتيته وأنت لله رسول، ثم بين تعالى ذكره عن الذي لو شاء جعل له خيرًا مما قالوا، فقال: ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾.

وقال آخرون: عنى بذلك المشي في الأسواق، والتماس المعاش.

قال الطبري: وقوله: ﴿وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا﴾ يعني بالقصور: البيوت المبنية.

وقال ابن كثير \$:

يخبر تعالى عن تعنت الكفار وعنادهم وتكذيبهم للحق بلا حجة ولا

دليل منهم، وإنما تعللوا بقولهم: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾، يعنون: كما نأكله، ويحتاج إليه كما نحتاج إليه، ﴿وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ أي: يتردد فيها وإليها طلباً للتكسب والتجارة، ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ، نَذِيرًا﴾ ﴿٧﴾ يقولون: هلا أنزل إليه ملك من عند الله، فيكون له شاهداً على صدق ما يدّعيه! وهذا كما قال فرعون: ﴿فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَكُ مَقَرَّنِينَ﴾ ﴿٥٢﴾ [الزخرف: ٥٢]. وكذلك قال هؤلاء على السواء، تشابهت قلوبهم؛ ولهذا قال: ﴿أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ﴾ أي: علم كنز [يكون] ينفق منه، ﴿أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ أي: تسير معه حيث سار. وهذا كله سهل يسير على الله، ولكن له الحكمة في ترك ذلك، وله الحجة البالغة ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَعَتُّوْنَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ ﴿٨﴾.

قال الله تعالى: ﴿أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلَ فَضَلُّوا﴾ أي: جاءوا بما يقذفونك به ويكذبون به عليك، من قولهم «ساحر، مسحور، مجنون، كذاب، شاعر» وكلها أقوال باطلة، كل أحد ممن له أدنى فهم وعقل يعرف كذبهم وافتراءهم في ذلك؛ ولهذا قال: ﴿فَضَلُّوا﴾ أي: عن طريق الهدى، ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ ﴿٩﴾ وذلك لأن كل من خرج عن الحق فإنه ضال حيثما توجه؛ لأن الحق واحد ومنهج متحد، يُصَدِّقُ بعضه بعضاً. ثم قال تعالى مخبراً نبيه أنه لو شاء لآتاه خيراً مما يقولون في الدنيا وأفضل وأحسن، فقال: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّنْ ذَلِكَ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيجعل لك قُصُورًا﴾ ﴿١٠﴾.

قال مجاهد: يعني: في الدنيا، قال: وقريش يسمون كل بيت من حجارة قصرًا، سواء كان كبيرًا أو صغيرًا



سحر النبي ﷺ

س: هل ثبت أن النبي ﷺ سحر؟

ج: نعم ثبت أن النبي ﷺ قد سحر لكن هذا السحر لم يكن بالسحر المتعلق بتبليغ الشريعة، إنما كان متعلقًا بمسألة إتيان الأزواج وقد قدمت في سورة البقرة في مبحث السحر ما يفيد أن النبي ﷺ قد سحر، وفيه أن عائشة قالت: «سحر النبي ﷺ حتى إنه ليخيل إليه أن يفعل الشيء وما فعله...» (1).



الجمع بين الآية والحديث

س: كيف الجمع بين ما ورد في سحر النبي ﷺ، وبين تكذيب الكفار

القائلين: ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ (٨)؟

ج: معلوم - والله أعلم - أن السحر مراتب والرسول ﷺ بشر، يصاب بما يصاب به البشر ويبتلى بما يبتلى به البشر، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ٢٢]، إلا أن الرسول ﷺ معصوم في تبليغه للشريعة والوحي. فعلى ذلك، يجاب - والله أعلم - بأن نوع السحر الذي تأثر به النبي ﷺ إنما كان سحرًا يتعلق بأمره مع النساء حتى كان يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتيهن، ولم يكن لهذا السحر تأثير على تبليغ الشريعة، والله أعلم.



(1) البخاري (5765، 5766)، ومسلم (2189).

س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَبَ بِالسَّاعَةِ

سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَا نَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ ۚ

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - أن أهل الشرك والجحود والنكران ليسوا في حقيقة الأمر بمستنكرين عليك كونك تأكل الطعام وتمشي في الأسواق، ليس هذا هو أساس تكذيبهم بل أصل تكذيبهم أنهم ينكرون البعث كذا قال بعض أهل العلم.

ويبدو - والله أعلم - أن هناك وجهًا آخر حاصله أنهم لم يقتصروا على ردهم عليك بقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق... إلى آخر ما ذكره، وإنما فعلوا شيئًا آخر هو أعظم وارتكبوا جرمًا آخر هو أخطر، ألا وهو تكذيبهم بيوم القيامة، وقد أعدنا لمن كذب بيوم القيامة نارًا مستعرة عظيمة هائلة إذا رأت أهلها المكذبين بيوم القيامة من مكان بعيد سمعوا لها تغيظًا وصوتًا عظيمًا للزفير، وهو الهواء الشديد الذي يخرج منها.

هذا، وإن كان صوت التغيظ لا يسمع إلا أن الله سبحانه وتعالى يجعل صوت تغيظها يُسمع.

هذا، وإذا أُلْقُوا فيها فإنهم يُلقون في أماكن ضيقة شديدة الضيق، ويلقون مقرنين مقيدين.

قيل: ضُمَّتْ أَيْدِيهِمْ إِلَى رِقَابِهِمْ وَرَبَطَتْ مَعَهَا.

وقيل: قُرْن كل شخص مع قرينه، أي رُبط كل شخص مع شيطانه الذي أضله في الدنيا.

وقيل: ربط (قَيَّد) كل شخص مع قرينه من بني آدم الذين كانوا على

شاكلته.

فإذا ألقوا فيها على هذه الحال - والعياذ بالله - ألقوا مقتربين ومقرنين في نارٍ عظيمة هائلة صوتها مزعج هائل، يلقون وقد ربطت أيديهم إلى رقابهم وقد ربطوا مع بعضهم ومع شياطينهم، ألقوا في أماكن ضيقة شديدة الضيق، فعياذًا بالله نارٌ وقيودٌ وضيق مكان!!!

نارٌ، وأي نارٍ، نارٌ عظيمة هائلة!!!

وقيود شديدة!!!

وأماكن شديدة الضيق!!!

فعندها ماذا يقولون؟! وماذا يصنعون!!؟

إنهم عند ذلك يدعون على أنفسهم بالموت والهلاك يدعون على أنفسهم متندمين متحسرين متأسفين على عدم طاعتهم في الدنيا، فيقال لهم: لا تدعوا على أنفسكم بالهلاك مرة واحدة، بل ادعوا مرات ومرات، وتندموا مرات ومرات، وتحسروا مرات ومرات.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: ما كذب هؤلاء المشركون بالله، وأنكروا ما جئتهم به يا محمد من الحق من أجل أنك تأكل الطعام، وتمشي في الأسواق، ولكن من أجل أنهم لا يوقنون بالمعاد، ولا يصدقون بالثواب والعقاب تكذيبًا منهم بالقيامة، وبعث الله الأموات أحياء لحشر القيامة.

﴿وَأَعَدَدْنَا﴾ يقول: وأعددنا لمن كذب ببعث الله الأموات أحياء بعد فنائهم لقيام الساعة، نارًا تسعر عليهم وتنقد ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾، يقول: إذا رأت

هذه النار التي اعتدناها لهؤلاء المكذبين أشخاصهم من مكان بعيد، تغيطت عليهم، وذلك أن تغلي وتنفور، يقال: فلان تغيط على فلان، وذلك إذ غضب عليه، فغلى صدره من الغضب عليه، وتبين في كلامه، ﴿وَرَفِيرًا﴾ (١٢)، وهو صوتها.

فإن قال قائل: وكيف قيل: ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغِيْطًا﴾ والتغيظ لا يسمع، قيل معنى ذلك: سمعوا لها صوت التغيظ من التلهب والتوقد.

وقال تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضِيقًا مُّقْرَرَيْنَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ (١٣) لَا نَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾.

يقول تعالى ذكره: وإذا ألقى هؤلاء المكذبون بالساعة من النار مكانًا ضيقًا، قد قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ (١٣). واختلف أهل التأويل في معنى الثبور، فقال بعضهم: هو الويل. **وقال آخرون:** الثبور: الهلاك.

قال الطبري \$:

والثبور في كلام العرب: أصله انصراف الرجل عن الشيء، يقال من:

ما ثبرك عن هذا الأمر: أي ما صرفك عنه، وهو في هذا الموضع دعاء هؤلاء القوم بالندم على انصرافهم عن طاعة الله في الدنيا، والإيمان بما جاءهم به نبي الله ﷺ حتى استوجبوا العقوبة منه، كما يقول القائل: واندامتاه، واحسرتاه على ما فرطت في جنب الله، وكان بعض أهل المعرفة بكلام

العرب من أهل البصرة يقول في قوله: ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ (١٣) أي: هلكة،

ويقول: هو مصدر من ثبر الرجل أي: أهلك، ويستشهد لقيه في ذلك ببيت ابن الزبعرى:

إذ أجاري الشيطان في سنن الغي ومن مال ميله مثور

وقوله: ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ﴾ أيها المشركون ندمًا واحدًا: أي مرة واحدة، ولكن ادعوا ذلك كثيرًا. وإنما قيل: ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا﴾ لأن الثبور مصدر؛ والمصادر لا تجمع، وإنما توصف بامتداد وقتها وكثرتها، كما يقال: قعد قعودا طويلا وأكل أكلا كثيرا.

وقال ابن كثير \$:

وقوله: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ﴾ أي: إنما يقول هؤلاء هكذا تكذيبًا وعنادًا، لا أنهم يطلبون ذلك تبصرًا واسترشادًا، بل تكذيبهم بيوم القيامة يحملهم على قول ما يقولونه من هذه الأقوال، ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ أي: وأرصدنا ﴿لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ ١١ أي: عذابًا أليمًا حارًا لا يطاق في نار جهنم.

وقال الثوري، عن سلمة بن كهيل، عن سعيد بن جبير: (السَّعِيرُ): وادٍ من قيح جهنم.

وقوله: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ﴾ أي: جهنم ﴿مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ يعني: في مقام المحشر. قال السدي: من مسيرة مائة عام ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا﴾ ١٢ أي: حنقًا عليهم، كما قال تعالى: ﴿إِذَا الْقَوُفِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ﴾ ٧ تكادُ تَمِيزُ مِنَ الْغَيْظِ ﴿[الملك: ٧]﴾ أي: يكاد ينفصل بعضها من بعض؛ من شدة غيظها على من كفر بالله.

وقال \$:

وقوله: ﴿مُفْرَيْنَ﴾ قال أبو صالح: يعني مكتفين: ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ ١٣ أي: بالويل والحسرة والخيبة. ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ ١٤.

وقال \$:

والأظهر: أن الثبور يجمع الهلاك والويل والخسار والدمار، كما قال موسى لفرعون: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفْرَعَوْتُ مَثْبُورًا ۝١٠٢﴾ [الإسراء: ١٧] أي: هالكا. وقال عبد الله بن الزبعرى:

إِذَا أَجَارِي الشَّيْطَانِ فِي سَنَنِ الْغَىٰ - يَ، وَمَنْ مَالٍ مَيْلُهُ مَثْبُورُ

قال الشنقيطي \$ في (أضواء البيان):

قوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا ۝١٢﴾.

ذكر جلّ وعلا في هذه الآية الكريمة: أن النار يوم القيامة، إذا رأت الكفار ﴿مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ أي: في عرصات المحشر اشتد غيظها على من كفر بربها وعلا زفيرها فسمع الكفار صوتها من شدة غيظها، وسمعوا زفيرها.

وما ذكره جلّ وعلا في هذه الآية الكريمة بين بعضه في سورة الملك، فأوضح فيها شدة غيظها على من كفر بربها، وأنهم يسمعون لها أيضاً شهيقاً مع الزفير الذي ذكره في آية الفرقان هذه، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِذَا الْتَقَوُا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ۝٧﴾ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ ۝٨﴾ أي: يكاد بعضها ينفصل عن بعض من شدة غيظها، على من كفر بالله تعالى.

وللعلماء أقوال في معنى الزفير والشهيق، وأقربها أنهما يمثلهما معاً صوت الحمار في نهيقه، فأوله زفير، وآخره الذي يردده في صدره شهيق.

والأظهر أن معنى قوله تعالى: ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا﴾ أي: سمعوا غليانها من شدة غيظها، ولما كان سبب الغليان التغيظ أطلقه عليه، وذلك أسلوب

عربي معروف. وقال بعض أهل العلم: ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا﴾ أي: أدركوه، والإدراك يشمل الرؤية والسمع، وعلى هذا فالسمع مضمن معنى الإدراك، وما ذكرنا أظهر.

وقال القرطبي: «قيل المعنى: إذا رأتهم جهنم سمعوا لها صوت التغيظ عليهم»، ثم ذكر في آخر كلامه أن هذا القول هو الأصح.

قال الشنقيطي \$ في (أضواء البيان):

مسألة

اعلم أن التحقيق أن النار تبصر الكفار يوم القيامة، كما صرح الله بذلك في قوله هنا: ﴿إِذَا رَأَوْهُمْ مِّنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ ورؤيتها إياهم من مكان بعيد، تدل على حدة بصرها كما لا يخفى، كما أن النار تتكلم كما صرح الله به في قوله: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَّزِيدٍ﴾ (ق: ٣٠)، والأحاديث الدالة على ذلك كثيرة، كحديث محاجة النار مع الجنة، وكحديث اشتكائها إلى ربها، فأذن لها في نفسين، ونحو ذلك، ويكفي في ذلك أن الله جلّ وعلا صرح في هذه الآية، أنها تراهم وأن لها تغيظاً على الكفار، وأنها تقول: هل من مزيد.

واعلم أن ما يزعمه كثير من المفسرين وغيرهم، من المنتسبين للعلم من أن النار لا تبصر، ولا تتكلم، ولا تغتاض. وأن ذلك كله من قبيل المجاز، أو أن الذي يفعل ذلك خزنتها كله باطل ولا معول عليه لمخالفته نصوص الوحي الصحيحة بلا مستند، والحق هو ما ذكرنا.

وقد أجمع من يعتد به من أهل العلم على أن النصوص من الكتاب والسنة، لا يجوز صرفها عن ظاهرها إلا لدليل يجب الرجوع إليه، كما

هو معلوم في محله.

قال السعدي \$ في (تيسير الكريم الرحمن):

﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّبِينَ﴾ أي: وقت عذابهم وهم في وسطها، جمع في مكان بين ضيق المكان وتزاحم السكان وتقرينهم بالسلاسل والأغلال، فإذا وصلوا لذلك المكان النحس وحبسوا في أشد حبس ﴿دَعَا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ ﴿١٣﴾ دعوا على أنفسهم بالثبور والخزي والفضيحة وعلوموا أنهم ظالمون معتدون، قد عدل فيهم الخالق حيث أنزلهم بأعمالهم هذا المنزل، وليس ذلك الدعاء والاستغاثة بنافعة لهم ولا مغنية من عذاب الله، بل يقال لهم: ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ ﴿١٤﴾ أي: لو زاد ما قلتم أضعاف أضعافه ما أفادكم إلا الهم والغم والحزن.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ أَذَلِكْ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا﴾ ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَتْ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُورًا﴾ ﴿١٦﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - قل يا رسول الله لهؤلاء المكذبين الذين أعددت لهم سعيراً يسمعون لها تغيظاً وزفيراً، الذين يلقون مقرنين في السعير داعين على أنفسهم بالويل والخيبة والحسرة والهلاك، قل لهم: أذلك الذي ذكرته لكم من الوعيد لأهل الكفر والإجرام خيرٌ أم جنة الخلد التي لا تزول ولا تفسى ولا يتحول عنها أهلها بحال ولا يموتون فيها خير، أجنة الخلد خيرٌ أم العذاب الذي أعد لكم.

إن جنة الخلد وعدّها الله المتقين الذين اتقوا الشرك بالله والكفر به

وطرائق المجرمين، أعد الله ٥ جنة الخلد لأهل التقى جزاء لهم على ما أطاعوه وعبدوه ووحده ومصيرًا يصيرون إليه بعد مماتهم لهم فيها ما تشتهيهم أنفسهم وتلذ أعينهم خالدين في النعيم المقيم كان على ربك وعدًا وعده الله العباد المؤمنين وسيسألون ربهم يوم القيامة عن إنجازهم، فرب العزة وعدهم في دنياهم جنات النعيم فيطلبون من الله يوم القيامة أن يحقق لهم الوعد الذي وعدهم في الدنيا وينجزه لهم، كما كانوا في الدنيا يقولون: ﴿رَبَّنَا وَءَاثِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ﴾ ﴿١١٤﴾ [آل عمران: ١١٤].

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء المكذبين بالساعة: أهذه النار التي وصف لكم ربكم صفتها وصفة أهلها خير؟ أم بستان الخلد الذي يدوم نعيمه ولا يببّد، الذي وعد من اتقاه في الدنيا بطاعته فيما أمره ونهاه؟ وقوله: ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا﴾ ﴿١٥﴾ يقول: كانت جنة الخلد للمتقين جزاء أعمالهم لله في الدنيا بطاعته، وثواب تقواهم إياه، ومصيرًا لهم، يقول: ومصيرًا للمتقين يصيرون إليها في الآخرة. وقوله: ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾ يقول: لهؤلاء المتقين في جنة الخلد التي وعدهموها الله ما يشاءون مما تشتهيهم الأنفس وتلذ الأعين، ﴿خَالِدِينَ﴾ فيها، يقول: لا يثنى فيها ما كثرين أبدًا، لا يزولون عنها ولا يزول عنهم نعيمها. وقوله: ﴿كَانَتْ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْئُولًا﴾ ﴿١٦﴾ وذلك أن المؤمنين سألوا ربهم ذلك في الدنيا حين قالوا: ﴿وَأَنَا إِنَّا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ [آل عمران: ١١٤] يقول الله تبارك وتعالى: وكان إعطاء الله المؤمنين جنة الخلد التي وصف صفتها في الآخرة وعدًا

وعدهم الله على طاعتهم إياه في الدنيا، ومسألتهم إياه ذلك.

وقال الحافظ ابن كثير \$:

يقول تعالى: يا محمد، هذا الذي وصفناه من حال هؤلاء الأشقياء، الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم، فنتلقاهم بوجه عبوس وبغيظ وزفير، ويُلْقَوْنَ في أماكنها الضيقة مقرّنين، لا يستطيعون حراكًا، ولا انتصارًا ولا فكاكًا مما هم فيه -: أهذا خير أم جنة الخلد التي وعدها الله للمتقين من عباده، التي أعدها لهم، وجعلها لهم جزاء على ما أطاعوه في الدنيا، وجعل مآلهم إليها.

﴿لَمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾ من الملاذ: من مآكل ومشارب، وملابس ومساكن، ومراكب ومناظر، وغير ذلك، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب أحد. وهم في ذلك خالدون دائمًا أبدًا سرمدًا بلا انقطاع ولا زوال، ولا انقضاء، ولا يبيغون عنها حولًا. وهذا من وعد الله الذي تفضل به عليهم، وأحسن به إليهم، ولهذا قال: ﴿كَانَ عَلَى رَيْكَ وَعْدًا مَسْئُولًا﴾ (١٦) أي لا بد أن يقع وأن يكون، كما حكاه أبو جعفر بن جرير، عن بعض علماء العربية أن معنى قوله: ﴿وَعْدًا مَسْئُولًا﴾ (١٦) أي: وعدًا واجبًا.

وقال ابن جرير، عن عطاء (1)، عن ابن عباس ﴿كَانَ عَلَى رَيْكَ وَعْدًا مَسْئُولًا﴾ (١٦) يقول: سلوا الذي واعدتكم -أو قال: واعدناكم -نُنْجِزُ.

وقال محمد بن كعب القرظي في قوله: ﴿كَانَ عَلَى رَيْكَ وَعْدًا مَسْئُولًا﴾ (١٦) : إن الملائكة تسأل لهم ذلك: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ﴾ [غافر: ٢١].

(1) عطاء هو الخراساني، ولم يسمع ابن عباس.

وقال أبو حازم: إذا كان يوم القيامة قال المؤمنون: ربنا عملنا لك بالذي أمرتنا، فأنجز لنا ما وعدتنا. فذلك قوله: ﴿وَعَدَّا مَسْئُولًا﴾ (١٦). وهذا المقام في هذه السورة من ذكر النار، ثم التنبيه على حال أهل الجنة، كما ذكر تعالى في «سورة الصافات» حال أهل الجنة، وما فيها من النضرة والحبور، ثم قال: ﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّاقِمِ﴾ (١٦) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلْظَّالِمِينَ (١٦) إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (١٦) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ (١٦) فَإِنَّهُمْ لَآكُلُونَ مِنْهَا فَمَالٌ مِّنْهَا الْبَطُونُ (١٦) ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حِمِيمٍ (١٧) ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ (١٨) إِنَّهُمْ أَفْوَءُ آبَاءِ هُمْضَالِينَ (١٩) فَهُمْ عَلَىٰ أَعْرَاسٍ يُهْرَعُونَ (٢٠) ﴿[الصافات: ١٦-٢٠]﴾.

وقال القرطبي \$:

قال الكلبي: وعد الله المؤمنين الجنة جزاء على أعمالهم فسألوه ذلك الوعد فقالوا: ﴿رَبَّنَا وَإِنَّا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ [آل عمران: ١٢٣] وهو معنى قول ابن عباس وقيل: إن الملائكة تسأل لهم الجنة دليله قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ﴾ [غافر: ٤] الآية وهذا قول محمد بن كعب القرظي وقيل معنى ﴿وَعَدَّا مَسْئُولًا﴾ (١٦) أي واجبًا وإن لم يكن يسأل كالدين حكى عن العرب: لأعطيك ألفًا وقيل: ﴿وَعَدَّا مَسْئُولًا﴾ (١٦) يعني أنه واجب لك فتسأله وقال زيد بن أسلم: سألوا الله الجنة في الدنيا ورغبوا إليه بالدعاء فأجابهم في الآخرة إلى ما سألوا وأعطاهم ما طلبوا وهذا يرجع إلى القوم الأول.

قال السعدي \$ في (تيسير الكريم الرحمن):

﴿هُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾ أي: يطلبون وتتعلق به أمانيتهم ومشيتهم، من المطاعم والمشارب اللذيذة والملابس الفاخرة والنساء الجميلات

والقصور العاليات والجنات والحدائق المرجحة والفواكه التي تسر ناظرها وأكلها، من حسننها وتنوعها وكثرة أصنافها والأنهار التي تجري في رياض الجنة وبساتينها، حيث شاءوا يصرفونها ويفجرونها أنهاراً من ماء غير آسن وأنهاراً من لبن لم يتغير طعمه وأنهاراً من خمر لذة للشاربين وأنهاراً من عسل مصفى وروائح طيبة، ومساكن مزخرفة، وأصوات شجية تأخذ من حسننها بالقلوب ومزاورة الإخوان، والتمتع بقاء الأحباب، وأعلى من ذلك كله التمتع بالنظر إلى وجه الرب الرحيم وسماع كلامه، والحظوة بقربه والسعادة برضاه والأمن من سخطه واستمرار هذا النعيم ودوامه وزيادته على ممر الأوقات وتعاقب الآفات ﴿كَانَ﴾ دخولها والوصول إليها ﴿عَلَى رَبِّكَ وَعَدًا مَّسْئُولًا﴾ ﴿١٦﴾ يسأله إياها، عباده المتقون بلسان حالهم ولسان مقالهم، فأبي الدارين المذكورتين خير وأولى بالإيثار؟ وأي: العاملين عمال دار الشقاء أو عمال دار السعادة أولى بالفضل والعقل والفخر يا أولى الألباب؟

لقد وضح الحق واستنار السبيل فلم يبق للمفرط عذر في تركه الدليل، فنجوك يا من قضيت على أقوام بالشقاء وأقوام بالسعادة أن تجعلنا ممن كتبت لهم الحسنى وزيادة، ونستغيث بك اللهم من حالة الأشقياء ونسألك المعافاة منها.

قال الشنقيطي \$ في (أضواء البيان):

وقوله في هذه الآية الكريمة: ﴿كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعَدًا مَّسْئُولًا﴾ ﴿١٦﴾ فيه وجهان معروفان.

أحدهما: أن معنى كونه ﴿مَسْئُولًا﴾ ﴿١٦﴾ أن المؤمنين كانوا يسألونه،

وكانت الملائكة أيضاً تسأله لهم، أما سؤال المسلمين له فقد ذكره تعالى: بقوله عنهم: ﴿رَبَّنَا وَءَاثِنَا مَا وَعَدَتْ عَلَيْنَا رُسُلُكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (١١٤) وسؤال الملائكة لهم إياه ذكره تعالى أيضاً في قوله: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ﴾ الآية، وقال بعض العلماء: ﴿مَسْئُولًا﴾ (١٦) أي: واجباً لأن ما وعد الله به فهو واجب الوقوع، لأنه لا يخلف الميعاد، وهو جل وعلا يوجب على نفسه بوعده الصادق ما شاء لا معقب لحكمه ويستأنس لهذا القول بلفظة (على) في قوله: ﴿كَانَ عَلَى رَيْكَ وَعَدًا مَسْئُولًا﴾ (١٦) كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤٧) [الروم: ٤٧]، وقال بعض أهل العلم: إن المسلمين يوم القيامة يقولون: قد فعلنا في دار الدنيا كل ما أمرتنا به فأنجز لنا ما وعدتنا، والقولان الأولان أقرب من هذا. والعلم عند الله تعالى.



س: كيف قيل: ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ﴾ ولا مقارنة بين أهل النار وأهل الجنة، ولا خيرية في أهل النار أصلاً؟

ج: أجاب بعض أهل العلم بما حاصله أن هذا من باب أفعال التفضيل الذي ليس في المقابل منه شيء كقوله تعالى: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ ذَلِكَ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَ أَحْسَنُ مَقِيلًا ۖ﴾ [الفرقان: ٢٤]، وكقول الصحابييات لعمر **ف:** «أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ»، ولا فظاظة ولا غلظة في رسول الله ﷺ.

قال القرطبي \$:

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَفُوتُونَ﴾ إن قيل: كيف قال ﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ﴾ ولا خير في النار فالجواب أن سيبويه حكى عن العرب: الشقاء أحب إليك أم السعادة وقد علم أن السعادة أحب إليه وقيل: ليس هو من باب أفعال منك وإنما هو كقولك: عنده خير قال النحاس: وهذا قول حسن كما قال:

فشر كما لخير كما الفداء

قيل: إنما قال ذلك لأن الجنة والنار قد دخلتا في باب المنازل فقال ذلك لتفاوت ما بين المنزلين وقيل: هو مردود على قوله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ﴾ الآية وقيل: هو مردود على قوله: ﴿أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ وقيل: إنما قال ذلك على معنى علمكم واعتقادكم أيها الكفار وذلك أنهم لما كانوا يعملون عمل أهل النار صاروا كأنهم يقولون إن في النار خيرًا.



قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴾ (١٧) قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَعَآبَاءَ هُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا نَقُولُ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمِ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۖ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [الفرقان: 17-20].

س: وضع معنى ما يلي:

﴿يَحْشُرُهُمْ﴾ - أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي - ضَلُّوا السَّيْلَ - سَبَّحْنَاكَ - مِنْ دُونِكَ - أَوْلِيَآءَ - نَسُوا
الَّذِينَ كَرَّ - بُرًّا - صَرَفًا - نَصْرًا - وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً ﴿﴾

ج:

الكلمة	معناها
﴿يَحْشُرُهُمْ﴾	يجمعهم يوم القيامة
﴿أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي﴾	صرفتم عبادي عن الحق إلى الباطل
﴿ضَلُّوا السَّيْلَ﴾	أخطأوا طريق الحق والصواب وحادوا عنه
﴿سَبَّحْنَاكَ﴾	تنزهت - تبرئة لك
﴿مِنْ دُونِكَ﴾	غيرك
﴿أَوْلِيَآءَ﴾	أنصار
﴿نَسُوا الَّذِينَ كَرَّ﴾	تركوا العمل بالقرآن - تركوا ذكرك وطغوا وبغوا
﴿بُرًّا﴾	هلكى - لا خير فيهم
﴿صَرَفًا﴾	صرف العذاب وتحويله (عن أنفسهم وعن غيرهم)
﴿نَصْرًا﴾	نصر أنفسهم
﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾	جعلنا بعضكم سبباً لأنصراف بعض عن الدين والحق والصواب



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾
فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ **قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا**
أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَعَآبَاءَ هُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾
فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمِ مِنْكُمْ نُذِقْهُ
عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾﴾

ج: المعنى - والله أعلم - واذكر يا رسول الله، واذكر أيها المؤمن، واذكروا جميعاً يوم يجمع الله ٥ أهل الكفر والشرك بالله، يجمعهم وآلهتهم التي عبدوها مع الله، وكذا يجمع عباد الملائكة مع الملائكة وعباد عزيز مع عزيز وعباد عيسى ٦ مع عيسى فيقول للمعبودين الذين عبدوا من دون الله: أنتم أضللتم عبادي هؤلاء، أنتم صرفتم عبادي هؤلاء الذين أشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً، أنتم صرفتموهم عن عبادتي وحدي لا شريك لي إلى عبادة غيري؟! أم أنهم هم الذين سلكوا طريق الغواية وابتعدوا عن سبيل الهدى والرشاد؟

فعندها قالت الملائكة وعموم من عبد من دون الله: تنزهت يا ربنا عن الشريك والمثيل والند والصاحبة والولد، تنزهت يا ربنا عن كل ما لا يليق بك، تبرئة لك يا ربنا عن كل شيء وصفك به واصف مما لا يليق بك، ما كان ينبغي لنا، وليس من شأننا ولا من حقنا ولا يليق بنا أن نتخذ ولياً غيرك يتولانا أو ناصراً غيرك ينصرنا، أو أحداً من عبادك يعبدنا فيا ربنا ما دعوناهم أبداً إلى عبادتنا بل دعوناهم إلى عبادتك وحدك لا شريك لك، وذلك كما قال عيسى ٦ إذ سأله ربه ﴿يَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ

قُلْتُمْ، فَقَدْ عَلِمْتُمْ، تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ عِيدًا ۖ ﴿١١٧﴾ [المائدة: ١١٧].

وكذا كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَنَكَ أَنْتَ وَلَيْسَ مِن دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ ﴿سبأ: ٤١﴾.

ثم يقول من عبد من دون الله - بعد أن قال ما حاصله يا ربنا ما أمرناهم بعبادتنا بل بعبادتك وحدك لا شريك لك -: ولكن يا ربنا لما تفضلت عليهم وأنعمت عليهم وعلى آبائهم بنعمك وعظيم آلائك ما شكروك بل طغوا وبغوا لما أنعمت عليهم.

وحملهم النعيم الذي هم فيه على ترك العمل بالقرآن، وعلى ترك ذكرك وتوحيديك إلى الشرك بك وكانوا قومًا هلكى لا خير منهم يُرجى، ولا صلاح منهم يؤمل.

ثم يرجع الكلام إلى هؤلاء المشركين فيقول الله لهم: فها أنتم يا أهل الشرك هؤلاء قد كُذِّبْتُمْ، وقد كذبتكم الآلهة التي عبدتموها من دوني، كذبوكم في دعواكم أنهم أضلوكم فالآن، وقد وقع القول وحق القول لا تستطيعون صرف العذاب عن أنفسكم، ولا نصر أنفسكم فليس لكم ناصر ينصركم ولا تستطيعون نصر أنفسكم ولا صرف العذاب عنها، وها نحن في الدنيا نحذركم إنه من يشرك بالله منكم نذقه عذابًا شديدًا، والله أعلم.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: ويوم نحشر هؤلاء المكذبين بالساعة، العابدين الأوثان، وما يعبدون من دون الله من الملائكة والإنس والجن.

وقوله: ﴿فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِيَ هَؤُلَاءَ﴾ يقول: فيقول الله للذين كان هؤلاء المشركون يعبدونهم من دون الله: أنتم أضللتم عبادي هؤلاء؟! يقول: أنتم أزلتموهم عن طريق الهدى، ودعوتموهم إلى الغي والضلالة حتى تاهوا وهلكوا، أم هم ضلوا السبيل، يقول: أم عبادي هم الذين ضلوا سبيل الرشd والحق وسلخوا العطب.

وقال \$:

يقول تعالى ذكره: قالت الملائكة الذين كان هؤلاء المشركون يعبدونهم من دون الله وعيسى: تنزيهاً لك يا ربنا، وتبرئة مما أضاف إليك هؤلاء المشركون، ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء نوالهم، أنت ولينا من دونهم، ولكن متعتهم بالمال يا ربنا في الدنيا والصحة، حتى نسوا الذكر وكانوا قوماً هلكى، قد غلب عليهم الشقاء والخذلان.

وقال \$:

واختلفت القراءة في قراءة قوله: ﴿مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار ﴿نَتَّخِذَ﴾ بفتح النون سوى الحسن ويزيد بن القعقاع، فإنهما قرآه: ﴿أَنْ نَتَّخِذَ﴾ بضم النون. فذهب الذين فتحوها إلى المعنى الذي بيناه في تأويله من أن الملائكة وعيسى، ومن عبد من دون الله من المؤمنين، هم الذين تبرعوا أن يكون كان لهم ولي غير الله تعالى ذكره. وأما الذين قرعوا ذلك بضم النون، فإنهم وجهوا معنى الكلام إلى أن المعبودين في الدنيا إنما تبرعوا إلى الله أن يكون كان لهم أن يعبدوا من دون الله جلّ ثناؤه، كما أخبر الله عن عيسى، أنه قال إذا قيل: ﴿أَنْتَ

قُلْتُ لِلنَّاسِ انْخُدُونِي وَأُنِجِي الْإِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ... ﴿٣٧﴾ [المائدة: ٣٧] ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة: ٣٧].

قال أبو جعفر: وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأه بفتح النون، لِعِلَلٍ ثلاث، إحداهن: إجماع من القراء عليها. والثانية: أن الله جل ثناؤه ذكر نظير هذه القصة في سورة سبأ، فقال: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِبْرَاهِيمُ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَنَكَ أَنْتَ وَلَيْسَ مِنَّا مِنْ دُونِهِمْ﴾ [سبأ: ٤٠]، فأخبر عن الملائكة أنهم إذا سئلوا عن عبادة من عبدهم تبرءوا إلى الله من ولايتهم، فقالوا لربهم: ﴿أَنْتَ وَلَيْسَ مِنَّا مِنْ دُونِهِمْ﴾ [سبأ: ٤٠] فذلك يوضح عن صحة قراءة من قرأ ذلك ﴿مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ بمعنى: ما كان ينبغي لنا أن نتخذهم من دونك أولياء. والثالثة: أن العرب لا تدخل «من» هذه التي تدخل في الجحد إلا في الأسماء، ولا تدخلها في الأخبار، لا يقولون: ما رأيت أخاك من رجل، وإنما يقولون: ما رأيت من أحد، وما عندي من رجل، وقد دخلت ها هنا في الأولياء، وهي في موضع الخبر، ولو لم تكن فيها «من» كان وجهًا حسنًا. وأما البور: فمصدر واحد وجمع للبائر، يقال: أصبحت منازلهم بورًا: أي خالية لا شيء فيها، ومنه قولهم: بارت السوق وبار الطعام إذا خلا من الطلاب والمشتري، فلم يكن له طالب، فصار كالشيء الهالك.

وقد قيل: إن بور: مصدر، كالعدل والزور والقطع، لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث، وإنما أريد بالبور في هذا الموضع أن أعمال هؤلاء الكفار كانت باطلة؛ لأنها لم تكن لله كما ذكرنا عن ابن عباس.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبَكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ

صَرَفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمَ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ ما يلي:

يقول تعالى ذكره مخبراً عما هو قائل للمشركين عند تبيري من كانوا يعبدونه في الدنيا من دون الله منهم: قد كذبوكم أيها الكافرون من زعمتم أنهم أضلوكم، ودعوكم إلى عبادتهم بما تقولون، يعني بقولكم، يقول: كذبوكم بكذبكم.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرَفًا وَلَا نَصْرًا﴾ قال: كذبوكم بما تقولون بما جاء من عند الله جاءت به الأنبياء والمؤمنون آمنوا به، وكذب هؤلاء.

قال الطبري:

وقوله جل ثناؤه: ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرَفًا وَلَا نَصْرًا﴾ يقول: فما يستطيع هؤلاء الكفار صرف عذاب الله حين نزل بهم عن أنفسهم، ولا نصرها من الله حين عذبها وعاقبها.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرَفًا وَلَا نَصْرًا﴾ قال: لا يستطيعون يصرفون عنهم العذاب الذي نزل بهم حين كذبوا، ولا أن ينتصروا قال: وينادي مناد يوم القيامة حين يجتمع الخلائق: ما لكم لا تناصرون، قال: من عبد من دون الله لا ينصر اليوم من عبده، وقال العابدون من دون الله: لا ينصره اليوم إلهه الذي يعبد من دون الله، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الصفات: ٣١]، وقرأ قول الله جل ثناؤه ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا ﴿٣٢﴾﴾ [المرسلات: ٣٢].

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَظْلِمَ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾﴾. **يقول تعالى ذكره للمؤمنين به:** ﴿وَمَنْ يَظْلِمَ مِنْكُمْ﴾ أيها المؤمنون-

يعني بقوله: ﴿وَمَنْ يَظْلِمْ﴾ ومن يشرك بالله فيظلم نفسه، فذلك نذقه عذاباً كبيراً كالذي ذكرنا أنا نذيقه الذين كذبوا بالساعة.

وقال الحافظ ابن كثير \$:

يقول تعالى مخبراً عما يَقَع يوم القيامة من تقريع الكفار في عبادتهم مَنْ عبدوا من دون الله، من الملائكة وغيرهم، فقال: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾. قال مجاهد: عيسى، والعزير، والملائكة. ﴿فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ (١٧) أي: فيقول الرب تبارك وتعالى: أنتم دعوتهم هؤلاء إلى عبادتكم من دوني، أم هم عبدوكم من تلقاء أنفسهم، من غير دعوة منكم لهم؟ كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عِلْمُ الْغُيُوبِ﴾ (١٣) مَا قُلْتَ لَهُمْ ﴿إِلَى آخِرِ الْآيَةِ﴾ [المائدة: ١٣-١٤] ولهذا قال تعالى مخبراً عما يُجِيب به المعبودون يوم القيامة: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ قرأ الأكثرون بفتح «النون» من قوله: ﴿نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ أي: ليس للخلائق كلهم أن يعبدوا أحدا سواك، لا نحن ولا هم، فنحن ما دعوناهم إلى ذلك، بل هم قالوا ذلك من تلقاء أنفسهم من غير أمرنا ولا رضانا ونحن برآء منهم ومن عبادتهم، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ (٤٠) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ (٤١) [سبا: ٤١-٤٢]. وقرأ آخرون: ﴿مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ أي: ما ينبغي لأحد أن يعبدنا، فإننا عبيد لك، فقراء إليك. وهي قريبة المعنى من الأولى.

﴿وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ﴾ أي: طال عليهم العمر حتى نَسُوا الذكر، أي: نسوا ما أنزلته إليهم على السنة رسلك، من الدعوة إلى عبادتك وحدك لا شريك لك.

﴿وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ (١٨) قال ابن عباس: أي هلكى. وقال الحسن البصري، ومالك عن الزهري: أي لا خير فيهم. وقال ابن الزبير حين أسلم:

**يَا رَسُولَ الْمَلِكِ إِنَّ لِسَانِي رَاتِقٌ مَا فَتَقْتُ إِذْ أَنَا بُورٌ
إِذَا جَارِيَ الشَّيْطَانُ فِي سَنَنِ الْغِي، وَمَنْ مَالٌ مِثْلُهُ مَثْبُورٌ**

قال الله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ﴾ أي: فقد كذبكم الذين عبدتُم فيما زعمتم أنهم لكم أولياء، وأنكم اتخذتموهم قربانًا يقرّبونكم إليه زلفى، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ (٥) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ (٦) **[الأحقاف: ١١-١٢].**

وقوله: ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا﴾ أي: لا يقدرّون على صرف العذاب عنهم ولا الانتصار لأنفسهم، ﴿وَمَنْ يَظْلِمِ مَنكُم﴾ أي: يشرك بالله، ﴿نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ (١١).

وقال القرطبي \$:

﴿وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ﴾ أي في الدنيا بالصحة والغنى وطول العمر بعد موت الرسل صلوات الله عليهم ﴿حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ﴾ أي تركوا ذكرك فأشركوا بك بطراً وجهلاً فعبدونا من غير أن أمرناهم بذلك وفي الذكر قولان: أحدهما: القرآن المنزل على الرسل تركوا العمل به قاله ابن زيد الثاني: الشكر على الإحسان إليهم والإنعام عليهم إنهم ﴿وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ (١٨) أي: هلكى قاله ابن عباس مأخوذ من البوار وهو الهلاك.

وقال \$:

قوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ﴾ أي: يقول الله تعالى عند تبيري المعبودين: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ﴾ أي: في قولكم إنهم آلهة ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ﴾ يعني الآلهة صرف العذاب عنكم ولا نصركم وقيل: فما يستطيع هؤلاء الكفار لما كذبهم المعبودون ﴿صَرَفًا﴾ للعذاب ﴿وَلَا نَصْرًا﴾ من الله وقال ابن زيد: المعنى فقد كذبكم أيها المؤمنون هؤلاء الكفار بما جاء به محمد وعلى هذا فمعنى ﴿بِمَا تَقُولُونَ﴾ بما تقولون من الحق وقال أبو عبيد: المعنى فما تقولون فيما يستطيعون لكم صرفًا عن الحق الذي هداكم الله إليه ولا نصرا لأنفسهم مما يزيل بهم من العذاب بتكذيبهم إياكم.

وقال \$:

﴿وَمَنْ يَظْلِمِ مِّنْكُمْ﴾ قال ابن عباس: من يشرك منكم ثم مات عليه ﴿نَذِقْهُ﴾ أي: في الآخرة ﴿عَذَابًا كَبِيرًا﴾ (١٨) أي: شديدًا كقوله تعالى: ﴿وَلَنَعْلَنَ عَلْوًا كَبِيرًا﴾ (٤) [الإسراء: ٤] أي: شديدًا.



النعم كثيرًا ما تُطغي بني آدم

س: المتاع الدنيوي الزائد يطغي أهله. دَلِّلْ على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَإِطْفَاقٌ﴾ (٦) ﴿أَن رَّأَاهُ اسْتَغْنَى﴾ (٧) [العلق: ٦-٧].

وقوله تعالى: ﴿... وَلَكِنْ مَّتَعْتَهُمْ وَابْتِغَاءَ هُمُ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ (١٨)

﴿[الفرقان: ١٨].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَعْمَنَّا عَلَى الْإِنْسَانِ آعْرَضَ وَنَسَىٰ جَانِبَهُ﴾ [فصلت: ٢٤].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَلَهُ نِعْمَةٌ مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوَ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾ [الزمر: ٨].

وقوله تعالى: ﴿... فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد: ١٦].

قيل في تفسيرها: فطال عليهم الأمد في النعيم والعافية فتسربت القسوة إلى قلوبهم.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٣٠﴾.

ج: هذا - والله أعلم - ردُّ على المشركين الذين قالوا: ﴿مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ...﴾ [الفرقان: ١٧]، يُقال لهم: إن كل رسولٍ أرسل قبل رسول الله ﷺ كل المرسلين كانوا يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، شأنهم شأن سائر البشر في التماس أسباب الرزق، وجعلنا بعضهم لِبَعْضٍ فِتْنَةً أيها البشر فتنه لبعض ينصرف كثيرون بسببهم عن الدين أتصبرون على قضاء الله وقسمته وقدره أم لا؟ وكان ربك يا رسول الله بصيرًا بما تصنعه ويصنعه قومك.

هذا، ومن صور هذه الفتنه، إذ الله قال: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ أن أهل الكفر من الكبراء والأثرياء والوجهاء قالوا - وقد نظروا إلى أتباع النبي ﷺ فإذا هم الفقراء والضعفاء - فقالوا: ﴿أَهَؤُلَاءِ مَنِ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنْ بَيْنَاتٍ﴾ [الأنعام: ٤٣].

فتركوا الإيمان لكون الفقراء آمنوا، فهكذا افتتن الكبراء بالفقراء. وكذا كان الكبراء هم الآخرون سببًا لفتنة الضعفاء، وذلك بحملهم على الكفر وتهديدهم إن هم آمنوا.

وهكذا يطرد افتتنان البشر ببعضهم البعض فترى الفتاة الجميلة

الحسنة فتنة للدميمة والدميمة فتنة للجميلة.

وذلك أن الدميمة تعترض على القدر قائلة: لماذا خلقتني الله دميمة وخلقها جميلة؟! فتنسخط الأقدار وكذا الجميلة تزدرى الدميمة وتحتقرها فتصرف عن الخير والحق بسببها.

والعالم فتنة للجاهل، والجاهل فتنة للعالم.

العالم يزدرى الجاهل فيضُرُّ في دينه.

والجاهل يعترض على القدر بجهله.

والقوي فتنة للضعيف والضعيف فتنة للقوي وذو المنصف فتنة للوضيع، والوضيع له فتنة، والغني فتنة للفقير، والفقير له فتنة وهكذا، يفتن كثيرون ببعضهم البعض، وقد قال تعالى: ﴿لَا يَكُنْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأُولَدِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ٥١]، وقال: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ...﴾ [التغابن: ٥٢]، وهكذا الزوج قد يتسبب في فتنه زوجته وهي الأخرى قد تتسبب في فتنته.

أما قوله تعالى: ﴿تَصْبِرُونَ﴾ فحثُّ على الصبر وعلى الرضا بقضاء الله، وعلى التسليم له سبحانه، عدم التنسخط على أقداره وقضائه، وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ (٢٠) أي: كان ربك بصيرًا بك بأعمالك وبأحوالك، بصيرًا بالعباد كذلك وما أجابوك به، والله أعلم.

قال الطبري \$:

وهذا احتجاج من الله تعالى ذكره لنبيه على مشركي قومه الذين قالوا: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٧]، وجواب لهم عنه يقول لهم جلَّ ثناؤه: وما أنكر يا محمد هؤلاء القائلون: ما لهذا الرسول يأكل الطعام، ويمشي في الأسواق؟! من أكلك الطعام، ومشيك في الأسواق،

وأنت لله رسول، فقد علموا أنا ما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، كالذي تأكل أنت وتمشي، فليس لهم عليك بما قالوا من ذلك حجة.

فإن قال قائل: فإن «من» ليست في التلاوة، فكيف قلت: معنى الكلام: إلا من إنهم ليأكلون الطعام؟ قيل: قلنا في ذلك: معناه: أن الهاء والميم في قوله: إنهم، كناية أسماء لم تذكر، ولا بد لها من أن تعود على من كني عنه بها، وإنما ترك ذكر «من» وإظهاره في الكلام اكتفاء بدلالة قوله: ﴿مَنْ الْمُرْسَلِينَ﴾ عليه، كما اكتفي في قوله: ﴿وَمَا مِثْلُ آلِهِمْ مَعْلُومٌ﴾ (١٦٤) ﴿الصفات: ١٦٤﴾ من إظهار «من»، ولا شك أن معنى ذلك: وما منا إلا من له مقام معلوم، كما قيل ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ (مريم: ٦٣) ومعناه: وإن منكم إلا من هو واردها، فقوله: ﴿إِنَّهُمْ يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ صلة لمن المتروك، كما يقال في الكلام: ما أرسلت إليك من الناس إلا من إنه ليبلغك الرسالة، فإنه ليبلغك الرسالة، صلة لمن.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ يقول تعالى ذكره: وامتحاننا أيها الناس بعضكم ببعض، جعلنا هذا نبياً وخصصناه بالرسالة، وهذا ملكاً وخصصناه بالدنيا، وهذا فقيراً وحرمانه الدنيا لنختبر الفقير بصبره على ما حرم مما أعطيه الغني، والملك بصبره على ما أعطيه الرسول من الكرامة، وكيف رضي كل إنسان منهم بما أعطى، وقسم له، وطاعته ربه مع ما حرم مما أعطى غيره. يقول فمن أجل ذلك لم أعط محمداً الدنيا، وجعلته يطلب المعاش في الأسواق، ولأبتليكم أيها الناس، وأختبر طاعتكم ربكم وإجابتكم رسوله إلى ما دعاكم إليه، بغير عرض من الدنيا ترجونه من محمد أن يعطيكم على اتباعكم إياه، لأنني لو أعطيته الدنيا، لسارع كثير

منكم إلى اتباعه طمعاً في دنياه أن ينال منها.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن عبد القدوس، عن الحسن، في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾... الآية، يقول هذا الأعمى: لو شاء الله لجعلني بصيراً مثل فلان، ويقول هذا الفقير: لو شاء الله لجعلني غنياً مثل فلان، ويقول هذا السقيم: لو شاء الله لجعلني صحيحاً مثل فلان.

وقال \$:

وقوله: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ (٢٠) يقول: وربك يا محمد بصير بمن يجزع ومن يصبر على ما امتحن به من المحن.

وقال الحافظ ابن كثير \$:

يقول تعالى مخبراً عن جميع مَنْ بعثه من الرسل المتقدمين: إنهم كانوا يأكلون الطعام، ويحتاجون إلى التغذية به ﴿وَيَكْمُشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ أي: للتكسب والتجارة، وليس ذلك بمناف لحالهم ومنصبهم؛ فإن الله جعل لهم من السمات الحسنة، والصفات الجميلة، والأقوال الفاضلة، والأعمال الكاملة، والخوارق الباهرة، والأدلة القاهرة ما يستدل به كل ذي لب سليم، وبصيرة مستقيمة، على صدق ما جاءوا به من الله ه. ونظير هذه الآية الكريمة قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ ﴿يوسف: ٢١﴾ ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ (٨) ﴿الأنبياء: ٢١﴾.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ أي: اختبرنا بعضكم ببعض، وبلونا بعضكم ببعض، لنعلم مَنْ يُطِيعُ مَنْ يَعْصِي؛ ولهذا قال: ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا (٢٠) أي: بمن يستحق أن يوحى إليه، كما

قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، ومن يستحق أن يهديه الله لما أرسلهم به، ومن لا يستحق ذلك.

وأورد ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث عياض بن حمار عن رسول الله ﷺ: «يقول الله: إني مبتليك ومبتل بك» (1).

قال القرطبي \$ في تأويل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ أي إن الدنيا دار بلاء وامتحان فأراد سبحانه أن يجعل بعض العبيد فتنة لبعض على العموم في جميع الناس مؤمن وكافر فالصحيح فتنة للمريض والغني فتنة للفقير، والفقير الصابر فتنة للغني ومعنى هذا أن كل واحد مختبر بصاحبه؛ فالغني ممتحن بالفقير عليه أن يواسه ولا يسخر منه والفقير ممتحن بالغني عليه ألا يحسده ولا يأخذ منه إلا ما أعطاه وأن يصبر كل واحد منهما على الحق كما قال الضحاك في معنى ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ أي: على الحق وأصحاب البلايا يقولون: لِمَ لم نعاف؟ والأعمى يقول: لم لم أجعل كالبصير؟ وهكذا صاحب كل آفة والرسول المخصوص بكرامة النبوة فتنة لأشراف الناس من الكفار في عصره وكذلك العلماء وحكام العدل ألا ترى إلى قولهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرَبَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ١٨] فالفتنة: أن يحسد المبتلى المعافى ويحقر المعافى المبتلى والصبر: أن يحبس كلاهما نفسه هذا عن البطر وذاك عن الضجر ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ محذوف الجواب يعني أم لا تصبرون فيقضي جواباً كما قاله المزني وقد أخرجته الفاقة فرأى خصباً في مراكب ومناكب فخطر بباله شيء فسمع من يقرأ الآية: ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ فقال: بلى

ربنا! نصبر ونحتسب وقد تلا ابن القاسم صاحب مالك هذه الآية حين رأى أشهب بن عبد العزيز في مملكته عابراً عليه ثم أجاب نفسه بقوله: سنصبر.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ۝٢٠﴾ أي بكل امرئ وبمن يصبر أو يجزع ومن يؤمن ومن لا يؤمن وبمن أدى ما عليه من الحق ومن لا يؤدي وقيل: ﴿أَتَصَبَّرُوكَ﴾ أي اصبروا مثل: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ ۝١١﴾ [المائدة: ١١] أي انتهوا فهو أمر النبي ﷺ بالصبر.

قال الشنقيطي \$ في (أضواء البيان):

وإذا علمت معنى كون بعضهم فتنة لبعض. فاعلم أن قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ [الأنعام: ١٠٥] الآية. فيه فتنة أغنياء الكفار بفقراء المسلمين، حيث احتقروهم وازدروهم، وأنكروا أن يكون الله من عليهم دونهم لأنهم في زعمهم لفقرهم، ورثاة حالهم، لا يمكن أن يرحمهم الله ويعطيهم من فضله الواسع كما قال تعالى عنهم إنهم قالوا فيهم: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف: ٢١] وقال: ﴿أَنْزِلْ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا﴾ [ص: ١١] إلى غير ذلك من الآيات، وسيوبخهم الله يوم القيامة على احتقارهم لهم في الدنيا كما قال تعالى: ﴿أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: ٤٨] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ۝٢١﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۝٢٢﴾... إلى قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ۝٢٤﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَظْهَرُونَ ۝٢٥﴾ هَلْ تُؤِيبُ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۝٢٦﴾ [المطففين: ٢١-٢٦] وقوله تعالى: ﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [البقرة: ٢٦] وقوله تعالى: أتصبرون، أي على الحق أم لا تصبرون. والعلم عند الله تعالى.



س: كيف الجمع بين ما ورد عن رسول الله ﷺ من أن شر البقاع الأسواق، وبين كونه كان يمشي في الأسواق، وكذا المرسلون و كانوا يمشون في الأسواق؟

ج: الظاهر - والله أعلم - أن المساجد وصفت بأنها خير البقاع لكثرة ذكر الله ﷻ فيها فضلاً عن إقامة الصلوات فيها وتلاوة القرآن، وأن الأسواق وصفت بأنها شر البقاع لما فيها من اللغو والأيمان الكاذبة والغش وغير ذلك ولكن دخول المرسلين فيها ليس لشيء من ذلك إنما للبيع والشراء، وكذا فإن ذكر الله لا يفارقهم ولا يعترهم الغش ولا الكذب ولا التدليس ولا الأيمان الفاسدة، بل هم أسوة حسنة بذكرهم لله وحسن معاملاتهم، والله أعلم.



س: اذكر بعض ما ورد في الأسواق.

ج: هنالك من الآيات قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾.

وأورد البخاري ⁽¹⁾ عدة أحاديث في هذا الصدد، منها حديث أبي هريرة **ق** قال: «إِنَّكُمْ تَقُولُونَ إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يُكْثِرُ الْحَدِيثَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتَقُولُونَ مَا بَالُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ لَا يُحَدِّثُونَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمِثْلِ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَإِنْ إِخْوَتِي مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَانَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ وَكُنْتُ أَلْزَمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى مَلءِ بَطْنِي فَأَشْهَدُ إِذَا غَابُوا وَأَحْفَظُ إِذَا نَسُوا وَكَانَ يَشْغَلُ إِخْوَتِي مِنَ الْأَنْصَارِ عَمَلُ أَمْوَالِهِمْ وَكُنْتُ أَمْرًا مِسْكِينًا مِنْ مَسَاكِينِ الصَّفَّةِ أَعْيَ حِينَ يَنْسَوْنَ».

(1) البخاري (2047).

وحدِيث (1):

عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ **ف** لَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ أَحَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ فَقَالَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ إِنِّي أَكْثَرُ الْأَنْصَارِ مَالًا فَأَقْسِمُ لَكَ نِصْفَ مَالِي وَانْظُرْ أَيَّ زَوْجَتِي هَوَيْتَ نَزَلْتُ لَكَ عَنْهَا فَإِذَا حَلَّتْ تَرَوَّجَتْهَا قَالَ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: لَا حَاجَةَ لِي فِي ذَلِكَ هَلْ مِنْ سُوقٍ فِيهِ تِجَارَةٌ قَالَ: سُوقٌ قَيْنَقَاعٍ قَالَ: فَعَدَا إِلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَأَتَى بِأَقِطٍ وَسَمْنٍ قَالَ: ثُمَّ تَابَعَ الْغُدُوَّ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَلَيْهِ أَثَرُ صُفْرَةٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَرَوَّجَتْ؟» قَالَ: نَعَمْ.

وحدِيث (2):

أَنَسِ **ف** قَالَ: قَدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ الْمَدِينَةَ فَأَحَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيِّ وَكَانَ سَعْدٌ ذَا غِنًى فَقَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ: أَقَاسِمُكَ مَالِي نِصْفَيْنِ وَأَزْوَجَكَ قَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ دُلُونِي عَلَى السُّوقِ.

وحدِيث (3):

ابْنُ عَبَّاسٍ **ف** قَالَ: كَانَتْ عُكَاطٌ وَمَجَنَّةٌ وَذُو الْمَجَازِ أَسْوَاقًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَلَمَّا كَانَ الْإِسْلَامُ فَكَانَتْهُمْ تَأْتَمُّوا فِيهِ فَنَزَلْتُ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فِي مَوَاسِمِ الْحَجِّ قَرَأَهَا ابْنُ عَبَّاسٍ.

وحدِيث (4):

عَائِشَةُ **ف** قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَعْزُو جَيْشُ الْكَعْبَةِ فَإِذَا كَانُوا

(1) البخاري (2048).

(2) البخاري (2049).

(3) البخاري (2050).

(4) البخاري (2118).

بِبَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ» قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ
كَيْفَ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ وَفِيهِمْ أَسْوَاقُهُمْ وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ؟ قَالَ:
«يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ».

وحدِيث (1):

أَبِي هُرَيْرَةَ ر قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «صَلَاةُ أَحَدِكُمْ فِي جَمَاعَةٍ تَزِيدُ
عَلَى صَلَاتِهِ فِي سُوقِهِ وَبَيْتِهِ بَضْعًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً».

وحدِيث (2):

أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ر قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي السُّوقِ فَقَالَ رَجُلٌ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ
فَالْتَقَتَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّمَا دَعَوْتُ هَذَا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «سَمُّوا بِاسْمِي
وَلَا تَكُنُوا بِكُنْيَتِي».

وحدِيث (3):

أَبِي هُرَيْرَةَ الدَّوْسِيُّ ر قَالَ: حَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فِي طَائِفَةِ النَّهَارِ لَا يُكَلِّمُنِي
وَلَا أَكَلِمُهُ حَتَّى أَتَى سُوقَ بَنِي قَيْنُقَاعَ.

(1) البخاري (2119).

(2) البخاري (2020).

(3) البخاري (2022).

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكُوتُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا ۝٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا ۝٢٢﴾ وَقَدْ مَنَّآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ۝٢٣﴾ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ۝٢٤﴾ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ يُنْزِلُ الْمَلَكُوتُ نَزِيرًا ۝٢٥﴾ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ۝٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ۝٢٧﴾ يَتَوَلَّىٰ لِيَتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۝٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ۝٢٩﴾ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ۝٣٠﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ۝٣١﴾ [الفرقان: 21-31].

س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا

الْمَلَكِ كَأَوْرَىٰ رَبِّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا ۝١١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ

يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا ۝١٢﴾ وَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَىٰ عِبَادِهِ إِذْ مَنَّا وَلَوْ أَنَّا كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ يَأْتِيكَ رُسُلُنَا خَفَاءَ لَا يَشْعُرُونَ ۝١٣﴾

أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ۝١٤﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - وقال الذين لا يخافون لقاء الله ٥ ولا

يتوقعون حدوث يوم القيامة، من ثم فكذبوا النبي ﷺ وأنكروا أن يكون القرآن من عند الله واستمروا في شركهم وكفرهم، قال هؤلاء: لو أنزل علينا الملائكة فيوحون إلينا كما أوحى إليك يا محمد أو يشهدون لك بأنك رسول من عند الله فنسمع شهادتهم لك بذلك.

ويشهد للمعنيين المتقدمين قوله تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا

مُنشَرَةً ۝٥٢﴾ **[المدر: ٥٢]**، أي: أن كل كافر يريد أن يكون رسولاً وينزل عليه

وحيٌّ وتنزل عليه كتب، ويشهد للمعنى الثاني قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِرَكَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ۝١٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ

الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا فُجْرًا ۝١١﴾ أَوْ تَنْقُطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمَتِ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ

وَالْمَلَائِكَةِ قِيلًا ۝١٢﴾ **[الإسراء: ١٢-١٣]**، أي: تأتي بالله فنراه عياناً ويشهد لك

أنك رسولٌ من عنده ٥، وكذا نرى الملائكة عياناً فيشهدون لك.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ ۝١﴾ لقد ملأهم الكبر وجحد الحق

وتجاوزوا الحدَّ في الاستكبار والتعالي عن قبول الحق.

فقل لهؤلاء: إنهم يوم يرون الملائكة لن يُبشروا بخير، فالملائكة لا

تنزل على أهل الشرك تبشرهم بخير إنما تبشر أهل الإيمان، أما هؤلاء

فإذا جاءتهم الملائكة فإنها تأتيهم بالعذاب والعياذ بالله، كما أنت قوم لوط،

وكما تأتي المحتضرين الذين يعاينون الموت بين يدي الموت كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٤].

وكما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْكَرَهُمُ وَذُقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [٥٠] ﴿[الأنفال: ٤٤]، فهذا قوله لا بشرى يومئذ للمجرمين، لن يبشروا بخير عند نزول الملائكة عليهم.

أما قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ حَبْرًا مَّحْجُورًا﴾ [٢٢] ﴿[الفرقان: ٢٢]، فالقائلون - عند جمهور المفسرين - هم الملائكة يقولون حرامًا محرماً أن تبشروا بخير يا أهل الإجمام عند نزول الملائكة عليكم، بل تبشروا بما يسوؤكم.

ثم يخبر الله ٥ بأن أعمال أهل الكفر التي عملوها في دنياهم يتبررون بها كصلة الأرحام وإكرام الضيف والإحسان إلى المساكين كل ذلك يُبطله الشرك بالله.

وكذا العبادات التي اجتهدوا فيها على طريقتهم، وهم بالله مشركون، كل ذلك ذهب باطلاً فضاع عليهم ولم ينتفعوا به وأصبح هباءً منثوراً، والمراد بالهباء المنثور ذرات الغبار التي تُرى مع شعاع الشمس إذا دخل الشعاع من فتحة من الفتحات إلى الغرفة يأتي شخص كي يمسكه بيده فلا يستطيع، وقيل: المراد بالهباء المنثور الماء المهرق.

والأول أشهر، والحاصل أن أهل الكفر لا ينتفعون بعمل عملوه في الدنيا من الأعمال التي يظنونها تقربهم إلى الله فقد أبطلها شركهم بالله ٥، وذهب الشرك بثوابها.

أما قوله تعالى: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ ذَلِكَ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَآحْسَنُ مَقِيلًا﴾ (٢٤) فحاصل معناه - والله أعلم - أن أصحاب الجنة لا يأتي عليهم وقت القيلولة يوم القيامة إلا وقد استقروا في الجنة بفضل الله، أي أن يوم القيامة - ذلك اليوم الطويل الذي هو كآلف سنة مما يعد الناس لا يأتي بطوله على المؤمنين ولكن لا يمر نصفه إلا وقد استقر المؤمنون في الجنة بإذن الله وبنحو ما ذكرنا في الآيات المتقدمة قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: وقال المشركون الذين لا يخافون لقاءنا، ولا يخشون عقابنا، هلا أنزل الله علينا ملائكة، فتخبرنا أن محمدًا محق فيما يقول، وأن ما جاءنا به صدق، أو نرى ربنا فيخبرنا بذلك، كما قال جل ثناؤه مخبرًا عنهم: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِرَكَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ (٩٠) **[الإسراء: ٩٠]** ثم قال بعد: ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قِيلًا﴾ (٩١) **[الإسراء: ٩١]** يقول الله: لقد استكبر قائلو هذه المقالة في أنفسهم، وتعظموا، **[وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا]** (٩١) **[الفرقان: ٩١]** يقول: وتجاوزوا في الاستكبار بقليلهم ذلك حده.

يقول تعالى ذكره: يوم يرى هؤلاء الذين قالوا: ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا﴾ بتصديق محمد الملائكة، فلا بشرى لهم يومئذ بخير **[وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا]** (٢٢) يعني أن الملائكة يقولون للمجرمين حجيرًا محجورًا، حرامًا محرماً عليكم اليوم البشرى أن تكون لكم من الله؛ ومن الحجر قول المتلمس:

حنت إلى نخلة القصوى فقلت لها حجر حرام ألا تلك الدهاريس

ومنه قولهم: حجر القاضي على فلان، وحجر فلان على أهله؛ ومنه حجر الكعبة، لأنه لا يدخل إليه في الطواف، وإنما يطاف من ورائه؛ ومنه قول الآخر.

فهممت أن ألقى إليها محجرا فلمثلها يلقي إليه المحجر
أي مثلها يركب منه المحرم.

واختلف أهل التأويل في المخبر عنهم بقوله: ﴿وَيَقُولُونَ حَجْرًا نَّحْجُورًا﴾ (٢٢) ومن قائلوه؟ فقال بعضهم: قائلو ذلك الملائكة للمجرمين نحو الذي قلنا فيه.

وقال آخرون: ذلك خبر من الله عن قيل المشركين إذا عاينوا الملائكة.

وقال الطبري \$:

وإنما اخترنا القول الذي اخترنا في تأويل ذلك من أجل أن الحجر هو الحرام، فمعلوم أن الملائكة هي التي تخبر أهل الكفر أن البشري عليهم حرام. وأما الاستعاذة فإنها الاستجارة، وليست بتحريم، ومعلوم أن الكفار لا يقولون للملائكة حرام عليكم، فيوجه الكلام إلى أن ذلك خبر عن قيل المجرمين للملائكة.

في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ (٢٣) أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ ذَلِكَ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ (٢٤).

يقول تعالى ذكره: ﴿وَقَدِمْنَا﴾ وعمدنا إلى ما عمل هؤلاء المجرمون ﴿مِنْ عَمَلٍ﴾ ومنه قول الراجز:

وقدم الخوارج الضلال إلى عباد ربهم وقالوا

إن دماءكم لنا حلال

يعني بقوله: قدم: عمد.

﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ (٢٣) يقول: فجعلناه باطلاً لأنهم لم يعملوه لله وإنما عملوه للشيطان. والهباء: هو الذي يرى كهيئة الغبار إذا دخل ضوء الشمس من كوة يحسبه الناظر غباراً ليس بشيء تقبض عليه الأيدي ولا تمسه، ولا يرى ذلك في الظل.

وقال آخرون: بل هو ما تسفيهه الرياح من التراب، وتذروه من حطام الأشجار، ونحو ذلك.

وقال آخرون: هو الماء المهرق.

وقوله جل ثناؤه: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ ذَلِكَ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ (٢٤) يقول تعالى ذكره: أهل الجنة يوم القيامة خير مستقراً، وهو الموضع الذي يستقرون فيه من منازلهم في الجنة من مستقر هؤلاء المشركين الذين يفتخرون بأموالهم، وما أوتوا من عرض هذه الدنيا في الدنيا، وأحسن منهم فيها مقيلاً.

فإن قال قائل: وهل في الجنة قائلة، فيقال: ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ (٢٤) فيها؟ قيل: معنى ذلك: وأحسن فيها قراراً في أوقات قائلتهم في الدنيا، وذلك أنه ذكر

أن أهل الجنة لا يمر فيهم في الآخرة إلا قدر ميقات النهار من أوله إلى وقت القائلة، حتى يسكنوا مساكنهم في الجنة، فذلك معنى قوله: ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ (٢٤).

وإنما قلنا: معنى ذلك: خير مستقراً في الجنة منهم في الدنيا، لأن الله

تعالى ذكره عم بقوله: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ ذَلِكَ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ (٢٤) ﴿جميع أحوال الجنة في الآخرة أنها خير في الاستقرار فيها، والقائلة من جميع أحوال أهل النار، ولم يخص بذلك أنه خير من أحوالهم في النار دون الدنيا، ولا في الدنيا دون الآخرة، فالواجب أن يعم كما عم ربنا جلّ ثناؤه، فيقال: أصحاب الجنة يوم القيامة خير مستقرًا في الجنة من أهل النار في الدنيا والآخرة، وأحسن منهم مقيلا وإذا كان ذلك معناه، صح فساد قول من توهم أن تفضيل أهل الجنة بقول الله: ﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ على غير الوجه المعروف من كلام الناس بينهم في قولهم: هذا خير من هذا، وهذا أحسن من هذا.

وقال الحافظ ابن كثير \$:

يقول تعالى مخبرًا عن تَعَنَّتْ الكفار في كفرهم، وعنادهم في قولهم: ﴿لَوْلَا أَنْزَلْ عَلَيْنَا الْمَلٰٓئِكَةَ﴾ أي: بالرسالة كما نزل على الأنبياء، كما أخبر عنهم تعالى في الآية الأخرى: ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ تُؤْتِيَ مَثَلًا مَّا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٣]، ويحتمل أن يكون مرادهم هاهنا: ﴿لَوْلَا أَنْزَلْ عَلَيْنَا الْمَلٰٓئِكَةَ﴾ فنراهم عيانًا، فيخبرونا أن محمدًا رسول الله، كقولهم: ﴿أَوْ تَأْتِي بِلَآئِهِ وَالْمَلٰٓئِكَةُ قَبِيلًا﴾ (٩٢) ﴿[الإسراء: ٩٢]. وقد تقدم تفسيرها في سورة «سبحان»؛ ولهذا قال: ﴿أَوْ نُرِي رَبًّا﴾ ولهذا قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ اِسْتَكْبَرُوا فِيْٓ اَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْٓا عُنُوٓا كِبٰرًا﴾ (١١) ﴿. وقد قال تعالى: ﴿وَلَوْ اَنَّآ نَزَّلْنَا اِلَيْهِمُ الْمَلٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتُ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوْا لِيُؤْمِنُوْا اِلَّا اَنْ يَشَآءَ اللّٰهُ وَلٰكِنْ اَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُوْنَ﴾ [الأنعام: ١١٣].

وقوله: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلٰٓئِكَةَ لَا بُشْرٰى يَوْمَ ذٰلِكَ لِلْمَجْرِمِيْنَ وَيَقُوْلُوْنَ حِجْرًا تَحْجُرُوْا﴾ (٢٢) ﴿ أي: هم لا يرون الملائكة في يوم خير لهم، بل يوم يرون الملائكة لا بشرى

يومئذ لهم، وذلك يَصْدُقُ على وقت الاحتضار حين تبشرهم الملائكة بالنار، وغضب الجبار، فتقول الملائكة للكافر عند خروج روحه: اخرجي أيتها النفس الخبيثة في الجسد الخبيث، اخرجي إلى سَموم وحميم، وظلٍّ من يحموم. فتأبى الخروج وتتفرق في البدن، فيضربونه، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْءَبَهُمْ﴾ [الأنفال: ٤٤]. وقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ﴾ أي: بالضرب، ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [١٣] ﴿[الأنعام: ٢٣]؛ ولهذا قال في هذه الآية الكريمة: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾، وهذا بخلاف حال المؤمنين في وقت احتضارهم، فإنهم يبشرون بالخيرات، وحصول المسرات.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [٣٠] ﴿نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا نَشْتَهُ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾ [٣١] ﴿تُزَلَّزَلْنَ عَنْ قُدُورِ رَجِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠-٣١] وفي الحديث الصحيح عن البراء بن عازب: أن الملائكة تقول لروح المؤمن: «اخرجي أيتها النفس الطيبة في الجسد الطيب، كنت تعمرينه، اخرجي إلى روح وريحان ورب غير غضبان». وقد تقدم الحديث في سورة «إبراهيم» عند قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وقال آخرون: بل المراد بقوله: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ﴾ يعني: يوم القيامة.

قاله مجاهد، والضحاك؛ وغيرهما.

ولا منافاة بين هذا وبين ما تقدم، فإن الملائكة في هذين اليومين يوم الممات ويوم المعاد تتجلى للمؤمنين وللكافرين، فتبشر المؤمنين بالرحمة والرضوان، وتخبر الكافرين بالخيبة والخسران، فلا بشرى يومئذ للمجرمين.

﴿وَيَقُولُونَ حَبْرًا مَّحْجُورًا﴾ (٢٢) أي: وتقول الملائكة للكافرين حَرَام محرم عليكم الفلاح اليوم.

وأصل «الحجر»: المنع، ومنه يقال: حَجَرَ القاضي على فلان، إذا منعه التصرف إما لسفاهه، أو فُلْس، أو صغر، أو نحو ذلك. ومنه سمي «الحجر» عند البيت الحرام؛ لأنه يمنع الطُّوَّاف أن يطوفوا فيه، وإنما يطاف من ورائه. ومنه يقال للعقل «حجر»؛ لأنه يمنع صاحبه عن تعاطي ما لا يليق.

والغرض أن الضمير في قوله: ﴿وَيَقُولُونَ﴾ عائد على الملائكة.

وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ مَنَّآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا﴾، وهذا يوم القيامة، حين يحاسب الله العباد على ما عملوه من خير وشر، فأخبر أنه لا يتحصل لهؤلاء المشركين من الأعمال -التي ظنوا أنها منجاة لهم - شيء؛ وذلك لأنها فقدت الشرط الشرعي، إما الإخلاص فيها، وإما المتابعة لشرع الله. فكل عمل لا يكون خالصاً وعلى الشريعة المرضية، فهو باطل. فأعمال الكفار لا تخلو من واحد من هذين، وقد تجمعهما معاً، فتكون أبعد من القبول حينئذ؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَقَدْ مَنَّآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا﴾.

قال مجاهد والثوري: ﴿وَقَدِمْنَا﴾ أي: عمدنا.

وقال السدي: قدمنا: عمدنا. وبعضهم يقول: أتينا عليه.

وأورد ابن كثير أقوالاً في تفسير الهباء المنثور منها: الغبار الذي في شعاع الشمس، ومنها الماء المهرق، ومنها الرماد، **قال ابن كثير \$:** وحاصل هذه الأقوال التنبيه على مضمون الآية، وذلك أنهم عملوا أعمالاً اعتقدوا أنها شيء، فلما عرضت على الملك الحكيم العدل الذي لا يجور ولا يظلم أحداً، إذا إنها لا شيء بالكلية. وشبهت في ذلك بالشيء التافه الحقيق المتفرق، الذي لا يقدر منه صاحبه على شيء بالكلية، كما قال الله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الصَّلَٰلُ الْبَعِيدُ﴾ **[إبراهيم: ١٨]** وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَتَكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ **[البقرة: ٢٧٤]** وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ **[النور: ٤٦]** وتقدم الكلام على تفسير ذلك، والله الحمد والمنة.

وقوله: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ ذِٰلِكَ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ **[٢٤]** أي: يوم القيامة **﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ﴾** **[الحشر: ٢٤]**؛ وذلك لأن أهل الجنة يصيرون إلى الدرجات العاليات، والغرفات الآمات، فهم في مقام أمين، حسن المنظر، طيب المقام، **﴿خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾** **[٧٦]** **﴿الفرقان: ٢٦﴾**، وأهل النار يصيرون إلى الدركات السفالات، والحسرات المتتابعات، وأنواع العذاب والعقوبات، **﴿إِنَّهَا سَاءَتْ**

مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ ﴿الفرقان: ٦٦﴾ أي: بنس المنزل منظرًا وبئس المقيـل مقامًا؛ ولهذا قال: ﴿أَصْحَبُ الْجَنَّةِ يَوْمَ ذَلِكَ مُسْتَقَرًّا وَّ أَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ ﴿٢٤﴾ أي: بما عملوه من الأعمال المتقبلة، نالوا ما نالوا، وصاروا إلى ما صاروا إليه، بخلاف أهل النار فإنه ليس لهم عمل واحد يقتضي لهم دخول الجنة والنجاة من النار، فَنَبَّهَ -تعالى- بحال السعداء على حال الأشقياء، وأنه لا خير عندهم بالكلية، فقال تعالى: ﴿أَصْحَبُ الْجَنَّةِ يَوْمَ ذَلِكَ مُسْتَقَرًّا وَّ أَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ ﴿٢٤﴾.

قال الضحاك: عن ابن عباس: إنما هي ضحوة، فيقيل أولياء الله على الأسرة مع الحور العين، ويقيل أعداء الله مع الشياطين مقرنين.

قال الشنقيطي \$ في (أضواء البيان):

ذكر جلّ وعلا في هذه الآية الكريمة: أن الذين لا يرجون لقاء الله قالوا: ﴿لَوْلَا أَنْزَلْ عَلَيْنَا الْمَلٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾، و﴿لَوْلَا﴾ في هذه الآية للتحضيض. والمعنى أنهم طلبوا بحث وشدة أن تنزل عليهم الملائكة أو يرون ربهم، وهذا التعتت الذي ذكره الله عنهم هنا من طلبهم إنزال الملائكة عليهم، أو رؤيتهم ربهم ذكره في غير هذا الموضع كقوله تعالى: ﴿أَوْ تَأْتِيٰ بِاللّٰهِ وَالْمَلٰٓئِكَةِ قَبِيْلًا﴾ ﴿١٢﴾ ﴿الإسراء: ١٢﴾، وقولهم: ﴿لَوْلَا أَنْزَلْ عَلَيْنَا الْمَلٰٓئِكَةُ﴾ قيل: فتوحى إلينا كما أوحى إليك، وهذا القول يدل له قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَنْ نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رَسُوْلُ اللَّهِ﴾ الآية [الأنعام: ١٧٤] وقيل: لولا أنزل علينا الملائكة فنراهم عيانًا، وهذا يدل له قوله تعالى: ﴿أَوْ تَأْتِيٰ بِاللّٰهِ وَالْمَلٰٓئِكَةِ قَبِيْلًا﴾ ﴿١٢﴾ ﴿الإسراء: ١٢﴾ أي: معاينة على القول بذلك، وقد قدمنا الأقوال في ذلك في سورة بني إسرائيل.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿لَا يَرْجُونَ﴾ قال بعض العلماء: ﴿لَا يَرْجُونَ﴾ أي: لا يخافون لقاءنا لعدم إيمانهم بالبعث. والرجاء يطلق على الخوف كما يطلق على الطمع. قال بعض العلماء: ومنه قوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ ﴿نوح: ١٣﴾ قال أي: لا تخافون لله عظمة، ومنه قول أبي ذؤيب الهذلي:

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها وخالفها في بيت نوب عواسل

فقوله لم يرج لسعها: أي: لم يخف لسعها، وقال بعض أهل العلم: إطلاق الرجاء على الخوف لغة تهامة، وقال بعض العلماء: ﴿لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ لا يأملون، وعزاه القرطبي لابن شجرة وقال: ومنه قول الشاعر:

أترجو أمة قتلت حسينا شفاعته جده يوم الحساب

أي: أتأمل أمة إلخ. والذي لا يؤمن بالبعث لا يخاف لقاء الله، لأنه لا يصدق بالعذاب، ولا يأمل الخير من تلقائه، لأنه لا يؤمن بالثواب.

وقوله جلا وعلا: ﴿لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: أضمروا التكبر عن الحق في قلوبهم، واعتقدوه عنادًا وكفرًا، ويوضح هذا المعنى قوله تعالى: ﴿إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾ ﴿غافر: ٤٦﴾، وقوله تعالى: ﴿وَعَتَوْا عُنُوتًا كَبِيرًا﴾ ﴿١٦﴾ أي: تجاوزوا الحد في الظلم والطغيان يقال: عتا علينا فلان: أي تجاوز الحد في ظلمنا، ووصفه تعالى عتوهم المذكور بالكبر، يدل على أنه بالغ في إفراطه، وأنهم بلغوا غاية الاستكبار، وأقصى العتو، وهذه الآية الكريمة تدل على أن تكذيب الرسل بعد دلالة المعجزات، ووضوح الحق وعنادهم والتعنّت عليهم بطلب إنزال الملائكة، أو رؤية الله استكبار عن الحق عظيم وعتو كبير يستحق صاحبه النكال، والتفريع،

ولذا شدد الله النكير على من تعنت ذلك التعنت واستكبر عن قبول الحق كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ﴾ [البقرة: ٨٥]، وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىَٰ أَكْبَرًا مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ [الآية النساء: ٨٢]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ [البقرة: ٨٥]، واستدلال المعتزلة بهذه الآية، وأمثالها على أن رؤية الله مستحيلة استدلال باطل ومذهبهم والعياذ بالله من أكبر الضلال، وأعظم الباطل، وقول الزمخشري في كلامه على هذه الآية: إن الله لا يرى قول باطل، وكلام فاسد.

والحق الذي لا شك فيه: أن المؤمنين يرون الله بأبصارهم يوم القيامة كما تواترت به الأحاديث عن الصادق المصدق عليه السلام، دللت عليه الآيات القرآنية منطوقاً ومفهوماً. كما أوضحناه في غير هذا الموضع.

ذكر جلّ وعلا في هذه الآية الكريمة: أن الكفار الذين طلبوا إنزال الملائكة عليهم، أنهم يوم يرون الملائكة لا بشرى لهم، أي: لا تسرهم رؤيتهم ولا تكون لهم في ذلك الوقت بشارة بخير، ورؤيتهم للملائكة تكون عند احتضارهم، وتكون يوم القيامة ولا بشرى لهم في رؤيتهم في كلا الوقتين.

أما رؤيتهم للملائكة عند حضور الموت فقد دللت آيات من كتاب الله أنهم لا بشارة لهم فيها لما يلاقون من العذاب من الملائكة عند الموت، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَهُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ

بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٣﴾ ﴿[الأنعام: ١٣]، وقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَهُمْ﴾ ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ. فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ﴾ ﴿٢٨﴾ ﴿[محمد: ٢٧-٢٨]، وأما رؤيتهم الملائكة يوم القيامة فلا بشرى لهم فيها أيضاً، ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَرْزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ﴾ ﴿٨﴾ ﴿[الأنعام: ٨].



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ بِالْغَمِّمِ وَزُلِ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾ ﴿٥٥﴾ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ ﴿٣٦﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - واذكر يوم تتشقق السماء وينزل منها الغمام، وقد قيل إن الغمام غمام أبيض مثل الغمام الذي ظل على بني إسرائيل، هذا وإذا تشققت السماء ونزل منها الغمام وتتنزل معه الملائكة، قال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ ﴿٣١﴾ ﴿[البقرة: ٢٤].

فعند ذلك فلا ينازع في كون الملك لله منازع، وإن كان الملك دائماً لله، لكن في الدنيا قد يأتي شخص ويدعي أن لنفسه شيئاً من الملك، أما يوم القيامة فلا يدعي مُدعي ولا ينازع منازع. بل الملك كله لله، قضاء الحق وقول الحق، وكان هذا اليوم يوماً شديداً شاقاً على الكافرين وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري \$:

اختلف القراء في قراءة قوله: ﴿تَشْقُقُ﴾ فقرأته عامة قراء الحجاز

﴿وَيَوْمَ تَشْقَى﴾ بتشديد الشين بمعنى: تتشقق، فأدغموا إحدى التاءين في الشين فشددوها، كما قال: ﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَى آلَمًا إِلَّا عَلَيَّ﴾ [الصفات: ٢١].

وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة: ﴿وَيَوْمَ تَشْقَى﴾ بتخفيف الشين والاجتزاء بإحدى التاءين من الأخرى.

والقول في ذلك عندي: أنهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار بمعنى واحد، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب. وتأويل الكلام: ويوم تشقق السماء عن الغمام. وقيل: إن ذلك غمام أبيض مثل الغمام الذي ظلل على بني إسرائيل، وجعلت الباء، في قوله: ﴿بِالْغَمَمِ﴾ مكان «عن» كما تقول: رميت عن القوس وبالقوس وعلى القوس، بمعنى واحد.

وقوله: ﴿وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾ يقول: ونزل الملائكة إلى الأرض تنزيلاً ﴿الْمَلَكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾ يقول: الملك الحق يومئذ خالص للرحمن دون كل من سواه، وبطلت الممالك يومئذ سوى ملكه. وقد كان في الدنيا ملوك، فبطل الملك يومئذ سوى ملك الجبار ﴿وَكَانَ يَوْمَئِذٍ عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ يقول: وكان يوم تشقق السماء بالغمام يوماً على أهل الكفر بالله عسيراً، يعني صعباً شديداً.

وقال ابن كثير \$:

يخبر تعالى عن هول يوم القيامة، وما يكون فيه من الأمور العظيمة، فمنها انشقاق السماء وتفطرها وانفراجها بالغمام، وهو ظلل النور العظيم الذي يبهر الأبصار، ونزول ملائكة السموات يومئذ، فيحيطون بالخلائق في مقام المحشر. ثم يجيء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء.

قال مجاهد: وهذا كما قال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنْ

أَلْعَمَامِ وَالْمَلَكِ كَهُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٣٠﴾ [البقرة: ٢٨].

وقال ابن كثير أيضاً:

وقوله تعالى: ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْخَبِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨] «أنا الملك، أنا الديان، أين ملوك الأرض؟ أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟».

كما قال تعالى: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ٢١]، وفي الصحيح (1): «أن الله تعالى يطوي السموات بيمينه، ويأخذ الأرضين بيده الأخرى، ثم يقول: أنا الملك، أنا الديان، أين ملوك الأرض؟ أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟».

وقوله: ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ [البقرة: ٢٨] أي: شديداً صعباً؛ لأنه يوم عدل وقضاء فصل، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ [البقرة: ٢٨] فذلك يوم عسير ﴿١﴾.

على الكافرين عسير ﴿١٠﴾ [المدثر: ٢١-٢٢]، فهذا حال الكافرين في هذا اليوم. وأما المؤمنون فكما قال تعالى: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَعُ الْأَكْبَرُ وَنُنَلِّقُهُمُ الْمَلَكِ كَهُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ﴾ [البقرة: ٢٨] أي: واذكر يوم تشقق السماء بالغمام وقرأه عاصم والأعمش ويحيى وحمزة والكسائي وأبو عمرو: ﴿تَشَقَّقُ﴾ بتخفيف الشين وأصله تتشقق بتاءين فحذفوا الأولى تخفيفاً واختاره أبو عبيد الباقر (تَشَقَّقُ) بتشديد الشين على الإدغام واختاره أبو حاتم وكذلك في «ق»، ﴿بِالْغَمَمِ﴾ أي عن الغمام والباء وعن يتعاقبان كما تقول: رميت بالقوس وعن القوس ورمي أن السماء تتشقق عن سحب أبيض رقيق مثل الضبابة ولم يكن إلا لبني إسرائيل في تيههم فتتشقق

(1) صحيح مسلم حديث (2788) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه وليس فيه: «أنا الديان».

السماء عنه وهو الذي قال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢٤] ﴿وَنَزَّلْنَا النَّيْلَ﴾ من السموات ويأتي الرب جل وعز في الثمانية الذين يحملون العرش لفصل القضاء.

وقال القرطبي أيضاً:

قوله تعالى: ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾ ﴿الْمَلِكُ﴾ مبتدأ و﴿الْحَقُّ﴾ صفة له و﴿الرَّحْمَنِ﴾ الخبر لأن الملك الذي يزول وينقطع ليس بملك فبطلت يومئذ أملاك المالكين وانقطعت دعاويهم وزال كل مالك وملكه وبقي الملك الحق لله وحده ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ أي لما ينالهم من الأهوال ويلحقهم من الخزي والهوان وهو على المؤمنين أخف من صلاة مكتوبة على ما تقدم في الحديث وهذه الآية دالة عليه لأنه إذا كان على الكافرين عسيراً فهو على المؤمنين يسير يقال: عَسِرَ يَعْسُرُ وَعَسْرٌ يَعْسُرُ.

قال السعدي \$ في (تيسير الكريم الرحمن):

يخبر تعالى عن عظمة يوم القيامة وما فيه من الشدة والكروب، ومزعجات القلوب فقال: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ﴾ وذلك الغمام الذي ينزل الله فيه، من فوق السماوات فتنفطر له السماوات وتشقق وتنزل ملائكة كل سماء فيقفون صفًّا صفًّا، إما صفًّا واحدًا محيطًا بالخالق، وإما كل سماء يكونون صفًّا ثم السماء التي تليها صفًّا وهكذا.

القصد أن الملائكة -على كثرتهم وقوتهم- ينزلون محيطين بالخلق مذعنين لأمر ربهم لا يتكلم منهم أحد إلا بإذن من الله، فما ظنك بالأدmi الضعيف خصوصًا الذي بارز ماله بالعضائم، وأقدم على مساخطه ثم قدم عليه بذنوب وخطايا لم يتب منها، فيحكم فيه الملك الحق بالحكم الذي

لا يجوز ولا يظلم مثقال ذرة ولهذا قال: ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ (٣٦) لصعوبته الشديدة وتعسر أموره عليه، بخلاف المؤمن فإنه يسير عليه خفيف الحمل.

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ (٨٥) وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرْدًا﴾ (٨٦).

وقوله: ﴿أَمْلَأْكَ يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم القيامة ﴿الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾ لا يبقى لأحد من المخلوقين ملك ولا صورة ملك، كما كانوا في الدنيا، بل قد تساوت الملوك ورعاياهم والأحرار والعبيد والأشراف وغيرهم، ومما يرتاح له القلب، وتطمئن به النفس وينشرح له الصدر أنه أضاف الملك في يوم القيامة لاسمه «الرحمن» الذي وسعت رحمته كل شيء وعمت كل حي ومألت الكائنات وعمرت بها الدنيا والآخرة، وتمّ بها كل ناقص وزال بها كل نقص، وغلبت الأسماء الدالة عليه الأسماء الدالة على الغضب وسبقت رحمته غضبه وغلبته، فلها السبق والغلبة، وخلق هذا الأدمي الضعيف وشرفه وكرمه ليتم عليه نعمته، وليتغمده برحمته، وقد حضروا في موقف الذل والخضوع والاستكانة بين يديه ينتظرون ما يحكم فيهم ومما يجري عليهم وهو أرحم بهم من أنفسهم ووالديهم فما ظنك بما يعاملهم به، ولا يهلك على الله إلا هالك ولا يخرج من رحمته إلا من غلبت عليه الشقاوة وحققت عليه كلمة العذاب.



س: هل صح لقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعْزُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ سبب نزول؟

ج: أورد السيوطي في الدر المنثور من طريق سعيد بن جبير عن

ابن عباس **ق:** «أن أبا معيط كان يجلس مع النبي ﷺ بمكة لا يؤذيه، وكان رجلاً حليماً، وكان بقية قريش إذا جلسوا معه آذوه، وكان لأبي معيط خليل غائب عنه بالشام فقالت قريش: صبا أبو معيط، وقدم خليله من الشام ليلاً فقال لامرأته: ما فعل محمد مما كان عليه؟ فقالت: أشد مما كان أمراً فقال: ما فعل خليلي أبو معيط؟ فقالت: صبا. فبات ليلة سوء، فلما أصبح أتاه أبو معيط فحياه، فلم يرد عليه التحية فقال: ما لك؟ لا ترد عليّ تحيتي؟ فقال: كيف أرد عليك تحيتك وقد صبوت؟ قال: أوقد فعلتها قريش؟! قال: نعم. قال: فما يبرئ صدورهم إن أنا فعلت؟ قال: تأتيه في مجلسه، وتبصق في وجهه، وتشتمه بأخبث ما تعلمه من الشتم. ففعل، فلم يزد النبي ﷺ أن مسح وجهه من البصاق، ثم التفت إليه فقال: «**إن وجدتكم خارجاً من جبال مكة أضرب عنقك صبراً**».

فلما كان يوم بدر، وخرج أصحابه، أبى أن يخرج فقال له أصحابه: اخرج معنا قال: قد وعدني هذا الرجل إن وجدني خارجاً من جبال مكة أن يضرب عنقي صبراً فقالوا: لك جمل أحمر لا يُدرَك، فلو كانت الهزيمة طرت عليه، فخرج معهم، فلما هزم الله المشركين، وحلّ به جملُهُ في جدد من الأرض، فأخذه رسول الله ﷺ أسيراً في سبعين من قريش، وقدم إليه أبو معيط فقال: تقتلني من بين هؤلاء؟ قال: «**نعم. بما بصقت في وجهي**»، فأنزل الله في أبي معيط ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ (٩١).

وله وجه آخر عند عبد الرزاق ⁽¹⁾ في «مصنفه» بسندٍ مرسل من

(1) وصحح السيوطي إسناده، وفي هذا التصحيح نظر، وقد أعله بعض أهل العلم.

طريق معمر عن مقسم مولى ابن عباس، قال معمر: وحدثني الزهري ببعضه قال: إن ابن أبي مُعَيْط وأُبَيَّ بن خلف الجمحي التقياء، فقال عقبة بن أبي مُعَيْط لأُبَيَّ بن خلف، وكنا خليلين من الجاهلية، وكان أُبَيَّ بن خلف أتى النبي ﷺ، فعرض عليه الإسلام، فلما سمع ذلك عقبة قال: لا أرضى عنك حتى تأتي محمداً فتتقل في وجهه، وتشتمه وتكذِّبه، قال: فلم يُسَلِّطه الله على ذلك، فلما كان يوم بدر أُسِرَ عقبة بن أبي معيط في الأسارى فأمر النبي ﷺ عليَّ بن أبي طالب أن يقتله، فقال: عقبة: يا محمد! من بين هؤلاء أُقتل؟

قال: «نعم».

قال: لِمَ؟

قال: «بكفرك، وفجورك، وعُتُوك على الله ورسوله».

قال معمر: وقال مقسم: فبلغنا - والله أعلم - أنه قال: فَمَن للصبيبة؟ قال: «النار»، قال: فقام إليه علي بن أبي طالب فضرب عنقه. وأما أُبَيَّ بن خلف فقال: والله لأقتلن محمداً.

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال: «بل أنا أقتله - إن شاء الله -»، قال: فانطلق رجل ممن سمع ذلك من النبي ﷺ إلى أُبَيَّ بن خلف، فقيل: إنه لما قيل لمحمد ﷺ ما قلت، قال: «بل أنا أقتله - إن شاء الله -»، فأفزه ذلك، وقال: أنشدك بالله أسمعته يقول ذلك؟ قال: نعم، ف وقعت في نفسه؛ لأنهم لم يسمعوا رسول الله ﷺ يقول قولاً إلا كان حقاً، فلما كان يوم أحد خرج أُبَيَّ بن خلف مع المشركين، فجعل يلتمس غفلة النبي ﷺ ليحمل عليه، فيحول رجل من المسلمين بينه وبين النبي ﷺ، فلما رأى ذلك رسول الله ﷺ قال

لأصحابه: «خَلُّوا عَنْهُ»، فأخذ الحربة فجزله بها - يقول: رماه بها - فيقع في ترقوته، تحت تسبغة البيضة، وفوق الدرع، فلم يخرج منه كبير دم، واحتقن الدم في جوفه، فجعل يخور كما يخور الثور، فأقبل أصحابه، حتى احتملوه وهو يخور، وقالوا: ما هذا؟ فوالله ما بك إلا خدش، فقال: والله لو لم يصبني إلا بريقه لقتلني، أليس قد قال: «أَنَا أَقْتَلُهُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ -»، والله لو كان الذي بي بأهل ذي المجاز لقتلهم، قال: فما لبث إلا يومًا أو نحو ذلك حتى مات إلى النار فأنزل الله فيه ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ (1).



ندم الكافر يوم القيامة

س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَكْفُلُ يَلْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْبًا﴾ (٢٧) يَوْتِلَنِي لِيَتَنِي لَوْ اتَّخَذْتُ غُلَامًا حَلِيلًا (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ (٢٩).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - واذكر يا رسول الله يوم القيامة عندما يجازى الناس بأعمالهم، اذكر يومها إذ يعض الظالم على يديه، وهي كلمة تذكر عن من وقع في أشد الندم والحسرة والأسى، يعض على يديه قائلاً: يا ليتني اتخذت مع رسول الله ﷺ في الدنيا طريقًا يوصلني إلى الجنة، يا ليتني سلكت معه الطريق الذي سلكه وسرت معه في الطريق الذي سار فيه واتبعته إلى ما دعاني إليه، يا ويلتي، يا ندمي، ويا أسفى،

(1) ولذلك وجوه أخر بأسانيد أخر فيها مقالات.

انظر أبا نعيم في «دلائل النبوة» (2/606)، والطبري (3/385)، وابن أبي حاتم (8/2683)، وتفسير عبد الرزاق (2/57) وغير ذلك.

ليتني لم أأخذ هذا الغاوي الذي أغواني خليلاً وصديقاً، ليتني تركته وابتعدت عنه، فقد أضلني صرفني عن الحق بعد وصول الحق إليّ، أن أهتدي، فأضلني هذا الغوي المبين، ثم تحذير من الشيطان الذي أغوى بني آدم، ومن طرائقه، فيقول تعالى: إن الشيطان كان للإنسان خذولاً. يخذله عن اتباع الحق ويصرفه عنه.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: ويوم يعرض الظالم نفسه للمشرك بربه على يديه ندماً وأسفاً على ما فرط في جنب الله، وأوبق نفسه بالكفر به في طاعة خليله الذي صده عن سبيل ربه، يقول: يا ليتني اتخذت في الدنيا مع الرسول سبيلاً يعني طريقاً إلى النجاة من عذاب الله، وقوله: ﴿يَوَلَّيْتُ لَيْتِي لَوْ أَخَذْتُ فَلَانًا خَلِيلًا﴾ (٢٨).

اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله: ﴿الظَّالِمُ﴾ وبقوله: ﴿فُلَانًا﴾ فقال بعضهم: عني بالظالم: عقبة بن أبي معيط، لأنه ارتد بعد إسلامه، طلباً منه لرضا أبي بن خلف، وقالوا: فلان هو أبي.

وقوله: ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾ يقول جل ثناؤه مخبراً عن هذا النادم على ما سلف منه في الدنيا، من معصية ربه في طاعة خليله: لقد أضلني عن الإيمان بالقرآن، وهو الذكر، بعد إذ جاءني من عند الله، فصدني عنه، يقول الله: ﴿وَكَاكَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ (٢٩) يقول: مسلماً لما ينزل به من البلاء غير منقذه ولا منجيه.

وقال ابن كثير \$:

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْلًا

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ﴾ أي يقول هذا النادم: لقد أضلني من اتخذته في الدنيا خليلاً عن القرآن والإيمان به وقيل: ﴿عَنِ الذِّكْرِ﴾ أي: عن الرسول ﴿وَكَاذِبَ الشَّيْطَانِ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ (٣٩) قيل: هذا من قول الله لا من قول الظالم وتمام الكلام على هذا عند قوله: ﴿بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾ والخذل: الترك من الإعانة ومنه خذلان إبليس للمشركين لما ظهر لهم في صورة

سراقة بن مالك فلما رأى الملائكة تبرأ منهم وكل من صد عن سبيل الله وأطيع في معصية الله فهو شيطان للإنسان خذولاً عند نزول العذاب والبلاء.



بعض الآثار السيئة لمجالسة الشريرين

س: اذكر بعض الآثار السيئة لمجالسة أهل الشر والفساد.

ج: لجلساء السوء خطرٌ عظيم فقد يصرفون الشخص عن دينه بالكلية ومن ثم يتردى في جهنم خالدًا فيها أبدًا والعياذ بالله، وقد يوقعونه في البدعة والكبيرة والمعصية، إلى غير ذلك من الشرور والآثام.

قال تعالى: ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوتِيتَ إِلَيْكَ لَيَفْتَرِي عَلَيْنَا غَيْرَةٌ وَإِذَا لَاتَخَذُوا خَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٢].

وقال تعالى: ﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمْرِ قَدْ حَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْغَيْنِ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴾ [فصلت: ٢٥].
وها هو رجل كان حليماً⁽¹⁾ وتسبب صاحبه وخليله في إضلاله وإغوائه وفيه نزل: ﴿ وَيَوْمَ يَعِضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيِّتَنِي أَنْتَ مُحَمَّدٌ مَعَ الرَّسُولِ سِيلَا ﴾ [يونس: ٢٧] يَتَوَلَّى لَيِّتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا ﴿ ٢٨ ﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿ ٢٩ ﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩].

وهذه مجالس نحس مستمر

تلك المجالس التي يقعد أهلها بكل صراطٍ يوعدون ويصدون عن سبيل الله من آمن به ويبغونها عوجًا.

تلك المجالس التي شُغل أهلها بأموالهم وأولادهم عن ذكر الله فأصبحوا من الخاسرين.

مجالس اتبع أهلها من لم يزد ماله وولده إلا خسارًا.

مجالس أهل الظلم وأهل الكفر، تلك التي تتول بأهلها إلى الجحيم والعياذ بالله.

(1) وانظر ما تقدم من أسباب النزول.

ها هم جلساء سوءٍ أردوا صاحبهم إلى الجحيم بعد أن كاد أن يُسلم،
 ألا وهو أبو طالب عم رسول الله ﷺ الذي كان ينافح عن الرسول ويدافع،
 فقد ذكر العلماء من أبياته التي كان ينافح بها عن رسول الله ﷺ هذه
 الآيات (1):

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمةً للأرامل
 يلوذ به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل
 كذبتهم وببيت الله يبزى محمدٌ ولما نقاتل دونه ونناضل
 ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل
 وذكروا منها أيضاً قوله:
 والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب (2) دفينا
 وذكروا أيضاً مقولته:
 ودعوتني وعلمت أنك صادقٌ ولقد صدقت وكنت قبل أمينا (3)

فانظر إلى الضرر العظيم الذي ألحقه رفيق السوء أبو جهل بأبي
 طالب في «الصحيحين» (4) طريق سعيد بن المسيب عن أبيه قال:
 لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل،
 وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة.

فقال رسول الله ﷺ: «يا عم؛ قل: لا إله إلا الله. كلمة أشهد لك بها عند

(1) البداية والنهاية (93/6).

(2) فتح الباري (194/7).

(3) فتح الباري (196/7).

(4) البخاري (حديث 3884)، ومسلم (حديث 24).

الله».

فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية : يا أبا طالب ؛ أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعيد له تلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب. وأبى أن يقول: لا إله إلا الله. فقال رسول الله ﷺ: «أما والله؛ لأستغفرن لك ما لم أنه عنك» فأنزل الله ٥: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ٥﴾ [التوبة: ٥٤]. وأنزل الله تعالى في أبي طالب، فقال لرسول الله ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ٥٦﴾ [القصص: ٥٤].

وهرقل كاد أن يُسلم، وتمنى أن يكون عند رسول الله ﷺ يغسل التراب عن رجليه، ولكن قرناء السوء وخلائ الشر والفساد تسببوا في ضلاله لما أثر رغبتهم على ما عند الله ٥، فقد سأل هرقل أبا سفيان جملة من الأسئلة عن رسول الله ﷺ وعلم من أجوبتها ما يقطع بصحة نبوة رسول الله ﷺ، ومع ذلك ضل لما أثر ملكه وأثر مجالسة حاشيته وبطانته وأن يبقى ملكاً عليهم ويرضون عنه، فكفر بذلك وخُذِل.

في «الصحيح»⁽¹⁾ من حديث أبي سفيان بن حرب أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش.. فذكر الحديث وفيه أن هرقل قال له بعد جملة من الأسئلة التي وجهها إليه وأجابه عليها أنه قال للترجمان:

قل له: سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب، فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها. وسألتك: هل قال أحد منكم هذا القول؟ فذكرت: أن

(1) البخاري (حديث 7)، ومسلم ببعضه (حديث 1773).

لا، فقلت: لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يتأسى بقول قيل قبله. وسألتك: هل كان من آبائه من ملك؟ فذكرت: أن لا، قلت: فلو كان من آبائه من ملك قلت: رجل يطلب ملك أبيه. وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت: أن لا، فقد أعرفه أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله. وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فذكرت: أن ضعفاءهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل. وسألتك: أيزيدون أم ينقصون؟ فذكرت: أنهم يزدون، كذلك أمر الإيمان حتى يتم. وسألتك: أيرتد أحدُ سخطةً لدينه بعد أن يدخل فيه، فذكرت: أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب. وسألتك: هل يغدر؟ فذكرت: أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر. وسألتك: بما يأمركم؟ فذكرت: أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف، فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين. وقد كنت أعلم أنه خارجٌ لم أكن أظنُّ أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه.

فذكر الحديث وفيه:

فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له بحمص، ثم أمر بأبوابها فغلقت، ثم اطلع فقال: يا معشر الروم، هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتبائعوا هذا النبي؟ فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غلقت، فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس من الإيمان قال: ردوهم علي. وقال: إني قلت مقالتي آنفاً أختبر بها شدتكم على دينكم، فقد رأيته. فسجدوا له ورضوا عنه، فكان ذلك آخر شأن هرقل.

وها هو جليس سوء كاد أن يُردي جليسه، ولكن الله سلّم قال تعالى في شأن أهل الجنة: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ٥١ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ٥٢ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَءِنَّا لَمَمِيدُونَ ٥٣ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُّطْلِعُونَ ٥٤ فَأَطْلَعَ فَرَأَاهُ فِي سَوَاءٍ الْجَحِيمِ ٥٥ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدْتَ لَتُرْدِينَ ٥٦ وَلَوْلَا رَحْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُم مِّنَ الْمُحْضَرِينَ ٥٧﴾ [الصفات: ٥٧-٥٥].

قال السعدي \$ في تفسيرها:

لما ذكر تعالى نعيمهم، وتمام سرورهم بالمأكل والمشرب، والأزواج الحسان، والمجالس الحسنة، ذكر تذاكرهم فيما بينهم، ومطارحتهم للأحاديث، عن الأمور الماضية، وأنهم ما زالوا في المحادثة والتسائل، حتى أفضى ذلك بهم، إلى أن قال قائل منهم: ﴿إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ٥١﴾ في الدنيا، ينكر البعث، ويلومني على تصديقي به. و﴿يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَءِنَّا لَمَمِيدُونَ ٥٣﴾ أي: مجازون بأعمالنا؟

أي: كيف تصدق بهذا الأمر البعيد، الذي في غاية الاستغراب، وهو أننا إذا تمزقنا، فصرنا ترابًا وعظامًا، أننا نبعث ونعاد، ثم نحاسب ونجازى بأعمالنا؟!!!

أي: يقول صاحب الجنة لإخوانه: هذه قصتي، وهذا خبري، أنا وقريني. ما زلت أنا مؤمنًا مصدقًا، وهو ما زال مكذبًا منكراً للبعث، حتى متنا، ثم بُعثنا. فوصلت أنا إلى ما ترون من النعيم الذي أخبرتنا به الرسل، وهو لا شك أنه قد وصل إلى العذاب.

﴿قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُّطْلِعُونَ ٥٤﴾ لننظر إليه، فنزداد غبطة وسرورًا بما نحن فيه، ويكون ذلك رأي عين؟

والظاهر من حال أهل الجنة وسرور بعضهم ببعض وموافقة بعضهم على قرينه بعضاً أنهم أجابوه لما قال وذهبوا تبعاً لهم للطلاع على قرينه. ﴿فَاطْلَعَ قَرَاءَهُ﴾ أي: رأى قرينه ﴿فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ أي: في وسط العذاب وغمراته، والعذاب قد أحاط به.

﴿قَالَ﴾ له لائماً على حاله، وشاكراً لله على نعمته أن نجاه من كيده: ﴿تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لِتُزَيِّنَ﴾ أي: تهلكني بسبب ما أدخلت علي من الشُّبُه بزعمك. ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي﴾ على أن ثبتني على الإسلام ﴿لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ في العذاب معك.

﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَبْتَلِينَ﴾ إِلَّا مَوْنَنَا الْأَوَّلَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿[الصافات: ٥٨-٥٩].
أي: يقوله المؤمن، مبتهجاً بنعمة الله على أهل الجنة بالخلود الدائم فيها والسلامة من العذاب؛ استفهام بمعنى الإثبات والتقرير.

وجلساء السوء يزينون لك الباطل ويحببونك فيه:

وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢].
وجلساء السوء يصرفونك عن الخير ويزهدونك فيه قال تعالى:
﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ١٨].

وقال سبحانه: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعِفُوا خَلْقَكُمْ يَبْغُونَكُمْ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ٤٧].
وكذا فإنهم يشككونك فيما أنت عليه من الحق:

قال تعالى: ﴿وَقَالَتْ طَافِيَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ

وَأَكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٦﴾ ﴿آل عمران: ٧٦﴾.

وهم - أعني جلساء السوء - أتباع للشيطان، والشيطان قد قعد لابن آدم عند طرق الخير يصرفه عنها ويصده عنها:

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعْدَ لَابْنِ آدَمَ بِأَطْرَقِهِ، فَقَعْدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ: تُسَلِّمُ وَتُذِرُ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ وَأَبَاءَ أَيْبِكَ؟! فَعَصَاهُ، فَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَعْدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْهَجْرَةِ، فَقَالَ: تَهَاجِرُ وَتَدْعُ أَرْضَكَ وَسَمَاءَكَ؟! وَإِنَّمَا مِثْلُ الْمَهَاجِرِ كَمِثْلِ الْفَرَسِ فِي الطَّوْلِ، فَعَصَاهُ، فَهَاجَرَ ثُمَّ قَعْدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْجِهَادِ، فَقَالَ: تَجَاهِدُ فَهُوَ جَهْدُ النَّفْسِ وَالْمَالِ، فَتُقَاتِلُ فَتُقْتَلُ فَتَنْتَكِحُ الْمَرْأَةَ وَيَقْسِمُ الْمَالَ؟! فَعَصَاهُ، فَجَاهَدَ»، فقال رسول الله ﷺ: «فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ ٥ أَنْ يَدْخُلَهُ الْجَنَّةَ وَمَنْ قُتِلَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ ٥ أَنْ يَدْخُلَهُ الْجَنَّةَ وَإِنْ غَرِقَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَدْخُلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ وَقَصَتْهُ دَابَّتُهُ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ» (1).

وقد قال الشيطان لربه: ﴿فِيمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَا تَجِدَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف: ١٦-١٧].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيَوْحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَدِّدَ لَكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [الأنعام: ١٢١].

فما من سبيل من سبل الخير إلا وعليه شيطان يصرف الناس عنه ويصد الناس عنه، شيطان إنس كان أو شيطان جن، ومن ثم قال نبي الله شعيب **ع** لقومه: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ

(1) النسائي (21-22/6)، وأحمد في المسند (483/3) وإسناده حسن، وأشار بعض العلماء إلى اختلاف وقع في إسناده، انظر «الإصابة» ترجمة سيرة.

ءَامَنَ بِهِ، وَتَبَعُونَهَا عَوْجًا ﴿١٨٧﴾ [الأعراف: ١٨٧].

فإذا أقبل الشخص على الاستقامة وجد هناك من جلساء السوء من يُرهبه منها ويثقلها عليه.

وإذا أقبل على الصدقة وجد هناك من يُزهد فيه ويبيخله عن إخراجها.

وإذا أقبل على الحج يجد من يثبطه ويُسوف له، وهكذا جلساء السوء على الدوام أتباع للشياطين يصدون الناس عن الخير.

واحذر فإن من جلساء السوء:

دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها:

أخرج البخاري ومسلم ⁽¹⁾ من حديث حذيفة بن اليمان **ق** قال: كان الناس يسألون رسول الله **ﷺ** عن الخير. وكنت أسأله عن الشر، مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله؛ إنا كنا في جاهلية وشر. فجاءنا الله بهذا الخير. فهل بعد هذا الخير شئ؟ قال: «نعم»، فقلت: هل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «نعم. وفيه دخن» ⁽²⁾، قلت: وما دخنه؟ قال: «قوم يستنون بغير سنتي. ويهدون بغير هديي. تعرف منهم وتنكر». فقلت: هل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «نعم دعاة على أبواب جهنم» ⁽³⁾ من أجابهم إليها قذفوه فيها»، فقلت: يا رسول الله؛ صفهم لنا. قال: «نعم، قوم من

(1) البخاري (حديث 3606)، ومسلم (حديث 1847)، واللفظ له.

(2) الدخن: لون يميل إلى السواد، والمراد أن القلوب لا تصفو لبعضها ولا يزول خبثها كذا نقل عن النووي رحمه الله بمعناه.

(3) يدخل فيها الأمراء الذين يدعون إلى البدع والضلالات، ويدخل فيها علماء السوء الذين يدعون إلى ذلك أيضًا.

جلدتنا، ويتكلمون بالسنتنا»، قلت: يا رسول الله؛ فما ترى إن أدركني ذلك؟ قال: «تلزُم جماعة المسلمين وإمامهم»، فقلت: فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «فاعتزل تلك الفرق كلها. ولو أن تعضَّ على أصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك».

وجلساء السوء يُخَذَّلون أصحابهم في أشد المواطن التي يُحتاج فيها إلى ناصرٍ ومعين:

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُوهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُؤْلَوْنَ أَلْدَبَرَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الحشر: ١١-١٢].

وها هو عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين ينسحب ويتخلى عن رسول الله ﷺ ومعه ما يقارب ثلث الجيش:

أخرج البخاري ومسلم ⁽¹⁾ من حديث زيد بن ثابت **ق** لما خَرَج النبي ﷺ إلى غزوة أحد، رجع ناسٌ ممن خرج معه. وكان أصحاب النبي ﷺ فرقتين: فرقة تقول: نقاتلهم، وفرقة تقول: لا نقاتلهم. فنزلت ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُتَنَفِّينَ فَتَنَيْنَ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا ﴾ [النساء: ٢٤]، وقال: «إنها طيبة تنفي الذنوب، كما تنفي النارُ خبثَ الفضة».

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى - في «فتح الباري» في شرحه لهذا الحديث:

قوله: (رجع ناسٌ ممن خرج معه) يعني عبد الله بن أبي وأصحابه،

(1) البخاري (حديث 4050)، ومسلم (2776).

وقد ورد ذلك صريحاً في رواية موسى بن عقبة في المغازي وأن عبد الله بن أبي كان وافق رأيه رأي النبي ﷺ على الإقامة بالمدينة، فلما أشار غيره بالخروج وأجابهم النبي ﷺ فخرج قال عبد الله بن أبي لأصحابه: أطاعهم وعصاني، علام نقتل أنفسنا؟ فرجع بثلاث الناس. قال ابن إسحاق ف_____ي روايته_____ه: ف_____اتبعتهم عبد الله بن عمرو بن حرام وهو والد جابر وكان خزرجياً كعبد الله بن أبي فناشدهم أن يرجعوا فأبوا فقال: أبعدكم الله.

وجلساء السوء يغترون بلسانهم، ويمنونهم أمانى كاذبة:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلِيَحْمِلُوا أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٣﴾﴾ [العنكبوت: ١٢-١٣].

وأهل الغواية والزيغ والضلال يحبون لجانهم الغواية والزيغ والضلال كذلك حتى يكونوا أمثالهم:

قال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا﴾

[القصص: ٢٤]

وقال سبحانه: ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿١٧﴾﴾

[النساء: ١٧]

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾ [آل عمران: ١٨]، أي أحبوا نزول العنت بكم، ورجبوا في حلول المشقة بكم.

وقال تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾.

[النساء: ٨٨]

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرْدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا﴾.

[البقرة: ٢١٧]

وقال تعالى: ﴿وَلَنَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ﴾ **[البقرة: ١٢٠].**

فمن ثم فالزاني يحب أن يزني الناس كلهم.
وكذا السارق المحدود (الذي أقيم عليه الحد) يحب أن يسرق الناس كلهم.

وأيضاً فشرابة الخمر (في الغالب) يحبون أن يشرب الناس كلهم وذلك حتى لا يمتازوا عليهم

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – في كتاب «الاستقامة» بعد أن ذكر أموراً:

وهذه الأمور مما تعظم بها المحنة على المؤمنين، فإنهم يحتاجون إلى شيئين: إلى دفع الفتنة التي ابتلي بها نظراؤهم - من فتنة الدين والدنيا - عن نفوسهم مع قيام المقتضى لها، فإن معهم نفوساً وشياطين، كما مع غيرهم.

فمع وجود ذلك من نظرائهم يقوى المقتضى عندهم كما هو الواقع، فيقوى الداعي الذي في نفس الإنسان وشيطانه، ودواعي الخير كذلك، وما يحصل من الداعي بفعل الغير والنظير.

فكم من الناس لم يرد خيراً ولا شراً حتى رأى غيره - لا سيما إن كان نظيره - يفعله ففعله، فإن الناس كأسراب القطا، مجبولون على تشبه بعضهم ببعض.

ولهذا كان المبتدئ بالخير وبالشر له مثل من تبعه من الأجر والوزر.

كما قال النبي ﷺ: «من سنَّ سنةً حسنةً فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيءٌ، ومن سنَّ سنةً سيئةً فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أوزارهم شيءٌ» (1).

وذلك لاشتراكهم في الحقيقة، وأن حكم الشيء حكم نظيره، وشبيهه الشيء منجذب إليه.

فإذا كان هذان داعيين قويين، فكيف إذا انضم إليهما داعيان آخران؟! وذلك أن كثيراً من أهل المنكر يحبون من يوافقهم على ما هم فيه، ويبغضون من لا يوافقهم. وهذا ظاهر في الديانات الفاسدة: من موالاته كل قوم لموافقيهم ومعاداتهم لمخالفينهم. وكذلك في أمور الدنيا والشهوات كثيراً ما يختار أهلها ويؤثرون من يشاركونهم في أمورهم وشهواتهم إما للمعونة على ذلك، كما في المتغلبين من أهل الرياسات وقطاع الطريق ونحو ذلك، وإما لتلذذهم بالموافقة، كما في المجتمعين على شرب خمر مثلاً، فإنهم يحبون أن يشرب كل من حضر عندهم، إما لكرهاتهم امتيازهم عنهم بالخير: إما حسداً له على ذلك، وإما لنلا يعلو عليهم بذلك ويحمدونهم، وإما لنلا يكون له عليهم حجة، وإما لخوفهم من معاقبته لهم

(1) أخرج مسلم (حديث 1017) من حديث جرير بن عبد الله قال: جاء ناسٌ من الأعراب إلى رسول الله ﷺ، عليهم الصوف. فرأى سوء حالهم قد أصابتهم حاجةٌ. فحث الناس على الصدقة، فأبطؤوا عنه حتى رُوي ذلك في وجهه.

قال: ثم إن رجلاً من الأنصار جاء بصرة من ورق، ثم جاء آخر، ثم تتابعوا حتى عرف السرور في وجهه. فقال رسول الله ﷺ: «من سن في الإسلام سنة حسنة، فعمل بها بعده، كتب له مثل أجر من عمل بها. ولا ينقص ذلك من أجورهم شيء. ومن سن في الإسلام سنة سيئة، فعمل بها بعده كُتب عليه وزر من عمل بها، ولا ينقص من أوزارهم شيء».

بنفسه، أو بمن يرفع ذلك إليهم، ولئلا يكونوا تحت منته وحظره، ونحو ذلك من الأسباب.

قال الله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ٢١٦]، وقال تعالى في المنافقين: ﴿وَدُّوا لَوْ تُكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [النساء: ٨٨]. وقال عثمان بن عفان **ق:** «ودت الزانية لو زنى النساء كلهن».

والمشاركة قد يختارونها في نفس الفجور، كالاشتراك في شرب الخمر والكذب والاعتقاد الفاسد، وقد يختارونها في النوع الثاني: كالزاني الذي يود أن غيره يزني، أو السارق الذي يود أن غيره يسرق لكن في غير العين التي زنى بها أو سرقها.

وأما الداعي الثاني فقد يأمرون الشخص بمشاركتهم فيما هم عليه من المنكر؛ فإن شاركهم وإلا عادوه وآذوه على وجه قد ينتهي إلى حد الإكراه أو لا ينتهي إلى حد الإكراه.

ثم إن هؤلاء الذين يختارون مشاركة الغير لهم في قبيح فعلهم، أو يأمرونه بذلك ويستعينون به على ما يريدونه، متى شاركهم وعاونهم وأطاعهم انتقصوه واستخفوا به، وجعلوا ذلك حجة عليه في أمور أخرى، وإن لم يشاركهم عادوه وآذوه. وهذه حال غالب الظالمين القادرين.

وهذا الموجود في المنكر موجود نظيره في المعروف وأبلغ منه. كما قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٥]، فإن داعي الخير أقوى، فإن الإنسان فيه داعٍ يدعو إلى الإيمان والعلم، والصدق والعدل وأداء الأمانة، فإذا وجد من يعمل مثل ذلك صار له داعٍ آخر، لا سيما إذا كان

نظيره، لا سيما مع المنافسة، وهذا محمود حسن.

فإن وجد من يحب موافقته على ذلك ومشاركته له من المؤمنين والصالحين، ومن ييغضه إذ لم يفعل ذلك، صار له داعٍ ثالث. فإذا أمروه بذلك ووالوه على ذلك، وعادوه وعاقبوه على تركه، صار له داعٍ رابع.

ولهذا يؤمر المؤمنون أن يقابلوا السيئات بضدها من الحسنات، كما يقابل الطبيب المرض بضده، فيؤمر المؤمن بأن يصلح نفسه، وذلك بشيئين: بفعل الحسنات، وبترك السيئات، مع وجود ما ينفي الحسنات، ويقتضي السيئات. وهذه أربعة أنواع. ويؤمر أيضًا بإصلاح غيره بهذه الأنواع الأربعة بحسب قدرته وإمكانه.

قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾ **[العصر: ١-٣].**

**ومن صاحب أهل الشر والفساد
ناله كِفْلٌ من عقوبتهم**

فها هم قومٌ من أهل الإسلام بمكة خرجوا يُكثِّرون سواد المشركين على المسلمين يوم بدر فكان المسلمون الذي هم مع رسول الله ﷺ يرمي أحدهم بسهمه فيصيب أخاه الذي هو في صفوف أهل الشرك فيحزن المسلمون لذلك ويقولون قَتَلْنَا إِخْوَانَنَا فَيَنْزِلُ قُرْآنٌ يُرْفَعُ بِهِ الْحَرَجُ عَنِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ هُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَيَتَوَعَّدُ بِهِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ خَرَجُوا مَعَ أَهْلِ الشَّرْكِ.

(1) من حديث ابن عباس **ر** أن ناساً من المسلمين كانوا مع المشركين يُكثِّرون سواد المشركين على رسول الله **ﷺ** يأتي السهم يُرمى به فيصيب أحدهم فيقتله، أو يُضرب فيقتل فأنزل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْفُلْكَ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۝١٧﴾ (2) [النساء: ١٧].

(3) وفي «الصحيح» من حديث عائشة **ف** قالت: قال رسول الله **ﷺ**: «يغزو جيش الكعبة فإذا كانوا ببيداء من الأرض يُخسف بأولهم وآخرهم»، قالت: قلت يا رسول الله: كيف يُخسف بأولهم وآخرهم، وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم؟ قال: «يُخسف بأولهم وآخرهم ثم يبعثون على نياتهم».

(4) وفي «الصحيحين» من حديث ابن عمر **ر** قال: قال رسول الله **ﷺ**: «إذا أنزل الله بقوم عذاباً أصاب العذاب من كان فيهم ثم بُعثوا على أعمالهم» (5).

(1) البخاري (حديث 4596).

(2) قال الحافظ ابن حجر **ر**: واستنبط سعيد بن جبیر من هذه الآية وجوب الهجرة من الأرض التي يعمل فيها بالمعصية.

(3) البخاري (حديث 2118).

(4) البخاري (حديث 7108)، ومسلم (2879).

(5) قال الحافظ في «الفتح» (241/4): (قال المهلب في هذا الحديث: أن من كثّر سواد قوم في المعصية مختاراً أن العقوبة تلزمه معهم. قال: واستنبط منه مالك عقوبة من يجالس شربة الخمر وإن لم يشرب، وتعقبه ابن المنير بأن العقوبة التي في الحديث هي الهجمة السماوية. فلا يقاس عليها العقوبات الشرعية، ويؤيده آخر الحديث حيث قال: «ويبعثون على نياتهم»، وفي هذا الحديث: أن الأعمال تعتبر بنية العامل، والتحذير من مصاحبة أهل الظلم ومجالستهم وتكثير سوادهم إلا لمن اضطر إلى ذلك، ويتردد النظر في مصاحبة التاجر لأهل الفتنة هل

وأخرج مسلم ⁽¹⁾ من حديث عائشة **ف** قال: عبث ⁽²⁾ رسول الله ﷺ في منامه، فقلنا: يا رسول الله، صنعت شيئاً في منامك لم تكن تفعله؟! فقال: «العجب، إن ناساً من أمتي يؤمنون بالبيت برجلٍ من قريشٍ قد لجأ بالبيت، حتى إذا كانوا بالبيداء خُسف بهم»، فقلنا: يا رسول الله؛ إن الطريق قد يجمع الناس؟ قال: «نعم، فيهم المستبصر ⁽³⁾ والمجبور ⁽⁴⁾ وابن السبيل ⁽⁵⁾، يهلكون مهلكاً واحداً، ويصدرون مصادر شتى، يبعثهم الله على نياتهم».

وأخرج البخاري ومسلم ⁽⁶⁾ من حديث زينب بنت جحش **ف** أن النبي

هي إعانة لهم على ظلمهم أو هي ضرورة من البشرية؟ ثم يعتبر عمل كل أحد بنيته، وعلى الثاني يدل ظاهر الحديث.

وقال ابن التين: (يحتمل أن يكون هذا الجيش الذي يخسف بهم هم الذين يهدمون الكعبة فينتقم منهم فيخسف بهم، وتعقب بأن في بعض طرقه عند مسلم: «إن ناساً من أمتي»، والذين يهدمونها من كفار الحبشة، وأيضاً فمقتضى كلامه: أنهم يخسف بهم بعد أن يهدموها ويرجعوا، وظاهر الخبر: أنه يخسف بهم قبل أن يصلوا إليها).

⁽¹⁾ مسلم (حديث 2884).

⁽²⁾ عبث: أي اضطرب بجسمه أو حرك أطرافه وهو نائم.

⁽³⁾ «المستبصر»: هو المستبين لذلك القاصد للمقاتلة.

⁽⁴⁾ «المجبور»: هو المكره.

⁽⁵⁾ «ابن السبيل»: المراد به هنا: سالك الطريق معهم وليس منهم.

قال النووي - رحمه الله -: (وفي هذا الحديث من الفقه: التباعد من أهل الظلم، والتحذير من

=

= مجالستهم، ومجالسة البغاة ونحوهم من المبطلين لئلا يناله ما يعاقبون به.

وفيه: أن من كثر سواد قوم جرى عليه حكمهم في ظاهر عقوبات الدنيا).

قال النووي: (وببداء المدينة): الشرف الذي فُدَّام ذي الحليفة، أي: إلى جهة مكة.

قلت: وقد تقدم أن البيداء هي كل أرض ملساء.

⁽⁶⁾ البخاري (حديث 7059)، ومسلم (حديث 2880)، ونقل النووي عن الجمهور تفسير

ﷺ استيقظ من نومه وهو يقول: «لا إله إلا الله. ويل للعرب من شر قد اقترب. فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه»، وعقد سفيان بيده عشرة.

قلت: يا رسول الله؛ أنهلك وفينا الصالحون؟! قال: «نعم، إذا كثّر الخبيث».

وعند مسلم من حديث عبد الله بن عمر **ف** قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا أراد الله بقوم عذابًا، أصاب العذاب من كان فيهم، ثم بعثوا على أعمالهم» **(1)**.

ثم إنا إذا نظرنا في أحوال أهل الشر عموماً، ومن ابتلي منهم بسجنٍ مُوحشٍ مُظلم، ومن ارتكب جريمة أو اقترف إثماً أو عقى والدًا أو والدَةً نجد من أعظم أسباب ما وقعوا فيه صديقاً شريراً مُفسداً، وقريناً من قرناء الشر والسوء.

ومن جالس أهل الريب والشر والفساد استجلب طعن الناس فيه وأثار الشكوك حول نفسه:

أخرج البخاري ومسلم **(2)** من حديث عتب بن مالك **ف** وهو من أصحاب النبي ﷺ، ممن شهد بدرًا، من الأنصار - أنه أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله؛ إني قد أنكرت بصري. وأنا أصلي لقومي. وإذا كانت الأمطار سال الوادي الذي بيني وبينهم. ولم أستطع أن آتي مسجدهم فأصلي لهم، وددت أنك يا رسول الله تأتي فتصلي في مصلى فاتخذة

(الخبث) في الحديث بالفسق والفجور.

(1) مسلم (حديث 2879).

(2) البخاري (حديث 1186)، ومسلم (حديث 33).

مصلّى. قال: فقال رسول الله ﷺ: «سأفعل إن شاء الله».

قال عتبان: فغدا رسول الله ﷺ وأبو بكر الصديق حين ارتفع النهار. فاستأذن رسول الله ﷺ. فأذنت له. فلم يجلس حتى دخل البيت. ثم قال: «أين تحب أن أصلي من بيتك؟» قال: فأشرت إلى ناحية من البيت. فقام رسول الله ﷺ فكبر. فقمنا وراءه فصلّى ركعتين ثم سلم. قال وحبسناه على خزير (1) صنعناه له قال: فثاب رجالاً من أهل الدار (2) حولنا. حتى اجتمع في البيت رجالٌ ذوو عددٍ. فقال قائلٌ منهم: أين مالك بن الدُحْشَن؟ فقال بعضهم: ذلك منافقٌ لا يحب الله ورسوله. فقال رسول الله ﷺ: «لا تقل له ذلك ألا تراه قد قال: لا إله إلا الله يريدُ بذلك وجه الله»، قال: قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فإنما نرى وجهه ونصيحته للمنافقين. قال: فقال رسول الله ﷺ: «فإن الله قد حرم على النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله».

وقد سنّ لنا أن ندفع الشبه والشكوك عن أنفسنا، ومن جالس أهل الشر والفساد لم يدفع الشبهة عن نفسه:

* أخرج البخاري ومسلم (3) من حديث صفية بنت حيي **ف** قالت: كان النبي ﷺ معتكفاً. فأتيته أزوره ليلاً. فحدثته، ثم قمت لأنقلب، فقام معي ليقلبنى وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد. فمر رجلان من الأنصار. فلما رأيا النبي ﷺ أسرعا. فقال النبي ﷺ: «على رسلكما إنها صفية بنت حيي»، فقالا: سبحان الله يا رسول الله! قال: «إن الشيطان

(1) الخزير: لحم يقطع قطعاً صغيرة ثم يصب عليه ماء كثير فإذا نضج دُرُّ عليه دقيق.

(2) ثاب: أي اجتمع.

(3) البخاري (حديث 3281)، ومسلم (حديث 2175).

يجري من الإنسان مجرى الدم، وإني خشيتُ أن يقذف في قلوبكما شرًّا»
أو قال: «شيئاً».

* وعند مسلم (1) من حديث أنس؛ أن النبي ﷺ كان مع إحدى نسائه فمر به رجلٌ فدعاه. فجاء. فقال: «يا فلان! هذه زوجتي فلانة»، فقال: يا رسول الله! من كنت أظن به، فلم أكن أظن بك. فقال رسول الله ﷺ: «إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم».

ومجالسة الأشرار تحمل على المنافسة في الشر.

وجليس السوء يقابلك بوجهه، ومن خلفك بوجه آخر، يثني عليك في وجهك، ويطعن فيك من خلفك:

وفيه قول رسول الله ﷺ: «تجدون من شرِّ الناس ذا الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجهه، وهؤلاء بوجهه» أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما (2) من حديث أبي هريرة **ف** مرفوعاً.

* **وقد قال تعالى:** ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾

[آل عمران: ١٠٥]

* **وقال سبحانه:** ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ **[البقرة: ١٤]**.

وصديق السوء يخلفك في أهلك بشرٍ وسوء.

ومجالسة الشريرين تحمل على التشبه بهم وتقليدهم في هديهم وعملهم:

(1) مسلم (حديث 2174).

(2) البخاري (حديث 3493)، ومسلم (2526).

ومن ثمَّ تقود هذه المشابهة إلى موافقة أخلاقهم وموافقتهم في معتقدهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية \$ في كتابه «اقتضاء الصراط المستقيم»:

إن المشاركة في الهدي الظاهر تورث تناسبًا وتشاكلاً بين المتشابهين، يقود إلى موافقة ما في الأخلاق والأعمال. وهذا أمر محسوس، فإن اللابس ثياب أهل العلم يجد من نفسه نوع انضمام إليهم، واللابس لثياب الجند المقاتلة - مثلاً - يجد من نفسه نوع تخلق بأخلاقهم، ويصير طبعه متقاضياً لذلك، إلا أن يمنعه مانع.

وقال شيخ الإسلام أيضاً⁽¹⁾:

وذلك أن الله تعالى جبل بني آدم - بل سائر المخلوقات، على التفاعل بين الشيين المتشابهين، وكلما كانت المشابهة أكثر كان التفاعل في الأخلاق والصفات أتم، حتى يؤول الأمر إلى أن لا يتميز أحدهما عن الآخر إلا بالعين فقط.

ولما كان بين الإنسان وبين الإنسان مشاركة في الجنس الخاص، كان التفاعل فيه أشد، ثم بينه وبين سائر الحيوان مشاركة في الجنس المتوسط فلا بد من نوع تفاعل بقدره، ثم بينه وبين النبات مشاركة الجنس البعيد مثلاً، فلا بد من نوع ما من المفاعلة.

ولأجل هذا الأصل وقع التأثير والتأثير في بني آدم، واكتساب بعضهم أخلاق بعض بالمعاشرة والمشاكله. وكذلك: الأدمي إذا عاش نوعاً من الحيوان اكتسب بعض أخلاقه، ولهذا صار الخيلاء والفخر في أهل

(1) «اقتضاء الصراط المستقيم» ص 487 فما بعدها.

الإبل، وصارت السكينة في أهل الغنم، وصار الجمّالون والبغّالون فيهم أخلاق مذمومة من أخلاق الجمال والبغال، وكذلك الكلابون، وصار الحيوان الإنسي، فيه بعض أخلاق الناس من المعاشرة والمؤالفة وقلة النفرة.

فالمشابهة والمشكلة في الأمور الظاهرة، توجب مشابهة ومشكلة في الأمور الباطنة على وجه المسارقة والتدريج الخفي. وقد رأينا اليهود والنصارى الذين عاشروا المسلمين. هم أقل كفرًا من غيرهم، كما رأينا المسلمين الذين أكثروا من معاشرة اليهود والنصارى، هم أقل إيمانًا من غيرهم ممن جرد الإسلام. والمشاركة في الهدى الظاهر توجب أيضًا مناسبة وائتلافًا.

وإن بُعد المكان والزمان فهذا أيضًا أمر محسوس؛ فمشابهتم في أعيادهم- ولو بالقليل - وهو سبب لنوع ما من اكتساب أخلاقهم التي هي ملعونة، وما كان مظنة لفساد خفي غير منضبط علق الحكم به، وأدير التحريم عليه، فنقول: مشابهتم في الظاهر سبب ومظنة لمشابهتم في عين الأخلاق والأفعال المذمومة. بل في نفس الاعتقادات وتأثير ذلك لا يظهر ولا ينضبط، ونفس الفساد الحاصل من المشابهة قد لا يظهر ولا ينضبط، وقد يتعسر أو يتعذر زواله بعد حصوله، لو تفطن له، وكل ما كان سببًا إلى مثل هذا الفساد فإن الشارع يحرمه، كما دلت عليه الأصول المقررة.

وقال شيخ الإسلام أيضًا:

إن المشابهة في الظاهر تورث نوع مودة ومحبة، وموالة في

الباطن، كما أن المحبة في الباطن تورث المشابهة في الظاهر، وهذا أمر يشهد به الحس والتجربة، حتى إن الرجلين إذا كانا من بلد واحد، ثم اجتمعا في دار غربة، كان بينهما من المودة والائتلاف أمر عظيم، وإن كانا في مصرهما لم يكونا متعارفين، أو كانا متهاجرين.

وذلك لأن الاشتراك في البلد نوع وصف اختصا به عن بلد الغربة، بل لو اجتمع رجلان في سفر، أو بلد غريب، وكانت بينهما مشابهة في العمامة أو الثياب، أو الشعر، أو المركوب ونحو ذلك - لكان بينهما من الائتلاف أكثر مما بين غيرهما. وكذلك تجد أرباب الصناعات الدنيوية يألف بعضهم بعضاً، ما لا يألفون غيرهم، حتى إن ذلك يكون مع المعادة والمحاربة: إما على الملك وإما على الدين.

وتجد الملوك ونحوهم من الرؤساء - وإن تباعدت ديارهم وممالكهم - بينهم مناسبة تورث مشابهة ورعاية من بعضهم لبعض. وهذا كله موجب الطباع ومقتضاه. إلا أن يمنع من ذلك دين أو غرض خاص.

وبمجالسة السيئين والأشرار تستقل أعمالك السيئة وتتجراً على

المعاصي والكبائر:

فإذا تناول شخص سيجارة فإنه قد يحزن ويتألم لكونه وسط قوم من أهل الصلاح لا يقتربون من تلك السجائر، بل ويتأذون برائحها، أما إذا جالس قومًا يشربون الخمر فإنه يستقل تناول السجائر بالنسبة لصنيعهم.

* وكذا إذا قبل رجل امرأة لا تحل له فإنه يندم ويستغفر، أما إذا جالس قومًا من الزناة واستمع إلى قصصهم وما يفعلون فإنه يستقل ما صنع بالنسبة لصنيعهم.

* ولذلك ففي «الصحيح» (1) عن حذيفة ق قال: «إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر إن كنا لنعدها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات».

ولذا فإن من سلبيات السفر إلى بلاد الكفار أن الذهاب إليها إذا رجع إلى بلده ووجد منكرات في بلدته المسلمة فإنه يستقل ما يحدث في بلاده من منكرات بالنسبة إلى ما رآه من منكر في بلاد الكفر ومن ثم يقل عنده وازع الإنكار ويضعف فيه وازع التغيير والإصلاح.

وجليس السوء يُذكرك بالمعاصي، وبواطن السوء:

ويعرفك بالأشرار المفسدين ويضيع أوقاتك في الباطل ويشغلك عن ذكر الله وعن الصلاة.

وجليس السوء يحسدك على ما آتاك الله من الفضل ويتمنى زوال نعم الله عنك، بل ويسعى لذلك.

ومن أحب أهل الكفر والفسوق والعصيان حُشر معهم:

فكما قدمنا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «المرء مع من أحب» (2).

والمجادلة عن جلساء السوء ذنبٌ يستغفر منه:

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ۝١٠٥ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ۝١٠٦ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَافًا أَثِيمًا ۝١٠٧ يَسْتَحْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ۝١٠٨﴾

(1) البخاري (حديث 6494).

(2) صحيح، وسيأتي تخريجه إن شاء الله.

هَتَأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَدِلِ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١١٩﴾ ﴿النساء: ١١٩﴾.

وقد ورد لهذه الآيات أسباب نزول ضعيفة الأسانيد نذكر منها فقط:

* ما أخرجه الطبري ⁽¹⁾ من طريق قتادة بن النعمان قال: كان أهل بيت منا يقال لهم بنو أبيرق: بشر، وبشِير، ومُبَشِّر، وكان بشير رجلاً منافقاً، وكان يقول الشعر يهجو به أصحاب رسول الله ﷺ، ثم ينحله إلى بعض العرب، ثم يقول: «قال فلان كذا»، و«قال فلان كذا»، فإذا سمع أصحاب رسول الله ﷺ ذلك الشعر قالوا: والله ما يقول هذا الشعر إلا الخبيث! فقال:

أو كلما قال الرجال قصيدة أضمو وقالوا: ابن الأبيرق قالها؟!

قال: وكانوا أهل بيت فاقة وحاجة في الجاهلية والإسلام، وكان الناس إنما طعامهم بالمدينة التمر والشعير، وكان الرجل إذا كان له يسار، فقدمت ضافطة من الشام بالدرمك، ابتاع الرجل منها فخصَّ به نفسه، فأما العيال، فإنما طعامهم التمر والشعير. فقدمت ضافطة من الشام، فابتاع عمي رفاعة بن زيد حملاً من الدرمنك، فجعله في مشربة له، وفي المشربة سلاح له: درعان وسيفاهما وما يصلحهما. فعُدِّي عليه من تحت الليل، فنقبت المشربة، وأخذ الطعام والسلاح. فلما أصبح، أتاني عمي رفاعة فقال: يا ابن أخي، تعلم أنه قد عدي علينا في ليلتنا هذه، فنقبت مشربتنا، فذهب بسلاحنا وطعامنا! قال: فتحسَّسنا في الدار، وسألنا، فقليل

(1) الطبري (10416) وفي سنده محمد بن إسحاق مدلسٌ وقد عنعن، وفيه أيضاً عمر بن قتادة قال الحافظ فيه: مقبول.

لنا: قد رأينا بني أبيرق استوقدوا في هذه الليلة، ولا نرى فيما نراه إلا على بعض طعامكم.

قال: وقد كان بنو أبيرق قالوا ونحن نسأل في الدار: والله ما نرى صاحبكم إلا لييد بن سهل! رجلاً منا له صلاح وإسلام.

فلما سمع بذلك لييد، اخترط سيفه ثم أتى بني أبيرق فقال: والله ليخالطنكم هذا السيف، أو لتبينن هذه السرقة. قالوا: إليك عَنَّا أيها الرجل فوالله ما أنت بصاحبها! فسألنا في الدار حتى لم نشك أنهم أصحابها، فقال عمي: يا ابن أخي، لو أتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له!

قال قتادة: فأتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له فقلت: يا رسول الله، إن أهل بيت منا أهل جفاء، عَمَدُوا إلى عمي رفاعة فنقبوا مشربة له، وأخذوا سلاحه وطعامه، فليردّوا علينا سلاحنا، فأما الطعام فلا حاجة لنا فيه، فقال رسول الله ﷺ: «أَنْظُرْ فِي ذَلِكَ».

فلما سمع بذلك بنو أبيرق، أتوا رجلاً منهم يقال له: «أسير بن عروة»، فكلّموه في ذلك، واجتمع إليه ناس من أهل الدار، فأتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، إن قتادة بن النعمان وعمه عمدوا إلى أهل بيت منا أهل إسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة من غير بَيِّنَةٍ ولا ثَبَتٍ.

قال قتادة: فأتيت رسول الله ﷺ فكلّمته، فقال: «أَعَدْتِ إِلَى أَهْلِ بَيْتِ ذَكَرَ مِنْهُمْ إِسْلَامَ وَصَلَاحَ، تَرْمِيهِمْ بِالسَّرْقَةِ عَلَى غَيْرِ بَيِّنَةٍ وَلَا ثَبَتٍ؟!» قال: فرجعت ولوددتُ أَنِّي خرجت من بعض مالي ولم أَكَلِمِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي ذَلِكَ. فأتيت عمي رفاعة، فقال: يا ابن أخي، ما صنعت؟ فأخبرته بما قال لي رسول الله ﷺ، فقال: الله المستعان.

فلم نلبث أن نزل القرآن: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ١٠٥﴾ يعني: بني أبيرق ﴿وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ ١٠٦﴾ أي: مما قلت لقتادة: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا ١٠٧﴾ ولا تجادل عن الذين يحتلون أنفسهم ﴿أَي: بني أبيرق﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَانًا أَثِيمًا ١٠٨﴾ يستحقون من الناس إلى قوله: ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهُ يَجِدِ اللَّهَ عَفُورًا رَحِيمًا ١٠٩﴾ أي: إنهم إن يستغفروا الله يغفر لهم ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ ١١٠﴾ وكان الله عليماً حكيماً ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرَوْهَا بَرِيًّا فَقَدْ آخَضَ اللَّهُ إِثْمَهُ مِنْهَا وَإِنَّمَا يُغْنِي عَنْهُ الْبِرُّ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ ١١١﴾ يعني: أسيراً وأصحابه ﴿وَمَا يُضِلُّوكَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ ١١٢﴾ وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة إلى قوله: ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ١١٣﴾ **[النساء: ١١٤]**.

فلما نزل القرآن، أتى رسول الله ﷺ بالسلاح فردّه إلى رفاعة.

قال قتادة: فلما أتيت عمي بالسلاح، وكان شيخاً قد عسا في الجاهلية، وكنت أرى إسلامه مدخولاً، فلما أتيت به بالسلاح قال: يا ابن أخي، هو في سبيل الله، قال: فعرفت أن إسلامه كان صحيحاً. فلما نزل القرآن، لحق بشير بالمشركين، فنزل على سلافة ابنة سعد بن شهيد، فأنزل الله فيه: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ ١١٤﴾ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ١١٦﴾ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ١١٧﴾ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ١١٨﴾ **[النساء: ١١٩]**.

فلما نزل على سلافة، رماها حسان بن ثابت بأبيات من شعر، فأخذت رحله فوضعت على رأسها، ثم خرجت فرمت به في الإبطح، ثم قالت: أهديت إليّ شعر حسان! ما كنت تأتيني بخير!

والمعرض عن الأصدقاء الصالحين تستهويه الشياطين وتحيط به وبمجلسه:

قال تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أَيْنَمَا قُلُوا لَهُدًى اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمَرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ **[الأنعام: ٧١].**

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تُوْزِعُهُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨٣﴾﴾ **[مريم: ٨٣] أي** تدفعهم إلى المعاصي دفعًا وتسوقهم إليها سوقًا.

وعداوة أهل الشر وجلساء السوء لبعضهم ثابتة يوم يقوم الأشهاد:

وقد قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ **[الزخرف: ٦٧].**

*** ويقول الله ٥ في كتابه الكريم:** ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ **[الأحزاب: ٦٧-٦٨].**

*** وقال تعالى:** ﴿وَإِذْ يَتَحَابُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّكَ اللَّهُ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾﴾ **[غافر: ٤٧-٤٨].**

*** وقال تعالى:** ﴿فَكَبِّكُوا فِيهَا هُمْ وَالْفَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودٌ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِنَّ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ **[الشعراء: ٩٤-١٠١].**

وجلس السوء يتخلى عن صديقه يوم الحساب:

قال أهل الكفر: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾.

ومع أن الكافر يرى صديقه يوم القيامة لكن لا يملك له نصرًا، قال

تعالى: ﴿وَلَا يَسْتَلْ حِمِيمٌ حَمِيمًا ۝١٠ يَبْصُرُونَهُ﴾ [المعارج: ١٠].

أي مع أن الحميم يرى حميمه يوم القيامة ويبصره ويعرفه لكنه لا يسأله شيئاً إذ هو يعلم مسبقاً ما الجواب.

وأصدقاء السوء يتلاعنون في الآخرة:

قال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا آدَرَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَبْنَاهُمْ لِأُولَئِهِمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِنَاهُمْ عَذَابًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٨].

وهذه مجالس أيضاً ينبغي أن تتقى وتعتزل:

مجالس الباطل والشرك والزور والبهتان:

قال تعالى في شأن أهل الإيمان: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾

[المؤمنون: ٣].

وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَمٌ

عَلَيْكُمْ لَا نَبْنِئُ الْجَهْلِينَ ۝٥٥﴾ [الفصص: ٥٥].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ۝٧٢﴾ [الفرقان: ٧٢].

وقد قال تعالى في شأن عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾.

[الفرقان: ٧٢]

في أحد الوجوه للمفسرين: لا يحضرون مجالس الشرك.

* فتلك المجالس التي يُشرك فيها بالله ٥، ويُدعى فيها غيره ويُعبد فيها من سواه، ويُطلب المدد والعون والغوث من غير الله، تلك مجالس يجب اعتزالها والبعد عنها، فلا يحل لأحد أن يجلس فيها إلا كمذكر يذكر ببطلانها، ويذكر بحقوق الله - سبحانه وتعالى - ويحذر من الشرك به وتجاوز حدوده وانتهاك حرّماته.

إن النبي ﷺ أتاه رجلٌ فقال: يا رسول الله إني نذرت أن أنحر إبلاً ببوانة، فقال النبي ﷺ: «هل كان فيها وثنٌ من أوثان الجاهلية يعبد؟» قالوا: لا، قال: «هل كان فيها عيدٌ من أعيادهم؟»، قالوا: لا، قال رسول الله ﷺ: «أوف بنذك، فإنه لا وفاء لنذرٍ في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم» (1).

وكذا فلتتق مجالس البدع والخرافات والإحداث في الدين، وكذا مجالس الإثم والفسوق والعصيان:

تلك المجالس التي تُشرب فيها الخمر وتُنْتَهك فيها الأعراض، ويُستطال فيها على العباد فلا شك أن الجلوس في تلك المجالس لا يأتي بخير، فترى فيها ما يسوؤك وتسمع فيها ما لا يسرُّك.

وكذا فلتتق مجالس المعازف والمزامير التي استحلها أقوام، ومجالس الغيبة والنميمة؛ تلك المجالس التي تؤكل فيها لحوم الميتة وتُلْتَمِمْ فيها الجيف، وقد علم أهلها قول ربهم سبحانه: ﴿يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢].

وكذا مواطن الفتن كالمسارح والملاهي والسينمات، وتلكم التجمعات التي تكتظ بالشر وتمتلئ بالمنكرات والموبقات، وتثمر ثمرًا خبيثًا في القلب والفؤاد، وتلوث الأسماع والأبصار.

وكذا فلتتق مجالس الجدل الذي لا فائدة فيه ولا طائل تحته:

وتلك المجالس التي يضيع أهلها أئمن وأغلى أوقاتهم سفاسف الأمور

(1) أبو داود (حديث 3313) وسنده صحيح وله شواهد. انظر سنن أبي داود (3314)، (3315)، وابن ماجه (2131).

كمن يشجعون الكرة ويجادلون عن فريقٍ من الفرق ويخرجون من ذلك بصدورٍ موغرةٍ، وقلوب قلقة مضطربة وعداوات لا سبب لها ولا حامل عليها إلا الطيش وخفة العقل وانهزام النفس واستزلال الشيطان.

ولتتقِ مجالس المترفي الفسقة، تلکم المجالس التي تورث الکبر والغرور وتحمل على الفسق والطغيان:

وتجعل الشخص دائم التطلع إلى ما في أيديهم - ومن ثم لا يقدم شكرًا لخالقه وبارئه ورازقه.

وأی شخصٍ يصرف عن طاعة الله ٥، وكذا أي مكان يصرف عن ذلك ينبغي أن يُهجر، وأن يُتقى ويبتعد عنه:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَعْبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنِ ارَضَىٰ وَسِيعَةٌ فَاِتَيْنِي فَأَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) **كل نفس ذائقة الموت ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ [العنكبوت: ٥٦-٥٧].**

فذكر الله سبحانه وتعالى بالموت حتى يهون فراق موطن المعصية وجليس السوء على كل عبدٍ مسلمٍ مؤمنٍ.

وكذا فلتتقِ المجالس التي يُثار فيها كلامٌ لا فائدة فيها:

فإن النبي ﷺ قد قال: «إن الله كره لكم قيل وقال وكثرة السؤال...» (1)

وقال عليه الصلاة والسلام كذلك: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت» (2).

وقد قال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ

(1) أخرجه البخاري (7292)، ومسلم (593، 1341).

(2) البخاري (حديث 6475)، ومسلم (حديث 47) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

إِصْلَاحَ بَيْتِ النَّاسِ ﴿النساء: ١١٤﴾.

وقال ﷺ: «من صمت نجا» (1).

وقال عليه الصلاة والسلام: «وهل يكبُّ الناس على وجوههم في النار إلا حصائد ألسنتهم» (2).



(1) حسن: أخرجه عبد بن حميد في «المنتخب» بتحقيقي (345)، وأحمد (158/3، 177).

(2) صحيح لشواهده: أخرجه الترمذي (2616)، وانظر شاهده عند الحاكم (286/4).

س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ

مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - وقال الرسول ﷺ شاكيًا إلى ربه ٥ صنيع المشركين وهجرانهم القرآن، ووصفهم له بأنه سحرٌ وكهانة وشعر وأساطير الأولين، وكذلك هجرهم لهم بتركهم الإيمان به والإنصات إليه، بل واستمرارهم في التشويش عليه إذ الله قال: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْفِ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: ٢٤]، وكذا هجروه بتكذيبه وتركه، قال الرسول شاكيًا كل ذلك يا رب ﴿إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٢].

وهذا على وصف الهجران بالذي ذكرت، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن قول الرسول ﷺ إنما هو في الآخرة، يشهد على وقومه بأنهم هجروا القرآن، وقال آخرون - وهم الأكثر: إن ذلك في الدنيا، ولا يمنع أن يكون في الآخرة كذلك لقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ ﴿٤١﴾ [النساء: ٤١]، أما قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾، فهو تصبير للنبي ﷺ، وتسليّة له فإن كنت كذبت يا رسول الله، فإخوانك المرسلون كذبوا هم الآخرون فاصبر كما صبروا، فلكل نبي عدو من المجرمين.

أما قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ ﴿٣١﴾ أي: صبرًا فإن الله خير ناصرٍ وكفى به هاديًا ونصيرًا، فإن هداك فلا مضل لك، والحمد لله فإنه ٥ قد هداك، وإن نصرك فلا غالب لك والحمد لله فقد نصرك ربك ٥. والله أعلم.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: وقال الرسول يوم يعرض الظالم على يديه: يا رب إن قومي الذين بعثتني إليهم لأدعوهم إلى توحيدك اتخذوا هذا القرآن مهجورًا.

واختلف أهل التأويل في معنى اتخاذهم القرآن مهجورًا، فقال بعضهم: كان اتخاذهم ذلك هجرًا، قولهم فيه السيئ من القول، وزعمهم أنه سحر، وأنه شعر.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: الخبر عن المشركين أنهم هجروا القرآن وأعرضوا عنه ولم يسمعوا له.

ذكر من قال ذلك:

ابن زيد في قول الله: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ (٣٠) لا يريدون أن يسمعوه، وإن دعوا إلى الله قالوا لا. وقرأ ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٦٦] قال: ينهون عنه، ويبعدون عنه.

قال أبو جعفر: وهذا القول أولى بتأويل ذلك، وذلك أن الله أخبر عنهم أنهم قالوا: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾ [فصلت: ٢٤]، وذلك هجرهم إياه.

وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وكما جعلنا لك يا محمد أعداء من مشركي قومك، كذلك جعلنا لكل من نبأناه من قبلك عدوًّا من مشركي قومه، فلم تخصص بذلك من بينهم. يقول: فاصبر لما نالك منهم كما صبر من قبلك أولو العزم من رسلنا.

وقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًّا وَنَصِيرًا﴾ (٣١) يقول تعالى ذكره لنبيه: وكفاك يا

محمد بربك هادياً يهديك إلى الحق، ويبصرك الرشد، ونصيراً: يقول: ناصرًا لك على أعدائك، يقول: فلا يهولنك أعداؤك من المشركين، فإني ناصرٌك عليهم، فاصبر لأمرى، وامض لتبليغ رسالتى إليهم.

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ﴾ يريد محمدًا ﷺ يشكوهم إلى الله تعالى ﴿إِنْ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ (٣٠) أي: قالوا فيه غير الحق من أنه سحر وشعر عن مجاهد.

والنخعي وقيل: معنى ﴿مَهْجُورًا﴾ (٣٠) أي: متروكًا فعزاه الله تبارك وتعالى وسلاه بقوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي كما جعلنا لك يا محمد عدوًّا من مشركي قومك وهو أبو جهل في قول ابن عباس فكذلك جعلنا لكل نبي عدوًّا من مشركي قومه فاصبر لأمرى كما صبروا فإني هاديك وناصرك على كل من ناوأك وقد قيل: إن قول الرسول ﴿يَرَبِّ﴾ إنما يقوله يوم القيامة أي هجروا.

وقال الحافظ ابن كثير \$:

يقول تعالى مخبرًا عن رسوله ونبيه محمد -صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين - أنه قال: ﴿يَرَبِّ إِنْ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ (٣٠)، وذلك أن المشركين كانوا لا يُصْغُونَ للقرآن ولا يسمعون، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٣١) [فصلت: ٤١]، وكانوا إذا تلى عليهم القرآن أكثروا اللغط والكلام في غيره، حتى لا يسمعه. فهذا من هجرانه، وترك علمه وحفظه أيضاً من هجرانه، وترك الإيمان به وتصديقه من هجرانه، وترك تدبره وتفهمه من هجرانه،

وترك العمل به وامتنال أوامره واجتناب زواجره من هجرانه، والعدول عنه إلى غيره -من شعر أو قول أو غناء أو لهو أو كلام أو طريقة مأخوذة من غيره -من هجرانه، فنسأل الله الكريم المنان القادر على ما يشاء، أن يخلصنا مما يُسخطه، ويستعملنا فيما يرضيه من حفظ كتابه وفهمه، والقيام بمقتضاه آناء الليل وأطراف النهار، على الوجه الذي يحبه ويرضاه، إنه كريم وهاب.

وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: كما حصل لك -يا محمد - في قومك من الذين هجروا القرآن، كذلك كان في الأمم الماضية؛ لأن الله جعل لكل نبي عدوا من المجرمين، يدعون الناس إلى ضلالهم وكفرهم، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ وَلِنَصْغِي إِلَيْهِ أَفَعِدَّةَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾ (١١٢) **[الأنعام: ٣٣-٣٤]؛** ولهذا قال هاهنا: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ (٣١) أي: لمن اتبع رسوله، وأمن بكتابه وصدقه واتبعه، فإن الله هاديه وناصره في الدنيا والآخرة. وإنما قال: ﴿هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ (٣١) لأن المشركين كانوا يصدون الناس عن اتباع القرآن؛ لئلا يهتدي أحد به، ولتغلب طريقتهم طريقة القرآن؛ فلهذا قال: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ وكفىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾.



قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ۝٣٢ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ۝٣٣﴾ الَّذِينَ يُخَشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ۝٣٤ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ۝٣٥ فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمْزَلْنَهُمْ تَدْمِيرًا ۝٣٦ وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً ۝٣٧ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۝٣٨ وَكُلًّا ضَرَبْنَاهُ الْأَمْثَلُ ۝٣٩ وَلَقَدْ آتَيْنَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرَ السَّوْءِ أَفْكَمَ يَكُونُوا يَكُونُهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ۝٤٠ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَخْذُونَكَ إِلَّا هُزُورًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ۝٤١ إِن كَادَ لِيُضِلَّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حَيْثُ يَرُونَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ۝٤٢ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۝٤٣ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِن هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ۝٤٤﴾ [الفرقان: 32-44].

س: وضع معنى ما يلي:

- ﴿لَنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ - وَرَئَيْنَاهُ تَرْثِيلاً - بِمَثَلٍ - وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا - يُحْشَرُونَ - وَأَضَلُّ سَبِيلًا -
 الْكِتَابَ - وَزِيرًا - وَأَصْحَابَ الرَّسِّ - تَبَرَّنَا تَنْبِيرًا - أَنَوَّا عَلَى الْقَرْيَةِ - مَطَرُ السَّوَاءِ - لَا يَرْجُونَ ثَشُورًا -
 هُزُوا - لِيُضِلُّنَا - صَبَرْنَا عَلَيْهَا - إِلَهَهُ - هَوْنَهُ - وَكَيْلًا﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿لَنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾	لنقوي به قلبك - لنقوي به عزيمتك - لنزيدك به طمأنينةً
﴿وَرَئَيْنَاهُ تَرْثِيلاً﴾	بَيَّنَّاهُ تَبْيِينًا - فسرناه تَفْسِيرًا - أنزلناه مترسلًا شيئًا بعد شيء
﴿بِمَثَلٍ﴾	بقولٍ معارض لما تقوله بمثل يمثلون به حتى يردوا ما جئتهم
﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾	أحسن تفصيلًا وبيانًا
﴿يُحْشَرُونَ﴾	يجمعون يوم القيامة
﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾	أشد ابتعادًا عن طريق الحق والصواب
﴿الْكِتَابَ﴾	المراد به هنا التوراة
﴿وَزِيرًا﴾	معيًا - ظهيرًا
﴿وَأَصْحَابَ الرَّسِّ﴾	قيل: إنهم أهل قرية يقال لها الرس - وقيل: أصحاب بئر، وهي الرس
﴿تَبَرَّنَا تَنْبِيرًا﴾	دمرنا تدميرًا - أهلكنا إهلاكًا

﴿أَتَوَا عَلَى الْقَرْيَةِ﴾	مروا على القرية، والمراد قرية قوم لوط التي أهلكها الله بالحجارة وهي (سدوم)
﴿مَطَرِ السَّوَّى﴾	المطر السيئ وهو الحجارة التي أرسلت عليهم (حجارة من سجل منضود)
﴿لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾	لا يخافون بعثاً من القبور - ولا يخافون الحساب يوم البعث
﴿هَزُوا﴾	استهزاء وسخرية وازدراء
﴿لِيُضِلَّنَا﴾	ليصرفنا
﴿صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾	تمسكنا بها وثبتنا عليها
﴿إِلَهِهُ﴾	معبوده
﴿هُوَ﴾	شهوته ومراده وما يهواه
﴿وَكَيْلًا﴾	موكلاً به تهديه (بعد أن أضله الله) وتحفظه بعد أن أزاغه الله



اعتراض الكفار على نزول القرآن مفرقا والرد عليهم

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾

كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾

ج: المعنى - والله أعلم -: وقال أهل الكفر (من أهل الشرك بمكة وكذا اليهود وغيرهم) لولا أنزل على محمد ﷺ القرآن جملة واحدة كما أنزلت الألواح على موسى **ع**، فقل لهؤلاء هكذا أنزلناه مفرقا منجما

بحسب الوقائع (على مدار ثلاث وعشرين سنة) لنطمئن به قلبك، فإذا حدثت نازلة ونزل فيها قرآن يُتلى اطمأن قلبك وقلب من اتبعوك، فتردن أن الله يدافع عنكم وتعلمون ذلك وتعلمون أن الله يبين لكم وينزل من القرآن ما هو شفاءٌ ورحمة لما في قلوبكم وصدوركم وفسرناه تفسيراً وبيّناه تبییناً وأنزلناه مترسلاً شيئاً بعد شيء.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ﴾ يقول: هلا نزل على محمد ﷺ القرآن ﴿جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ كما أنزلت التوراة على موسى جملة واحدة؟ قال الله: ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ تنزيله عليك الآية بعد الآية، والشيء بعد الشيء؛ لنثبت به فؤادك نزلناه.

ويعني بقوله: ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ لنصح به عزيمة قلبك ويقين نفسك، ونشجعك به.

وقوله: ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ يقول: وشيئاً بعد شيء علمناكه حتى تحفظنه، والترتيل في القراءة: الترسل والتثبث.

وقال الطبري \$:

وقال آخرون: معنى الترتيل: التفسير والتبيين.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ قال: فسرناه تفسيراً، وقرأ: ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ [المزمل: ٤].



س: كيف الجمع بين قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (١)، ونحو قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَرَّكَةٍ...﴾، وبين قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً...﴾ فمفادها أنه نزل مفرداً وهو الواقع.

ج: الجمع - والله أعلم - بأن يقال إن ابتداء نزوله كان في ليلة القدر، تلك الليلة المباركة، ثم نزل شيئاً بعد شيء هذا وجه، والوجه الثاني: أن يُقال إن القرآن نزل من عند الله إلى سماء الدنيا كله جملة واحدة في ليلة القدر، ثم نزل من سماء الدنيا على رسول الله ﷺ على مدار ثلاث وعشرين سنة، والله أعلم.

وقال الحافظ ابن كثير \$:

يقول تعالى مخبراً عن كثرة اعتراض الكفار وتعتهم، وكلامهم فيما لا يعنيه؛ حيث قالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ أي: هلا أنزل عليه هذا الكتاب الذي أوحى إليه جملة واحدة، كما نزلت الكتب قبله، كالتوراة والإنجيل والزمور، وغيرها من الكتب الإلهية. فأجابهم الله عن ذلك بأنه إنما أنزل منجماً في ثلاث وعشرين سنة بحسب الوقائع والحوادث، وما يحتاج إليه من الأحكام لتنشيط قلوب المؤمنين به كما قال: ﴿وَقَرَأْنَا لَهُ الْفُرْقَانَ﴾ على الناس على مكثٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلاً ﴿[الإسراء: ١٠٦]؛ ولهذا قال: ﴿لَنُنَبِّئَنَّ بِهِ قُودَاكَ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلاً﴾. قال قتادة: وبيناه تبييناً. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: وفسرناه تفسيراً.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتِيَنَّكَ بِشَيْءٍ الْإِغْتِنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَقْسِيرًا﴾

﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ سَرُّ مَكَانًا وَأَصْلُ سَبِيلًا﴾ (٣٤).

ج: المعنى - والله أعلم -: ولا يأتيك أهل الكفر بمثل من أمثلتهم كي

يطعنون به فيك وفي القرآن الذي أنزلته عليك إلا أنزلنا عليك بعد مثالهم هذا قرآنًا يُتلى فيه الحق والوضوح والسياق الأحسن والرد الأمثل على ما جاءوك به، أما قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (٣٤) فحاصل معناه: أن هؤلاء الذين يعارضون القرآن ويأتون بالأمثال الباطلة هم الضلال حقًا، هؤلاء الذين يعارضون القرآن ويأتون بأمثال باطلة لرده وتكذيبه، يُحشرون يوم القيامة إلى النار على وجوههم، وينزلون أسوأ المنازل يوم القيامة، ألا وهو نار جهنم والعياذ بالله، فقد كانوا في الدنيا أضل الخلق عن طريق الحق والصواب. والله أعلم.

وبنحوه قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: ولا يأتيتك يا محمد هؤلاء المشركون بمثل يضربونه إلا جئناك من الحق، بما نبطل به ما جاءوا به، وأحسن منه تفسيرًا.

وقال: وعني بقوله: ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ (٣٣) وأحسن مما جاءوا به من المثل بيانًا وتفصيلًا.

ثم قال الطبري \$:

وقوله: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه: هؤلاء المشركون يا محمد، القائلون لك ﴿لَوْلَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ ومن كان على مثل الذي هم عليه من الكفر بالله، الذين يحشرون يوم القيامة على وجوههم إلى جهنم، فيساقون إلى جهنم شر مستقر في الدنيا والآخرة من أهل الجنة في الجنة، وأضل منهم في الدنيا طريقًا.

وقال الحافظ ابن كثير \$:

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ أي: بحجة وشبهة ﴿إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَاحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ (٣٣) أي: ولا يقولون قولاً يعارضون به الحق، إلا أجبناهم بما هو الحق في نفس الأمر، وأبين وأوضح وأفصح من مقالتهن.

قال سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ أي: بما يلتمسون به عيب القرآن والرسول ﴿إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَاحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ (٣٣) أي: إلا نزل جبريل من الله بجوابهم.

ثم في هذا اعتناء كبير؛ لشرف الرسول ﷺ حيث كان يأتيه الوحي من الله بالقرآن صباحًا ومساءً، ليلاً ونهارًا، سفرًا وحضرًا، فكل مرة كان يأتيه الملك بالقرآن كإنزال كتاب مما قبله من الكتب المتقدمة، فهذا المقام أعلى وأجل، وأعظم مكانة من سائر إخوانه من الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

فالقرآن أشرف كتاب أنزله الله، ومحمد ﷺ أعظم نبي أرسله الله وقد جمع الله تعالى للقرآن الصفتين معاً، ففي الملا الأعلى أنزل جملة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في سماء الدنيا، ثم نزل بعد ذلك إلى الأرض منجماً بحسب الوقائع والحوادث.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن عباس قال: أنزل القرآن جملة إلى سماء الدنيا في ليلة القدر، ثم نزل بعد ذلك في عشرين سنة، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَاحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ (٣٣)، وقوله: ﴿وَقُرْءَانَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ (١٠٦) [الإسراء: ١٠٦].

ثم قال تعالى مخبراً عن سوء حال الكفار في معادهم يوم القيامة وحشرهم إلى جهنم، في أسوأ الحالات وأقبح الصفات: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ

وَجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أَفَلَيْتُمْ أَشَرُّ مَكَانًا وَأَصْلُ سَيِّئًا ﴿٢٤﴾، وفي الصحيح (1)، عن أنس: أن رجلاً قال: يا رسول الله، كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ فقال: «إن الذي أمشاه على رجليه قادر أن يمشيه على وجهه يوم القيامة».

وقال القرطبي \$:

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ ﴿٢٢﴾ يقول: لو أنزلنا عليك القرآن جملة واحدة، ثم سألوك لم يكن عندك ما تجيب به ولكن نمسك عليك فإذا سألوك أجبت. قال النحاس: وكان ذلك من علامات النبوة؛ لأنهم لا يسألون عن شيء إلا أجيبوا عنه وهذا لا يكون إلا من نبي فكان ذلك تثبيتاً لفؤاده وأفندتهم ويدل على هذا ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ ولو نزل جملة بما فيه من الفرائض لثقل عليهم وعلم الله ٥ أن الصلاح في إنزاله متفرقاً؛ لأنهم ينبهون به مرة بعد مرة ولو نزل جملة واحدة لزال معنى التنبيه وفيه ناسخ ومنسوخ فكانوا يتعبدون بالشيء إلى وقت بعينه قد علم الله ٥ فيه الصلاح، ثم ينزل النسخ بعد ذلك فمحال أن ينزل جملة واحدة: افعلوا كذا ولا تفعلوا. قال النحاس: والأولى أن يكون التمام ﴿جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ لأنه إذا وقف على ﴿كَذَلِكَ﴾ صار المعنى كالتوراة والإنجيل والزبور ولم يتقدم لها ذكر قال الضحاك: ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ ﴿٢٢﴾ أي: تفصيلاً والمعنى: أحسن من مثلهم تفصيلاً فحذف لعلم السامع وقيل: كان المشركون يستمدون من أهل الكتاب وكان قد غلب على أهل الكتاب التحريف والتبديل فكان ما يأتي به النبي ﷺ أحسن تفسيراً مما عندهم لأنهم كانوا يخلطون الحق بالباطل والحق المحض أحسن من حق مختلط بباطل ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْسُؤُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾

[البقرة: ٢٤٩]، وقيل: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ كقولهم في صفة عيسى إنه خُلِقَ من غير أب إلا جنناك بالحق أي: بما فيه نقض حُجَّتْهم كآدم إذا خُلِقَ من غير أب وأم.

قال السعدي \$ في (تيسير الكريم الرحمن):

ولهذا قال: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ يعارضون به الحق ويدفعون به رسالتك، ﴿الْأَجِنَّاتُ بِالْحَقِّ وَالْحَسَنَ تَفْسِيرًا﴾ (٣٣) أي: أنزلنا عليك قرآنا جامعًا للحق في معانيه والوضوح والبيان التام في ألفاظه، فمعانيه كلها حقٌ وصدق، لا يشوبها باطل ولا شبهة بوجه من الوجوه، وألفاظه وحدوده للأشياء أوضح ألفاظًا وأحسن تفسيرًا مبين للمعاني بيانًا كاملاً.

وفي هذه الآية دليل على أنه ينبغي للمتكلم في العلم من محدث ومعلم، وواعظ أن يقتدي بربه في تدبيره حال رسوله، كذلك العالم يدبر أمر الخلق فكلما حدث موجب أو حصل موسم، أتى بما يناسب ذلك من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والمواعظ الموافقة لذلك.

وفيه ردٌّ على المتكلفين من الجهمية ونحوهم ممن يرى أن كثيرًا من نصوص القرآن محمولة على غير ظاهرها ولها معانٍ غير ما يفهم منها، فإذا -على قولهم- لا يكون القرآن أحسن تفسيرًا من غيره، وإنما التفسير الأحسن -على زعمهم- تفسيرهم الذي حرفوا له المعاني تحريفًا.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ

هَارُونَ وَزِيرًا﴾ (٣٥) فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَائِتِنَا فَدَمَرْنَهُمْ نَدْمِيرًا﴾ (٣٦).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: ولقد آتينا موسى ﷺ التوراة هداية

لبنى إسرائيل كما قال تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [الإسراء: ٢]، وأيدنا موسى غ بأخيه هارون فقد طلب موسى ذلك واستجبنا له، قال موسى غ: ﴿هَؤُلَاءِ أَخِي﴾ ٣٠ ﴿أَشَدُّ بِهِ أَزْرًى﴾ ٣١ ﴿وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي﴾ ٣٢ ﴿كَيْ تُسْحِكَ كَثِيرًا﴾ ٣٣ ﴿وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾ ٣٤ ﴿إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ ٣٥ ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى﴾ ٣٦ [طه: ٣].

فأيدنا موسى غ بأخيه هارون وجعلناه معه معيّنًا يُعينه الله به على أعباء الرسالة وتكاليفها.

وأمرناهما فقلنا لهما: اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا. اذهبا إلى فرعون وقومه هؤلاء الذين كذبوا بحجبنا الدالة على قدرتنا وواحدنيتنا، تلك الحُجج التي منها العصا التي تتحول إلى حية تسعى، وتلك اليد التي تخرج بيضاء للناظرين من غير سوء. فذهب موسى وهارون بآياتنا كما أمرناهما إلى فرعون وملئه، فكذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرًا باغراقهم في اليم على ما تقدم تفصيله في غير موطن.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ يتوعد مشركي قومه على كفرهم بالله، وتكذيبهم رسوله ويخوفهم من حلول نقمته بهم، نظير الذي يحل بمن كان قبلهم من الأمم المكذبة رسلها ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا﴾ يا محمد ﴿مُوسَى الْكِتَابَ﴾ يعني: التوراة، كالذي آتيناك من الفرقان ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾ يعني: معيّنًا وظهيرًا ﴿فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَتِنَا﴾ يقول: فقلنا لهما: اذهبا إلى فرعون وقومه الذين كذبوا بإعلامنا وأدلتنا، فدمرناهم تدميرًا.

وفي الكلام متروك استغني بدلالة ما ذكر من ذكره وهو: فذهبا فكذبوهما فدمرناهم حينئذ.

وقال الحافظ ابن كثير \$:

يقول تعالى متوعداً من كذب رسوله محمداً ﷺ من مشركي قومه ومن خالفه، ومحذرهم من عقابه وأليم عذابه، مما أحله بالأمم الماضية المكذبين لرسله، فبدأ بذكر موسى غ وأنه ابتعثه وجعل معه أخاه هارون وزيراً، أي: نبياً مُؤازراً ومؤيداً وناصرًا، فكذبهما فرعون وجنوده، ف﴿دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا ۝١٠﴾ [محمد: ١٠].

س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿وَقَوْمُ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْتَهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۝٢٧﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: واذكر قوم نوح غ لما كذبوا رسول الله نوحًا غ؛ إذ جاءهم نوح غ بـ(لا إله إلا الله) بالأمر بتوحيد الله ه وعبادته وحده لا شريك له، وهذا الذي جاءت به الرسل كلها، ومن ثم قيل لما كذبوا الرسل فمن كذب رسولاً فقد كذب الجميع؛ إذ دعوة الرسل واحدة. فالحاصل أن قوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقهم الله وجعلهم للناس علامة ودلالة على قدرته وشدة انتقامه من المكذبين.

وكذا دلالة على أن الله ه يُنجي رسله ف، ودل على ذلك ما ذكره الله جل ذكره من تركه السفينة التي أنجى عليها نوحًا ومن معه آية للعالمين كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ۝١٥﴾ [القمر: ١٥]، أن قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۝٢٧﴾ فحاصل معناه وأعدنا للمشركين المكذبين المعاندين للرسول عذاباً مؤلماً موجعاً - والله أعلم.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: وقوم نوح لما كذبوا رسلنا، وردوا عليهم ما جاءوهم به من الحق، أغرقناهم بالطوفان ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً﴾ يقول: وجعلنا تغريقنا إياهم وإهلاكنا عظة وعبرة للناس يعتبرون بها ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (٢٧) يقول: وأعدنا لهم - من الكافرين بالله- في الآخرة عذابًا أليمًا، سوى الذي حل بهم من عاجل العذاب في الدنيا.

وكذلك فعل بقوم نوح حين كذبوا رسوله نوحًا **غ** ومن كذب برسول فقد كذب بجميع الرسل؛ إذ لا فرق بين رسول ورسول، ولو فرض أن الله بعث إليهم كل رسول فإنهم كانوا يكذبونه؛ ولهذا قال: ﴿وَقَوْمُ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ﴾، ولم يبعث إليهم إلا نوح فقط، وقد لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا، يدعوهم إلى الله **ه**، ويحذرهم نقمه، فما آمن معه إلا قليل. ولهذا أغرقهم الله جميعًا، ولم يبق منهم أحد، ولم يبق على وجه الأرض من بني آدم سوى أصحاب السفينة فقط.

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً﴾ أي: عبرة يعتبرون بها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلَتُكُمُ الْفُلُوبُ﴾ (١١) لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكَرًا وَنَبَيًّا أَدْنَىٰ وَعَيْهٌ ﴿الْحَاقَّةُ: ١٢٤﴾. أي: وأبقينا لكم من السفن ما تركبون في لجج البحار، لتذكروا نعمة الله عليكم في إنجائكم من الغرق، وجعلكم من ذرية من آمن به وصدق أمره.

وقال القرطبي \$:

﴿لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ﴾ ذكر الجنس والمراد نوح وحده لأنه لم يكن في ذلك الوقت رسول إليهم إلا نوح وحده فنوح إنما بُعث بلا إله إلا الله

وبالإيمان بما ينزل الله فلما كذبه كان في ذلك تكذيب لكل من بعث بعده بهذه الكلمة وقيل: إن من كذب رسولاً فقد كذب جميع الرسل؛ لأنهم لا يفرق بينهم في الإيمان، ولأنه ما من نبي إلا يصدق سائر أنبياء الله فمن كذب منهم نبياً فقد كذب كل من صدقه من النبيين ﴿اعْرِفْتَهُمْ﴾ أي: بالطوفان على ما تقدم في (هود) ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً﴾ أي علامة ظاهرة على قدرتنا ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ﴾ أي للمشركين من قوم نوح ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ أي: في الآخرة وقيل: أي: هذه سبيلي في كل ظالم.



أصحاب الرس

س: من أصحاب الرس هؤلاء؟

ج: لأهل العلم أقوال في (الرس) فمنهم من قال:

إنها قرية من القرى: ثم اختلف هؤلاء:

فقال بعضهم: إنها قرية من قرى ثمود.

وقال آخرون: إنها قرية في اليمامة يُقال لها الفلج.

وقال آخرون: إنها أنطاكية (بلدة صاحب رس)، وقيل غير ذلك.

وقيل: إن (الرس) بئر كانت عند قوم كذبوا نبيهم وألقوه في البئر.

قال الطبري \$:

والصواب من القول في ذلك، قول من قال: هم قوم كانوا على بئر،

وذلك أن الرس في كلام العرب: كل محفور مثل البئر والقبر ونحو ذلك؛

ومنه قول الشاعر:

سبقت إلى فرط باهل تنابله يحفرون الرساسا

يريد أنهم يحفرون المعادن، ولا أعلم قومًا كانت لهم قصة بسبب حفرة، ذكرهم الله في كتابه إلا أصحاب الأخدود، فإن يكونوا هم المعنيين بقوله: ﴿وَأَصْحَابُ الرَّسِّ﴾ فإننا سنذكر خبرهم إن شاء الله إذا انتهينا إلى سورة البروج، وإن يكونوا غيرهم فلا نعرف لهم خبرًا، إلا ما جاء من جملة الخبر عنهم أنهم قوم رسوا نبيهم في حفرة.



س: هل صح حديث: «إن أول الناس يدخل الجنة يوم القيامة العبد الأسود»؟ ومن العبد الأسود هذا وما شأنه؟

ج: أما الحديث فلا يصح سنده فهو مرسل ضعيف، وقد أخرجه الطبري بسندٍ ضعيفٍ عن محمد بن كعب مرسلًا، وفيه ما حاصله أن العبد الأسود هذا هو عبد آمن وكان يذهب إلى النبي الذي ألقاه قومه في بئر (وهي الرس) فيكشف غطاء البئر ويطعم النبي.... إلى آخر ما ورد. والخبر لا يثبت، وفي متنه كثيرٌ من الأمور المستنكرة، ثم إن النبي محمدًا ﷺ هو أول من يدخل الجنة كما قد ثبتت بذلك الأحاديث الصحاح، والله أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا

﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَاهُ الْأَمْثَلُ وَكُلًّا تَبَرْنَا تَبِيرًا﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: وأهلكنا عادًا وثمودًا وأهلكننا أصحاب الرس وأهلكننا أممًا وقرونًا كثيرة بين هؤلاء المذكورين، وكلًا من هؤلاء الذين أهلكناهم قد بينّا لهم حججنا وضربنا لهم الأمثال الدالة على واحدنيّتنا فكذبوا بها فدمرناهم تدميرًا.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: ودمرنا أيضًا عادًا وثمود وأصحاب الرس وقرونًا بين ذلك كثيرًا.

يقول: ودمرنا أضعاف هذه الأمم التي سمينّاها لكم أممًا كثيرة.

وقوله: ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَاهُ الْأَمْثَلُ﴾ يقول تعالى ذكره: وكل هذه الأمم التي

أهلكناها التي سميناهما لكم أو لم نسماها ضربنا له الأمثال يقول: مثلنا له الأمثال ونبهناها على حُججنا عليها، وأعذرنا إليها بالعبر والمواعظ، فلم نهلك أمة إلا بعد الإبلاغ إليهم في المعذرة.

وقوله: ﴿وَكَلَّا تَبَرَّنَا تَبِيرًا﴾ (٣١) يقول تعالى ذكره: وكل هؤلاء الذين ذكرنا لكم أمرهم استأصلناهم، فدمرناهم بالعذاب إبادة، وأهلكناهم جميعًا.

وقال ابن كثير \$:

وقوله تعالى: ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ (٣٨) أي: وأممًا بين أضعاف مَنْ ذُكر أهلكناهم كثيرة؛ ولهذا قال: ﴿وَكَلَّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَلُ﴾ (٣١) أي: بينا لهم الحجج، ووضَّحنا لهم الأدلة - كما قال قتادة: أزحنا عنهم الأعذار - ﴿وَكَلَّا تَبَرَّنَا تَبِيرًا﴾ (٣١) أي: أهلكنا إهلاكًا، كقوله: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ﴾.

[الإسراء: ١٧]

والقرن: هو الأمة من الناس، كقوله: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ (٣١) **[المؤمنون: ٢٤]** وحدّه بعضهم بمائة وعشرين سنة. وقيل: بمائة سنة. وقيل: بثمانين سنة. وقيل: أربعين. وقيل غير ذلك. والأظهر: أن القرن هم الأمة المتعاصرون في الزمن الواحد؛ فإذا ذهبوا وخلفهم جيل آخر فهم قرن ثانٍ، كما ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» الحديث.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا سَوَاءً أَفْكَمَ

يَكُونُوا يَكُونُوا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجِعُونَ شُورًا﴾ (٤٠).

ج: المعنى - والله أعلم -: ولقد مرّ مشركو قريش أثناء سفرهم على القرية التي أمطرها عليهم مطراً سيئاً، من أسوأ الأمطار أمطرها عليها حجارة من سجيل منضود، وهي قرى قوم لوط، ومنها قرية (سدوم) فكان من اللائق أن يعتبروا بها ويدكروا، ولكن لم يحصل ادكارٌ ولا اعتبار، بل كان هؤلاء المشركون لا يخافون الآخرة ولا يخافون بعثاً من القبور للحساب فقد كانوا ينكرون ذلك.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: ولقد أتى هؤلاء الذين اتخذوا القرآن مهجوراً على القرية التي أمطرها الله مطر السوء وهي سدوم - قرية قوم لوط- ومطر السوء: هو الحجارة التي أمطرها الله عليهم فأهلكهم بها.

وقوله: ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا﴾ يقول جلّ ثناؤه: أو لم يكن هؤلاء المشركون الذين قد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء يرون تلك القرية، وما نزل بها من عذاب الله بتكذيب أهلها رسلهم، فيعتبروا ويتذكروا، فيراجعوا التوبة من كفرهم وتكذيبهم محمداً ﷺ ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ يقول تعالى ذكره: ما كذبوا محمداً فيما جاءهم به من عند الله؛ لأنهم لم يكونوا رأوا ما حلّ بالقرية التي وُصفت، ولكنهم كذبوه من أجل أنهم قوم لا يخافون نشوراً بعد الممات، يعني: أنهم لا يوقنون بالعقاب والثواب، ولا يؤمنون بقيام الساعة، فيردعهم ذلك عما يأتون من معاصي الله.

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا عَلَى الْقَرْيَةِ﴾ يعني مشركي مكة والقرية قرية قوم لوط و(مكر السوء) الحجارة التي أمطروا بها ﴿أَفَكَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا﴾ أي: في أسفارهم ليعتبروا قال ابن عباس: كانت قريش في تجارتها إلى الشام تمر بمدائن قوم لوط كم قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ﴾ [الصافات: ١٢٧]، وقال: ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ (٧٩) [الحجر: ٨١] وقد تقدم ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ شُورًا﴾ (٤٠) أي لا يصدقون بالبعث ويجوز أن يكون معنى ﴿يَرْجُونَ﴾ يخافون ويجوز أن يكون على بابه ويكون معناه: بل كانوا يرجون ثواب الآخرة.

وقال ابن كثير \$:

وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا سَوَاءً مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ يعني: قرية قوم لوط، وهي سدوم ومعاملتها التي أهلكها بالقلب، وبالمطر الحجارة من سجيل، كما قال تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ (١٧٣) [الشعراء: ١٢٧] وقال ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ﴾ (١٧٧) ﴿وَبِالْأَيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (١٧٨) [الصافات: ١٢٧-١٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾ (٧٦) [الحجر: ٨١] وقال ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ (٧٩) [الحجر: ٨١]؛ ولهذا قال: ﴿أَفَكَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا﴾ أي: فيعتبروا بما حلّ بأهلها من العذاب والنكال بسبب تكذيبهم بالرسول ومخالفتهم أوامر الله.

وقوله: ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ شُورًا﴾ (٤٠) يعني: المارين بها من الكفار لا يعتبرون لأنهم لا يرجون نشورًا، أي: معادًا يوم القيامة.

قال الشنقيطي \$ (أضواء البيان):

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا سَوَاءً أَفَكَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ شُورًا﴾ (٤٠).

أقسم جلّ وعلا في هذه الآية أن الكفار الذين كذبوا نبينا ﷺ، قد أتوا

على القرية التي أمطرت مطر السوء، وهو أن الله أمطر عليها حجارة من سجيل، وهي سدوم قرية قوم لوط، وهذان الأمران المذكوران في هذه الآية الكريمة، وهما أن الله أمطر هذه القرية مطر السوء الذي هو حجارة السجيل، وأن الكفار أتوا عليها، ومروا بها جاء موضحاً في آيات أخرى.

أما كون الله أمطر عليها الحجارة المذكورة، فقد ذكره جلّ وعلا في آيات كثيرة؛ كقوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ [الحجر: ٧٤]، وبيّن في سورة «الذاريات»، أن السجيل المذكور نوع من الطين، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾ [الذاريات: ٣٢-٣٣].



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَخَذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾﴾ **ج: كَادَ يُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حَيْثُ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلَّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾.**

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: وإذا رآك أهل الشرك، ولكونك تدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ما يتخذونك إلا هزواً أي: ما يكون ردّ فعلهم تجاهك حينما تدعوهم إلى عبادة الله وحده إلا الاستهزاء والسخرية منك قائلين بانتقاص لك وازدراءٍ لهذا هو الذي اصطفاه الله من بيننا وابتعثه رسولاً.

لقد كاد أن يصرفنا عن عبادة آلهتنا التي نعبدُها ونرجوها، تلك الأصنام والأوثان، ولو صبرنا على عبادتها وشدة تمسكنا بها لانصرفنا

عنها وابتعدنا فردَّ الله عليهم قولهم مهديًا لهم وصبرَ نبيه ﷺ على قيلهم قبوله، وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أشد انصرافًا عن طريق الحق، والصواب.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وإذا رآك هؤلاء المشركون الذين قصصت عليك قصصهم ﴿إِنْ يَنْخَدُونَا إِلَّا هُزُؤًا﴾ يقول: ما يتخذونك إلا سخرية يسخرون منك، يقولون: ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ﴾ إلينا ﴿رَسُولًا﴾ ﴿٤١﴾ من بين خلقه.

ويقول تعالى ذكره مخبرًا عن هؤلاء المشركين الذين كانوا يهزءون برسول الله ﷺ، إنهم يقولون إذا رأوه: قد كاد هذا يُضِلُّنا عن آلهتنا التي نعبدُها، فيصدنا عن عبادتها لولا صبرنا عليها، وثبوتنا على عبادتها ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حَيْثُ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾ يقول جلَّ ثناؤه: سيبين لهم حين يعاينون عذاب الله قد حلَّ بهم على عبادتهم الآلهة ﴿مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ﴿٤٢﴾ يقول: من الراكب غير طريق الهدى، والسالك سبيل الردى أنت أوهم؟

وقال الحافظ ابن كثير \$:

يخبر تعالى عن استهزاء المشركين بالرسول ﷺ إذا رأوه، كما قال: ﴿وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ يَنْخَدُونَهُمْ إِلَّا هُزُؤًا﴾ ﴿٤١﴾ يعنيهم بالعبث والنقص، وقال هاهنا: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ يَنْخَدُونُكَ إِلَّا هُزُؤًا﴾ ﴿٤٢﴾ الذي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا؟ أي: على سبيل التنقص والازدراء -قبَّحهم الله- كما قال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ فَأَمَلْنَا لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَأْخُذَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ ﴿٣٢﴾ [الرعد: ٣٢].

وقوله تعالى: ﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ يعنيون:

أنه كاد يُثنيهم عن عبادة أصنامهم، لولا أن صبروا وتجلدوا واستمروا على عبادتها. قال الله تعالى متوعداً لهم ومتهدداً: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حَيْثُ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (٤٢).

قال السعدي \$ في (تيسير الكريم الرحمن):

وإذا رأوك يا محمد هؤلاء المكذبون لك، المعاندون لآيات، المستكبرون في الأرض استهزءوا بك واحتقروك وقالوا -على وجه الاحتقار والاستصغار-: ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: ٢٤] أي: غير مناسب ولا لائق أن يبعث الله هذا الرجل، وهذا من شدة ظلمهم وعنادهم وقلبهم الحقائق فإن كلامهم هذا يفهم أن الرسول -حاشاه- في غاية الخسة والحقارة وأنه لو كانت الرسالة لغيره لكان أنسب.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرَبَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (٣٧) فهذا الكلام لا يصدر إلا من أجهل الناس وأضلهم، أو من أعظمهم عناداً وهو متجاهل، قصده ترويج ما معه من الباطل بالقبح بالحق وبمن جاء به، وإلا فمن تدبر أحوال محمد بن عبد الله ﷺ وجده رجل العالم وهمامهم ومقدمهم في العقل والعلم واللُب والرزانة، ومكارم الأخلاق ومحاسن الشيم والعفة والشجاعة وكل خُلُقٍ فاضل، وأن المحتقر له والشائئ له قد جمع من السفه والجهل والضلال والتناقض والظلم والعدوان ما لا يجمعه غيره، وحسبه جهلاً وضلالاً أن يقدح بهذا الرسول العظيم والهامم الكريم.

والقصد من قدحهم فيه واستهزائهم به تصليبهم على باطلهم وتخريب ضعفاء العقول ولهذا قالوا: ﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا﴾ بأن يجعل الآلهة إلهاً واحداً ﴿لَوْلَا أَنَّا صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ لأضلنا فزعموا -قبحهم الله- أن الضلال هو التوحيد وأن الهدى ما هم عليه من الشرك فلهذا تواصلوا بالصبر

عليه. ﴿وَأَنطَلَقَ أَلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ﴾ [ص: ٤١].

وهنا قالوا: ﴿لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ والصبر يُحمد في المواضع كلها، إلا في هذا الموضع فإنه صبر على أسباب الغضب وعلى الاستكثار من حطب جهنم. وأما المؤمنون فهم كما قال الله عنهم: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٢].

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ (٤٣) أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (٤٤).

ج: المعنى - والله أعلم - : أَرَأَيْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هذا المشرك الذي اتخذ ما يهواه وما يشتهيهِ إِلَهًا يعبده من دون الله، أفأنت تقدر على رِيِّهِ عن الشرك وتتوكل بحفظه من الشرك وبرِيِّهِ إلى الإيمان، كلا فإنك لن تستطيع ذلك ولو سلكت معه أحسن الطرق وأجمل السُّبُل ولو دعوته بكل ما أوتيت من قدرة على دعوته.

أفتظن يا رسول الله أن أكثر هؤلاء يسمعون الحق ويفهمونه ويجيبونك ويؤمنون بك، كلا بل إنهم في عدم سماعهم كالبهائم التي لا تُفهم مرادك إذا ناديتها بل الأنعام أفضل منهم وأهدى سبيلاً؛ لأن الأنعام وإن كانت قد جبلت على عدم فهم خطاب بني آدم، لكنها تسمع لراعيها وتنقاد له وتشكر له مودته فيها، بل وإنها تسجد لخالقها وتشكره وتسبح بحمده.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ

وَالْجُومِ وَالْجِبَالِ وَالشَّجَرِ وَالْدَوَابِّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾ [الحج: ١٨].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْخَرُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّتٍ كُلِّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ [النور: ٤٦].

فحقاً إن هؤلاء الكفار لأضل من الأنعام وأبعد عن طريق الحق والصواب، والله أعلم.

قال الطبري \$:

يعني تعالى ذكره: ﴿أَرَأَيْتَ﴾ يا محمد ﴿مَن اتَّخَذَ إِلَهَهُ﴾ شهوته التي يهواها وذلك أن الرجل من المشركين كان يعبد الحجر، فإذا رأى أحسن منه رمى به، وأخذ الآخر يعبد، فكان معبوده وإلهه ما يتخير له نفسه، فلذلك قال جل ثناؤه: ﴿أَرَأَيْتَ مَن اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ ﴿١٢﴾ يقول تعالى ذكره: أفأنت تكون يا محمد على هذا حفيظاً في أفعاله مع عظيم جهله؟ ﴿أَمْ تَحْسَبُ﴾ يا محمد أن أكثر هؤلاء المشركين ﴿يَسْمَعُونَ﴾ ما يُتلى عليهم، فيعون ﴿أَوْ يَعْزَلُونَ﴾ ما يعاينون من حجج الله، فيفهمون ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَمِ﴾ يقول: ما هم إلا كالبهائم التي لا تعقل ما يقال لها، ولا تفقه، بل هم من البهائم أضل سبيلاً لأن البهائم تهتدي لمراعيها، وتنقاد لأربابها، وهؤلاء الكفرة لا يطيعون ربهم، ولا يشكرون نعمة من أنعم عليهم، بل يكفرونها، ويعصون من خلقهم وبرأهم.

وقال ابن كثير \$:

ثم قال تعالى لنبيه، منبهاً له أن من كتب الله عليه الشقاوة والضلال، فإنه لا يهديه أحد إلا الله ه.

﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ أي: مهما استحسن من شيء ورآه حسناً في هوى نفسه، كان دينه ومذهبه، كما قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنْ لَمْ يَضِلُّ مَنِ يَشَاءُ وَيَهْدَى مَنِ يَشَاءُ فَلَا نَذِيبُ نَفْسَكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ﴾ **[فاسطر: ٤١]**؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ ٤٢. قال ابن عباس: كان الرجل في الجاهلية يعبد الحجر الأبيض زمائناً، فإذا رأى غيره أحسن منه عبد الثاني وترك الأول.

ثم قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنْ أَكْثَرُهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ٤٤ أي: أسوأ حالاً من الأنعام السارحة، فإن تلك تعقل ما خُلِقَتْ له، وهؤلاء خُلِقُوا لعبادة الله وحده لا شريك له، وهم يعبدون غيره ويشركون به، مع قيام الحجة عليهم، وإرسال الرسل إليهم.

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ عجب نبيه ﷺ من إضمارهم على الشرك وإصرارهم عليه مع إقرارهم بأنه خالقهم ورازقهم ثم يعمد إلى حجر يعبد من غير حجة. قال الكلبي غيره: كانت العرب إذا هوى الرجل منهم شيئاً عبده من دون الله فإذا رأى أحسن منه ترك الأول وعبد الأحسن فعلى هذا يعني: أرايت من اتخذ إلهه بهواه فحذف الجار وقال ابن عباس: الهوى إله يُعبد من دون الله ثم تلا هذه الآية، قال الشاعر:

لعمري أبيعها لو تبدت لناسك قد اعتزل الدنيا بإحدى المناسك
لصلى لها قبل الصلاة لربه ولا رتد في الدنيا بأعمال فاتك

وقال القرطبي أيضاً:

وقيل: ﴿اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ أي: أطاع هواه. وعن الحسن لا يهوى شيئاً

إِلَّا اتَّبِعْهُ وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ ﴿٤٣﴾ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٤﴾ أَي حَفِظًا وَكَفِيلًا
 حَتَّى تَرُدَّهُ إِلَى الْإِيمَانِ وَتُخْرِجَهُ مِنْ هَذَا الْفَسَادِ أَي: لَيْسَتْ الْهَدَايَةُ
 وَالضَّلَالَةُ مُوَكَّلَتَيْنِ إِلَى مَشِيئَتِكَ وَإِنَّمَا عَلَيْكَ التَّبْلِيغُ وَهَذَا رَدُّ عَلَى الْقَدَرِيَّةِ
 ثُمَّ قِيلَ: إِنَّهَا مَنْسُوخَةٌ بِآيَةِ الْقِتَالِ وَقِيلَ: لَمْ تَنْسَخْ لِأَنَّ الْآيَةَ تَسْلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ.
 قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ وَلَمْ يَقُلْ أَنَّهُمْ لِأَنَّ
 مِنْهُمْ مَنْ قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ يُؤْمِنُ، وَذَمُّهُمْ جَلَّ وَعَزَّ بِهَذَا ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ
 يَسْمَعُونَ﴾ سَمَاعَ قَبُولٍ أَوْ يَفْكُرُونَ فِيمَا تَقُولُ فَيَعْقِلُونَهُ أَي: هُمْ بِمَنْزِلَةٍ مِنْ لَا
 يَعْقِلُ وَلَا يَسْمَعُ وَقِيلَ: الْمَعْنَى: أَنَّهُمْ لَمَّا لَمْ يَنْتَفِعُوا بِمَا يَسْمَعُونَ فَكَأَنَّهُمْ لَمْ
 يَسْمَعُوا وَالْمُرَادُ أَهْلَ مَكَّةَ وَقِيلَ: ﴿أَمْ﴾ بِمَعْنَى: بَلْ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْضُوعِ ﴿إِنَّ
 هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾ أَي: فِي الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ لَا يَفْكُرُونَ فِي الْآخِرَةِ ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا
 ﴿٤٤﴾﴾ إِذَا لَا حِسَابَ وَلَا عِقَابَ عَلَى الْأَنْعَامِ وَقَالَ مِقَاتِلُ: الْبَهَائِمُ تَعْرِفُ رَبَّهَا
 وَتَهْتَدِي إِلَى مَرَاغِيهَا وَتَنْقَادُ لِأَرْبَابِهَا الَّتِي تَعْقِلُهَا وَهَؤُلَاءِ لَا يَنْقَادُونَ وَلَا
 يَعْرِفُونَ رَبَّهُمُ الَّذِي خَلَقَهُمْ وَرَزَقَهُمْ وَقِيلَ: لِأَنَّ الْبَهَائِمَ إِنْ لَمْ تَعْقِلْ صَحَّةَ
 التَّوْحِيدِ وَالنَّبُوَّةِ لَمْ تَعْتَقِدْ بَطْلَانِ ذَلِكَ أَيْضًا.



بعض الآيات الدالة على قدرة الله ووحدانيتة

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ ٤٥ ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ ٤٦ ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ ٤٧ ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بِيَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ ٤٨ ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْآسَى كَثِيرًا﴾ ٤٩ ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ ٥٠ ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبْعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾ ٥١ ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ ٥٢ ﴿

[الفرقان: 45-52]

س: وضع معنى ما يلي:

﴿مَدَّ الظِّلَّ - سَاكَنًا - دَلِيلًا - قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا - يَسِيرًا - لِبَاسًا - سُبَاتًا - نُسُورًا - طَهُورًا - وَأَنَاسِيَّ - صَرَفْنَاهُ بَيْنَهُمْ - لِيَذْكُرُوا - كُفُورًا﴾.

ج:

معناها	الكلمة
جعله ممدودًا أي عالمًا مغطيًا الجو كله (وهذا ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس)	﴿مَدَّ الظِّلَّ﴾
دائمًا لا يزول	﴿سَاكَنًا﴾
علامة على وجوده - علامةً عليه وأنه شيء موجود، فلولاً طلوع الشمس ما عُرف معنى الظل	﴿دَلِيلًا﴾
رددناه إلينا أي بعد أن كان موجودًا بدأ يقل شيئًا	﴿قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا﴾
قليلًا قليلًا - شيئًا فشيئًا - خفيًا (في خفاء لا تكادون ترونه وهو يتقلص) - سهلًا	﴿يَسِيرًا﴾
ساترًا يستركم (بظلامه)	﴿لِبَاسًا﴾
راحة لأبدانكم	﴿سُبَاتًا﴾
يقظةً وحياءً وانتشارًا للعمل كذلك	﴿نُسُورًا﴾
يُتَطَهَّرُ به - يُطَهَّرُ الله به الأشياء	﴿طَهُورًا﴾
بشرًا - وقيل أناسي، وقيل: جمع إنسان	﴿وَأَنَاسِيَّ﴾

﴿صَرَفْنَاهُ بَيْنَهُمْ﴾	قسمناه بينهم - حوّلناه من أناسٍ إلى أناسٍ آخرين. وقيل: صرفناه أي: صرفنا آيات القرآن كما قال تعالى: ﴿وَصَرَفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ﴾.
﴿لِيَذْكُرُوا﴾	ليتعظوا ويعتبروا
﴿كُفُورًا﴾	جحودًا لنعم الله



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ (٤٥) ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا (٤٦) .

ج: هذا - والله أعلم -: لفت للنظر وحث على التفكير في مخلوقات الله **هـ** للاستدلال بها على قدرته ووحدانيته، فيقول الله **هـ**: ألم تر بعينيك - وبقلبك كذلك - إلى هذا الظل الممدود العام الذي يغطي الأجواء من حولك، وهو الظل الذي بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وقيل إنه الظل في الليل كله إلى أن تطلع الشمس، والأول عليه أكثر العلماء هذا، ولو شاء ربك **هـ** لجعل هذا الظل دائماً مستمراً لا يزول ولكن بطلوع الشمس يقبض الظل شيئاً فشيئاً قبضاً قليلاً قليلاً فيقل الظل تدريجياً كلما ارتفعت الشمس في السماء إلى وقت الزوال، ولولا أن الشمس طلعت ما عُرف للظل معنى، فطلوعها دليلٌ على وجود الظل، وقوله تعالى: ﴿قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ (٤٦) على المعنى الذي قدمته من أن الله **هـ** يقبض الظل إليه شيئاً فشيئاً فيقل تدريجياً، وهذا أمر سهلٌ ويسير على الله **هـ**.
هذا، وهناك أقوال آخر لأهل العلم في هذا الصدد، وها هي بعض

أقوالهم.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ مَدَّ﴾ ربك ﴿الظِّلَّ﴾ وهو ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس.

وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ يقول: ولو شاء لجعله دائماً لا يزول، ممدوداً، لا تذهب الشمس، ولا تنقصه.

وقوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ يقول جل ثناؤه: ثم دللناكم أيها الناس بنسخ الشمس إياه عند طلوعها عليه، أنه خلق من خلق ربكم، يوجد إذا شاء، ويُفنيه إذا أراد؛ والهاء في قوله: ﴿عَلَيْهِ﴾ من ذكر الظل. ومعناه: ثم جعلنا الشمس على الظل دليلاً. قيل: معنى دلالتها عليه أنه لو لم تكن الشمس التي تنسخه لم يعلم أنه شيء، إذا كانت الأشياء إنما تعرف بأضدادها، نظير الحلو الذي إنما يعرف بالحامض والبارد بالحر، وما أشبه ذلك.

قوله: ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ يقول تعالى ذكره: ثم قبضنا ذلك الدليل من الشمس على الظل إلينا قبضاً خفياً سريعاً بالفيء الذي نأتي به بالعشي.

وقيل: إن الهاء التي في قوله: ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا﴾ عائدة على الظل، وإن معنى الكلام: ثم قبضنا الظل إلينا بعد غروب الشمس، وذلك أن الشمس إذا غربت غاب الظل الممدود، قالوا: وذلك وقت قبضه.

واختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿يَسِيرًا﴾ فقال بعضهم: معناه: سريعاً.

وقال آخرون بل معناه: قبضاً خفياً.

وقال الطبري أيضاً:

وقيل: إنما قيل ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ (٤٦) لأن الظل بعد غروب الشمس لا يذهب كله دفعة، ولا يقبل الظلام كله جملة، وإنما يقبض ذلك الظل قبضاً خفياً، شيئاً بعد شيء ويعقب كل جزء منه يقبضه جزء من الظلام.

قال الحافظ ابن كثير \$:

من هاهنا شرع تعالى في بيان الأدلة الدالة على وجوده، وقدرته التامة على خلق الأشياء المختلفة والمتضادة، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾.

وأورد عن عدد من أهل العلم أنه ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس.

ثم قال:

﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ أي: دائماً لا يزول، كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ [الفصص: ١٦] ، ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ [الفصص: ١٧].

وقوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ (٤٥) أي: لولا أن الشمس تطلع عليه، لما عرف، فإن الضد لا يعرف إلا بضده.

وقال قتادة، والسدي: دليلاً يتلوه ويتبعه حتى يأتي عليه كله.

وقوله: ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ أي: الظل، وقيل: الشمس. ﴿يَسِيرًا﴾ أي: سهلاً. قال ابن عباس: سريعاً. وقال مجاهد: خفياً. وقال السدي: قبضاً خفياً، حتى لا يبقى في الأرض ظلٌ إلا تحت سقف أو تحت شجرة،

وقد أظلت الشمس ما فوقه.

وقال أيوب بن موسى: ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ (٤٦) أي: قليلاً قليلاً.

قال القرطبي \$:

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ يجوز أن تكون هذه الرؤية من رؤية العين ويجوز أن تكون من العلم وقال الحسن وقتادة وغيرهما: مد الظل من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس وقيل: هو من غيوبة الشمس إلى طلوعها والأول أصح والدليل على ذلك أنه ليس من ساعة أطيّب من تلك الساعة فإن فيها يجد المريض راحة والمسافر وكل ذي علة، وفيها ترد نفوس الأموات والأرواح منهم إلى الأجساد ⁽¹⁾ وتطيّب نفوس الأحياء فيها وهذه الصفة مفقودة بعد المغرب. وقال أبو العالية: نهار الجنة هكذا وأشار إلى ساعة المصلين صلاة الفجر. أبو عبيدة: الظل بالغداة والفيء بالعشي؛ لأنه يرجع بعد زوال الشمس سُمِّيَ فيئاً؛ لأنه فاء من المشرق إلى جانب المغرب، قال الشاعر وهو حميد بن ثور يصف سرحة وكنى بها عن امرأة:

فلا الظل من برد الضحا تستطيعه ولا الفيء من برد العشي تذوق

قال ابن السكيت: الظل ما نسخته الشمس والفيء ما نسخ الشمس وحكى أبو عبيدة عن روبة، قال: كل ما كانت عليه الشمس فزالت عنه فهو فيء وظل وما لم تكن عليه الشمس فهو ظل ﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلْنَاهُ سَاكِنًا﴾ أي دائماً مستقرّاً لا تنسخه الشمس. ابن عباس: يريد إلى يوم القيامة وقيل: المعنى لو شاء لمنع الشمس الطلوع ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ (٤٥) أي:

(1) ولا أعلم دليلاً على هذا القول.

جعلنا الشمس بنسخها الظل عند مجيئها دالة على أن الظل شيء ومعنى لأن الأشياء تعرف بأضدادها ولولا الشمس ما عرف الظل ولولا النور ما عرفت الظلمة فالدليل فعيل بمعنى الفاعل وقيل: بمعنى المفعول كالقتيل والدهين والخضيب أي: دللنا الشمس على الظل حتى ذهبت به أي: أتبعناها إياه فالشمس دليل أي حجة وبرهان وهو الذي يكشف المشكل ويوضحه ولم يؤنث الدليل وهو صفة الشمس لأنه في معنى الاسم كما يقال: الشمس برهان والشمس حق.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ﴾ يريد ذلك الظل الممدود ﴿إِلَيْنَا قَبْضًا سِيرًا﴾ أي سيرًا قبضه علينا وكل أمر ربنا عليه يسير فالظل مكثه في هذا الجو بمقدار طلوع الفجر إلى طلوع الشمس فإذا طلعت الشمس صار الظل مقبوضًا وخلفه في هذا الجو شعاع الشمس فأشرق على الأرض وعلى الأشياء إلى وقت غروبها فإذا غربت فليس هناك ظل إنما ذلك بقية نور النهار وقال قوم: قبضه بغروب الشمس؛ لأنها ما لم تغرب فالظل فيه بقية وإنما يتم زواله بمجيء الليل ودخول الظلمة عليه وقيل: إن هذا القبض وقع بالشمس لأنها إذا طلعت أخذ الظل في الذهاب شيئًا فشيئًا. قال أبو مالك و إبراهيم التيمي وقيل: ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ﴾ أي: قبضنا ضياء الشمس بالفيء ﴿قَبْضًا سِيرًا﴾ وقيل: ﴿سِيرًا﴾ أي: سريعًا قاله الضحاك. قتادة خفيًا أي: إذا غاب الشمس قبض الظل قبضًا خفيًا كلما قبض جزء منه جعل مكانه جزءًا من الظلمة وليس يزول دفعة واحدة فهذا معنى قول قتادة وهو قول مجاهد.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِأَسَ وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ (٤٧).

ج: المعنى - والله أعلم -: والله ٥ هو الذي جعل لكم الليل سائرًا يستركم بظلمته وجعل النوم راحة لكم ولأبدانكم وجعل لكم النهار ليقظتكم وانتشاركم وخروجكم لعملكم كما قال: ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ (١١) **[النبا: ١١].**

وكما قال ٥: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾

[الفصص: ١٧]

وبنحو ذلك قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: الذي مدَّ الظل ثم جعل الشمس عليه دليلاً هو الذي جعل لكم أيها الناس الليل لباساً. وإنما قال جلّ ثناؤه: ﴿جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِأَسَ﴾ لأنه جعله لخلقه جنة يجتنون فيها ويسكنون، فصار لهم سترًا يستترون به، كما يستترون بالثياب التي يكسونها. وقوله: ﴿وَالنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ يقول: وجعل لكم النوم راحة تستريح به أبدانكم، وتهداً به جوارحكم. وقوله: ﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ (٤٧) يقول تعالى ذكره: وجعل النهار يقظة وحياة من قولهم: نشر الميت، كما قال الأعشى:

حتى يقول الناس مما رأوا يا عجباً للميت الناشر

ومنه قول الله: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ (٣) [الفرقان: ٣].

وقال الحافظ ابن كثير \$:

وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِأَسَ﴾ أي: يلبس الوجود ويُغشيه، كما

قال: ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى﴾ (١) [الليل: ١].

﴿وَالنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ أي: قَطْعًا للحركة لراحة الأبدان، فإن الأعضاء والجوارح تَكِلُ من كثرة الحركة في الانتشار بالنهار في المعاش، فإذا جاء الليل وسكن سكنت الحركات، فاستراحت فحصل النوم الذي فيه راحة البدن والروح معًا.

﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ نَشُورًا﴾ (٤٧) أي: ينتشر الناس فيه لمعاشهم ومكاسبهم وأسبابهم، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٧٣) [القصاص: ٤٧].

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ يعني: سترًا للخالف يقوم مقام اللباس في ستر البدن. قال الطبري: وصف الليل باللباس تشبيهًا من حيث يستر الأشياء ويغشاها.

وقال:

قوله تعالى: ﴿وَالنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ أي: راحة لأبدانكم بانقطاعكم عن الأشغال وأصل السُّبَات من التمدد يقال: سبتت المرأة شعرها أي: نقضته وأرسلته ورجل مسبوت أي: ممدود الخُلْفَة وقيل: للنوم سبابت لأنه بالتمدد يكون وفي التمدد معنى الراحة وقيل: السبت القطع فالنوم انقطاع عن الاشتغال ومنه سبت اليهود لانقطاعهم عن الأعمال فيه وقيل: السبت الإقامة في المكان فكأن السُّبَات سكون ما وثبوت عليه فالنوم سبات على معنى أنه سكون عن الاضطراب والحركة. وقال الخليل: السبات نوم ثقيل أي: جعلنا نومكم ثقیلاً ليكمل الإجمام والراحة.

وقال: قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ نَشُورًا﴾ (٤٧) من الانتشار للمعاش أي

النهار سبب الإحياء للانتشار شبه اليقظة فيه بتطابق الإحياء مع الإماتة وكان غ إذا أصبح قال: «الحمد لله الذي أحيانا من بعد ما أماتنا وإليه النشور».



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ (٤٨) لِنُخْرِجَ بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا وَنُشْقِيَهُ، مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْاسًا كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ (٥٠).

ج: يُذَكِّرُ الله ٥ بنعمه على خلقه وبفضله عليهم فيقول سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ أي: مبشرةً بنزول الغيث الذي به يرحم الله ٥ العباد فيسقون منه وتحيا أبدانهم وتحيا أرضهم وتحيا مواشيهم فالرياح مقدمات لهذا الغيث مبشرات به، وأنزل الله ٥ من السماء ماءً مطهرًا للأشياء مذهبًا للنجاسات ليحيي بهذا الماء أرضًا ميتةً ليس فيها نبات ولا ثمر فتنبت وتثمر بإذن الله، وكذا ليسقى بهذا الماء من خلقه أنعامًا وأناسًا كثيرين، ثم يبين الله ٥ أنه بقدرته وبحوله وقوته هو الذي يجعل الماء ينزل على هذه الأرض ولا يتنزل على تلك، وذلك ليتعظ الناس وليعتبر الناس وليقبلوا على عبادة ربهم ٥ وتوحيده، ودعائه وحده لا شريك له، ولكن رفض أكثر الناس هذا، وأبوا إلا أن يستمروا على كفرهم وجحودهم لنعم الله ٥ وضلالهم وغوايتهم، والعياذ بالله، ومنهم من قال: مُطَرْنَا بنوء كذا ونوء كذا.

وبنحو ذلك قال عدد من أهل العلم.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: والله الذي أرسل الرياح الملقحة ﴿بُشْرًا﴾: حياة أو من الحيا والغيث الذي هو منزله على عباده ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ ﴿٤٨﴾ يقول: وأنزلنا من السحاب الذي أنشأناه بالرياح من فوقكم أيها الناس ماء طهورًا. ﴿لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا﴾ يعني: أرضًا قحطة عذية لا تنبت. وقال: ﴿بَلْدَةً مَيِّتًا﴾ ولم يقل ميتة؛ لأنه أريد بذلك لنحيي به موضعًا ومكانًا ميتًا ﴿وَنُشْقِيَهُ﴾ ﴿مَنْ خَلَقْنَا﴾ ﴿أَنْعَمًا﴾ من البهائم ﴿وَأَنَاسٍ كَثِيرًا﴾ ﴿٤٩﴾ يعني الأناسي: جمع إنسان وجمع أناسي، فجعل الياء عوضًا من النون التي في إنسان، وقد يجمع إنسان: إناسين، كما يجمع النشيان نشايين. فإن قيل: أناسي جمع واحده إنسي، فهو مذهب أيضًا محكي، وقد يجمع أناسي مخففة الياء، وكأن من جمع ذلك كذلك أسقط الياء التي بين عين الفعل ولامه، كما يجمع القرقور: قراقرير وقراقر. ومما يصح جمعهم إياه بالتخفيف، قول العرب: أناسية كثيرة.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذْكُرُوا فَآيَ أَكْثَرِ النَّاسِ إِلَّا

كُفُورًا﴾ ﴿٥٠﴾.

يقول تعالى ذكره: ولقد قسمنا هذا الماء الذي أنزلناه من السماء طهورًا لنحيي به الميت من الأرض بين عبادي؛ ليتذكروا نعمي عليهم، ويشكروا أيادي عندهم وإحساني إليهم ﴿فَأَيُّ أَكْثَرِ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ ﴿٥٠﴾ يقول: إلا جحودًا لنعمي عليهم، وأيادي عليهم.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن عباس قال: ما عام بأكثر مطرًا من

عام، ولكن الله يصرفه بين خلقه؛ قال: ثم قرأ: ﴿وَلَقَدْ صَرَفْنَاهُ بَيْنَهُمْ﴾.

وفي رواية أخرى عن ابن عباس أيضاً عن ابن عباس أيضاً: ما عام بأكثر مطراً من عام، ولكنه يصرفه في الأرضين، ثم تلا ﴿وَلَقَدْ صَرَفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذْكُرُوا﴾.

قلت (مصطفى): وورد نحوه عن ابن مسعود **ف.**

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَلَقَدْ صَرَفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذْكُرُوا﴾ قال: المطر مرة هاهنا، ومرة هاهنا.

وقال الحافظ ابن كثير \$:

وهذا أيضاً من قدرته التامة وسلطانه العظيم، وهو أنه تعالى يرسل الرياح مبشرات، أي: بمجيء السحاب بعدها، والرياح أنواع، في صفات كثيرة من التسخير، فمنها ما يثير السحاب، ومنها ما يحمله، ومنها ما تسوقه، ومنها ما يكون بين يدي السحاب مبشراً، ومنها ما يكون قبل ذلك يقيم الأرض، ومنها ما يلقي السحاب ليمطر؛ ولهذا قال: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ (٤٨) أي: آلة يتطهر بها، كالسحور والوقود وما جرى مجراه. فهذا أصح ما يقال في ذلك. وأما من قال: إنه فعول بمعنى فاعل، أو: إنه مبني للمبالغة أو التعدي، فعلى كل منهما إشكالات من حيث اللغة والحكم، ليس هذا موضع بسطها، والله أعلم.

وقوله: ﴿لَنُحْيِيَنَّ بِهِ بَلَدَةً مِّثْلًا﴾ أي: أرضاً قد طال انتظارها للغيث، فهي هامدة لا نبات فيها ولا شيء. فلما جاءها الحيا عاشت واكتست رباها أنواع الأزاهير والألوان، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأُتْبِتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِيجٍ﴾ (٥) **[الحج: ٥١].**

﴿وَشَقَّيْنَاهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَأُنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾ (٤٩) أي: وليشرب منه الحيوان من أنعام وأناسي محتاجين إليه غاية الحاجة، لشربهم وزروعهم وثمارهم،

كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا فَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ، وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (الشورى: ٢٨)، وقال تعالى: ﴿فَانْظُرْ إِلَىٰ آثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الروم: ٤٩).

وقوله: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا﴾ أي: أمطرنا هذه الأرض دون هذه، وسقنا السحاب فمر على الأرض وتعداها وجاوزها إلى الأرض الأخرى، لم ينزل فيها قطرة من ماء، وله في ذلك الحجة البالغة والحكمة القاطعة.

قال ابن مسعود وابن عباس: ليس عام بأكثر مطراً من عام، ولكن الله يصرفه كيف يشاء، ثم قرأ هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾.

أي: ليذكروا بإحياء الله الأرض الميتة أنه قادر على إحياء الأموات. والعظام الرفات. أو: ليذكر من منع القطر أنما أصابه ذلك بذنب أصابه، فيقلع عما هو فيه.

وقال ابن كثير أيضاً:

وقوله: ﴿فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ قال عكرمة: يعني: الذين يقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا.

وهذا الذي قاله عكرمة كما صح في الحديث المخرج في صحيح مسلم ⁽¹⁾، عن رسول الله ﷺ أنه قال لأصحابه يوماً، على إثر سماء أصابتهم من الليل: «أتدرون ماذا قال ربكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا

(1) مسلم (حديث 71).

بفضل الله ورحمته فذاك مؤمن بي كافر بالكوكب. وأما من قال: مُطَرْنَا بنوء كذا وكذا، فذاك كافر بي، مؤمن بالكوكب».

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: ﴿مَاءٌ طَهُورًا﴾ (٤٨) يتطهر به كما يقال: وضوء للماء الذي يتوضأ به وكل طهور طاهر وليس كل طاهر طهورًا فالطهور (بفتح الطاء) الاسم وكذلك الوضوء والوقود وبالضم المصدر وهذا هو المعروف في اللغة قاله ابن الأنباري، فبيّن أن الماء المنزل من السماء طاهر في نفسه مطهر لغيره فإن الطهور بناء مبالغة في طاهر وهذه المبالغة اقتضت أن يكون طاهرًا مطهرًا وإلى هذا ذهب الجمهور.

وقال \$:

قوله تعالى: ﴿لِنُحْيِيَ بِهِ﴾ أي: بالمطر ﴿بَلَدَةً مَّيِّتًا﴾ بالجدوبة والمحل وعدم النبات. قال كعب: المطر روح الأرض يحييها به وقال ﴿مَّيِّتًا﴾ ولم يقل ميتة لأن معنى البلدة والبلد واحد وقاله الزجاج وقيل: أراد بالبلد المكان ﴿وَنُسْقِيهِ﴾ قراءة العامة بضم النون وقرأ عمر بن الخطاب وعاصم والأعمش فيما روى المفضل عنهما نسقيه (بفتح) النون ﴿مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَآنَاسًا كَثِيرًا﴾ (٤٩) أي: بشرًا كثيرًا وأناسي واحده إنسي.

وقال \$:

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ﴾ يعني القرآن وقد جرى ذكره في أول السورة: قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ﴾ [الفرقان: ١]، وقوله: ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾ [الفرقان: ٢] وقوله: ﴿اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ (٣٠)

[الفرقان: ٤٦] ﴿لِيَذْكُرُوا فَأَبْجَ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كَثُورًا﴾ (٥٠) أي: جودًا له وتكذيبًا به وقيل: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ﴾ هو المطر، روي عن ابن عباس وابن مسعود: وأنه ليس عامًّا بأكثر مطرًا من عام ولكن الله يصرفه حيث يشاء فما زيد لبعض نقص من غيرهم فهذا معنى التصريف وقيل: ﴿صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ﴾ وإبلاً وطشًا وطلًا ورهامًا - الجوهري: الرهام الأمطار اللينة - ورذاذًا. وقيل: تصريفه تنويع الانتفاع به في الشرب والسقي والزراعات به والطهارات وسقي البساتين والغسل وشبهه.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾ (٥١) فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ (٥٢).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: ولو شئنا يا رسول الله لبعثنا في كل قرية رسولًا ينذرهم عذاب الله ٥ ويخوفهم عقابه ويبشرهم بجنته إن هم أطاعوا، لو شئنا لفعلنا ذلك لتخفيف الأعباء عليك ولجعلنا كل رسول في كل قرية مسئولًا عن تبليغ أهلها وإنذارهم تخفيفًا لأعباء الدعوة عليك، ولكن جعلناك يا رسول الله رسولًا للخلق كلهم فضلًا منّا عليك وإكرامًا منّا لك، وذلك حتى يعظم لك الأجر بقيامك بالمسئولية العظيمة التي عهدنا بها إليك، وبتأدية الأمانات التي كلفناك بأدائها للخلق فلا تتوانى عن الدعوة إلى الله ولا تنتهي عنها ولا تفتر بل استمر في الدعوة إلى الله وقم بأعباء الجهاد كما أمرت وكما كُلفت وجاهدكم بهذا القرآن جهادًا كبيرًا بتذكيرهم به وبتخويفهم من العقاب بالوارد فيه وبامثال أمر ربك ٥ الذي أمرك في هذا القرآن.

وقيل: إن قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ﴾ أي: بالإسلام، أما قوله: ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾ ﴿٥٢﴾ فجهادًا متواصلًا من غير فتور ولا توائٍ ولا انثناء.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: ولو شئنا يا محمد لأرسلنا في كل مصر ومدينة نذيرًا ينذرهم بأسنا على كفرهم بنا، فيخف عنك كثير من أعباء ما حملناك منه، ويسقط عنك بذلك مؤنة عظيمة، ولكنا حملناك ثقل نذارة جميع القرى، لتستوجب بصبرك عليه إن صبرت ما أعد الله لك من الكرامة عنده، والمنازل الرفيعة قبله، فلا تطع الكافرين فيما يدعونك إليه من أن تعبد آلهتهم، فنذيقك ضعف الحياة وضعف الممات، ولكن جاهدهم بهذا القرآن جهادًا كبيرًا، حتى ينقادوا للإقرار بما فيه من فرائض الله، ويدينوا به ويذعنوا للعمل بجميعه طوعًا وكرهًا.

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾ ﴿٥١﴾ أي: رسولًا ينذرهم كما قسمنا المطر ليخف عليك أعباء النبوة ولكنا لم نفعل بل جعلناك نذيرًا لكل لترتفع درجتك فاشكر نعمة الله عليك.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾ أي: فلما يدعونك إليه من اتباع آلهتهم ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ﴾ قال ابن عباس: بالقرآن. ابن زيد: بالإسلام وقيل: بالسيف وهذا فيه بعد؛ لأن السورة مكية نزلت قبل الأمر بالقتال ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾ ﴿٥٢﴾ لا يخالطه فتور.

وقال ابن كثير \$:

يقول تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾﴾ يدعوهم إلى الله هـ،
ولكننا خصصناك -يا محمد- بالبعثة إلى جميع أهل الأرض، وأمرناك أن
تبلغ الناس هذا القرآن، ﴿لَا نُذِرْكُمْ بِهِءٍ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ٨٦]، ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِءٍ مِنَ الْأَحْزَابِ
فَأَلْتَارُ مَوْعِدَهُ﴾ [هود: ٤٧] ﴿وَلَنُذِرْكُمْ الْقُرْآنَ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ [الأنعام: ١١٧]، ﴿قُلْ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ
إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]. وفي الصحيحين: «بُعِثَتْ إِلَى
الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ» وفيهما: «وكان النبي يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثَتْ إِلَى
النَّاسِ عَامَّةً»؛ ولهذا قال: ﴿فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِءٍ﴾ يعني: بالقرآن،
قاله ابن عباس ﴿جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾، كما قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ جَاهِدِ
الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٢٣]، [التحريم: ٢٤] .



قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ۝٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ۝٥٤ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ۝٥٥ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٥٦ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا أَن شَاءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ۝٥٧ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ۝٥٨ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلِّ بِهِ خَيْرًا ۝٥٩ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۝٦٠ نَبَارَكُ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ۝٦١ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَن أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ۝٦٢﴾

[الفرقان: 53-62]

س: وضع معنى ما يلي:

﴿مَرَجَ - الْبَحْرَيْنِ - عَذْبٌ فُرَاتٌ - مِلْحٌ أُجَاجٌ - وَجَجَرَ تَحْجُورًا - خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا - نَسَبًا - وَصِهْرًا - ظَهيرًا - يَتَّخِذُ إِلَىٰ رِيهِ سَبِيلًا - وَتَوَكَّلْ - وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ - وَكَفَىٰ بِهِ يَذُنُوبَ عِبَادِهِ - خَيْرًا - فَسَلِّ بِهِ خَيْرًا - نُفُورًا - بُرُوجًا - سَرَجًا - مُنِيرًا - خِلْفَةً - يَذْكُرْ - أَرَادَ شُكُورًا﴾.

ج:

معناها	الكلمة
خلط	﴿مَرَجَ﴾
البحر المالح والعذب	﴿الْبَحْرَيْنِ﴾
عذب حلو	﴿عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾
مالح شديد الملوحة	﴿مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾
مانعًا (سائرًا) ممنوعًا مستورًا	﴿وَجَجَرَ تَحْجُورًا﴾
خلق من المنى إنسانًا	﴿خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾
قراية (وهي القرايات من ناحية الآباء والأمهات)	﴿نَسَبًا﴾
أصهارًا (وهي التي من ناحية الزوج والزوجة)	﴿وَصِهْرًا﴾
معاونًا - معيّنًا (على معصية الله)	﴿ظَهِيرًا﴾
يسلك طريقًا يوصله إلى مرضاة الله	﴿يَتَّخِذُ إِلَىٰ رِيهِ سَبِيلًا﴾
اعتمد	﴿وَتَوَكَّلْ﴾
نَزَّهه عن كل ما لا يليق به، وذلك يكون من فضل الله عليك، فتتزيهك له بفضله فليُحمد على هذا صلِّ له - قل سبحان الله وبحمده	﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾

هو وحده الخير بذنوب عباده ويكفي ذلك	﴿وَكَفَىٰ بِهِ ذُنُوبًا عَبَادُهُ خَيْرًا﴾
اسأل عنه خيرًا به - أسأله فهو الخير	﴿فَسْئَلُ بِهِ خَيْرًا﴾
بُعْدًا - فِرَارًا	﴿ثُمَّورًا﴾
قصورًا - كواكب عظيمة - نُجُومًا	﴿ثُمَّورًا﴾
شمسًا متوهجة كما قال: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ [النبا: ١٦]	﴿سِرَاجًا﴾
مضيئًا	﴿ثُمَّورًا﴾
يخلف أحدهما الآخر، يذهب هذا ويحيى ذاك	﴿خِلْفَةً﴾
يتعظ - يعتبر	﴿يَذَكَّرَ﴾
أراد أن يشكر الله بصلاة أو بذكر أو بصيام أو	﴿أَرَادَ شُكُورًا﴾



س: ما المراد بالبحرين؟

ج: المراد بـ(البحرين) العذب والمالح، أي: البحار والأنهار.



مزيد من الدلالات على وحدانية الله ٥ وقدرته

س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا

مِلْحٌ أجاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ (٥٣).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: والله هو الذي خلط البحرين ببعضهما العذب والمالح، الأنهار والبحار، فتصبب الأنهار ماءها في البحار ولا تعتدي البحار بمياهها العظيمة المالحة على الأنهار بل بينهما حاجز جعله الله سبحانه وتعالى بينهما حتى لا تدخل مياه البحار على مياه الأنهار فتفسدها وتفسد على الناس معاشهم.

وكما قال تعالى: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ (الرحمن: ٤٠).

وكما قال: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ (النمل: ٢٤).

فقوله هنا: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ أي: حاجزًا.

وقوله: ﴿وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ (٥٣) أي: سائرًا مانعًا ممنوعًا، أي: سائرًا يمنع أحدهما من البغي على الآخر.

هذا هو القول الذي عليه جماهير العلماء من المفسرين، وإن كانت هناك أقوال آخر منها أن المراد بالبرزخ الأرض اليابسة، وهذا خطأ لمخالفته قول الله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ (الرحمن: ٤١)، وبنحو ذلك يضعف القول القائل بأن المراد بحر السماء وبحر الأرض. وبنحو هذا قال عدد من أهل العلم.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: والله الذي خلط البحرين، فأمرج أحدهما في الآخر، وأفاضه فيه. وأصل المريج الخلط، ثم يقال للتخلية مريج؛ لأن

الرجل إذا خَلَّى الشيء حتى اختلط بغيره، فكأنه قد مرجه، ومنه الخبر عن النبي ﷺ، وقوله لعبد الله بن عمرو: «كيف بك يا عبد الله إذا كنت في حثالة من الناس، قد مرجت عهودهم وأماناتهم، وصاروا هكذا وشبك بين أصابعه. يعني بقوله: قد مرجت: اختلطت، ومنه قول الله: ﴿فِي أَمْرِ مَرْيَمَ﴾ (٥٠) ﴿ق: ١١﴾ أي مختلط. وإنما قيل للمرَج من ذلك؛ لأنه يكون فيه أخلاط من الدواب، ويقال: مرجت دابتك: أي خليتها تذهب حيث شاءت. ومنه قول الراجز:

رعى بها مرج ربيع ممرج

وقوله: ﴿هَذَا عَذَبٌ فُرَاتٌ﴾ الفرات: شديد العذوبة، يقال: هذا ماء فرات: أي شديد العذوبة وقوله: ﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ يقول: وهذا ملح مرٌّ، يعني بالعذب الفرات: مياه الأنهار والأمطار، وبالملح الأجاج: مياه البحار. وإنما عني بذلك أنه من نعمته على خلقه، وعظيم سلطانه، يخلط ماء البحر العذب بماء البحر الملح الأجاج، ثم يمنع الملح من تغيير العذب عن عذوبته، وإفساده إياه بقضائه وقدرته؛ لئلا يضر إفساده إياه بركبان الملح منهما، فلا يجدوا ماء يشربونه عند حاجتهم إلى الماء، فقال جل ثناؤه: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ يعني: حاجزًا يمنع كل واحد منهما من إفساد الآخر ﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ (٥٢) يقول: وجعل كل واحد منهما حرامًا محرماً على صاحبه أن يغيره ويفسده.

قال الطبري \$:

وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في معنى قوله: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا﴾ (٥٢) دون القول الذي قاله من قال معناه: إنه جعل بينهما حاجزًا

من الأرض أو من اليبس؛ لأن الله تعالى ذكره أخبر في أول الآية أنه مرج البحرين، والمرج: هو الخلط في كلام العرب على ما بينت قبل، فلو كان البرزخ الذي بين العذب الفرات من البحرين، والملح الأجاج أرضاً أو ييبساً لم يكن هناك مرج للبحرين، وقد أخبر جل ثناؤه أنه مرجهما، وإنما عرفنا قدرته بحجزه هذا الملح الأجاج عن إفساد هذا العذب الفرات، مع اختلاط كل واحد منهما بصاحبه. فأما إذا كان كل واحد منهما في حيز عن حيز صاحبه، فليس هناك مرج، ولا هناك من الأعجوبة ما ينبه عليه أهل الجهل به من الناس، ويذكرون به، وإن كان كل ما ابتدعه ربنا عجبياً، وفيه أعظم العبر والمواعظ والحُجج البوالغ.

وقال ابن كثير \$:

وقوله : ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾ أي : خلق الماءين: الحلو والملح، فالحلو كالأنهار والعيون والآبار، وهذا هو البحر الحلو الفرات العذب الزُّلال. قاله ابن جريج، واختاره ابن جرير، وهذا الذي لا شك فيه، فإنه ليس في الوجود بحر ساكن وهو عذب فرات. والله سبحانه إنما أخبر بالواقع لينبه العباد على نعمه عليهم ليشكروه، فالبحر العذب هو هذا السارح بين الناس، فرقه تعالى بين خلقه لاحتياجهم إليه أنهاراً وعيوناً في كل أرض بحسب حاجتهم وكفايتهم لأنفسهم وأراضيهم.

وقوله : ﴿ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾ أي: مالح مُرّ زعاق لا يُستساغ، وذلك كالبهار المعروفة في المشارق والمغارب: البحر المحيط وما يتصل به من الزقاق وبحر القلزم، وبحر اليمن، وبحر البصرة، وبحر فارس وبحر الصين والهند وبحر الروم وبحر الخزر، وما شاكلها وشابهها من البحار

الساكنة التي لا تجري، ولكن تتموج وتضطرب وتغتمل في زمن الشتاء وشدة الرياح، ومنها ما فيه مد وجزر، ففي أول كل شهر يحصل منها مد وفيض، فإذا شرع الشهر في النقصان جازت، حتى ترجع إلى غايتها الأولى، فإذا استهل الهلال من الشهر الآخر شرعت في المد إلى الليلة الرابعة عشرة، ثم تشرع في النقص، فأجرى الله سبحانه وتعالى -وله القدرة التامة - العادة بذلك. فكل هذه البحار الساكنة خلقها الله سبحانه وتعالى مألحة الماء؛ لئلا يحصل بسببها نتن الهواء، فيفسد الوجود بذلك، ولئلا تجوى الأرض بما يموت فيها من الحيوان. ولما كان ماؤها ملحاً كان هواؤها صحيحاً وميتها طيبة؛ ولهذا قال رسول الله ﷺ وقد سئل عن ماء البحر: أنتوضأ به؟ فقال: «هو الطهور ماؤه، الحِلُّ ميتته».

وقوله: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا﴾ أي: بين العذب والمالح ﴿بَرْزَخًا﴾ أي: حاجزاً، وهو اليبس من الأرض، ﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ (٥٣) أي: مانعاً أن يصل أحدهما إلى الآخر، كما قال: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ (١١) ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَتَّصِيَانِ﴾ (٢٠) ﴿فَإِنِّي إِلَـٰهٌ بِرَيْبِكُمَا تَكْذِبَانِ﴾ (١١) ﴿الرَّحْمَنُ: ١١-١٢﴾، وقال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلْ خِلَافَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلْ لَهَا رَاسًا وَجَعَلْ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَمْ نَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ بَلَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٦١) ﴿النمل: ١١﴾.

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ عاد الكلام إلى ذكر النعم ﴿مَرَجَ﴾ خلى وخط وأرسل. قال مجاهد: أرسلهما وأفاض أحدهما في الآخر. قال ابن عرفة: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ أي: خلطهما فهما يلتقيان يقال: مرجه إذا خلطته ومرج الدين والأمر اختلط واضطرب ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا مَرَجَ﴾ (٥)

[ق: ١٦]، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام لعبد الله بن عمرو بن العاص: «إذا رأيت الناس مرجت عهودهم وخفت أماناتهم وكانوا هكذا وهكذا» وشبك بين أصابعه.

وقال \$:

فقوله: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ أي: أجراهما وقال الأحفش: يقول قوم أمرج البحرين مثل مرج فعل وأفعل بمعنى ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ أي: حلو شديد العذوبة ﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ أي: فيه ملوحة ومرارة ورؤي عن طلحة أنه قرأ: ﴿وَهَذَا مِلْحٌ﴾ بفتح الميم وكسر اللام ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ أي: حاجزًا من قدرته، لا يغلب أحدهما على صاحبه كما قال في سورة الرحمن: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۚ (١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ۚ (٢٠)﴾ **[الرحمن: ١٩، ٢٠]** ﴿وَجَعَلَ تَحْجُورًا ۚ (٥٣)﴾ أي: سترًا مستورًا يمنع أحدهما من الاختلاط بالآخر، فالبرزخ الحاجز والحجر المانع وقال الحسن: يعني بحر فارس وبحر الروم. وقال ابن عباس وابن جبير: يعني بحر السماء وبحر الأرض، قال ابن عباس: يلتقيان في كل عام وبينهما برزخ قضاء من قضائه ﴿وَجَعَلَ تَحْجُورًا ۚ (٥٣)﴾ حرامًا محرماً أن يعذب هذا الملح بالعذب أو يملح هذا العذب بالملح.

قال الشنقيطي \$ (أضواء البيان):

اعلم أن لفظة: ﴿مَرَجَ﴾، تطلق في اللغة إطلاقين:

الأول: مرج بمعنى: أرسل وخلي، من قولهم: مرج دابته إذا أرسلها إلى المرج، وهو الموضع الذي ترعى فيه الدواب؛ كما قال حسان بن ثابت **ق:**

وكانت لا يزال بها أنيس خلال مروجها نعم وشاء

وعلى هذا، فالمعنى: أرسل البحرين وخلاهما لا يختلط أحدهما

بالآخر.

والإطلاق الثاني: مرج بمعنى: خلط، ومنه قوله تعالى: ﴿فِي أَمْرِ مَرْجٍ﴾ (٥) ﴿ق: ١٦﴾، أي: مختلط، فعلى القول الأول: فالمراد بالبحرين الماء العذب في جميع الدنيا، والماء الملح في جميعها.

وقوله: ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾، يعني: به ماء الآبار، والأنهار والعيون في أقطار الدنيا.

وقوله: ﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾، أي: البحر الملح، كالبحر المحيط وغيره من البحار التي هي ملح أجاج، وعلى هذا التفسير فلا إشكال.

وأما على القول الثاني بأن ﴿مَرْجٍ﴾ بمعنى خلط، فالمعنى: أنه يوجد في بعض المواضع اختلاط الماء الملح والماء العذب في مجرى واحد، ولا يختلط أحدهما بالآخر، بل يكون بينهما حاجز من قدرة الله تعالى، وهذا محقق الوجود في بعض البلاد، ومن المواضع التي هو واقع فيها المحل الذي يختلط فيه نهر السنغال بالمحيط الأطلسي بجنب مدينة سان لويس، وقد زرت مدينة سان لويس عام ست وستين وثلاثمائة وألف هجرية، واغتسلت مرة في نهر السنغال، ومرة في المحيط، ولم آت محل اختلاطهما، ولكن أخبرني بعض المرافقين الثقة أنه جاء إلى محل اختلاطهما، وأنه جالس يغرف بإحدى يديه عذبا وفراتا، وبالأخرى ملحا أجاجا، والجميع في مجرى واحد، لا يختلط أحدهما بالآخر، فسبحانه جلّ وعلا ما أعظمه، وما أكمل قدرته.

وهذا الذي ذكره جلّ وعلا في هذه الآية، جاء موضحا في غير هذا الموضع؛ كقوله تعالى في سورة «فاطر»: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ

سَائِغٌ شَرَابُهُ، وَهَذَا مِلْحٌ أَجَاجٌ ﴿١٧٤﴾، **[فاطر: ١٧٤]**، وقوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١١﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿١٢﴾﴾ **[الرحمن: ١١-١٢]**، أي: لا يبغي أحدهما على الآخر فيمتزج به، وهذا البرزخ الفاصل بين البحرين المذكور في سورة «الفرقان» وسورة «الرحمن»، قد بيّن تعالى في سورة «النمل» أنه حاجز حيز به بينهما، وذلك في قوله جلّ وعلا: ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ إِنَّ اللَّهَ بَلَّ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ **[النمل: ١١]**، وهذا الحاجز هو اليبس من الأرض الفاصل بين الماء العذب، والماء الملح على التفسير الأوّل.

وأما على التفسير الثاني: فهو حاجز من قدرة الله غير مرئي للبشر، وأكد شدة حيزه بينهما بقوله هنا: ﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾﴾، والظاهر أن قوله هنا: ﴿وَحِجْرًا﴾، أي: منعًا وحرامًا قدريًا، وأن ﴿مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾﴾ تأكيد له، أي: منعًا شديدًا للاختلاط بينهما، وقوله: ﴿هَذَا عَذْبٌ﴾، صفة مشبهة من قولهم: عذب الماء بالضم فهو عذب. وقوله: ﴿فُرَاتٌ﴾ صفة مشبهة أيضًا، من فرت الماء بالضم، فهو فرات، إذا كان شديد العذوبة، وقوله: ﴿وَهَذَا مِلْحٌ﴾، صفة مشبهة أيضًا من قولهم: ملح الماء بالضم والفتح، فهو ملح.

قال الجوهري في «صاحبه»: «ولا يقال مالح إلا في لغة ردية».

اهـ.

وقد أجاز ذلك بعضهم، واستدلّ له بقول القائل:

ولو تفلت في البحر والبحر مالح لأصبح ماء البحر من ريقها عذبًا

وقوله: ﴿أَجَاجٌ﴾، صفة مشبهة أيضًا، من قولهم: أجّ الماء يؤجّ أجوجًا فهو أجاج، أي: ملح مُرٌّ، فالوصف بكونه أجاجًا يدلّ على زيادة المرارة

على كونه ملحقًا، والعلم عند الله تعالى.



س: ما المراد بالماء في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾؟

ج: لأهل العلم قولان في هذا:

أشهرهما: أن المراد بالماء هو المنى كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَخْلُقْهُ مِنْ مَّاءٍ

مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾...﴾ [المرسلات: ٢٠-٢١].

والثاني: أن المراد بالماء هو الماء عموماً كماء الأنهار وماء المطر

وماء العيون والآباء ونحو ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴿٣٠﴾ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الأنبياء: ٣٠، ٣١]، والله أعلم.



المراد بالنسب والصهر

س: ما المراد بالنسب والصهر؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن النسب هم القرابات عموماً من ناحية الأب والأم والصهر

القرابات من ناحية النكاح أي من ناحية الزوجة والزوج.

الثاني: أن النسب الذي لا يحل نكاحه والصهر الذي يحل نكاحه،

وأرى هذا القول ضعيفاً.

وهناك أقوال آخر نورها قريباً إن شاء الله.

وانظر المحرمات بالنسب وبالمصاهرة فيما قدمته من سورة النساء،

وبالله التوفيق.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلْنَاهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾

وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾

ج: المعنى - والله أعلم -: والله هو الذي خلق من ماء الرجل، من المنى بشراً نجعل من هؤلاء البشر أهل نسب يعني قرابات، وكذلك جعل بسبب هذا الماء أصهار، وكان ربك قديرًا على فعل ما يريد.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: والله الذي خلق من النطف بشراً إنساناً فجعله نسباً، وذلك سبعة، وصهرًا، وهو خمسة.

وقوله: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ يقول: وربك يا محمد ذو قدرة على خلق ما يشاء من الخلق، وتصريفهم فيما شاء وأراد.

وقال ابن كثير \$:

وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ أي: خلق الإنسان من نطفة ضعيفة، فسوّاه وعدّله، وجعله كامل الخلقة، ذكرًا أو أنثى، كما يشاء، ﴿فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾، فهو في ابتداء أمره ولد نسيب، ثم يتزوج فيصير صهرًا، ثم يصير له أصهار وأختان وقرابات. وكل ذلك من ماء مهين؛ ولهذا قال: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾.

وقال القرطبي \$:

قال الفراء: النسب الذي لا يحل نكاحه والصهر الذي يحل نكاحه وقاله الزجاج وهو قول علي بن أبي طالب **ف** واشتقاق الصهر من صهرت الشيء إذا خلطته فكل واحد من الصهرين قد خالط صاحبه فسُمّيت المناكح صهرًا لاختلاط الناس بها وقيل: الصهر قرابة النكاح فقرابة الزوجة هم الأختان وقرابة الزوج هم الأحماء والأصهار يقع عامًا

لذلك كله قاله الأصمعي. وقال ابن العربي: الأختان أبو المرأة وأخوها وعمها - كما قال الأصمعي - والصهر زوج ابنة الرجل وأخوه وأبوه وعمه وقال محمد بن الحسن في رواية أبي سليمان الجوزجاني: أختان الرجل: أزواج بناته وأخواته وعماته وخالاته وكل ذات محرم منه وأصهاره كل ذي رحم محرم من زوجته. قال النحاس: الأولى في هذا أن يكون القول في الأصهار ما قال الأصمعي وأن يكون من قبلهما جميعاً يقال: صهرت الشيء أي: خلطته فكل واحد منهما قد خلط صاحبه.

وقال: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ۝٥٤﴾ على خلق ما يريد.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۝٥٣﴾ **وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا ۝٥٤﴾.**

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: وبعد أن بيّن الله ٥ نعمه على خلقه وعددها ودلّل على قدرته ووحدانيته فإذا بالكافرين أيضاً يعبدون آلهة من دون الله ٥ لا تنفعهم ولا تضرهم من الأوثان والأصنام، وكان الكافر معيناً للشيطان على معصية الله، ومظاهراً للشيطان على معصية الله.

هذا، ومن العلماء من قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا ۝٥٤﴾ قولاً آخر حاصله أنه كان هيئاً على الله ٥ مهملاً، فكما كان في الدنيا يتخذ ربه ظهرياً فإنه يهمل كذلك يوم القيامة، وكما قال شعيب

غ: ﴿يَنْقُورُ آرْهَطِي - أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذَتْكُمْ وِرَاءَ كُمُ ظَهْرِيًّا﴾ [هود: ٦٧].

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: ويعبد هؤلاء المشركون بالله من دونه آلهة لا تنفعهم، فتجلب إليهم نفعًا إذا هم عبدوها، ولا تضرهم إن تركوا عبادتها، ويتركون عبادة من أنعم عليهم هذه النعم التي لا كفاء لأدائها، وهي ما عدد علينا جل جلاله في هذه الآيات من قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ إلى قوله: ﴿قَدِيرٌ﴾، ومن قدرته القدرة التي لا يمتنع عليه معها شيء أراد، ولا يتعذر عليه فعل شيء أراد فعله، ومن إذا أراد عقاب بعض من عصاه من عباده أحلَّ به ما أحل بالذين وصف صفتهم من قوم فرعون وعاد وثمود وأصحاب الرس، وقرؤنا بين ذلك كثيرًا، فلم يكن لمن غضب عليه منه ناصر، ولا له عنه دافع ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ يقول تعالى ذكره: وكان الكافر معيًّا للشيطان على ربه، مظاهرا له على معصيته.

وأورد عن مجاهد آثارًا تصح بمجموعها فحواها أن الكافر يظاهر الشيطان (أي: يعاونه) على معصية الله ومخالفة أمره.

وأورد أيضًا بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ قال: على ربه عويًّا. والظهير: العوين. وقرأ قول الله: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ﴾ [الفصص: ٨٦] قال: لا تكونن لهم عويًّا. وقرأ أيضًا قول الله: ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ﴾ قال: ظاهرهم: أعانوهم.

وقال \$:

وقد كان بعضهم يوجه معنى قوله: ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ أي:

وكان الكافر على ربه هيئاً، من قول العرب: ظهرت به، فلم ألتفت إليه، إذا جعله خلف ظهره فلم يلتفت إليه، وكأن الظهير كان عنده فعيل صرف من مفعول إليه من مظهر به، كأنه قيل: وكان الكافر مظهرًا به. والقول الذي قلناه هو وجه الكلام، والمعنى الصحيح؛ لأن الله تعالى ذكره أخبر عن عبادة هؤلاء الكفار من دونه، فأولى الكلام أن يتبع ذلك ذمه إياهم، وذنم فعلهم دون الخبر عن هوانهم على ربهم، ولم يجر لاستكبارهم عليه ذكر، فيتبع بالخبر عن هوانهم عليه.

وقال ابن كثير \$:

يخبر تعالى عن جهل المشركين في عبادتهم غير الله من الأصنام، التي لا تملك لهم نفعاً ولا ضرراً، بلا دليل قادم إلى ذلك، ولا حجة أدتهم إليه، بل بمجرد الآراء، والتشهي والأهواء، فهم يوالونهم ويقاتلون في سبيلهم، ويعادون الله ورسوله فيهم؛ ولهذا قال: ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيراً﴾ أي: عوناً في سبيل الشيطان على حزب الله، وحزب الله هم الغالبون، كما قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ﴾ (٧٤) لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحَضَّرُونَ ﴿٧٥﴾ [يس: ٧٤-٧٥] أي: آلهتهم التي اتخذوها من دون الله لا تملك لهم نصراً، وهؤلاء الجهلة للأصنام جند محضرون يقاتلون عنهم، وَيَذُبُّونَ عَنْ حَوَازِمِهِمْ، ولكن العاقبة والنصرة لله ولرسوله في الدنيا والآخرة.

قال مجاهد: ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيراً﴾ (٥٥) قال: يظاهر الشيطان على معصية الله، يعينه.

وقال سعيد بن جبير: ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا ۝٥٥﴾ يقول: عونًا للشيطان على ربه بالعداوة والشرك.

وقال زيد بن أسلم: ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا ۝٥٥﴾ قال: موالياً.
وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ لما عدّد النعم وبيّن كمال قدرته عجب من المشركين في إشراكهم به من لا يقدر على نفع ولا ضرر أي: إن الله هو الذي خلق ما ذكره، ثم هؤلاء لجهلهم يعبدون من دونه أموالاً جمادات، لا تنفع ولا تضر ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ روي عن ابن عباس ﴿الْكَافِرُ﴾ هنا أبو جهل - لعنه الله - وشرحه أنه يستظهر بعبادة الأوثان على أوليائه وقال عكرمة: الكافر إبليس ظهر على عداوة ربه. وقال مطرف: ﴿الْكَافِرُ﴾ هنا الشيطان. وقال الحسن: ﴿ظَهِيرًا ۝٥٥﴾ أي: معيناً للشيطان على المعاصي: وقيل: المعنى وكان الكافر على ربه هيئاً ذليلاً، لا قدر له ولا وزن عنده من قول العرب: ظهرت به أي: جعلته خلف ظهرك ولم تلتفت إليه ومنه قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرًا﴾ [هود: ٤٧] أي: هيئاً ومنه قول الفرزدق:

تميم بن قيس لا تكونن حاجتي بظهر فلا يعيا علي جوابها

هذا معنى قول أبو عبيدة وظهير بمعنى مظهر أي: كفر الكافرين هين على الله تعالى والله مستهين به لأن كفره لا يضره وقيل: وكان الكافر على ربه الذي يعبده وهو الصنم قوياً غالباً يعمل به ما يشاء؛ لأن الجماد لا قدرة له على دفع ضرر ونفع.

قال الشنقيطي \$ (أضواء البيان):

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا ۝٥٥﴾.

الظهير في اللغة: المعين، ومنه قول تعالى: ﴿وَالْمَلَكُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ۝٤﴾

﴿[التحريم: ٤]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ۝١٧﴾﴾

[القصاص: ٤٧]

ومعنى قوله في هذه الآية الكريمة: ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا ۝٥٥﴾، على أظهر الأقوال: وكان الكافر معيًّا للشيطان، وحزبه من الكفرة على عداوة الله ورسله، فالكافر من حزب الشيطان يقاتل في سبيله أولياء الله، الذين يقاتلون في سبيل الله، فالكافر يُعين الشيطان وحزبه في سعيهم؛ لأن تكون كلمة الله ليست هي العليا، وهذا المعنى دلّت عليه آيات من كتاب الله؛ كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ﴾ [النساء: ٧٤] ومعلوم أن الذي يقاتل في سبيل الطاغوت، المقاتلين في سبيل الله، أنه على ربّه ظهير.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٥٦﴾ قُلْ مَا

أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ۝٥٧﴾.

ج: المعنى —والله تعالى أعلم—: وما أرسلناك يا رسول الله وكيلاً على هؤلاء ولا مكلّفاً بهدايتهم (هداية التوفيق) ولا مسيطراً عليهم فذلك ليس لك، إنما الهادي هو الله، وإنما أنت مذكر، ومبشراً لمن أطاع بالجنة، ومخوفاً من عصى بالنار ومنذراً ومحذراً فقل لهؤلاء المعاندين المعارضين: ما أسألكم أجراً على إيمانكم ولا على هدايتكم لكن من شاء أن يتخذ طريقاً يقربه من الله ويوصله إلى مرضاته وجناته فليتبعني فإنني

أُبين له طريق الحق والصواب، ومن شاء أن يتطوع بالصدقة لوجه الله فليتطوع.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ يا محمد إلى من أرسلناك إليه ﴿إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ بالثواب الجزيل، من آمن بك وصدقك، وآمن بالذي جنتهم به من عندي، وعملوا به ﴿وَنَذِيرًا﴾ من كذبك وكذب ما جنتهم به من عندي، فلم يصدقوا به، ولم يعملوا ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ يقول له: قل لهؤلاء الذين أرسلتك إليهم: ما أسألكم يا قوم على ما جنتكم به من عند ربي أجرًا، فتقولون: إنما يطلب محمد أموالنا بما يدعونا إليه، فلا نتبعه فيه، ولا نعطيه من أموالنا شيئًا، ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ يقول: لكن من شاء منكم اتخذ إلى ربه سبيلًا طريقًا بإنفاقه من ماله في سبيله، وفيما يقربه إليه من الصدقة والنفقة في جهاد عدوه، وغير ذلك من سبل الخير.

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ يريد بالجنة مبشرًا ونذيرًا من النار وما أرسلناك وكيلاً ولا مسيطراً. ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ يريد على ما جنتكم به من القرآن والوحي و﴿مَنْ﴾ للتأكيد ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ﴾ فهو استثناء منقطع والمعنى: لكن من شاء ﴿أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ بإنفاقه من ماله في سبيل الله فلينفق ويجوز أن يكون متصلًا ويُقدر حذف المضاف التقدير: إلا أجر ﴿مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ باتباع ديني حتى ينال

كرامة الدنيا والآخرة.

وقال ابن كثير \$:

ثم قال تعالى لرسوله - صلوات الله وسلامه عليه-: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ أي: بشيرًا للمؤمنين ونذيرًا للكافرين، مبشرًا بالجنة لمن أطاع الله، ونذيرًا بين يدي عذاب شديد لمن خالف أمر الله.

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ أي: على هذا البلاغ وهذا الإنذار من أجره أطلبها من أموالكم، وإنما أفعل ذلك ابتغاء وجه الله، ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير: ٢٤] ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ أي: طريقًا ومسلكًا ومنهجًا يقتدى فيها بما جئت به.



معنى قوله: ﴿وَسَيِّحٌ بِحَمْدِهِ﴾

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَيِّحٌ بِحَمْدِهِ﴾ وكفى به بذنوب عباده خبيرًا ﴿٥٨﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلِّ بِهِ خَيْرًا ﴿٥٩﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: واعتمد في شؤونك كلها وأمورك كلها على الله ٥ فهو الحي الذي لا يموت، وسائر الخلق يموتون، ونزّه الله ٥ عن كل ما لا يليق به من الشريك والمثيل والنذ والصاحبة والولد والمثيل وغير ذلك، نزّهه عن كل ما يصفه الواصفون المشركون مما لا يليق به وتسبيحك له (أي تنزيهك له) فضل من الله عليك؛ إذ وفقك لذلك فاحمد الله على أن وفقك لتسبيحك له، وقيل في معنى ﴿وَسَيِّحٌ بِحَمْدِهِ﴾ أي: صل له مُنْزَهًا إياه عن كل ما يليق، وقيل: وسبح بحمده، قل: سبحان الله وبحمده،

أما قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِهِ ذُنُوبًا عِوَادَةً خَيْرًا﴾، أي: أنه ٥ خبيرٌ بكل ذنوب عباده لا يخفى عليه منه شيء، فهو الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام، فلكونه خلقهما وما بينهما فهو يعلم من خلق كما قال: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [المك: ٣].

ثم إنه سبحانه الرحمن استوى على العرش بعد أن خلق السموات والأرض فاسأل عنه إن أردت أن تسأل خبيرًا به، وأخبر الناس به هو رسوله ﷺ الذي أرسله للناس كافة، أي: فاسأل عن الله ٥ رسوله محمدًا ﷺ.

وقيل: اقرأ القرآن فقد أخبر الله عن نفسه في هذا الكتاب العزيز. فعليه فقوله: ﴿فَسَلِّ بِهِ﴾ أي: اسأل عنه ﴿خَيْرًا﴾ أي: خبيرًا به، وقيل المعنى: فاسأل عن أي شيء تريده خبيرًا به والخبير بكل شيء هو الله ٥، والله أعلم. ثم هذه بعض أقوال أهل العلم في هذا الصدد.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: وتوكل يا محمد على الذي له الحياة الدائمة التي لا موت معها، فثق به في أمر ربك وفوض إليه، واستسلم له، واصبر على ما نابك فيه. قوله: ﴿وَسَيِّحٌ بِحَمْدِهِ﴾ يقول: واعبدته شكرًا منك له على ما أنعم به عليك. قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِهِ ذُنُوبًا عِوَادَةً خَيْرًا﴾ يقول: وحسبك بالحي الذي لا يموت خابرًا بذنوب خلقه، فإنه لا يخفى عليه شيء منها، وهو مُحْصٍ جميعها عليهم حتى يجازيهم بها يوم القيامة.

وقال: في تأويل قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلِّ بِهِ خَيْرًا﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْهِىِ الَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ ﴿الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ فقال: ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ وقد ذكر السماوات والأرض، والسماوات جماع، لأنه وجه ذلك إلى الصنفين والشيئين، كما قال القطامي:

أَلَمْ يَخْزُنْكَ أَنْ جِبَالَ قَيْسٍ وَتَغْلِبَ قَدْ تَبَايَنَتَا انْقِطَاعَا

يريد: وحبال تغلب فثنى، والحبال جمع؛ لأنه أراد الشيئين والنوعين.
وقوله: ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ قيل: كان ابتداء ذلك يوم الأحد، والفراغ يوم الجمعة ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾ يقول: ثم استوى على العرش الرحمن وعلا عليه، وذلك يوم السبت فيما قيل. وقوله: ﴿فَسَأَلَ بِهِ فَخَبِرًا﴾ يقول: فاسأل يا محمد خبيرًا بالرحمن، خبيرًا بخلقه، فإنه خالق كل شيء، ولا يخفى عليه ما خلق.

وقال الحافظ ابن كثير \$:

ثم قال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْهِىِ الَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ أي: في أمورك كلها كن متوكلاً على الله الحي الذي لا يموت أبداً، الذي هو ﴿الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٢] الدائم الباقي السرمدي الأبدي، الحي القيوم رب كل شيء ومليكه، اجعله دُخْرَكَ وملجأكَ، وهو الذي يُتَوَكَّلُ عليه ويفزع إليه، فإنه كافيك وناصرك ومؤيدك ومظفرك، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧].

وقوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾، أي: اقرن بين حمده وتسبيحه؛ ولهذا كان رسول الله ﷺ يقول: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك» أي: أخلص له

العبادة والتوكل، كما قال تعالى: ﴿رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [1] **المزمّل: ٤١** .

وقال: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ٥١] ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [1] **الملك: ٦٥** .

وقوله: ﴿وَكَفَى بِهِ يَذْنُوبٍ عَبَادَةً خَيْرًا﴾ أي: لعلمه التام الذي لا يخفى عليه خافية، ولا يعزب عنه مثقال ذرة.

وقوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أي: هو الحي الذي لا يموت، وهو خالق كل شيء وربّه ومليكه، الذي خلق بقدرته وسلطانه السموات السبع في ارتفاعها واتساعها، والأرضين السبع في سفولها وكثافتها، ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾، أي: يدبر الأمر، ويقضي الحق، وهو خير الفاصلين.

وقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلَّ بِهِ خَيْرًا﴾ أي: استعلم عنه من هو خير به عالم به فاتبعه واقتد به، وقد علم أنه لا أحد أعلم بالله ولا أخبر به من عبده ورسوله محمد، صلوات الله وسلامه على سيد ولد آدم على الإطلاق، في الدنيا والآخرة، الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى -فما قاله فهو حق، وما أخبر به فهو صدق، وهو الإمام المحكم الذي إذا تنازع الناس في شيء، وجب ردّ نزاعهم إليه، فما يوافق أقواله، وأفعاله فهو الحق، وما يخالفها فهو مردود على قائله وفاعله، كائنًا من كان، قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩].

وقال: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكِّمُوهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٥١] ، وقال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١٥١] أي: صدقًا في الإخبار

وعَدْلًا في الأوامر والنواهي؛ ولهذا قال: ﴿فَسَلِّ بِهِ خَيْرًا﴾ قال مجاهد في قوله: ﴿فَسَلِّ بِهِ خَيْرًا﴾ قال: ما أخبرتك من شيء فهو كما أخبرتك. وكذا قال ابن جريج.

وقال شمر بن عطية في قوله: ﴿فَسَلِّ بِهِ خَيْرًا﴾ قال: هذا القرآن خبير به.



المشركون واسم الرحمن

س: هل كان المشركون ينكرون اسم الرحمن؟

ج: منهم طوائف كانت تثبته، ومنهم من كان ينكره.

قال تعالى: ﴿قَالُوا... وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ﴾ [يس: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنْسَجِدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ [الفرقان: ٢٤].

وقال سهيل بن عمرو لرسول الله ﷺ في صلح الحديبية: لا ندري ما الرحمن وما الرحيم (1).



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنْسَجِدُ

لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ (٦٠).

ج: المعنى - والله أعلم-: وإذا قيل لهؤلاء المشركين لا تسجدوا للأصنام ولا للأوثان ولا لأي شيء إلا لله ٥ وحده لا شريك له هو الرحمن، قالوا مستنكرين: وما الرحمن؟! فإننا لا نعرف من الرحمن، أنسجد لما تأمرنا، وزادهم قوله: ﴿اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ﴾ ابتعادًا وفرارًا عن الحق

(1) مسلم (مع النووي 138/12)، والبخاري (2731)، (2732).

والإيمان.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: وإذا قيل لهؤلاء الذين يعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم: ﴿اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ﴾ أي: اجعلوا سجودكم لله خالصاً دون الآلهة والأوثان. قالوا: ﴿اسْجُدْ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾.

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة: ﴿لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ بمعنى: أنسجد نحن يا محمد لما تأمرنا أنت أن نسجد له. وقرأته عامة قراء الكوفة «لَمَا يَأْمُرُنَا» بالياء، بمعنى: أنسجد لما يأمر الرحمن، وذكر بعضهم أن مسيلمة كان يُدعى الرحمن، فلما قال لهم النبي ﷺ: اسجدوا للرحمن، قالوا: أنسجد لما يأمرنا رحمن اليمامة؟ يعنون مسيلمة بالسجود له.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك، أنهما قراءتان مستفيضتان مشهورتان، قد قرأ بكل واحد منهما علماء من القراء، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

وقوله: ﴿وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ يقول: وزاد هؤلاء المشركين قول القائل لهم: اسجدوا للرحمن من إخلاص السجود لله، وإفراد الله بالعبادة بعداً مما دعوا إليه من ذلك فراراً.

وقال ابن كثير \$:

ثم قال تعالى منكرًا على المشركين الذين يسجدون لغير الله من الأصنام والأنداد: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ؟﴾ أي: لا نعرف الرحمن. وكانوا ينكرون أن يُسمى الله باسمه الرحمن، كما أنكروا ذلك يوم الحديبية حين قال النبي ﷺ للكاتب: «اكتب بسم الله الرحمن الرحيم»

فقالوا: لا نعرف الرحمن ولا الرحيم، ولكن اكتب كما كنت تكتب: باسمك اللهم؛ ولهذا أنزل الله: ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١٩] أي: هو الله وهو الرحمن. وقال في هذه الآية: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ؟﴾ أي: لا نعرفه ولا نُقرُّ به ﴿أَسْجُدْ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ أي: لمجرد قولك؟ ﴿وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾، أما المؤمنون فإنهم يعبدون الله الذي هو الرحمن الرحيم، ويُفَرِّدُونَهُ بِالْإِلَهِيَّةِ ويسجدون له. وقد اتفق العلماء - رحمهم الله - على أن هذه السجدة التي في الفرقان مشروع السجود عندها لقارئها ومستمعها، كما هو مقرر في موضعه، والله أعلم.

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ﴾ أي: الله تعالى ﴿قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ؟﴾ على جهة الإنكار والتعجب أي: ما نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب وزعم القاضي أبو بكر ابن العربي أنهم إنما جهلوا الصفة لا الموصوف واستدل على ذلك بقوله: ﴿وَمَا الرَّحْمَنُ؟﴾ ولم يقولوا: ومن الرحمن قال ابن الحصار: وكأنه \$ لم يقرأ الآية الأخرى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ [الرعد: ٢٤] ﴿أَسْجُدْ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ هذه قراءة المدنيين والبصريين أي: لما تأمرنا أنت يا محمد واختاره أبو عبيد وأبو حاتم وقرأ الأعمش وحمزة والكسائي: (يأمرنا) بالياء يعنون الرحمن كذا تأوله أبو عبيد قال: ولو أقرروا بأن الرحمن أمرهم ما كانوا كفارًا، فقال النحاس: وليس يجب أن يتأول عن الكوفيين في قراءتهم هذا التأويل البعيد ولكن الأولى أن يكون التأويل لهم ﴿أَسْجُدْ لِمَا يَأْمُرُنَا﴾ النبي ﷺ فتصح القراءة على هذا وإن كانت الأولى أبين وأقرب تناولاً ﴿وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ أي: زادهم قول القائل

لهم اسجدوا للرحمن نفورًا عن الدين وكان سفيان الثوري يقول في هذه الآية: إلهي زادني لك خضوعًا ما زاد أعدائك نفورًا.



مزيد من الآيات

الدالة على وحدانية الله وقدرته هـ

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ نَبَّأَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴾ (١١) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْكَرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا (١٢).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: تكاثر الخير الوارد من الله هـ وتنامي وتزايد، تكاثر خير الله الذي جعل في السماء بروجًا، كواكب عظيمة، قصورًا، نجومًا، وجعل فيها شمسًا عظيمة سراجًا وهاجًا، وكذا جعل فيها قمرًا منيرًا للخلق في ظلماتهم، وهو أيضًا الذي جعل الليل والنهار، يخلف بعضهم بعضًا، يذهب هذا ويحيى ذاك لمن أراد أن يتعظ ويعتبر ويستدل على قدرة الله هـ ووحدانيته، وكذا لمن أراد أن يقدم شكرًا لله، فمن فاته قيامه من الليل صلاه بالنهار، ومن فاتته أذكاره وأوراده بالنهار فعلها ليلاً، ومن أراد أن يصوم عرف وقت الصيام والإفطار. وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: تقدّس الربّ الذي جعل في السماء بروجًا، ويعني بالبروج: القصور، في قول بعضهم.

وقال آخرون: هي النجوم الكبار.

وقال الطبري:

قوله: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرْجًا﴾ اختلف القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرْجًا﴾ على التوحيد، ووجهوا تأويل ذلك إلى أنه جعل فيها الشمس، وهي السراج التي عنى عندهم بقوله: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرْجًا﴾.

وقرأته عامة قراء الكوفيين «وَجَعَلَ فِيهَا سُرْجًا» على الجماع، كأنهم وجهوا تأويله: وجعل فيها نجومًا ﴿وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ وجعلوا النجوم سرجًا إذ كان يهتدى بها.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان في قراءة الأمصار، لكل واحدة منهما وجه مفهوم، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

وقوله: ﴿وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ يعني بالمنير: المضيء.

وقال: في تأويل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنۢ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾.

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ فقال بعضهم: معناه: أن الله جعل كل واحد منهما خلفًا من الآخر، في أن ما فات أحدهما من عمل يعمل فيه لله، أدرك قضاؤه في الآخر.

وقال آخرون: بل معناه أنه جعل كل واحد منهما مخالفًا صاحبه، فجعل هذا أسود وهذا أبيض.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أن كل واحد منهما يخلف صاحبه، إذا ذهب هذا جاء هذا، وإذا جاء هذا ذهب هذا.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ

وَالْتَهَارَخِلْفَةً ﴿١٩١﴾ قال: لو لم يجعلهما خليفة لم يدر كيف يعمل، لو كان الدهر ليلاً كله كيف يدري أحد كيف يصوم، أو كان الدهر نهاراً كله كيف يدري أحد كيف يصلي. قال: والخلفة: مختلفان، يذهب هذا ويأتي هذا، جعلهما الله خليفة للعباد، وقرأ: ﴿لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾.

قال الطبري:

والخلفة: مصدر، فلذلك وحدث، وهي خبر عن الليل والنهار؛ والعرب تقول: خلف هذا من كذا خليفة، وذلك إذا جاء شيء مكان شيء ذهب قبله، كما قال الشاعر:

وَلَهَا بِالْمَاطِرُونَ إِذَا أَكَلَ النَّمْلُ الَّذِي جَمَعَا

خِلْفَةً حَتَّى إِذَا ارْتَبَعَتْ سَكَنْتُ مِنْ جَلْقٍ بِيَعَا

وكما قال زهير:

بِهَا الْعَيْنُ وَالْأَرَامُ يَمْشِينَ خِلْفَةً وَأُطْلَاؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْتَمٍ

يعني بقوله: يمشين خليفة: تذهب منها طائفة، وت خلف مكانها طائفة أخرى. وقد يحتمل أن زهيراً أراد بقوله: خليفة: مختلفات الألوان، وأنها ضروب في ألوانها وهيئاتها. ويحتمل أن يكون أراد أنها تذهب في مشيها كذا، وتجيء كذا.

وقوله: ﴿لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ﴾ يقول تعالى ذكره: جعل الليل والنهار، وخلوف كل واحد منهما الآخر حجة وآية لمن أراد أن يذكر أمر الله، فينيب إلى الحق ﴿أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ أو أراد شكر نعمة الله التي أنعمها عليه في اختلاف الليل والنهار.

وقال الحافظ ابن كثير \$:

يقول تعالى، ومعمظاً على جميل ما خلق في السماء من البروج – وهي الكواكب العظام- في قول مجاهد، وسعيد بن جبير، وأبي صالح، والحسن، وقتادة.

وقيل: هي قصور في السماء للحرس، يُروى هذا عن علي، وابن عباس، ومحمد بن كعب، وإبراهيم النخعي، وسليمان بن مهران الأعمش. وهو رواية عن أبي صالح أيضاً، والقول الأول أظهر. اللهم إلا أن يكون الكواكب العظام هي قصور للحرس، فيجتمع القولان، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ [الملك: ٤] ؛ ولهذا قال: ﴿نَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا﴾ وهي الشمس المنيرة، التي هي كالسراج في الوجود، كما قال: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ [النبا: ١٧].

﴿وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ أي: مضيئاً مشرقاً بنور آخر ونوع وفن آخر، غير نور الشمس، كما قال: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرُ نُورًا﴾ [يونس: ٥] ، وقال مخبراً عن نوح **غ**، أنه قال لقومه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا﴾ [نوح: ١٠-١١].

ثم قال: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ أي: يخلف كل واحد منهما الآخر، يتعاقبان لا يفتران. إذا ذهب هذا جاء هذا، وإذا جاء هذا ذهب ذلك ، كما قال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [إبراهيم: ١٢] ، وقال: ﴿يُعْثِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حِينًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ [الأعراف: ٥٤] وقال: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠].

وقوله: ﴿لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْكَرَ أَوَّارَدُ شُكُورًا﴾ أي: جعلهما يتعاقبان، توقيفاً

لعبادة عباده له، فمن فاتته عمل في الليل استدركه في النهار، ومن فاتته عمل في النهار استدركه في الليل. وقد جاء في الحديث الصحيح ⁽¹⁾: «إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل».



صفات عباد الرحمن وأعمالهم

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ۝٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَسْتُرُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا ۝٦٤ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّهُ سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۝٦٥ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ۝٦٦ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۝٦٧ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ۝٦٨ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝٦٩ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ۝٧٠ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ۝٧١ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخْرُؤْا عَلَيْهَا ضُمًّا وَعُمْيَانًا ۝٧٢ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فَرَّةً أُغْنِ بِهَا وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ۝٧٣ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ۝٧٤ خَالِدِينَ فِيهَا حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۝٧٥ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ۝٧٦﴾ [الفرقان: 63-77].

س: وضح معنى ما يلي:

﴿هَوْنًا - سَلَمًا - يَبْتَثُونَ لِرَبِّهِمْ - غَرَامًا - سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا - لَمْ يُسْرِفُوا - وَلَمْ يَقْتُرُوا - قَوَامًا - لَا يَدْعُونَ - أَثَامًا - مُهَاسًا - يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا - لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ - بِاللَّغْوِ - مَرُّوا كِرَامًا - لَمْ يَجْرُوا عَلَيْهَا ضَمًّا وَعُمْيَانًا - إِمَامًا - الْفُرْقَةَ - وَيُلْقُونَ فِيهَا - حَسَنَتٌ مُسْتَقَرًّا - مَا يَعْجُزُ الْيَكْرَ - دُعَاؤُكُمْ - لِرَآئِنَا ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿هَوْنًا﴾	بسكينة ووقار وطاعة وتواضع – بلا جهل على أحدٍ بتوسط واعتدال
﴿سَلَمًا﴾	قولاً مُسدداً موفقاً- قولاً سالماً من الأذى
﴿يَبْتَثُونَ لِرَبِّهِمْ﴾	يقضون أغلب الليل في صلاة لربهم ودعاء
﴿غَرَامًا﴾	دائماً – مُلَازماً لا يزول
﴿سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾	ساعت مقراً ومحلاً للإقامة
﴿لَمْ يُسْرِفُوا﴾	لم يتجاوز حد الاعتدال في النفقة ولم ينفقوا في غير وجه الحق والصواب
﴿وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾	لم يبخلوا ولم يضيّقوا على أنفسهم وأهاليهم – لم يمنعوا الحقوق عن أصحابها
﴿قَوَامًا﴾	عدلاً ومعروفاً وقياماً بالشيء على وجهه
﴿لَا يَدْعُونَ﴾	لا يعبدون
﴿أَثَامًا﴾	عقاباً – نكالاً ، وقيل : وادٍ في جهنم ، وقيل : مضاعفة العذاب والخلود في النار مهاناً

﴿مُهَنَّا﴾	ذليلاً صاغراً مُهملاً معذباً
﴿يُنُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾	يرجع إلى الله رجوعاً حقيقياً فيقبل الله توبته
﴿لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾	لا يحضرون مجالس الباطل (مجالس الشرك والفحش واللهو وغير ذلك) لا يُدلون بشهادات كاذبة عند القضاء والحكام
﴿بِاللَّغْوِ﴾	ما لا فائدة فيه من الأقوال والأفعال، السباب والشتم والجهالات
﴿مَرُّوا كِرَامًا﴾	مروا دون تعرضٍ لسفيهه ودون ردِّ عليه واكتراثٍ به، كما تقول: مر مرور الكرام
﴿لَمْ يَخِرُّوْا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾	لم يقابلوها بأذان صماء ولا أعين عمياء ما تستقر به الأعين
﴿إِمَامًا﴾	أئمة
﴿الْفَرْقَةَ﴾	الغرفة واحدة الغرف، وهي مكانة سامية وعلية في الجنة لأهل التقى وللمقربين
﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا﴾	يُحيون فيها بالتحية والسلام يقابلون فيها بالتحية والسلام
﴿حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا﴾	نعمت المستقر الحسن
﴿مَا يَعْبُورُا بِكُمْ﴾	لا يبالى بكم ربي
﴿دُعَاؤُكُمْ﴾	إيمانكم
﴿لِرِزَامًا﴾	ملازمًا لكم

أمثلة لإضافة التشريف

س: ما فائدة الوصف بقوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ مع أن البشر كلهم عبيد لله؟

ج: هذه إضافة تشريف لهذا الصنف من البشر شَرَّفُوا بنسبتهم في عبوديتهم إلى الله ٥.

كما في قوله تعالى: ﴿نَافَةَ اللَّهِ﴾ [الشمس: ١٢] وكما في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ﴾ [الجن: ١٨]، وكما في قولهم في الحرم (بيت الله) وغير ذلك، والله أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم:- وهؤلاء عباد الرحمن الذين شَرَّفُوا بنسبتهم إلى الرحمن ٥ في عبوديتهم له ٥ فهم يعبدونه وحده لا شريك له، ها هي بعض صفاتهم وها هي بعض أعمالهم لعلَّ متشبهًا أن يتشبه بهم ولعلَّ مريدًا للهداية أن يسلك طريقهم فهم الذين يمشون على الأرض هَوْنًا بسكينةٍ ووقارٍ وتواضعٍ وطاعة لله، وكذا يمشون مشيًا وسطًا معتدلًا كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [الإسراء: ٢٧]، وكما في قول لقمان لولده: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ [لقمان: ١٧].

وإذا جهل عليهم جاهل لم يقابلوه بالجهالة التي صدرت منه بل قابله بهما يليق بالعقلاء والحلماء والفضلاء وأهل الإيمان أجابوه بما يقتضيه المقام من الحلم والعفو والإعراض عن أهل الجهل، وقابلوه السيئة

بالحسنة إذا كان المقام يقتضي ذلك، وقابلوه بالسداد عمومًا حسب ما تُرشد إليه عمومًا الشريعة، فقد يحتاج الجاهل إلى كلمة طيبة فيقدمونها له، وقد يحتاج إلى إعراض عنه فيعرضوا عنه، وقد يحتاج في بعض الأمور إلى شدة لردعه فيسلكون هذا السبيل لصد عدوان العدو الصائل.

وبنحو ذلك قال العلماء.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ بالحلم والسكينة والوقار غير مستكبرين، ولا متجبرين، ولا ساعين فيها بالفساد ومعاصي الله.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أنهم يمشون عليها بالطاعة والتواضع.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أنهم يمشون عليها بالحلم لا يجهلون على من جهل عليهم.

وقوله: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ يقول: وإذا خاطبهم الجاهلون بالله بما يكرهونه من القول، أجابوهم بالمعروف من القول، والسداد من الخطاب.

وقال ابن كثير \$:

هذه صفات عباد الله المؤمنين: ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ أي: بسكينة ووقار من غير جبرية ولا استكبار، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: ١٧]. فأما هؤلاء فإنهم يمشون من غير استكبار ولا مرح، ولا أشر ولا بطر، وليس المراد أنهم يمشون كالمرضى من البضائع تصنعًا ورياء، فقد كان سيد ولد آدم ﷺ إذا مشى

كأنما ينحط من صَبَب (1)، وكأنما الأرض تطوى له. وقد كره بعض السلف المشي بتضعف وتضعف، حتى روي عن عمر أنه رأى شاباً يمشي رويداً، فقال: ما بالك؟ أنت مريض؟ قال: لا يا أمير المؤمنين. فعلاه بالدرّة، وأمره أن يمشي بقوة. وإنما المراد بالهَوْن هاهنا السكينة والوقار، كما قال رسول الله ﷺ: «إذا أتيتم الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون، وأتوها وعليكم السكينة، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا» (2).

وقال \$:

وقوله: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ أي: إذا سَفِه عليهم الجاهل بالسَّيِّئ، لم يقابلوهم عليه بمثله، بل يعفون ويصفحون، ولا يقولون إلا خيراً، كما كان رسول الله ﷺ لا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا، وكما قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْنِئُ الْجَهْلِينَ﴾ [القصص: ٢٤].



أهل الإيمان يعملون الطاعات ويخشون العذاب

س: أهل الإيمان يعملون الطاعات ويسألون الله القبول ويحذرون غضب الله وعقابه دَلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى في شأن عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ يَسْتَكُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا

(1) وكان هذا - إن ثبت - محمول على أن تلك هي مشيئته المتوسطة.

(2) البخاري (635)، ومسلم (603).

﴿١٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ... ﴿١٥﴾ فَمَعَ مَبِيتِهِمْ اللَّهُ ه متقلبين بين القيام والسجود لله فإنهم يحذرون عذاب الله ه ولا يغترون بعملهم الذي يعملون. وكذا في قوله تعالى في شأن أهل الإيمان: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً تَوْأَمًا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ ﴿١٦﴾ ﴿المؤمنون: ١٤﴾.

وها هو الخليل إبراهيم غ وولده صادق الوعد إسماعيل غ يرفعان القواعد من البيت ويقولان ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ ﴿١٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّكَ عَذَابُهَا كَانَ غَرَامًا ﴿١٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿١٦﴾.

ج: هذا - والله تعالى أعلم -: مزيد بيان لصفات عباد الرحمن وأعمالهم فمن شأنهم أنهم في ليلهم يتقلبون بين القيام له ه وبين السجود له جل ذكره كما قال تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ ﴿١٧﴾ وَإِلَّا سَحَارِهِمْ يُسْتَغْفَرُونَ ﴿١٨﴾ ﴿الذاريات: ١٧-١٨﴾ وكما قال: ﴿نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ ﴿السجدة: ١٧﴾.

ثم إن هؤلاء الفضلاء، عباد الرحمن، لا يغترون بعملهم بل يسألون ربهم أن يصرف عنهم عذاب جهنم فإن عذابها كان مُلَازِمًا لا يزول والعياذ بالله، فقد علموا ذلك وأيقنوا، ومن ثم حذروا منه أشد الحذر، إنها أي جهنم ساءت المقر الذي يستقر فيه الشخص، وساءت المقام الذي يقيم فيه الشخص.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: والذين يبيتون لربهم يصلون لله، يراوون بين سجود في صلاتهم وقيام. وقوله: ﴿وَقِيَمًا﴾ جمع: قائم، كما الصيام جمع: صائم ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾ يقول تعالى ذكره: والذين يدعون الله أن يصرف عنهم عقابه وعذابه حذرًا منه ووجلًا. وقوله: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ يقول: إن عذاب جهنم كان غرامًا ملحًا دائمًا لازمًا غير مفارق من عذب به من الكفار، ومهلكًا له. ومنه قولهم: رجل مُغْرَم، من الغُرم والدَّين. ومنه قيل للغريم غريم لطلبه حقه، وإلحاحه على صاحبه فيه. ومنه قيل للرجل المولع للنساء: إنه لمغرم بالنساء، وفلان مغرم بفلان: إذا لم يصبر عنه؛ ومنه قول الأعشى:

إِنْ يُعَاقِبَ يَكُنْ غَرَامًا وَإِنْ يُغْفَرْ طِجْزِيلًا فَإِنَّهُ لَا يَبَالِي

يقول: إن يعاقب يكن عقابه عقابًا لازمًا، لا يفارق صاحبه مهلكًا له، وقول بشر بن أبي خازم:

يَوْمَ النَّسَارِ وَيَوْمَ الْجِفَا رَكَانَ عِقَابًا وَكَانَ غَرَامًا

وقال \$:

وقوله: ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ يقول: إن جهنم ساءت مستقرًّا ومقامًا، يعني بالمستقر: القرار، وبالمقام: الإقامة؛ كأن معنى الكلام: ساءت جهنم منزلًا ومقامًا. وإذا ضمت الميم من المقام فهو من الإقامة، وإذا فتحت فهو من قمت، ويقال: المقام إذا فتحت الميم أيضًا هو المجلس، ومن المقام بضم الميم بمعنى الإقامة، قول سلامة بن جندل:

يَوْمَانِ: يَوْمٌ مُقَامَاتٍ وَأَنْدِيَّةٍ وَيَوْمٌ سَيْرٍ إِلَى الْأَعْدَاءِ تَأْوِيْبٍ

ومن المقام الذي بمعنى المجلس، قول عباس بن مرداس:

فَأَيُّ مَا وَائِكَ كَانَ شَرًّا فَقِيدَ إِلَى الْمَقَامَةِ لَا يَرَاهَا

يعني: المجلس.

وقال ابن كثير \$:

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَسْتُكِبُونَ لِزَيْهَمَ سُجَّدًا وَقِيمًا﴾ أي: في عبادته وطاعته، كما قال تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿٧﴾ وَإِلَّا سَحَارَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ٧-٨]، وقال: ﴿نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦] وقال: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [الزمر: ١٦] ولهذا قال: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ أي: ملازمًا دائمًا. ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ أي: بئس المنزل منظرًا، وبئس المقيـل مقامًا.

وقال القرطبي \$:

﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ أي: بئس المستقر وبئس المقام أي: إنهم يقولون ذلك عن علم وإذا قالوه عن علم كانوا أعرف بعظم قدر ما يطلبون فيكون ذلك أقرب إلى النجاح.



س: متى يُعد الشخص مسرفًا ومتى يُعدُّ مُقتَرًا؟

ج: الإنفاق أمر نسبي، فأحيانًا ينفق الشخص نفقة كثيرة، ولا يكون مسرفًا فيها، وذلك لأن دخله مرتفع ورزق الله عليه واسع أو لأن المقام اقتضى ذلك لوجود أضياف ونحو ذلك من المناسبات. وأحيانًا يكون مُبذِرًا إذا أنفق نفقة ولو كانت أقل، وذلك لكون دخله

قليل أو لكونها أنفقت في غير محلها.

وكذا يُعدُّ مُقْتَرًا إذا بخل عن حق عليه (سواء حق الله هـ أو حق نفسه أو حق أهله وعياله أو حق أضيافه ...)، ولا يكون مُقْتَرًا من منع المال ولو كان قليلاً إذا كان سينفق في معصية الله هـ فالإنفاق أمر نسبي، ومن ثمَّ يترتب على ذلك وصف الشخص بالإسراف أو التقثير والله أعلم. فالإنفاق أمر نسبي، فقد ينفق الشخص في اليوم ألفاً من الجنيهاً والريالات ولا يعد مسرفاً إذا كان دخله على سبيل المثال في اليوم عشرة آلاف، وقد ينفق مائة ويعد مسرفاً، وذلك إذا كان دخله في اليوم خمسون مثلاً.

وهكذا قد ينفق على أضياف دعت الحاجة إلى إكرامهم، ينفق كثيراً ولا يعد مسرفاً لكون المقام اقتضى ذلك، فالحاصل أن الأمر نسبي، والله أعلم.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ (١٧).

ج: هذا بيان لطريقة عباد الرحمن في الإنفاق لعلَّ ملتصقاً الهداية أن يلتصق طريقته في الإنفاق فيسير عليها.

فمن شأنهم أنهم إذا أنفقوا لم يتجاوزوا الحد في الإنفاق ولم يوصفوا بأنهم من أهل التبذير الذين هم إخوان للشيطان فمن ثمَّ لم ينفقوا في باطل ولم يتجاوزوا الحد في المباحات، ولم يشتروا ما لا فائدة فيه ولا حاجة إليه، وكذا لم يبخلوا عن أداء الحقوق لأصحابها، لم يضيقوا على أنفسهم ولا على أهاليهم وأبناءهم، ولم يبخلوا على أضيافهم، وكذا فإنهم يؤدون

الحقوق لأصحابها فالفقير له عندهم حق والمسكين والجار، فضلاً عن الحق الذي ألزمهم الله به، فلم يوصفوا بأنهم بخلاء، وكما سبق لم يوصفوا أنهم من أهل الإسراف والتبذير.

* بل امثلوا ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٣٥]

٣٥

* واملثلوا ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف: ٣١]

* واملثلوا ﴿وَأَتَا ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا يَبْذُرْ بَذِيرًا﴾ [٣٦] إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿[الإسراء: ٣٣-٣٤]

أما قوله: ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ فمعناه: أن أمرهم بين الإسراف والتقتير كان عدلاً فيقومون بالمطلوب ولا يتجاوزون الحدود ولا يقصرون عن الواجبات والمستحبات، وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: والذين إذا أنفقوا أموالهم لم يسرفوا في إنفاقها. ثم اختلف أهل التأويل في النفقة التي عناها الله في هذا الموضع، وما الإسراف فيها والإقتار. فقال بعضهم: الإسراف ما كان من نفقة في معصية الله وإن قلت: قال: وإياها عنى الله، وسماها إسرافاً. قالوا: والإقتار: المنع من حق الله.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا﴾

وَلَمْ يَقْتَرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ قال: لم يسرفوا فينفقوا في معاصي الله كل ما أنفق في معصية الله وإن قلّ فهو إسراف، ولم يقتروا فيمسكوا عن طاعة الله. قال: وما أمسك عن طاعة الله وإن كثر فهو إقتار.

وقال آخرون: السرف: المجاوزة في النفقة الحد، والإقتار: التقصير عن الذي لا بدّ منه.

وقال آخرون: الإسراف هو أن تأكل مال غيرك بغير حق.

قال الطبري \$:

والصواب من القول في ذلك، قول من قال: الإسراف في النفقة الذي عناه الله في هذا الموضع: ما جاوز الحدّ الذي أباحه الله لعباده إلى ما فوقه، والإقتار: ما قصر عما أمر الله به، والقوام: بين ذلك. وإنما قلنا إن ذلك كذلك، لأنّ المسرف والمقتّر كذلك، ولو كان الإسراف والإقتار في النفقة مرخصا فيهما ما كانا مذمومين، ولا كان المسرف ولا المقتّر مذمومًا، لأنّ ما أذن الله في فعله فغير مستحق فاعله الذم.

فإن قال قائل: فهل لذلك من حدّ معروف تبينه لنا؟ قيل: نعم ذلك مفهوم في كلّ شيء من المطاعم والمشارب والملابس والصدقة وأعمال البرّ وغير ذلك، نكره تطويل الكتاب بذكر كل نوع من ذلك مفصلاً غير أن جملة ذلك هو ما بيّنا وذلك نحو: أكل آكل من الطعام فوق الشبع ما يضعف بدنه، وينهك قواه ويشغله عن طاعة ربه، وأداء فرائضه؛ فذلك من السرف، وأن يترك الأكل وله إليه سبيل حتى يضعف ذلك جسمه وينهك قواه ويضعفه عن أداء فرائض ربه؛ فذلك من الإقتار وبين ذلك القوام على هذا النحو، كل ما جانس ما ذكرنا، فأما اتخاذ الثوب للجمال يلبسه عند اجتماعه مع الناس، وحضوره المحافل والجمع والأعياد دون ثوب مهنته، أو أكله من الطعام ما قوّاه على عبادة ربه، مما ارتفع عما

قد يسد الجوع، مما هو دونه من الأغذية، غير أنه لا يعين البدن على القيام لله بالواجب معونته، فذلك خارج عن معنى الإسراف، بل ذلك من القوام، لأن النبي ﷺ قد أمر ببعض ذلك، وحضّ على بعضه، كقوله: «مَا عَلَى أَحَدِكُمْ لَوْ اتَّخَذَ ثَوْبَيْنِ: ثَوْبًا لِمِهْنَتِهِ، وَثَوْبًا لَجُمُعَتِهِ وَعِيدِهِ» وكقوله: «إِذَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً أَحَبَّ أَنْ يَرَى أَثَرَهَا عَلَيْهِ» وما أشبه ذلك من الأخبار التي قد بيّناها في مواضعها.

وأما قوله: ﴿وَكَانَ بَيْنَكَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ فإنه النفقة بالعدل والمعروف على ما قد بيّنا.

وقال ابن كثير \$:

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ أي: ليسوا بمبذرين في إنفاقهم فيصرفون فوق الحاجة، ولا بخلاء على أهلهم فيقصرون في حقهم فلا يكفونهم، بل عدلاً خياراً، وخير الأمور أوسطها، لا هذا ولا هذا، ﴿وَكَانَ بَيْنَكَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ ، كَمَا قَالَ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٥].

وأورد القرطبي قولاً حسناً في هذا الصدد فقال: قال ابن عطية: وهذا ونحوه غير مرتبط بالآية والوجه أن يقال: إن النفقة في معصية أمرٌ حظرت الشريعة قليله وكثيره وكذلك التعدي على مال الغير وهؤلاء الموصوفون مُنْزَهُونَ عن ذلك وإنما التأديب في هذه الآية هو في نفقة الطاعات في المباحات فأدب الشرع فيها ألا يفرط الإنسان حتى يضيع حقاً آخر أو عيلاً ونحو هذا وألا يضيق أيضاً ويقتر حتى يجيع العيال ويفرط في الشح والحسن في ذلك هو القوام أي: العدل والقوام في كل

واحد بحسب عياله وحاله وخفة ظهره وصبره وجلده على الكسب أو ضد هذه الخصال وخير الأمور أوساطها ولهذا ترك رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق أن يتصدق بجميع ماله لأن ذلك وسط بنسبة جلده وصبره في الدين ومنع غيره من ذلك ونعم ما قال إبراهيم النخعي: هو الذي لا يجيع ولا يعرى ولا ينفق نفقة يقول الناس قد أسرف.



س: هل صح لهذه الآيات: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ...﴾ سبب نزول؟

ج: نعم صح لها سبب نزول وذلك مما أخرجه البخاري ومسلم من حديث عبد الله (وهو ابن مسعود) **قَالَ:** سَأَلْتُ أَوْ سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ **ر** أَيُّ الذَّنْبِ عِنْدَ اللَّهِ أَكْبَرُ؟ **قَالَ:** «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلْقُكَ» **قُلْتُ:** ثُمَّ أَيُّ؟ **قَالَ:** «ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةً أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ» **قُلْتُ:** ثُمَّ أَيُّ؟ **قَالَ:** «أَنْ تَزْنِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ» **قَالَ:** وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ **ر**: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ **(1)**.

قال الشنقيطي \$ (أضواء البيان):

واعلم أن أظهر الأقوال في هذه الآية الكريمة، أن الله مدح عباده الصالحين بتوسطهم في إنفاقهم ، فلا يجاوزون الحدَّ بالإسراف في الإنفاق، ولا يقترون، أي: لا يضيقون فيبخلون بإنفاق القدر اللازم .
وقال بعض أهل العلم: الإسراف في الآية : الإنفاق في الحرام

(1) البخاري (4761)، ومسلم (86).

والباطل، والإقتار منع الحق الواجب، وهذا المعنى وإن كان حقاً فالأظهر في الآية هو القول الأول.

وقال \$ (أضواء البيان):

وإذا علمت مما ذكرنا أن جميع مسائل الاقتصاد راجعة إلى أصليين، هما: اكتساب المال، وصرفه في مصارفه، فاعلم أن كل واحد من هذين الأصليين، لا بدّ له من أمرين ضروريين له:

الأول منهما: معرفة حكم الله فيه؛ لأن الله جلّ وعلا لم يُبَحِّح اكتساب المال بجميع الطرق التي يكتسب بها المال، بل أباح بعض الطرق، وحرّم بعضها؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥]، ولم يبح الله جلّ وعلا صرف المال في كل شيء، بل أباح بعض الصرف وحرّم بعضه؛ كما قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ﴾ [البقرة: ٢٦١] الآية، وقال تعالى في الصرف الحرام: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ [الأنفال: ٢٥]، فمعرفة حكم الله في اكتساب المال وفي صرفه في مصارفه أمر ضروري لا بدّ منه؛ لأن من لم يعلم ذلك قد يكتسب المال من وجه حرام، والمال المكتسب من وجه حرام، لا خير فيه ألبتة، وقد يُصرف المال في وجه حرام، وصرفه في ذلك حسرة على صاحبه.

الأمر الثاني: هو معرفة الطريق الكفيلة باكتساب المال، فقد يعلم الإنسان مثلاً أن التجارة في النوع الفلاني مباحة شرعاً، ولكنه لا يعلم أوجه التصرف بالمصلحة الكفيلة بتحصيل المال، من ذلك الوجه

الشرعيّ، وكم من متصرّف يريد الربح، فيعود عليه تصرّفه بالخسران ، لعدم معرفته بالأوجه التي يحصل بها الربح. وكذلك قد يعلم الإنسان أن الصرف في الشيء الفلاني مباح ، وفيه مصلحة، ولكنه لا يهتدي إلى معرفة الصرف المذكور ، كما هو مشاهد في المشاريع الكثيرة النفع إن صرف فيها المال بالحكمة والمصلحة ، فإن جواز الصرف فيها معلوم ، وإيقاع الصرف على وجه المصلحة ، لا يعلمه كل الناس .

وبهذا تعلم أن أصول الاقتصاد الكبار أربعة :

الأول : معرفة حكم الله في الوجه الذي يكتسب به المال ، واجتناب الاكتساب به ، إن كان محرّمًا شرعًا .

الثاني : حسن النظر في اكتساب المال بعد معرفة ما يبيحه خالق السموات والأرض ، وما لا يبيحه .

الثالث : معرفة حكم الله في الأوجه التي يُصرف فيها المال ، واجتناب المحرم منها .

الرابع : حسن النظر في أوجه الصرف ، واجتناب ما لا يفيد منها ، فكل من بنى اقتصاده على هذه الأسس الأربعة كان اقتصاده كفيلاً بمصلحته ، وكان مرضياً لله جلّ وعلا ، ومن أخلّ بواحد من هذه الأسس الأربعة كان بخلاف ذلك؛ لأن من جمع المال بالطرق التي لا يبيحها الله جلّ وعلا فلا خير في ماله، ولا بركة؛ كما قال تعالى: ﴿يَمْحُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ﴾ [البقرة: ٢٧٥] ، وقال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَيْرُ وَالْأَلْبَنُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَيْرِ﴾ [المائدة: ٩٥] الآية.



س: وضع معنى هذه الآيات المباركات: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَنْتُهِبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: ومن صفات عباد الرحمن، وهي أخص صفاتهم أنهم لا يعبدون إلهاً مع الله ٥ بل يعبدون الله وحده لا شريك له، ويكفرون بعبادة ما سواه، وكذا فإنهم لا يقتلون النفس التي حرم الله ٥ قتلها إلا بالحق، والحق هو ما ذكره الله في كتابه وذكره النبي ﷺ في سنته، والذي منه قول النبي ﷺ: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا يَأْخُذَ ثَلَاثٌ: الثَّيْبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمَفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ».

وكذا فهناك حد الحرابة المذكور في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا...﴾ [المائدة: ٣٣] إلى غير ذلك مما وردت به النصوص كقتال الفئة الباغية ...

وكذا من صفات عباد الرحمن أنهم لا يزنون، ومن يفعل شيئاً مما ذكر فإنه يلحق عقاباً ونكالاً، صورته أنه يُضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه بلا نهاية ذليلاً صاغراً مهاناً.

لكن من تاب قبل موته مما ذكر، وأتبع الإيمان بالعمل الصالح فأولئك يبديل الله سيئاتهم حسنات – على ما قدمنا ذكره من كيفية تبديل السيئات بحسنات – وكان الله غفوراً لهم ما أسلفوه من الذنوب، رحيماً بهم ثم

يتأكد القول بأن باب التوبة مفتوح على العموم للمذنبين فيقول تعالى: ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾، وحاصل معناه أن من رجع إلى الله ٥ قبل الله رجوعه، وتوبته يتوب الله عليه، وهذا الأخير في حق غير المذكورين أولاً فالمذكورون في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ قبول توبتهم في قوله: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ أما غيرهم من المذنبين فيبين أن باب التوبة مفتوح لهم أيضاً بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾.

وبنحو ذلك قال أهل العلم:

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: والذين لا يعبدون مع الله إلهاً آخر، فيشركون في عبادتهم إياه، ولكنهم يخلصون له العبادة ويفردونه بالطاعة ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾ قتلها ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ إما بكفر بالله بعد إسلامها، أو زناً بعد إحصانها، أو قتل نفس، فنقتل بها ﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾ فيأتون ما حرم الله عليهم إتيانه من الفروج ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ يقول: ومن يأت هذه الأفعال، فدعا مع الله إلهاً آخر، وقتل النفس التي حرم الله بغير الحق، وزنى ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ يقول: يلق من عقاب الله عقوبة ونكالا كما وصفه ربنا جل ثناؤه، وهو أنه ﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾، ومن الأثام قول بلعاء بن قيس الكناني:

جَزَى اللَّهُ ابْنَ عُرْوَةَ حَيْثُ أَمْسَى عَفُوقًا وَالْعُفُوقُ لَهُ أَثَامٌ

يعني بالأثام: العقاب.

وقال الطبري \$:

وقد ذُكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ من أجل قوم من المشركين أرادوا الدخول في الإسلام، ممن كان منه في شركه هذه الذنوب، فخافوا أن لا ينفعهم مع ما سلف منهم من ذلك إسلام، فاستفتوا رسول الله ﷺ في ذلك، فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية، يُعلمهم أن الله قابل توبة من تاب منهم.

وأورد الطبري الروايات بذلك ثم قال:

وقال آخرون: هذه الآية منسوخة بالتالي في النساء.

قلت (مصطفى): يعني قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِدًا فَجَزَاءُ اللَّهِ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَعَذَابُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ **[النساء: ٣٣].**

قلت (مصطفى): لكن النسخ لا يصار إليه إلا عند عدم إمكان الجمع، وكذا عند التعارض، ولا تعارض هاهنا ثم إن الجمع ممكن، بأن يُقال إن آية النساء ليس فيها تعرض لذكر التوبة، فمن تاب تاب الله عليه حتى ولو كان كافراً، لقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ **[الأنفال: ٣٨]**، ولقوله تعالى: ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ أَشْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ **[الزمر: ٥٤].**

* ثم إن القتل نفسه يُكفر إذا شاء الله، فإن الله قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ **[النساء: ٤٨].**

* وحديث قاتل المائة نفساً شاهد بذلك أيضاً.

* وكذلك يمكن أن ينزل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِدًا..﴾، على المستحل، الذي يستحل قتل المؤمن لكونه مؤمناً، والله أعلم.

*** هذا وارجع إلى ما قاله الطبري \$ في تفسير الآيات.**

قال \$:

وقوله: ﴿وَيُخَلِّدُ فِيهِ مُهَانًا﴾ ويبقى فيه إلى ما لا نهاية في هوان. وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ يقول تعالى ذكره: ومن يفعل هذه الأفعال التي ذكرها جل ثناؤه يلق أثامًا ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾ يقول: إلا من راجع طاعة الله تبارك وتعالى بتركه ذلك، وإنابته إلى ما يرضاه الله ﴿وَأَمَنَ﴾ يقول: وصدق بما جاء به محمد نبي الله ﴿وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ يقول: وعمل بما أمره الله من الأعمال، وانتهى عما نهاه الله عنه.

قوله: ﴿فَأُولَٰئِكَ يَبْدُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾. اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: فأولئك يبذل الله بقبائح أعمالهم في الشرك، محاسن الأعمال في الإسلام، فيبدله بالشرك إيمانًا، وبقليل أهل الشرك بالله قيل أهل الإيمان به، وبالزنا عفة وإحصاءًا.

قال الطبري:

وقال آخرون: بل معنى ذلك، فأولئك يبذل الله سيئاتهم في الدنيا حسنات لهم يوم القيامة.

قال أبو جعفر: وأولى التأويلين بالصواب في ذلك، تأويل من تأوله: فأولئك يبذل الله سيئاتهم: أعمالهم في الشرك حسنات في الإسلام، بنقلهم عما يسخطه الله من الأعمال إلى ما يرضى.

وإنما قلنا ذلك أولى بتأويل الآية، لأن الأعمال السيئة قد كانت مضت على ما كانت عليه من القبح، وغير جائز تحويل عين قد مضت بصفة إلى خلاف ما كانت عليه إلا بتغييرها عما كانت عليه من صفتها في حال أخرى، فيجب إن فعل ذلك كذلك أن يصير شرك الكافر الذي كان شركًا

في الكفر بعينه إيمانًا يوم القيامة بالإسلام ومعاصيه كلها بأعيانها طاعة، وذلك ما لا يقوله ذو جبا.

وقوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ يقول تعالى ذكره: وكان الله ذا عفو عن ذنوب من تاب من عباده، وراجع طاعته، وذا رحمة به أن يُعاقبه على ذنوبه

بعد توبته منها. قوله: ﴿وَمَنْ تَابَ﴾ يقول: ومن تاب من المشركين، فأمن بالله ورسوله ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ يقول: وعمل بما أمره الله فأطاعه، فإن الله فاعل به من إبداله سيئ أعماله في الشرك بحسنها في الإسلام، مثل الذي فعل من ذلك بمن تاب وآمن وعمل صالحًا قبل نزول هذه الآية من أصحاب رسول الله ﷺ.

وأورد أبو جعفر الطبري بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ قال: هذا للمشركين الذين قالوا لما أنزلت: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ ... إلى قوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ لأصحاب رسول الله ﷺ، ما كان هؤلاء إلا معنًا، قال: ومن تاب وعمل صالحًا فإن لهم مثل ما لهؤلاء ﴿فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ لم تُحظر التوبة عليكم.

أما الحافظ ابن كثير \$: فقد أورد عند تفسير هذه الآية الكريمة ما أخرجه الإمام أحمد (1) عن شقيق، عن عبد الله - هو ابن مسعود - قال: سئل رسول الله ﷺ أي: الذنب أكبر؟ قال: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نَدًّا وَهُوَ خَلْقُكَ». قال: ثم أي؟ قال: «أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةً أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ». قال: ثم أي؟

(1) أحمد (380/1).

قال: «أن تزاني حليلة جارك». قال عبد الله: وأنزل الله تصديق ذلك: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾.

وأشار إلى ما أخرجه البخاري ومسلم ⁽¹⁾ من طريق منصور وسليمان (الأعمش) عن أبي وائل عن أبي ميسرة عن عبد الله قال: سألت رسول الله ﷺ: أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك» قال: قلت له: إن ذلك لعظيم. قال: قلت: ثم أي؟ قال: «ثم أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك» قال: قلت: ثم أي؟ قال: «ثم أن تزاني حيلة جارك».

وأورد روايات أخر ثم قال:

وقوله: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾. روي عن عبد الله بن عمرو أنه قال: ﴿أثامًا﴾ واد في جهنم.

وقال عكرمة: ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ أودية في جهنم يُعَذَّبُ فيها الزناة. وكذا روي عن سعيد بن جبير، ومجاهد.

وقال قتادة: ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ نكالا كنا نحدث أنه واد في جهنم.

وقال السدي: ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ : جزاء.

وهذا أشبه بظاهر الآية؛ ولهذا فسر به بما بعده مبدلاً منه، وهو قوله: ﴿يُضَعَّفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أي: يكرر عليه ويغلظ، ﴿وَيُحْدِثُ فِيهِ مَهَانًا﴾ أي: حقيراً ذليلاً.

وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ أي: جزاؤه على ما فعل

(1) البخاري (4761)، ومسلم (86).

من هذه الصفات القبيحة ما ذكر ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾ في الدنيا إلى الله من جميع ذلك، فإن الله يتوب عليه.

وفي ذلك دلالة على صحة توبة القاتل، ولا تعارض بين هذه وبين آية النساء: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَعَصَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣] فإن هذه وإن كانت مدنية إلا أنها مطلقة، فتحمل على من لم يتب؛ لأن هذه مقيدة بالتوبة، ثم قد قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨، ٤٩]. وقد ثبتت السنة الصحيحة، عن رسول الله ﷺ بصحة توبة القاتل، كما ذكر مقررًا من قصة الذي قتل مائة رجل ثم تاب، وقيل منه، وغير ذلك من الأحاديث.

ثم قال ابن كثير \$ بعد أن أورد جملة من الآثار:

ثم قال تعالى مخبرًا عن عموم رحمته لعباده وأنه من تاب إليه منهم تاب عليه من أي ذنب كان، جليل أو حقير، كبير أو صغير فقال: ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ أي: فإن الله يقبل توبته، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤]، وقال ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ٦٤]، وقال: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٤]، أي: لمن تاب إليه.

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ إخراج لعباده المؤمنين

من صفات الكفرة في عبادتهم الأوثان وقتلهم النفس بؤاد البنات وغير ذلك من الظلم والاعتقال والغارات ومن الزنى الذي كان عندهم مباحاً.

وقال: قوله تعالى: ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي: بما يحق أن تقتل به النفوس من كفر بعد إيمان أو زنى بعد إحسان على ما تقدم بيانه في الأنعام ﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾ فيستحلون الفروج بغير نكاح ولا ملك يمين ودلت هذه الآية على أنه ليس بعد الكفر أعظم من قتل النفس بغير الحق ثم الزنى ولهذا ثبت في حد الزنى القتل لمن كان محصناً أو أقصى الجلد لمن كان غير محصن.

وقال: ﴿يُضَعَفُ﴾ بالجزم بدل من «يلق» الذي هو جزاء الشرط.

قال سيبويه: مضاعفة العذاب لقي الآثام. قال الشاعر:

متى تأتينا تلمم بنا في ديارنا تجد حطباً جزلاً وناراً تأججا

وقال آخر:

إن علي الله أن تبايعنا تؤخذ كرهًا أو تجيء طائعا

وأما الرفع ففيه قولان: أحدهما أن تقطعه مما قبله والآخر أن يكون محمولاً على المعنى كأن قائلاً قال: ما لقي الآثام فقليل له : يضاعف له العذاب و (مهانا) معناه ذليلاً خاسئاً مبعداً مطروداً.

قال السعدي \$ (تيسير الكريم الرحمن):

﴿وَمَنْ يَعْلَ ذَلِكَ﴾ أي: الشريك بالله أو قتل النفس التي حرم الله بغير حق أو الزنا فسوف ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ ثم فسره بقوله: ﴿يُضَعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَخُلِدَ فِيهِ﴾ أي: في العذاب ﴿مُهَنَّا﴾ فالوعيد بالخلود لمن فعلها كلها ثابت لا شك فيه وكذا لمن أشرك بالله، وكذلك الوعيد بالعذاب الشديد على كل

واحد من هذه الثلاثة لكونها؛ إما شرك وإما من أكبر الكبائر.
وأما خلود القاتل والزاني في العذاب فإنه لا يتناول له الخلود لأنه قد دلت النصوص القرآنية والسنة النبوية أن جميع المؤمنين سيُخرجون من النار ولا يُخلَّد فيها مؤمن ولو فعل من المعاصي ما فعل، ونصَّ تعالى على هذه الثلاثة لأنها أكبر الكبائر: فالشرك فيه فساد الأديان، والقتل فيه فساد الأبدان، والزنا فيه فساد الأعراض.



المراد بتبديل السيئات إلى حسنات

س: ما المراد بتبديل السيئات حسنات في قوله تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ يَبْدَلُ

اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ؟

ج: لأهل العلم أقوال في ذلك حاصلها ما يلي:

الأول: أنهم كانوا في جاهليتهم يعملون أعمالاً سيئة، فتكتب عليهم سيئات، فبعد أن آمنوا، عملوا أعمالاً صالحة فبدلاً من السيئات التي كانت تكتب عليهم أصبحت تُكتب لهم حسنات على أعمالهم الصالحة.

الثاني: أنهم لما عملوا السيئات استعظموا ذلك فكلما ذكروا السيئة التي عملوها أحدثوا استغفاراً وعملاً صالحاً، فكانت السيئة التي عملوها سبباً في أعمالٍ صالحة كثيرة عملوها، وعلى سبيل التقريب، قد يذنب الشخص ذنباً كفارته صلاة ركعتين مثلاً فيصلي ركعتين، يُكفر الله بهما الذنب الذي ارتكب، ولكن العبد كلما ذكر الذنب استغفر وصلى وصام وتصدق وعمل صالحاً فكل ما يصنعه بعد أن غُفر ذنبه بصلاة ركعتين، فكل ما يصنع يُحصَل مزيداً من الثواب والأجر، والله أعلم.

وأورد القرطبي وجهًا حاصله حمل الآية على ظاهرها فقال: فلا يبعد في كرم الله تعالى إذا صحت توبة العبد أن يضع مكان كل سيئة حسنة.

قال الحافظ ابن كثير \$:

وقوله: ﴿ فَأُولَٰئِكَ يَبْدُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۖ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۖ ﴾ : في معنى قوله: ﴿ يَبْدُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۖ ﴾ قولان:

أحدهما: أنهم بدلوا مكان عمل السيئات بعمل الحسنات. قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿ فَأُولَٰئِكَ يَبْدُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۖ ﴾ قال: هم المؤمنون، كانوا من قبل إيمانهم على السيئات، فرغب الله بهم عن ذلك فحوّلهم إلى الحسنات، فأبدلهم مكان السيئات الحسنات.

وقال سعيد بن جبير: أبدلهم بعبادة الأوثان عبادة الله، وأبدلهم بقتال المسلمين قتالاً مع المسلمين للمشركين، وأبدلهم بنكاح المشركات نكاح المؤمنات.

وقال الحسن البصري: أبدلهم الله بالعمل السيئ العمل الصالح، وأبدلهم بالشرك إخلاصاً، وأبدلهم بالفجور إحساناً وبالكفر إسلاماً. وهذا قول أبي العالية، وقتادة، وجماعة آخرين.

والقول الثاني: أن تلك السيئات الماضية تنقلب بنفس التوبة النصوح حسنات، وما ذاك إلا أنه كلما تذكر ما مضى ندم واسترجع واستغفر، فينقلب الذنب طاعة بهذا الاعتبار. فيوم القيامة وإن وجده مكتوباً عليه لكنه لا يضره وينقلب حسنة في صحيفته، كما ثبتت السنة بذلك، وصحت به الآثار المروية عن السلف -رحمهم الله تعالى- وهذا سياق الحديث-قال الإمام أحمد:

وأورد ابن كثير \$ حديث: أبي ذر **ق** قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعرف آخر أهل النار خروجًا من النار، وآخر أهل الجنة دخولًا إلى الجنة: يُؤتى برجل فيقول: نَحُوا كِبَارَ ذُنُوبِهِ وَسَلُّوهُ عَنْ صِغَارِهَا، قال: فيُقال له: عملت يوم كذا وكذا كذا، وعملت يوم كذا وكذا كذا؟ فيقول: نعم -لا يستطيع أن ينكر من ذلك شيئًا - فيُقال: فإن لك بكل سيئة حسنة. فيقول: يا رب، عملت أشياء لا أراها هاهنا» **(1)**. قال: فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه.

قال القرطبي \$ أيضًا:

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ لا يقال: من قام فإنه يقوم فكيف قال من تاب فإنه يتوب؟ فقال ابن عباس: المعنى من آمن من أهل مكة وهاجر ولم يكن قتل وزنى بل عمل صالحا وأدى الفرائض فإنه يتوب إلى الله متابا أي فإني قدمتهم وفضلتهم على من قابل النبي ﷺ واستحل المحارم. وقال الفقهاء: يحتمل أن يكون الآية الأولى فيمن تاب من المشركين ولهذا قال: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ﴾ ثم عطف عليه من تاب من المسلمين وأتبع توبته عملا صالحا فله حكم التائبين أيضا وقيل: أي من تاب بلسانه ولم يحقق ذلك بفعله وفليست تلك التوبة نافعة بل من تاب وعمل صالحا فحقق توبته بالأعمال الصالحة فهو الذي تاب إلى الله متابا أي تاب حق التوبة وهي النصوح ولذا أكد بالمصدر ف ﴿مَتَابًا﴾ مصدر معناه التأكيد كقوله: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٧] أي: فإنه يتوب إلى الله حقًا فيقبل الله توبته حقا.

قال السعدي \$ (تيسير الكريم الرحمن):

﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ أي: فليعلم أن توبته في غاية الكمال؛ لأنها رجوع إلى الطريق الموصل إلى الله الذي هو عين سعادة العبد وفلاحه فليخلص فيها وليخلصها من شوائب الأغراض الفاسدة، فالمقصود من هذا الحث على تكميل التوبة وإيقاعها على أفضل الوجوه وأجلها ليقدم على من تاب إليه فيوفيه أجره بحسب كمالها.



س: هل صح لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ سبب

نزول؟

ج: نعم صح لها سبب نزول، وذلك فيما أخرجه البخاري من طريق سَعِيدِ ابْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: قَالَ ابْنُ أَبِي رَاسٍ: «سُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٣] وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ - حَتَّى بَلَغَ - ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ﴾ فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ قَالَ أَهْلُ مَكَّةَ: فَقَدْ عَدَلْنَا بِاللَّهِ، وَقَدْ قَتَلْنَا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَتَيْنَا الْفَوَاحِشَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ - إِلَى قَوْلِهِ: - ﴿غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (1).



س: مَنْ مِنَ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ ذَهَبُوا إِلَى أَنَّ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ: ﴿...وَلَا يَقْتُلُونَ

النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ...﴾ منسوخة؟

ج: ذهب إلى ذلك ابن عباس في بعض المرويات عنه، وذهب إلى

أَن نَّاسَخَهَا هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا...﴾ الآية.

أخرج البخاري (1) في صحيحه من طريق: الْقَاسِمُ بْنُ أَبِي بَزَّةٍ أَنَّهُ سَأَلَ سَعِيدَ ابْنَ جُبَيْرٍ: هَلْ لِمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ: ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ فَقَالَ سَعِيدٌ: قَرَأْتُهَا عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ كَمَا قَرَأْتُهَا عَلَيَّ فَقَالَ: هَذِهِ مَكِّيَّةٌ نَسَخَتْهَا آيَةٌ مَدَنِيَّةٌ الَّتِي فِي سُورَةِ النِّسَاءِ.

ومن طريق سعيد (2) بن جبير قال: اخْتَلَفَ أَهْلُ الْكُوفَةِ فِي قَتْلِ الْمُؤْمِنِ فَدَخَلْتُ فِيهِ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَقَالَ: نَزَلَتْ فِي آخِرِ مَا نَزَلَ وَلَمْ يَنْسَخْهَا شَيْءٌ.

وفي رواية أخرى (3) عنه قال: سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾ [النساء: ٣٣]، قَالَ: لَا تَوْبَةَ لَهُ. وَعَنْ قَوْلِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ قَالَ: كَانَتْ هَذِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ.

وفي رواية أخرى عند البخاري (4): عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: «

أَمَرَني

عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِزَى أَنْ أَسْأَلَ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ: لَمْ يَنْسَخْهَا شَيْءٌ وَعَنْ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ قَالَ: نَزَلَتْ فِي أَهْلِ الشِّرْكِ».

قال الحافظ ابن حجر \$ (فتح الباري) في شرح ما تقدم:

(1) البخاري (4762).

(2) البخاري (4763).

(3) البخاري (4764).

(4) البخاري (4766).

قوله: عَنْ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾ فَسَأَلْنَاهُ فَقَالَ : لَمْ يَنْسَخْهَا شَيْءٌ , وَعَنْ ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ قَالَ : نَزَلَتْ فِي أَهْلِ الشِّرْكَ هَكَذَا أَوْرَدَهُ مُخْتَصَرًا , وَسِيَّاقُ مُسْلِمٍ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ أَتَمَّ , وَأَتَمَّ مِنْهُمَا مَا تَقَدَّمَ فِي الْمَبْعَثِ مِنْ رِوَايَةِ جَرِيرٍ بِلَفْظٍ : «هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ مَا أَمَرَهُمَا ؟ الَّتِي فِي سُورَةِ الْفُرْقَانِ ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ وَالَّتِي فِي سُورَةِ النِّسَاءِ ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾ قَالَ : سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ فَقَالَ : لَمَّا أُنْزِلَتِ الَّتِي فِي سُورَةِ الْفُرْقَانِ قَالَ مُشْرِكُو مَكَّةَ : قَدْ قَتَلْنَا النَّفْسَ وَدَعَوْنَا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَأَتَيْنَا الْفَوَاحِشَ , قَالَ : فَنَزَلَتْ ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾ الْآيَةُ , قَالَ : فَهَذِهِ لِأَوَّلِكَ , قَالَ : وَأَمَّا الَّتِي فِي سُورَةِ النِّسَاءِ فَهُوَ الَّذِي قَدْ عَرَفَ الْإِسْلَامَ ثُمَّ قَتَلَ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ لَا تَوْبَةَ لَهُ , قَالَ . فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِمُجَاهِدٍ فَقَالَ : إِلَّا مَنْ نَدِمَ» وَحَاصِلُ مَا فِي هَذِهِ الرِّوَايَاتِ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ كَانَ تَارَةً يَجْعَلُ الْآيَتَيْنِ فِي مَحَلٍّ وَاحِدٍ فَلِذَلِكَ يَجْزِمُ بِنَسْخِ إِحْدَاهُمَا , وَتَارَةً يَجْعَلُ مَحَلَّهُمَا مُخْتَلِفًا . وَيُمْكِنُ الْجَمْعُ بَيْنَ كَلَامَيْهِ بِأَنَّ عُمُومَ الَّتِي فِي الْفُرْقَانِ خَصَّ مِنْهَا مُبَاشَرَةَ الْمُؤْمِنِ الْقَتْلَ مُتَعَمِّدًا , وَكَثِيرٌ مِنَ السَّلَفِ يُطْلِقُونَ النَّسْخَ عَلَى التَّخْصِيسِ , وَهَذَا أَوْلَى مِنْ حَمْلِ كَلَامِهِ عَلَى التَّنَاقُضِ , وَأَوْلَى مِنْ دَعْوَى أَنَّهُ قَالَ بِالنَّسْخِ ثُمَّ رَجَعَ عَنْهُ . وَقَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ بِأَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا قَتَلَ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا لَا تَوْبَةَ لَهُ مَشْهُورٌ عَنْهُ , وَقَدْ جَاءَ عَنْهُ فِي ذَلِكَ مَا هُوَ أَصْرَحُ مِمَّا تَقَدَّمَ : فَرَوَى أَحْمَدُ وَالطَّبْرِيُّ مِنْ طَرِيقِ يَحْيَى الْجَابِرِ وَالنَّسَائِيِّ وَابْنِ مَاجَةَ مِنْ طَرِيقِ عَمَارِ الدَّهْيِيِّ كِلَاهُمَا عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ قَالَ : «كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ بَعْدَمَا كُفَّ بَصَرَهُ , فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ : مَا تَرَى فِي رَجُلٍ قَتَلَ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا ؟ قَالَ : جَزَاؤُهُ

جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا , وَسَاقَ الْآيَةَ إِلَى ﴿عَظِيمًا﴾ قَالَ : لَقَدْ نَزَلْتُ فِي آخِرِ مَا نَزَلَ , وَمَا نَسَخَهَا شَيْءٌ حَتَّى فُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ , وَمَا نَزَلَ وَحْيِي بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . قَالَ : أَفَرَأَيْتَ إِنْ تَابَ وَأَمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى؟ قَالَ : وَأَنْتَى لَهُ التَّوْبَةُ وَالْهُدَى» لَفْظُ يَحْيَى الْجَابِرِ , وَالْآخِرُ نَحْوُهُ . وَجَاءَ عَلَى وَفْقِ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي ذَلِكَ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ: مِنْهَا مَا أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالتَّسَائِيُّ مِنْ طَرِيقِ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ عَنْ مُعَاوِيَةَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَهُ؛ إِلَّا الرَّجُلُ يَمُوتُ كَافِرًا , وَالرَّجُلُ يَقْتُلُ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا» وَقَدْ حَمَلَ جُمْهُورُ السَّلَفِ وَجَمِيعُ أَهْلِ السُّنَّةِ مَا وَرَدَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى التَّغْلِيظِ , وَصَحَّحُوا تَوْبَةَ الْقَاتِلِ كَغَيْرِهِ , وَقَالُوا : مَعْنَى قَوْلِهِ : ﴿فَجَزَّأُوهُ جَهَنَّمَ﴾ أَيُّ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يُجَازِيَهُ تَمَسُّكًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ النَّسَاءِ أَيْضًا : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ وَمِنْ الْحُجَّةِ فِي ذَلِكَ حَدِيثُ الْإِسْرَائِيلِيِّ الَّذِي قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا ثُمَّ أَتَى تَمَامَ الْمِائَةِ فَقَالَ لَهُ : لَا تَوْبَةَ , فَقَتَلَهُ فَأَكْمَلَ بِهِ مِائَةً . ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ : «وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ» الْحَدِيثُ , وَهُوَ مَشْهُورٌ , وَسَيَأْتِي فِي الرَّفَاقِ وَاضِحًا . وَإِذَا ثَبَتَ ذَلِكَ لِمَنْ قُبِلَ مِنْ غَيْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ فَمِثْلُهُ لَهُمْ أَوْلَى لِمَا خَفَّفَ اللَّهُ عَنْهُمْ مِنَ الْأَنْقَالِ الَّتِي كَانَتْ عَلَى مَنْ قَبْلَهُمْ (1).



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا

كِرَامًا ۖ﴾ (٧٢).

ج: أما قوله تعالى: ﴿لَا يَشْهَدُونَ﴾ ففيها وجهان:

أحدهما: لا يشهدون: لا يحضرون.

الثاني: لا يشهدون: لا يدلون بالشهادة أي أمام القضاء.

فعلى المعنى الأول.

لا يشهدون الزور: أي: لا يحضرون مجالس أهل الشرك بالله ولا مجالس اللغو والباطل والغناء الباطل ولا مجالس الكذب، فلا يشركون ولا يكذبون ولا يلغون.

الثاني: لا يدلون بالشهادات الكاذبة أمام القضاء والمُحكِّمين بين الناس.

والزور يُطلق على الميل، كما في قوله تعالى: ﴿وَرَى الشَّمْسُ إِذَا طَلَعَتْ تَزَوُّرًا عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ﴾ **[الكهف: ١٧]** فالميل عن الحق إلى الباطل يطلق عليه زور.

أما اللغو: فالمراد به ما لا فائدة فيه من الكلام، وكذا كل ما هو مُضِرٌّ من الكلام فيدخل فيه الكلام البذيء الذي كان أهل الشرك يقولونه لأهل الإيمان.

ويدخل فيه ذكر النكاح بلفظه الصريح في غير موطن.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ أي: إذا مروا بأهل الشرك الذين يشتمونهم ويسبونهم لم يقابلوا السفاهات بمثلها بل أعرضوا عنه كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا تَبْغَى الْجَاهِلِينَ﴾ **[القصص: ٢٦]** وكذا إذا ذُكر أمامهم الرفث فلا يقعون فيه ولا يتكلمون به، أي: لا يتكلمون في أمور النكاح بما لا فائدة

فيه. وكذا إذا مروا بما لا فائدة فيه من الحديث تركوه.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

اختلف أهل التأويل في معنى الزور الذي وصف الله هؤلاء القوم بأنهم لا يشهدونه، فقال بعضهم: معناه الشرك بالله.

وقال آخرون: بل عني به الغناء.

وقال آخرون: هو قول الكذب.

قال أبو جعفر: وأصل الزور تحسين الشيء، ووصفه بخلاف صفته، حتى يخيل إلى من يسمعه أو يراه، أنه خلاف ما هو به، والشرك قد يدخل في ذلك، لأنه محسن لأهله، حتى قد ظنوا أنه حق، وهو باطل، ويدخل فيه الغناء؛ لأنه أيضاً مما يحسنه ترجيع الصوت، حتى يستحلي سامعه سماعه، والكذب أيضاً قد يدخل فيه لتحسين صاحبه إياه، حتى يظن صاحبه أنه حق، فكل ذلك مما يدخل في معنى الزور.

فإذا كان ذلك كذلك، فأولى الأقوال بالصواب في تأويله أن يقال: والذين لا يشهدون شيئاً من الباطل لا شركاً، ولا غناء، ولا كذباً ولا غيره، وكل ما لزمه اسم الزور؛ لأن الله عمّ في وصفه إياهم أنهم لا يشهدون الزور، فلا ينبغي أن يخصّ من ذلك شيء إلا بحجة يجب التسليم لها، من خبر أو عقل.

وقوله: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغَوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ اختلف أهل التأويل في معنى اللغو الذي ذكر في هذا الموضع، فقال بعضهم: معناه: ما كان المشركون يقولونه للمؤمنين، ويكلمونهم به من الأذى. ومرورهم به كراماً

إعراضهم عنهم وصفحهم.

وقال آخرون: بل معناه: وإذا مروا بذكر النكاح، كفوا عنه.

وقال آخرون: إذا مروا بما كان المشركون فيه من الباطل مروا منكبين له.

وقال آخرون: غني باللغو هاهنا: المعاصي كلها.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي، أن يقال: إن الله أخبر عن هؤلاء المؤمنين الذين مدحهم بأنهم إذا مروا باللغو مروا كرامًا، واللغو في كلام العرب هو كل كلام أو فعل باطل لا حقيقة له ولا أصل، أو ما يستقبح، فسب الإنسان الإنسان بالباطل الذي لا حقيقة له من اللغو. وذكر النكاح بصريح اسمه مما يُستقبح في بعض الأماكن، فهو من اللغو، وكذلك تعظيم المشركين آلهتهم من الباطل الذي لا حقيقة لما عظموه على نحو ما عظموه، وسماع الغناء مما هو مستقبح في أهل الدين، فكل ذلك يدخل في معنى اللغو، فلا وجه إذ كان كل ذلك يلزمه اسم اللغو، أن يقال: غني به بعض ذلك دون بعض؛ إذ لم يكن لخصوص ذلك دلالة من خبر أو عقل. فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: وإذا مروا بالباطل فسمعوه أو رأوه، مروا كرامًا، مرورهم كرامًا في بعض ذلك بأن لا يسمعوه، وذلك كالغناء. وفي بعض ذلك بأن يعرضوا عنه ويصفحوا، وذلك إذا أودوا بإسماع القبيح من القول، وفي بعضه بأن ينهوا عن ذلك، وذلك بأن يروا من المنكر ما يغير بالقول فيغيروه بالقول. وفي بعضه بأن يضاربوا عليه بالسيف، وذلك بأن يروا قومًا يقطعون الطريق على قوم، فيستصرخهم المراد ذلك منهم، فيصرخونهم،

وكل ذلك مرورهم كراماً.

**وأورد ابن كثير أقوالاً في تفسير الزور نحواً مما ذكر وأدخل فيها
الفسق وأعياد المشركين ومجالس السوء والخنا، وقال:**

وقيل: المراد بقوله تعالى: ﴿لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ أي: شهادة الزور، وهي الكذب متعمداً على غيره، كما ثبت في الصحيحين ⁽¹⁾ عن أبي بكر قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟» ثلاثاً، قلنا: بلى، يا رسول الله، قال: «الشرك بالله، وعقوق الوالدين». وكان متكئاً فجلس، فقال: «ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور». فما زال يكررها، حتى قلنا: ليته سكت.

والأظهر من السياق أن المراد: لا يشهدون الزور، أي: لا يحضرونه؛ ولهذا قال: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ أي: لا يحضرون الزور، وإذا اتفق مرورهم به مرؤوا، ولم يتدنسوا فيه بشيء؛ ولهذا قال: ﴿مَرُّوا كِرَامًا﴾.

قال السعدي \$ (تيسير الكريم الرحمن):

﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ أي: لا يحضرون الزور أي: القول والفعل المحرم، فيجتنبون جميع المجالس المشتملة على الأقوال المحرمة أو الأفعال المحرمة، كالخوض في آيات الله والجدال الباطل والغيبة والنميمة والسب والقذف والاستهزاء والغناء المحرم وشرب الخمر وفرش الحرير، والصور ونحو ذلك، وإذا كانوا لا يشهدون الزور فمن باب أولى وأحرى أن لا يقولوه ويفعلوه.

(1) البخاري (2654)، ومسلم (87).

وشهادة الزور داخله في قول الزور، تدخل في هذه الآية بالأولية، ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ﴾ وهو الكلام الذي لا خير فيه ولا فيه فائدة دينية ولا دنيوية ككلام السفهاء ونحوهم ﴿مَرُّوا كِرَامًا﴾ أي: نزهوا أنفسهم وأكرموها عن الخوض فيه ورأوا أن الخوض فيه وإن كان لا إثم فيه فإنه سفة ونقص للإنسانية والمروءة فربأوا بأنفسهم عنه.

وفي قوله: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ﴾ إشارة إلى أنهم لا يقصدون حضوره ولا سماعه، ولكن عند المصادفة التي من غير قصد يكرمون أنفسهم عنه.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يُخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾.

ج: هذا - والله أعلم - بيان لحال أهل الإيمان إذا ذكّرهم مُذَكِّرٌ بآيات الله ٥ فإنهم ينتفعون بالذكرى، يصغون للآيات ويتفهمونها ويعملون بمقتضاها، لا يقابلونها مقابلة الأعمى ولا يستمعونها استماع الأصم بل يلقون القلوب حتى يستمعون الآيات، ويتدبرونها ويتبعون ذلك بالعمل. وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: والذين إذا ذكّرهم مذكّر بحجج الله، لم يكونوا صُمًّا لا يسمعون، وعُميًّا لا يبصرونها ولكنهم يَقاطُ القلوب، فهماء العقول، يفهمون عن الله ما يذكّرهم به، ويفهمون عنه ما يُنبههم عليه، فيوعون مواظمه آذانًا سمعته، وقلوبًا وعته.

وقال \$:

فإن قال قائل: وما معنى قوله: ﴿لَمْ يَخِرُّوْا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ أَوْ يَخِرُّ الكافرون صُمًّا وعُميَانًا إذا ذكروا بآيات الله، فَيَنْفَى عن هؤلاء ما هو صفة للكفار؟ قيل: نعم، الكافر إذا تُلِيت عليه آيات الله خر عليها أصم وأعمى، وخره عليها كذلك: إقامته على الكفر، وذلك نظير قول العرب: سببت فلانا، فقام يبكي، بمعنى فذل يبكي، ولا قيام هنالك، ولعله أن يكون بكى قاعدا، وكما يقال: نهيت فلانًا عن كذا، فقعد يشتمني، ومعنى ذلك: فجعل يشتمني، وظل يشتمني، ولا قعود هنالك، ولكن ذلك قد جرى على ألسن العرب، حتى قد فهموا معناه. وذكر الفراء أنه سمع العرب تقول: قعد يشتمني، كقولك: قام يشتمني، وأقبل يشتمني.

وقال ابن كثير \$:

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوْا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ هذه من صفات المؤمنين ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤]، بخلاف الكافر، فإنه إذا سمع كلام الله لا يؤثر فيه ولا يُقصر عما كان عليه، بل يبقى مستمرا على كفره وطغيانه وجهله وضلاله، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٤-١٢٥].

فقوله: ﴿لَمْ يَخِرُّوْا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ أي: بخلاف الكافر الذي ذكر بآيات ربه، فاستمر على حاله، كأن لم يسمعها أصم أعمى.

قال مجاهد: قوله: ﴿لَمْ يَخِرُّوْا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ لم يسمعوا: ولم يبصروا، ولم يفقهوا شيئا.

وقال الحسن البصري: كم من رجل يقرأها ويخر عليها أصم أعمى.

وقال قتادة: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ يقول: لم يصموا عن الحق ولم يعموا فيه، فهم -والله- قوم عقلوا عن الله وانتفعوا بما سمعوا من كتابه.

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ أي: إذا قرئ عليهم القرآن ذكروا آخرتهم ومعادهم ولم يتغافلوا حتى يكونوا بمنزلة من لا يسمع وقال: ﴿لَمْ يَخِرُّوا﴾ وليس ثمَّ خرور كما يقال: قعد يبكي وإن كان غير قاعد قاله الطبري واختاره. قال ابن عطية: وهو أن يخرؤا صمًّا وعميانًا هي صفة الكفار وهي عبارة عن إعراضهم وقرن ذلك بقولك: قعد فلان يشتمني وقام فلان يبكي وأنت لم تقصد الإخبار بقعود ولا قيام وإنما هي توطئات في الكلام والعبارة. قال ابن عطية: فكأن المستمع للذكر قائم القناة قويم الأمر فإذا أعرض وضل كان ذلك خرورًا وهو السقوط على غير نظام وترتيب وإن كان قد شبه به الذي يخر ساجدًا لكن أصله على غير ترتيب وقيل: أي: إذا تليت عليهم آيات الله وجلت قلوبهم فخرؤا سجدًا وبكيًا ولم يخرؤا عليها صمًّا وعميانًا. وقال الفراء: أي: لم يقدوا على حالهم الأول كأن لم يسمعوا.

قال السعدي \$ (تيسير الكريم الرحمن):

﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ التي أمرهم باستماعها والاهتداء بها. ﴿لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ أي: لم يقابلوها بالإعراض عنها والصمم عن سماعها وصرف النظر والقلوب عنها كما يفعله من لم يؤمن بها ولم

يصدق، وإنما حالهم فيها وعند سماعها كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [السجدة: ٢٦] يقابلونها بالقبول والافتقار إليها والانقياد والتسليم لها، وتجد عندهم آذانًا سامعة وقلوبًا واعية فيزداد بها إيمانهم ويتم بها إيقانهم وتحدث لهم نشاطًا ويفرحون بها سرورًا واغترابًا.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْ لَنَا مَبْعَدًا ﴾ [٧٦] .

ج: المعنى – والله أعلم:- أن أهل الإيمان، عباد الرحمن يدعون ربهم ويسألونه قائلين: يا ربنا هب لنا ما تقر به الأعين من أزواجنا وذرياتنا يعنون بذلك ما تستقر به الأعين فلا تنظر إلى أبناء الآخرين، ولا إلى أزواج الآخرين، ومن ذلك أن تكون الزوجة مطيعة لله ه، وكذا يرى الأبناء والبنات مطيعين لله ه، لا يجرون إليه الجرائر ولا يأتون يومًا بعد يوم المصائب، ومن دعاء أهل الإيمان أيضًا دعاؤهم بأن يكونوا أئمة في الخير يُقتدى بهم المتقون.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: والذين يرغبون إلى الله في دعائهم ومسألتهم بأن يقولوا: ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا ما تقرّ به أعيننا من أن تريناهم يعملون بطاعتك.

وأورد آثارًا بهذا المعنى مفادها أن تهتدي أزواجه وذريته للإسلام

ويعملون بطاعة الله ولا يجرون إليه الجرائر.

ثم قال:

وقيل: هب لنا قرّة أعين، وقد ذكر الأزواج والذريات وهم جمع،
وقوله: ﴿فُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ واحدة لأن قوله: قرّة أعين مصدر من قول القائل:
قرّت عينك قرّة، والمصدر لا تكاد العرب تجمعها.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا الْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ اختلف أهل التأويل في تأويله، فقال
بعضهم: معناه: اجعلنا أئمة يقتدي بنا من بعدنا.

وقال آخرون: بل معناه: واجعلنا للمتقين إمامًا: نأتم بهم، ويأتم بنا من
بعدنا.

قال أبو جعفر: وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معناه:
واجعلنا للمتقين الذين يتقون معاصيك، ويخافون عقابك إمامًا، يأتمون بنا
في الخيرات؛ لأنهم إنما سألوا ربهم أن يجعلهم للمتقين أئمة ولم يسألوه
أن يجعل المتقين لهم إمامًا، وقال: ﴿وَجَعَلْنَا الْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ ولم يقل أئمة.
وقد قالوا: واجعلنا وهم جماعة؛ لأن الإمام مصدر من قول القائل: أمّ
فلان فلانًا إمامًا، كما يقال: قام فلان قيامًا وصام يوم كذا صيامًا. ومن
جمع الإمام أئمة، جعل الإمام اسمًا، كما يقال: أصحاب محمد إمام، وأئمة
للناس. فمن وحد قال: يأتم بهم الناس. وهذا القول الذي قلناه في ذلك قول
بعض نحوّي أهل الكوفة. وقال بعض أهل البصرة من أهل العربية:
الإمام في قوله: ﴿الْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ جماعة، كما تقول: كلهم عُدُول. قال:
ويكون على الحكاية كما يقول القائل: إذا قيل له: من أميركم، هؤلاء
أميرنا، واستشهد لذلك بقول الشاعر:

يَا عَادِلَاتِي لَا تُرِدْنَ مَلَائِي إِنَّ الْعَوَائِلَ لَسُنَّ لِي بِأَمِيرٍ

وقال الحافظ ابن كثير \$:

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ يعني: الذين يسألون الله أن يخرج من أصلابهم وذرياتهم من يطيعه ويعبده وحده لا شريك له.

قال ابن عباس: يعنون من يعمل بالطاعة، فتقرُّ به أعينهم في الدنيا والآخرة.

وأورد آثارًا أخر منها ما أخرجه أحمد وغيره من طريق صفوان بن عمرو، حدثني عبد الرحمن بن جبير بن نفيير، عن أبيه قال: جلسنا إلى المقداد بن الأسود يومًا، فمر به رجل فقال: طوبى لهاتين العينين اللتين رأتا رسول الله ﷺ! لوددنا أننا رأينا ما رأيت، وشهدنا ما شهدت. فاستغضب، فجعلت أعجب ما قال إلا خيرًا! ثم أقبل إليه فقال: ما يحمل الرجل على أن يتمنى مَحْضَرًا غِيَّبه الله عنه، لا يدري لو شاهده كيف كان يكون فيه؟ والله لقد حضر رسول الله ﷺ أقوام أكبَّهم الله على مناخرهم في جهنم، لم يجيبوه ولم يصدقوه، أو لا تحمدون الله إذ أخرجكم لا تعرفون إلا ربكم مصدقين لما جاء به نبيكم، قد كُفِيتُم البلاء بغيركم؟ لقد بعث الله النبي ﷺ على أشد حال بعث عليها نبيًا من الأنبياء في فترة من جاهلية، ما يرون أن دينًا أفضل من عبادة الأوثان. فجاء بفرقان فَرَّقَ به بين الحق والباطل، وفَرَّقَ بين الوالد وولده، حتى إن كان الرجل ليرى والده وولده، أو أخاه كافرًا، وقد فتح الله قُفْلَ قلبه للإيمان، يعلم أنه إن هلك دخل النار، فلا تقر عينه وهو يعلم أن حبيبه في النار، وإنها التي قال الله تعالى: ﴿

وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴿١﴾ . وهذا إسناد صحيح، ولم يخرجوه (1).

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ قال ابن عباس، والحسن، وقتادة، والسدي، والربيع بن أنس: أئمة يقتدى بنا في الخير.

وقال غيرهم: هداة مهتدين، دعاة إلى الخير، فأحبوا أن تكون عبادتهم متصلة بعبادة أولادهم وذرياتهم وأن يكون هداهم متعدداً إلى غيرهم بالنفع، وذلك أكثر ثواباً، وأحسن مآباً؛ ولهذا ورد في صحيح مسلم، عن أبي هريرة **ف** قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: ولد صالح يدعو له، أو علم ينتفع به من بعده، أو صدقة جارية» (2).

وقال القرطبي \$:

وذلك أن الإنسان إذا بُورك له في ماله وولده قرت عينه بأهله وعياله حتى إذا كانت عنده زوجة اجتمعت له فيها أمانيه من جمال وعفة ونظر وحوطة أو كانت عنده ذرية محافظون على الطاعة معاونون له على وظائف الدين والدنيا لم يلتفت إلى زوج أحد ولا إلى ولده فتسكن عينه عن الملاحظة ولا تمتد عينه إلى ما ترى، فذلك حين قرة العين وسكون النفس ووحد **﴿قُرَّة﴾** لأنه مصدر تقول: قرت عينك قرة وقرة العين يحتمل أن تكون من القرار ويحتمل أن تكون من القر وهو الأشهر، والقرُّ البرد؛ لأن العرب تتأذى بالحر وتستريح إلى البرد وأيضاً فإن دمع

(1) أحمد (6/2)، والطبري (26560) وغيرهما.

(2) مسلم (1631).

السرور بارد ودمع الحزن سخن فمن هذا يقال : أقر الله عينك وأسخن الله عين العدو وقال الشاعر:

فكم سخنت بالأمس عين قريرة وقرت عيون دمعها اليوم ساكب

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا الْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ أي: قدوة يقتدى بنا في الخير وهذا لا يكون إلا أن يكون الداعي متقيا قدوة وهذا هو قصد الداعي وفي الموطأ: (إنكم أيها الرهط أئمة يُقتدى بكم) فكان ابن عمر يقول في دعائه: اللهم اجعلنا من أئمة المتقين وقال: ﴿إِمَامًا﴾ ولم يقل أئمة على الجمع؛ لأن الإمام مصدر يقال: أمّ القوم فلان إمامًا مثل الصيام والقيام وقال بعضهم: أراد أئمة.



س: وضع معنى قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا الْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾
وسلماً (٧٥) خلدريك فيها حسنت مستقراً ومقاماً (٧٦) *

ج: المعنى - والله أعلم -: أولئك الذين تقدمت أوصافهم وأعمالهم ومعتقداتهم، وهم عباد الرحمن يجازيهم الله ٥ يوم القيامة أحسن الجزاء، يُجازيهم الغرفة وهي غرفة عليّة في الجنة، ومنزلة سامية فيها كما في الحديث عن رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبُ الدَّرِيِّ الْغَائِبِ فِي الْأَفْقِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمَا ...».

يجازيهم الله بهذه الغرف بسبب صبرهم على الطاعات وعلى أقدار الله ٥ وعلى التمسك بشرائعه، وكذا بصبرهم عن المحرمات وعدم فعلها وتدخل عليهم الملائكة بالتحيات والتبريكات كما قال تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ (٢٣) سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿الرعد: ٢٣-٢٤﴾ وكذا تحية

من الله وسلاماً من الله، سلام قولاً من ربِّ رحيم، فضلاً عن سلام بعضهم على بعض، هذا وقوله: ﴿خَلِّدِينَ فِيهَا حَسَنَتٌ مُّسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٢٦] أي: ماكثين فيها، لا يتحولون ولا يرغبون في التحول فقد حَسَنَتْ قراراً وإقامة فنعم المستقر ونعم محل الإقامة.

وبنحو ذلك قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين وصفت صفتهم من عبادي، وذلك من ابتداء قوله: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ ... إلى قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ... الآية﴾ ﴿يُجْزَوْنَ﴾ يقول: يُثَابُونَ على أفعالهم هذه التي فعلوها في الدنيا ﴿الْفُرْقَةِ﴾ وهي منزلة من منازل الجنة رفيعة ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ يقول: بصبرهم على هذه الأفعال، ومقاساة شدتها. وقوله: ﴿وَيُلْقَوْنَ فِيهَا حَاجَةً وَسَلَامًا﴾ اختلفت القراء في قراءته، فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة ﴿وَيُلْقَوْنَ﴾ مضمومة الياء، مشددة القاف، بمعنى: وتتلقاهم الملائكة فيها بالتحية. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة: ﴿وَيُلْقَوْنَ﴾ بفتح الياء، وتخفيف القاف.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان في قِراءة الأمصار بمعنى واحد، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، غير أن أعجب القراءتين إليّ أن أقرأ بها «وَيُلْقَوْنَ فِيهَا» بفتح الياء، وتخفيف القاف؛ لأن العرب إذا قالت ذلك بالتشديد، قالت: فلان يُتَلَقَّى بالسلام وبالخير ونحن نتلقاهم بالسلام، قرنته بالياء وقلما تقول: فلان يُتَلَقَّى السلام، فكان وجه الكلام لو كان بالتشديد، أن يقال: وَيُلْقَوْنَ فيها بالتحية والسلام.

وإنما اخترنا القراءة بذلك، كما تجيز أخذت بالخطام، وأخذت الخطام.

وقد بينا معنى التحية والسلام فيما مضى قبل، فأغني عن إعادته في هذا الموضع.

وقال الطبري أيضاً:

ويقول تعالى ذكره: أولئك يجزون الغرفة بما صبروا، خالدين في الغرفة، يعني: أنهم ماكثون فيها، لاثبون إلى غير أمد، حَسُنَتْ تلك الغرفة قراراً لهم ومقاماً. يقول: وإقامة.

وقال ابن كثير \$:

لما ذكر تعالى من أوصاف عباده المؤمنين ما ذكر من الصفات الجميلة، والأفعال والأقوال الجليلة قال بعد ذلك كله: ﴿أُولَئِكَ﴾ أي: المتصفون بهذه ﴿يُجْزَوْنَ﴾ أي: يوم القيامة ﴿الْغُرَفَةَ﴾ وهي الجنة. قال أبو جعفر الباقر، وسعيد بن جبیر، والضحاك، والسُّدِّيُّ: سُمِّيَتْ بذلك لارتفاعها.

﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ أي: على القيام بذلك ﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا﴾ أي: في الجنة ﴿مَحَبَّةً وَسَلَامًا﴾ أي: يُبْتَدَأُونَ فيها بالتحية والإكرام، ويلقون التوقير والاحترام، فلهم السلام وعليهم السلام، فإن الملائكة يدخلون عليهم من كل باب، سلام عليكم بما صبرتم، فنعم عقبى الدار .

وقوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي: مقيمين لا يظعنون ولا يحولون ولا

يموتون، ولا يزولون عنها ولا يبيعون عنها حولاً كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [1]

هود : م١٤ .

وقوله: ﴿ حَسُنْتَ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ أي: حَسُنْتَ منظرًا وطابت مَقِيلًا ومنزلًا.

س: **وضح معنى قوله تعالى:** ﴿ قُلْ مَا يَعْبُدُوا إِلَهُي إِلَّا لَوَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: قل يا رسول الله لهؤلاء المكذبين المعاندين لا يبالى بكم ربي ٥ إذا لم تعبدوه، لا يُبالى بكم لولا إيمان الذين يؤمنون منكم، فهم سبب في إمهال الله لكم، أما أنتم يا مَنْ بقيتم على الكفر وقد كذبتهم فسوف يكون العذاب حَالًا بكم ملازمًا لكم، لزَامًا سيكون العذاب، وقيل: إن اللزام هو العذاب نفسه، العذاب الملازم، هذا، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن اللزام قد مضى يوم بدر، ففي الصحيح (1) عن ابن مسعود قال: حَمَسَ قَدْ مَضَيْنَ الدُّخَانَ وَالْقَمَرُ وَالرُّومُ وَالْبَطْشَةُ وَاللِّزَامُ ﴿ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾.

وذهب آخرون من العلماء إلى أن اللزام سيكون يوم القيامة، ولا تعارض فالعذاب ملازم لهم منذ أن قُتلوا إلى يوم القيامة إلى ما لا نهاية له.

قال الطبري \$:

وقوله: ﴿ قُلْ مَا يَعْبُدُوا إِلَهُي ﴾ يقول جلّ ثناؤه لنبيه: قل يا محمد لهؤلاء الذين أرسلت إليهم: أي شيء يَعُدُّكُمْ، وأي شيء يصنع بكم ربي؟ يقال منه: عبأت به أعبأ عبئًا، وعبأت الطيب أعبؤه: إذا هيأته، كما قال الشاعر:

(1) البخاري (حديث 4767).

كَأَن يَنْخَرِهَ وَيَمْنُكِبِيهِ عَيْرًا بَاتَ يَغْبُوهُ عَرُوسٌ

يقول: يهيبه ويعمله يعبؤه عبًا وعبوءًا، ومنه قولهم: عَبَّأت الجيش بالتشديد والتخفيف فأنا أعبئه: أَهْيَيْتُهُ والعبء: الثقل.

وقال:

وقوله: ﴿لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ يقول: لولا عبادة من يعبد منكم، وطاعة من يطيعه منكم.

وقوله: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ يقول تعالى ذكره لمشركي قريش قوم رسول الله ﷺ: فقد كذبتُم أيها القوم رسولكم الذي أرسل إليكم وخالفتُم أمر ربكم الذي أمر بالتمسك به لو تمسكتُم به، كان يعبأ بكم ربي، فسوف يكون تكذيبكم رسول ربكم، وخلافكم أمر بارئكم، عذابًا لكم ملازمًا، قتلًا بالسيوف وهلاكًا لكم مفنيًا يلحق بضعكم بعضًا، كما قال أبو ذؤيب الهذلي:

فَفَاجَأَهُ بِعَادِيَةِ لِزَامٍ كَمَا يَتَفَجَّرُ الْحَوْضُ اللَّقِيفُ

يعني باللزام: الكبير الذي يتبع بعضه بعضًا، وباللقيف: المتساقط الحجارة المتهدِّم، ففعل الله ذلك بهم، وصدقهم وعده، وقتلهم يوم بدر بأيدي أوليائه، وألحق بعضهم ببعض، فكان ذلك العذاب اللزام.

وقال آخرون: معنى اللزام: القتال.

وقال آخرون: اللزام: الموت.

ثم قال الطبري \$:

وقال بعض أهل العلم بكلام العرب: معنى ذلك: فسوف يكون جزاء يلزم كل عامل ما عمل من خير أو شر. وقد بيَّنا الصواب من القول في ذلك. وللنصب في اللزام وجه آخر غير الذي قلناه، وهو أن يكون في

قوله (يَكُون) مجهول، ثم يُنصب اللزّام على الخبر كما قيل:
إِذَا كَانَ طَعْنًا بَيْنَهُمْ وَقِتَالًا

وقد كان بعض من لا علم له بأقوال أهل العلم يقول في تأويل ذلك:
 قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم ما تدعون من دونه من الآلهة والأنداد،
 وهذا قول لا معنى للتشاغل به لخروجه عن أقوال أهل العلم من أهل
 التأويل.

وقال ابن كثير \$:

ثم قال تعالى: ﴿ قُلْ مَا يَعْبُؤُا كُرِّي ﴾ أي: لا يُبالي بكم ولا يكثرث بكم إذا
 لم تعبدوه؛ فإنه إنما خلق الخلق ليعبدوه ويوحده ويُسبحوه بكرة وأصيلًا.
 وقال مجاهد، وعمر بن شعيب: ﴿ قُلْ مَا يَعْبُؤُا كُرِّي ﴾ يقول: ما يفعل بكم
 ربي.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿ قُلْ مَا يَعْبُؤُا كُرِّي ﴾
 لَوْلَا دَعَاؤُكُمْ يقول: لولا إيمانكم، وأخبر الله الكفار أنه لا حاجة له بهم؛ إذ
 لم يخلقهم مؤمنين، ولو كان له بهم حاجة لحَبَّب إليهم الإيمان كما حَبَّبه
 إلى المؤمنين.

وقوله: ﴿ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ ﴾ أي: أيها الكافرون ﴿ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾ أي:
 فسوف يكون تكذيبكم لزامًا لكم، يعني: مقتضيًا لهلاككم وعذابكم ودماركم
 في الدنيا والآخرة، ويدخل في ذلك يوم بدر، كما فسّره بذلك عبد الله بن
 مسعود، وأبي بن كعب، ومحمد بن كعب القرظي، ومجاهد، والضحاك،
 وقتادة، والسدي، وغيرهم.

وقال الحسن البصري: ﴿ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾ يعني: يوم القيامة. ولا

منافاة بينهما. والله أعلم.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿طسَمَ ١﴾ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَنِيعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا
مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٤﴾
وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدِّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا
فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَأْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ
زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةًٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ
الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾ [الشعراء: 1-9].

س: وضح معنى ما يلي:

﴿بَيِّعْ﴾ - آيَةٌ - أَعْنَقَهُمْ - خَضِعِينَ - ذَكَرَ - مُحَدَّثٌ - مُعْرِضِينَ - أَنْبَتُوا - زَوْجٌ - كَرِيمٌ - لَّآيَةٌ ﴿﴾
ج:

الكلمة	معناها
﴿بَيِّعْ﴾	مهلكٌ - قاتلٌ
﴿آيَةٌ﴾	معجزة - أو عظيم يخشون معه الهلاك
﴿أَعْنَقَهُمْ﴾	رقابهم - أعناق الرجال، وقيل: كبراء القوم
﴿خَضِعِينَ﴾	ذليلين - صغيرين
﴿ذَكَرَ﴾	تذكيرٌ (بكتاب الله وآياته)
﴿مُحَدَّثٌ﴾	حديث نزوله
﴿مُعْرِضِينَ﴾	منصرفين - مدبرين
﴿أَنْبَتُوا﴾	أخبار - حقائق
﴿زَوْجٌ﴾	صنف (من أصناف النباتات)
﴿كَرِيمٌ﴾	حسن
﴿لَّآيَةٌ﴾	لمعجزة - لدلالة



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿طَسَّرَ ۝١﴾ يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ

الْمُؤْمِنِ ۝٢ لَعَلَّكَ بَيِّعْتَ نَفْسَكَ اَلَّا يَكُوْنُوْا مُؤْمِنِيْنَ ۝٣﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: ط، وس، وم، تلك الأحرف التي لا يعلم

معناها هنا إلا الله، تلك الأحرف التي تقرأونها وتكتبونها، هي التي منها

آيات هذا القرآن الموضح المظهر للحقائق والأحكام والتشريعات، ومع كونكم تعرفونها لكن لا تستطيعوا أن تؤلفوا منها آية ولا سورة.

أما قوله: ﴿لَعَلَّكَ بَخْعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ ألا يكونوا مؤمنين، فهذا، وإن كانت صورته صورة الخبر لكن معناه النهي، وحاصل المعنى: لا تقتل نفسك ولا تهلكها بسبب كفرهم وعدم إيمانهم.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري \$:

فتأويل الكلام على قول ابن عباس والجميع: إن هذه الآيات التي أنزلتها على محمد ﷺ في هذه السورة لآيات الكتاب الذي أنزلته إليه من قبلها الذي بين لمن تدبره بفهم، وفكر فيه بعقل، أنه من عند الله جلّ جلاله، لم يتخرّصه محمد ﷺ، ولم يتقوله من عنده، بل أوحاه إليه ربه.

وقوله: ﴿لَعَلَّكَ بَخْعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: لعلك يا محمد قاتل نفسك ومهلكها إن لم يؤمن قومك بك، ويصدقوك على ما جئتهم به والبخع: هو القتل والإهلاك في كلام العرب؛ ومنه قول ذي الرّمة:

أَلَا أَيُّهَا الْبَاخِعُ الْوَجْدُ نَفْسَهُ لَشَيْءٍ نَحْتُهُ عَنِ يَدَيْهِ الْمَقَادِرُ

وقال ابن كثير \$:

وقوله: ﴿لَعَلَّكَ بَخْعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ أي: هذه آيات القرآن المبين، أي: البين الواضح، الذي يفصل بين الحق والباطل، والغي والرشاد.

وقوله: ﴿لَعَلَّكَ بَخْعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ أي: مهلك ﴿نَفْسَكَ﴾ أي: مما تحرص عليهم وتحزن عليهم ﴿أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾، وهذه تسليّة من الله لرسوله -صلوات الله وسلامه عليه- في عدم إيمان من لم يؤمن به من الكفار، كما قال تعالى:

﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ ﴾ [فاطر: ٨٤]، وقال: ﴿ فَلَعَلَّكَ بِخُغِّ نَفْسِكَ عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ
 إِنَّ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [الكهف: ٦٢].



لا تذهب النفس حسرات على أهل الكفر

س: اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى: ﴿ لَعَلَّكَ بِخُغِّ نَفْسِكَ لَا يَكُونُوا

مُؤْمِنِينَ ﴾ (٣).

ج: في معناها ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بِخُغِّ نَفْسِكَ عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ إِنَّ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾
 [الكهف: ٦٢].

وقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ ﴾ [فاطر: ٨٤] والله أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا

خَاضِعِينَ ﴾ (٤).

ج: المعنى- والله أعلم -: إِنْ نَشَأْ أجبرناهم على الإيمان ولم نترك
 لهم أي اختيار بل لأنزلنا عليهم معجزة من السماء محذرة لهم إما أن
 يذعنوا ويؤمنوا وإلا أهلكناهم، وإما أن يخضعوا وتخضع رقابهم
 ويستسلموا وإلا أهلكناهم، وكما قال تعالى في شأن بني إسرائيل: ﴿ وَإِذْ
 نَقَعْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ ... ﴾ [الأعراف: ١٣١].

قال ابن كثير \$:

﴿ إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾ [الشعراء: ٦٢] أي: لو شئنا
 لأنزلنا آية تضطربهم إلى الإيمان قهراً، ولكننا لا نفعل ذلك؛ لأننا لا نريد

من أحد إلا الإيمان الاختياري؛ وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٣٣]، وقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (١٣٨) إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلَئِنَّكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩]، فَفَقَدْ قَدَّرَهُ، ومضت حكمته، وقامت حُجته البالغة على خَلقه بإرسال الرسل إليهم، وإنزال الكتب عليهم.

هذا، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن المراد بالأعناق هنا كبراء القوم وسادات القوم، فيكون المعنى: ولو نشاء لأنزلنا آية تقهر هؤلاء الكبراء وتجبرهم على الإيمان إلا أن هذا القول بعيدٌ هاهنا.

قال الطبري \$:

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب وأشبهها بما قال أهل التأويل في ذلك أن تكون الأعناق هي أعناق الرجال، وأن يكون معنى الكلام: فظلت أعناقهم ذليلة، للآية التي ينزلها الله عليهم من السماء، وأن يكون قوله «خاضعين» مذكراً؛ لأنه خبر عن الهاء والميم في الأعناق، فيكون ذلك نظير قول جرير:

أَرَى مَرَّ السِّنِينَ أَخَذَنَ مِنِّي كَمَا أَخَذَ السِّرَارُ مِنَ الْهَلَالِ

وذلك أن قوله: مرّ، لو أسقط من الكلام، لأدى ما بقي من الكلام عنه ولم يفسد سقوطه معنى الكلام عما كان به قبل سقوطه، وكذلك لو أسقطت الأعناق من قوله: فظلت أعناقهم، لأدى ما بقي من الكلام عنها، وذلك أن الرجال إذا دُلُّوا، فقد ذلت رقابهم، وإذا ذلت رقابهم فقد ذلوا.

فإن قيل في الكلام: فظلوا لها خاضعين، كان الكلام غير فاسد، لسقوط الأعناق، ولا متغير معناه عما كان عليه قبل سقوطها، فصرف

الخبر بالخضوع إلى أصحاب الأعناق، وإن كان قد ابتدأ بذكر الأعناق لما قد جرى به استعمال العرب في كلامهم، إذا كان الاسم المبتدأ به، وما أضيف إليه يؤدي الخبر كل واحد منهما عن الآخر.



معنى قوله تعالى (مُحَدَّثٌ)

س: **وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثًا إِلَّا كَانُوا عَنْهُ**

مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾﴾.

ج: **المعنى - والله تعالى أعلم -** وما يأتي هؤلاء المشركين من تذكير من ربهم **٥** بآياته التي ينزلها على نبيه ﷺ حديثاً نزولها إلا ازدادوا إعراضاً ونفوراً وانصرافاً عن الحق.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: وما يجيء هؤلاء المشركين الذين يكذبونك ويجحدون ما أتيتهم به يا محمد من عند ربك من تذكير وتنبيه على مواضع حُجج الله عليهم على صدقك، وحقيقة ما تدعوهم إليه مما يحدثه الله إليك ويوحيه إليك، لتذكرهم به، إلا أعرضوا عن استماعه، وتركوا أعمال الفكر فيه وتدبيره.

وقال ابن كثير \$:

ثم قال: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثًا إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ أي: كلما جاءهم كتاب من السماء أعرض عنه أكثر الناس، كما قال: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٢]، وقال: ﴿يَحْصِرُهُ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [يس: ٢١]، وقال: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَآ كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعَنَا

بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبِعَدَا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤٩﴾ [المؤمنون: ٢٤٩].

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَاتِهِمْ أَنْبَتُوا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾



ج: المعنى - والله أعلم - : فقد كذب أهل الشرك هؤلاء بالقرآن المنزل عليك يا رسول الله، وكذبوا نبوتك وكذبوا بوحدانية الله هـ وكذبوا بالبعث بعد الموت فسوف يأتيهم وقت تتبين لهم فيه حقائق الأمور التي كذبوا بها واستهزءوا بها. وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: فقد كذب يا محمد هؤلاء المشركون بالذكر الذي اتاهم من عند الله، وأعرضوا عنه ﴿فَسَيَاتِهِمْ أَنْبَتُوا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ يقول: فسيأتيهم أخبار الأمر الذي كانوا يسخرون منه، وذلك وعيد من الله لهم أنه محل بهم عقابه على تماديهم في كفرهم، وتمردهم على ربهم.

وقال ابن كثير \$:

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَاتِهِمْ أَنْبَتُوا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أي: فقد كذبوا بما جاءهم من الحق، فسيعلمون نأ هذا التكذيب بعد حين، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٥٠].

وقال القرطبي \$:

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا﴾ أي: أعرضوا ومن أعرض عن شيء ولم يقبله فهو تكذيب له ﴿فَسَيَاتِهِمْ أَنْبَتُوا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ وعيد لهم أي: فسوف يأتيهم عاقبة ما كذبوا والذي استهزؤوا به .



لفت النظر إلى الأدلة الكونية

س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَرَأَيْنَاهَا مِن كُلِّ زوجٍ كريمٍ ﴿٧﴾
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - : أو لم ير هؤلاء المعرضون عن القرآن المكذبون بالبعث بعد الموت، المنكرون وحدانية الله ٥ ونبوتك، أولم ير هؤلاء قدرة الله ٥ تلك التي أراهم بعض مظاهرها من إحياء الأرض الميتة بما ينزله من السماء من ماء فيحييها به وينبت فيها من كل صنف بهيج حسن إن في إحيائه بعد موتها لدلالة على البعث بعد الموت، فالذي أحيائها يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير، ولكن من الذي يستفيد من هذا ومن ذا الذي يعقل؟ إنهم أهل إيمان، ولكن أكثر الناس ما هم بمؤمنين ولا بمستفيدين، وإن ربك لهو ﴿الْعَزِيزُ﴾ الذي لا يُغلب ولا يُردُّ قوله ولا يُردُّ أمره ﴿الرَّحِيمُ﴾ بعباده.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: أولم ير هؤلاء المشركون المكذبون بالبعث والنشر إلى الأرض، كم أنبتنا فيها بعد أن كانت ميتة لا نبات فيها ﴿مِن كُلِّ زوجٍ كريمٍ﴾ يعني بالكريم: الحسن، كما يقال للنخلة الطيبة الحمل: كريمة، وكما يقال للشاة أو الناقة إذا غزرتا، فكثرت ألبانهما: ناقة كريمة، وشاة كريمة.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: إن في إنباتنا في الأرض من كل زوج كريم لآية.

يقول: لدلالة هؤلاء المشركين المكذّبين بالبعث، على حقيقته، وأن القدرة التي بها أنبت الله في الأرض ذلك النبات بعد جدوبها، لن يُعجزه أن يُنشر بها الأموات بعد مماتهم، أحياء من قبورهم.

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ يقول: وما كان أكثر هؤلاء المكذّبين بالبعث، الجاحدين نبوتك يا محمد، بمصدقك على ما تأتيهم به من عند الله من الذكر.

يقول جلّ ثناؤه: وقد سبق في علمي أنهم لا يؤمنون، فلا يؤمن بك أكثرهم للسابق من علمي فيهم. وقوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ يقول: وإن ربك يا محمد لهو العزيز في نعمته، لا يمتنع عليه أحد أراد الانتقام منه. يقول تعالى ذكره: وإني إن أحللت بهؤلاء المكذّبين بك يا محمد، المعرضين عما يأتيتهم من ذكر من عندي، عقوبتي بتكذيبهم إياك، فلن يمنعهم مني مانع؛ لأنني أنا العزيز الرحيم، يعني أنه ذو الرحمة بمن تاب من خلقه من كفره ومعصيته، أن يُعاقبه على ما سلف من جرمه بعد توبته.

قال أبو جعفر: وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في ذلك في هذا الموضع؛ لأن قوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ عقيب وعيد الله قومًا من أهل الشرك والتكذيب بالبعث، لم يكونوا أهلًا، فيوجه إلى أنه خبر من الله عن فعله بهم وإهلاكه. ولعل ابن جريج بقوله هذا أراد ما كان من ذلك عقيب خبر الله عن إهلاكه من أهلك من الأمم، وذلك إن شاء الله إذا كان عقيب خبرهم كذلك.

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ نَبَّهَ عَلَى عَظَمَتِهِ وَقَدْرَتِهِ وَأَنَّهُمْ لَوْ رَأَوْا بِقُلُوبِهِمْ وَنَظَرُوا بِبَصَائِرِهِمْ لَعَلَّمُوا أَنَّهُ الَّذِي يَسْتَحِقُّ أَنْ يُعْبَدَ؛ إِذْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَالزَّوْجُ هُوَ اللَّوْنُ قَالَهُ الْفَرَاءُ ﴿كَرِيمٍ﴾ حَسَنٌ شَرِيفٌ وَأَصْلُ الْكَرَمِ فِي اللُّغَةِ الشَّرَفُ وَالْفَضْلُ فَخَلَّةٌ كَرِيمَةٌ أَيْ فَاضِلَةٌ كَثِيرَةُ الثَّمَرِ وَرَجُلٌ كَرِيمٌ شَرِيفٌ فَاضِلٌ صَفُوحٌ وَنَبَتَتِ الْأَرْضُ وَأَنْبَتَتْ بِمَعْنَى وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي سُورَةِ (الْبَقَرَةِ) وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الْمَخْرُجُ وَالْمَنْبَتُ لَهُ وَرُويَ عَنِ الشَّعْبِيِّ أَنَّهُ قَالَ: النَّاسُ مِنْ نَبَاتِ الْأَرْضِ، فَمَنْ صَارَ مِنْهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ فَهُوَ كَرِيمٌ وَمَنْ صَارَ إِلَى النَّارِ فَهُوَ لُئِيمٌ. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ أَيْ: فِيمَا ذَكَرَ مِنَ الْإِنْبَاتِ فِي الْأَرْضِ لِدَلَالَتِهِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ قَادِرٌ لَا يَعْجُزُهُ شَيْءٌ ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أَيْ: مُصَدِّقِينَ لِمَا سَبَقَ مِنْ عِلْمِي فِيهِمْ ﴿وَكَانَ﴾ هُنَا صِلَةٌ فِي قَوْلِ سَيِّبِيهِ تَقْدِيرُهُ: وَمَا أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ يَرِيدُ الْمُنِيعَ الْمُنْتَقِمَ مِنْ أَعْدَائِهِ الرَّحِيمَ بِأَوْلِيَائِهِ.

وقال ابن كثير \$:

ثُمَّ نَبَّهَ تَعَالَى عَلَى عَظَمَتِهِ فِي سُلْطَانِهِ وَجَلَالَةِ قَدْرِهِ وَشَأْنِهِ، الَّذِينَ اجْتَرَأُوا عَلَى مَخَالَفَةِ رَسُولِهِ وَتَكْذِيبِ كِتَابِهِ، وَهُوَ الْقَاهِرُ الْعَظِيمُ الْقَادِرُ، الَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ وَأَنْبَتَ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ، مِنْ زُرُوعٍ وَثَمَارٍ وَحَيَوانٍ.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ أَيْ: دَلَالَةً عَلَى قُدْرَةِ الْخَالِقِ لِلْأَشْيَاءِ، الَّذِي بَسَطَ الْأَرْضَ وَرَفَعَ بِنَاءَ السَّمَاءِ، وَمَعَ هَذَا مَا آمَنَ أَكْثَرُ النَّاسِ، بَلْ كَذَّبُوا بِهِ وَبَرَّسَلَهُ وَكُتِبَهُ، وَخَالَفُوا أَمْرَهُ وَارْتَكَبُوا زَوَاجِرَهُ.

وقوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ أَيْ: الَّذِي عَزَّ كُلَّ شَيْءٍ وَقَهَرَهُ وَغَلَبَهُ،

﴿الرَّحِيمُ﴾ أي: بخلقه، فلا يعجل على مَنْ عصاه، بل ينظره ويؤجله ثم يأخذه
أخذ عزيز مقتدر.



شيء من قصة موسى غ

قال الله تعالى:

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۖ أَلَا يَنْقُورُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا فَإِذْ مَا بَايَعْتُنَا ۖ إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأَتَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعَلَتَكَ الْتَىٰ فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْنَاهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنَّ عَلَىٰ أَنْ عِبَدْتَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ ۖ أَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمْ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنْ رَسُولُكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَنْ أَتَّخِذَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُودِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ ۖ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظَرِ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ ۖ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُواكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾ [الشعراء: 10-37].

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿أَنْتَ﴾ - ﴿يَنْفِقُونَ﴾ - ﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰزِرُونَ﴾ - ﴿وَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ﴾ - ﴿يَايْتِنَا﴾ - ﴿وَلِيدًا﴾ - ﴿الْكَافِرِينَ﴾ -
 ﴿الضَّالِّينَ﴾ - ﴿حُكْمًا﴾ - ﴿تَمْنَاهَا عَلَىٰ﴾ - ﴿عَبَدْتَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ - ﴿مُوقِنِينَ﴾ - ﴿بَنِي مِثْيَنَ﴾ - ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾ - ﴿فَمَاذَا
 تَأْمُرُونَ﴾ - ﴿أَرْجِهْ﴾ - ﴿حَشِيرِينَ﴾ - ﴿عَلِيمٍ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿أَنْتَ﴾	اذهب إلى
﴿يَنْفِقُونَ﴾	يجعلون وقاية بينهم وبين عذاب الله (بترك الشرك وبترك الكبائر والإجرام)
﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰزِرُونَ﴾	فاجعله رسولاً وأرسل إليه وحياً
﴿وَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ﴾	لهم عليّ قودٌ، ذنبٌ ارتكبته في حقهم بقتل نفس
﴿يَايْتِنَا﴾	بحججنا، وأدلتنا
﴿وَلِيدًا﴾	في صغرك
﴿الْكَافِرِينَ﴾	الجاحدين
﴿الضَّالِّينَ﴾	الجاهلين
﴿حُكْمًا﴾	نبوة
﴿تَمْنَاهَا عَلَىٰ﴾	تفضل عليّ به وتعيرني بها
﴿عَبَدْتَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾	جعلتهم عبيداً عندك
﴿مُوقِنِينَ﴾	مُصدقين

﴿شَيْءٌ مُّبِينٌ﴾	بحجة تظهر صدقي وتدل عليه
﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾	أخرج يده من جيبه بعد أن أدخلها فيه
﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾	فماذا تشيرون عليّ
﴿أَرْجِهْ﴾	أخّره - أمهله
﴿حَاشِرِينَ﴾	جامعين يجمعون الناس لك لملاقاة موسى غ
﴿عَلِيمٍ﴾	عالم بالسحر



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (١٠) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ (١١)﴾.

ج: المعنى: وإذ كلّم الله ٥ نبيه موسى غ وناداه ﴿مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ [مريم: ١٩] أن اذهب يا موسى إلى آل فرعون، إلى هؤلاء الظالمين الذين قال كبيرهم: إني ربكم الأعلى فصدقوه، الذين قال لهم كبيرهم: ما علمت لكم من إله غيري فاستمعوا له وأطاعوا وأقروا له وأذعنوا، اذهب إلى هؤلاء الذين طغوا وبغوا وقتلوا العباد وشردوهم وذبحوا الأبناء واستحيوا النساء، اذهب إلى هؤلاء قوم فرعون فذكرهم بوحدانية الله وحذرهم من سوء عاقبة أعمالهم وشركهم وكفرهم لعلهم يحذرون عذاب الله فيتقونه ويتقوا أسبابه.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: واذكر يا محمد إذ نادى ربك موسى بن عمران ﴿إِنِ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ يعني الكافرين قوم فرعون، ونصب القوم الثاني ترجمة

عن القوم الأول، وقوله: ﴿أَلَا يَتَّقُونَ﴾ يقول: ألا يتقون عقاب الله على كفرهم به. ومعنى الكلام: قوم فرعون فقل لهم: ألا يتقون. وترك إظهار فقل لهم لدلالة الكلام عليه. وإنما قيل: ألا يتقون بالياء، ولم يقل ألا تتقون بالتاء؛ لأن التنزيل كان قبل الخطاب، ولو جاءت القراءة فيها بالتاء كان صوابًا، كما قيل: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَيِّغْلِبُونَ﴾ و﴿سَتُغْلَبُونَ﴾.



س: **وضح معنى قوله تعالى:** ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ (١٣) **وَيُضِيقَ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَرُونَ﴾ (١٤) وَلَمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ (١٥).**

ج: هذه أمور ذكرها موسى **غ** لما كلفه الله **ه** بالذهاب إلى فرعون ونصحه وتذكيره وتحذيره من العاقبة السيئة إذا هو مات على كفره وطغيانه، وليست هذه الأمور التي ذكرها **غ** طلبًا لمعافاته من الرسالة والتكليف ولكن ذكرها **غ** طلبًا من الله **ه** وسؤالًا كي يتفضل عليه ربُّه **ه** ويكرمه بأن يجعل أخاه هارون **غ** نبيًا كي يُعينه على ما كلف به.

*** أما عن معنى الآيات – والله أعلم – قال موسى **غ** لما قال الله له:** ﴿أَنْتَ الْقَوْمُ الظَّالِمِينَ﴾، قال ربِّ: إني أخاف أن يكذبوني فيما أدعوهم إليه، يصفونني بالكذب فإذا وصفوني بذلك ضاق صدري، ولم يستطع لساني أن يتكلم مدافعًا عني، وذلك للعقدة التي كانت في لسانه؛ إذ قال: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾ (٢٧) **يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ (طه: ٢٨-٢٩) فأرسل يا رب إلى هارون اجعله يا رب نبيًا، كما قال موسى **غ**:** ﴿هَرُونَ أَخِي﴾ (٣٠) **أَشَدُّ بِهِ أَرَى﴾ (٣١) وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي﴾ (٣٢) كَيْ سُبِّحَكَ كَثِيرًا﴾ (٣٣) **وَنَذِّرَكَ كَثِيرًا﴾ (طه: ٣٤) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ (طه: ٣٥).****

وكما قال: ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾ (٣٦) **إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ (القصص: ٣٧).**

أما قوله: ﴿وَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ أي: ولقد قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلوني بها.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: ﴿قَالَ﴾ موسى لربه ﴿رَبِّ إِنِّي أَخَافُ﴾ من قوم فرعون الذين أمرتني أن آتيهم ﴿أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ بقيلي لهم: إنك أرسلتني إليهم. ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾ من تكذيبهم إياي إن كذبوني. ورفع قوله: ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾ عطفاً به على أخاف، وبالرفع فيه قرأته عامة قرأاء الأمصار، ومعناه: وإني يضيق صدري. وقوله: ﴿وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي﴾ يقول: ولا ينطق بالعبرة عما ترسلني به إليهم، للغة التي كانت بلسانه. وقوله: ﴿وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي﴾ كلام معطوف به على يضيق. وقوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَىٰ هَارُونَ﴾ يعني هارون أخاه، ولم يقل: فأرسل إلي هارون ليؤازرني وليعينني؛ إذ كان مفهوماً معنى الكلام، وذلك كقول القائل: لو نزلت بنا نازلة لفرعنا إليك، بمعنى: لفرعنا إليك لتعيننا. وقوله: ﴿وَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ﴾ يقول: ولقوم فرعون عليّ دعوى ذنب أذنبت إليهم، وذلك قتله النفس التي قتلها منهم.

وقال ابن كثير \$:

هذه أَعْدَارُ سَأَلَ مِنَ اللَّهِ إِزَاحَتَهَا عَنْهُ، كَمَا قَالَ فِي سُورَةِ طه: ﴿قَالَ رَبِّ اشرحْ لِي صَدْرِي﴾ (٢٥) ﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ (٢٦) ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾ (٢٧) ﴿يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ (٢٨) ﴿وَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِ الْهَرُونَ أَخِي﴾ (٣٠) ﴿أَشْدُدْ يَدَهُ أَزْرِي﴾ (٣١) ﴿وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي﴾ (٣٢) ﴿كَيْ تُسْحِكَ كَثِيرًا﴾ (٣٣) ﴿وَتَذْكُرَ كَثِيرًا﴾ (٣٤) ﴿إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ (٣٥) قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى (٣٦) **[طه: ٢٥-٣٦]**.

وقوله: ﴿وَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ أي: بسبب ما كان قتل ذلك

القبطي الذي كان سبب خروجه من بلاد مصر.

وقال القرطبي \$:

﴿وَلَا يَطْلُقُ لِسَانِي﴾ في المحاجة على ما أحب وكان في لسانه عقدة على ما تقدم في (طه) ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَى هَارُونَ﴾ أرسل إليه جبريل بالوحي واجعله رسولاً معي ليؤازرني ويظاھرنی ويعاونني ولم يذكر هنا ليُعينني لأن المعنى كان معلوماً وقد صرح به في سورة (طه): ﴿وَأَجْعَلْنِي وَزيراً﴾ [طه: ٢٥] وفي القصص: ﴿فَأَرْسَلْنَاهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾ [القصص: ٤٤] وكان موسى أذن له في هذا السؤال ولم يكن ذلك استعفاء من الرسالة بل طلب من يُعينه ففي هذا دليل على أن من لا يستقل بأمر ويخاف من نفسه تقصيراً أن يأخذ من يستعين به عليه ولا يلحقه في ذلك لوم ﴿وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُون﴾ الذنب هنا قتل القبطي.



س: **وضح معنى قوله تعالى:** ﴿قَالَ كَلَّا فَادْهَبَا بِعَايُنِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ (١٥).

ج: **المعنى** - والله تعالى أعلم: أن الله ٥ قال لموسى غ: لن يقتلك فرعون ولن ينالك بسوء فاذهب أنت وأخوك هارون بأدلتنا وحججنا فإننا مستمعون لكما ولما يُقال لكما. كما قال تعالى: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٦١].

هذا، وأنبه هنا على الخطأ الجسيم الذي وقع من الإمام القرطبي عفا

الله عنه وتجاوز إذ نفى عن الله ٥ صفة الاستماع فقال:

﴿مُسْتَمِعُونَ﴾ أي سامعون ما يقولون وما يجاوبون وإنما أراد بذلك تقوية قلوبهما وأنه يُعينهما ويحفظهما والاستماع إنما يكون بالإصغاء ولا يوصف الباري سبحانه بذلك وقد وصف سبحانه نفسه بأنه السميع

البصير وقال في (طه): ﴿أَسْمِعْ وَارْأُ﴾ [طه: ٢٥].

قلت (مصطفى): هكذا قال: ونفى الاستماع، وقد أثبتته الله ه لنفسه فينتبه لمثل هذه الأقوال الشاذة المخالفة لنهج أهل السنة والجماعة، بل المخالفة لسياق الكتاب العزيز، وليحذر من مثلها. ثم هذه بعض أقوال العلماء في الآية الكريمة.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: ﴿كَلَّا﴾: أي: لن يقتلك قوم فرعون. ﴿فَآذِهِا بِآيَاتِنَا﴾ يقول: فاذهب أنت وأخوك بآياتنا، يعني بأعلامنا وحُججنا التي أعطيناكم عليهم. وقوله: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ من قوم فرعون ما يقولون لكم، ويجيبونكم به.

وقال ابن كثير \$:

﴿قَالَ كَلَّا﴾ أي: قال الله له: لا تخف من شيء من ذلك كما قال: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطٰنًا﴾ أي: برهائنا ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنۭتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغٰلِبُونَ﴾ [الفصص: ٢٥].

﴿فَآذِهِا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ كما قال تعالى: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمِعْ وَارْأُ﴾ [طه: ٢٥] أي: إني معكم بحفظي وكلائي ونصري وتأبيدي.

قلت (مصطفى): أما لماذا قال: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ ولم يقل معكم فقد أجاب

عنه القرطبي بقوله:

وقال: ﴿مَعَكُمْ﴾ فأجراهما مجرى الجمع؛ لأن الاثنين جماعة ويجوز أن يكون لهما ولمن أرسلإ إليه ويجوز أن يكون لجميع بني إسرائيل.



س: ما المراد بالآيات في قوله: ﴿وَيَايْتِنَا﴾؟

ج: من ذلك العصا واليد، والله أعلم.

س: قول فرعون -عليه لعنة الله- لموسى غ ﴿وَفَعَلْتَ فَعَلَتَكَ آلَتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (١٩) ما المراد بالفعل وما المراد بقوله: ﴿مِنَ الْكَافِرِينَ﴾؟

ج: أما الفعل فـهي قتل القبطي؛ إذ الله قال: ﴿فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ [القصص: ٢٦].

أما قوله: ﴿مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (١٩) ففيه وجهان:

أحدهما: أنك كفرت بنعمنا عليك وإحساننا إليك وتربيتنا لك، كفرت بكل هذا، وقتلت واحداً منا فالكفر هاهنا كفر النعم.

الثاني: أن المراد وأنت من الكافرين بالله فقد كنت معنا على ديننا قبل أن ترجع إلينا بقولك الذي جئتنا به الآية.

قال الطبري \$:

وقوله: ﴿وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (١٩) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: وأنت من الكافرين بالله على ديننا.

وأورد بإسناد حسن عن السدي: ﴿وَفَعَلْتَ فَعَلَتَكَ آلَتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (١٩) يعني: على ديننا هذا الذي تعيب.

قال الطبري: وقال آخرون: بل معنى ذلك: وأنت من الكافرين نعمتنا عليك.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَفَعَلْتَ فَعَلَتَكَ آلَتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (١٩) قال: ربيناك فينا وليداً، فهذا الذي كافأنا أن قتلت

منا نفسا، وكفرت نعمتنا!

قال الطبري \$:

وهذا القول الذي قاله ابن زيد أشبه بتأويل الآية؛ لأن فرعون لم يكن مقرّاً لله بالربوبية وإنما كان يزعم أنه هو الرب، فغير جائز أن يقول لموسى إن كان موسى كان عنده على دينه يوم قتل القتل على ما قاله السدي: فعلت الفعلة وأنت من الكافرين، الإيمان عنده: هو دينه الذي كان عليه موسى عنده، إلا أن يقول قائل: إنما أراد: وأنت من الكافرين يومئذ يا موسى، على قولك اليوم، فيكون ذلك وجهًا يتوجه. فتأويل الكلام إذن: وقتلت الذي قتلت منّا وأنت من الكافرين نعمتنا عليك، وإحساننا إليك في قتلك إياه.

وقد قيل: معنى ذلك: وأنت الآن من الكافرين لنعمتي عليك، وتربيتي إياك.

قال الشنقيطي \$ (أضواء البيان):

قوله تعالى في كلام فرعون لموسى: ﴿وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ

الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾﴾.

أبهم جلّ وعلا هذه الفعلة التي فعلها لتعبيره عنها بالاسم المبهم الذي هو الموصول في قوله: ﴿الَّتِي فَعَلْتَ﴾، وقد أوضحها في آيات أخر، وبَيَّن أن الفعلة المذكورة هي قتله نفساً منهم؛ كقوله تعالى: ﴿فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ [القصص: ٢٥]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا﴾ [القصص: ٢٦]، وقوله عن الإسرائيلي الذي استغاث بموسى مرّتين: ﴿قَالَ يَمُوسَى أَتَرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا يَا لَأَمْسٍ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾.

[القصص: ١٤].

وأظهر الأقوال عندي في معنى قوله: ﴿وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (١٩)، أن المراد به كفر النعمة، يعني: أنعمنا عليك بتربيتنا إياك صغيراً، وإحساننا إليك تتقلب في نعمتنا فكفرت نعمتنا، وقابلت إحساننا بالإساءة لقتلك نفساً مثلاً، وباقي الأقوال تركناه؛ لأن هذا أظهرها عندنا.

وقال بعض أهل العلم: ردّ موسى على فرعون امتنانه عليه بالتربية، بقوله: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَى أَنْ عَبَّدَتْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ (٢٢) [الشعراء: ١٤]، يعني: تعبيدك لقومي، وإهانتك لهم لا يعتبر معه إحسانك إليّ؛ لأنني رجل واحد منهم، والعلم عند الله تعالى.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ (٢٠).

ج: قال الشنقيطي \$ (أضواء البيان):

قوله تعالى: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ (٢٠).

أي: قال موسى مجيباً لفرعون: ﴿فَعَلْتُهَا إِذَا﴾، أي: إذ فعلتها ﴿وَأَنَا﴾ في ذلك الحين ﴿مِنَ الضَّالِّينَ﴾ (٢٠)، أي: قبل أن يوحى الله إليّ، ويبعثني رسولاً، وهذا هو التحقيق - إن شاء الله - في معنى الآية.

وقول من قال من أهل العلم: ﴿وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ (٢٠)، أي: من الجاهلين، راجع إلى ما ذكرنا؛ لأنه بالنسبة إلى ما علمه الله من الوحي يعتبر قبله جاهلاً، أي: غير عالم بما أوحى الله إليه.

وقد بيّنا مراراً في هذا الكتاب المبارك أن لفظ الضلال يطلق في القرآن، وفي اللغة العربية ثلاثة إطلاقات:

الإطلاق الأول: يطلق الضلال مرادًا به الذهاب عن حقيقة الشيء، فنقول العرب في كل من ذهب عن علم حقيقة شيء: ضلّ عنه، وهذا الضلال ذهاب عن علم شيء ما، وليس من الضلال في الدين.

ومن هذا المعنى قوله هنا: ﴿وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ (٢٠)، أي: من الذاهبيين عن علم حقيقة العلوم، والأسرار التي لا تعلم إلا عن طريق الوحي؛ لأنني في ذلك الوقت لم يوح إليّ، ومنه على التحقيق: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ (٧) **[الضحى: ٧]**، أي: ذاهبًا عما علمك من العلوم التي لا تدرك إلا بالوحي.

ومن هذا المعنى قوله تعالى: ﴿قَالَ عَلِمْتُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ (٥٢) **[طه: ٥٢]**، فقلوه: ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي﴾ أي: لا يذهب عنه علم شيء كائنًا ما كان، وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَأَمْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ **[البقرة: ٢٨٢]**، فقلوه: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا﴾ أي: تذهب عن علم حقيقة المشهود به بدليل قوله بعده: ﴿فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾، وقوله تعالى عن أولاد يعقوب: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٨) **[يوسف: ٨]**، وقوله: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ (٩٥) **[يوسف: ٩٥]**، على التحقيق في ذلك كله. ومن هذا المعنى قول الشاعر:

وتظنّ سلمى أنني أبغي بها بدلًا أراها في الضلال تهيم

والإطلاق الثاني: وهو المشهور في اللغة، وفي القرآن هو إطلاق الضلال على الذهاب عن طريق الإيمان إلى الكفر، وعن طريق الحق إلى الباطل، وعن طريق الجنة إلى النار، ومنه قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ (٧) **[الفتح: ٧]**.

والإطلاق الثالث: هو إطلاق الضلال على الغيوبة والاضمحلال،

تقول العرب: ضلّ الشيء إذا غاب واضمحلّ، ومنه قولهم: ضلّ السمن في الطعام، إذا غاب فيه واضمحلّ، ولأجل هذا سمّت العرب الدفن في القبر إضلالاً؛ لأن المدفون تأكله الأرض فيغيّب فيها ويضمحلّ.

ومن هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ [السجدة: ٢٤]، يعنون: إذا دفنوا وأكلتهم الأرض، فضلّوا فيها، أي: غابوا فيها واضمحلّوا.

ومن إطلاقهم الإضلال على الدفن، قول نابغة ذبيان يرثي النعمان بن الحارث بن أبي شمر الغساني:

فإن تحيي لا أملك حياتي وإن تمت فما في حياة بعد موتك طائل
فآب مضلّوه بعين جليّة وغودر بالجولان حزم ونائل

وقول المخبل السعدي يرثي قيس بن عاصم:

أضلت بنو قيس بن سعد عميدها وفارسها في الدهر قيس بن عاصم

فقول الذبياني: فآب مضلّوه، يعني: فرجع دافنوه، وقول السعدي: أضلت، أي: دفنت، ومن إطلاق الضلال أيضاً على الغيبة والاضمحلال قول الأخطل:

كنت القذى في موج أكرد مزيد قذف الأتى به فضلّ ضلالا

وقول الآخر:

ألم تسأل فتخبرك الديار عن الحي المضلل أين ساروا

وزعم بعض أهل العلم أن للضلال إطلاقاً رابعاً، قال: ويطلق أيضاً على المحبة، قال: ومنه قوله: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ [يوسف: ١٥]، قال: أي في حبك القديم ليوسف، قال: ومنه قول الشاعر:

هذا الضلال أشاب مني المفرقا والعارضين ولم أكن متحققا
عجبا لعزة في اختيار قطيعتي بعد الضلال فحبها قد أخلقا

وزعم أيضا أن منه قوله: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى: ٧]، قال: أي محبًا للهداية فهذا، ولا يخفى سقوط هذا القول، والعلم عند الله تعالى.



س: الخوف الجبلي قد يتسرب إلى أهل الفضل والصلاح. دَلِّ على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قول موسى غ: ﴿وَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ [الشعراء: ١٤].

وقوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَىٰ﴾ [طه: ٢٧].

وقوله: ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ [الشعراء: ١٥].

وقوله تعالى في شأن أهل الإيمان: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي

الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَخَطِفَكُمْ النَّاسُ﴾ [الأنفال: ١٧].

وقول يعقوب غ: ﴿وَإِخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ..﴾ [يوسف: ٢٢]؛ والله أعلم.

قال القرطبي \$:

وخاف موسى أن يقتلوه له دَلٌّ على أن الخوف قد يصحب الأنبياء والفضلاء والأولياء مع معرفتهم بالله وأن لا فاعل إلا هو؛ إذ يسلط من شاء على من شاء.



س: وضح معنى قوله: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَن عَبْدَتَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [٢٢].

ج: في هذا وجهان لأهل العلم:

أحدهما: أن هذا استنكار.

والمعنى: أو هذه نعمة تمتنُّ بها عليّ وقد استعبدت أهلي وذبحتهم.

الثاني: أن هذا من الإقرار بالنعمة، وكأنه قال له قد ذكرت أنك ربيتني في بيتك وأحسنْتَ إليّ وقد لبثت فيكم سنين ولك أيضاً أن تمتن عليّ بنعمة أخرى وهي أنك جعلت بني إسرائيل عبيداً لك ولم تجعلني عبداً لك، أي عبدت بني إسرائيل وتركنتي، والله أعلم.

قال السعدي \$ في (تيسير الكريم الرحمن):

﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىٰ أَنْ عَبَّدَتْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ (٢٢).

أي: تدلي علي بهذه المنّة؛ لأنك سخرت بني إسرائيل، وجعلتهم لك بمنزلة العبيد، وأنا قد أسلمتني من تعبيدك وتسخيرك، وجعلتها علي نعمة، فعند التصور، يتبين أن الحقيقة، أنك ظلمت هذا الشعب الفاضل، وعذبتهم وسخرتهم بأعمالك، وأنا قد سلمني الله من أذاك، مع وصول أذاك لقومي، فما هذه المنّة التي تمنُّ بها وتدلي بها؟



س: وضع المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿فَأْتِيَافِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٦) أن أرسل معنا بني إسرائيل (١٧) قال ألم نربك فينا وليداً وليت فينا من عثرِكَ سنين (١٨) وفعلت فعلتك أليّ فعلت وأنت من الكافرين (١٩) قال فعلتها إذا وأنا من الضالين (٢٠) ففررت منكم لنا خفتكم فوهب لي ربي حكماً وجعاني من المرسلين (٢١) وتلك نعمة تمنُّها عليّ أن عبَّدت بني إسرائيل (٢٢).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - : أن الله ه قال لموسى وهارون ث، بعد أن منَّ عليهما بالرسالة والنبوة: ﴿فَأْتِيَافِرْعَوْنَ﴾ فاذهبا إلى فرعون فقولا

(له) إنا ذو رسالة إليك من رب العالمين، كُلُّ مَنْ أَرْسَلَ إِلَيْكَ مِنْ
 اللَّهُ ٥ نَطْلُبُ مِنْكَ أَنْ تَرْسَلَ مَعَنَا قَبِيلَتَنَا الَّذِينَ هُمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ، فَقَدْ كَانُوا
 مُسْتَبْعِدِينَ مُسْتَذِلِينَ عِنْدَ فِرْعَوْنَ فَأَرَادَ مُوسَى وَهَارُونَ ٦ الْخُرُوجَ
 بِقَوْمِهِمَا مِنْ مِصْرَ وَأَرَادَا مِنْ فِرْعَوْنَ أَنْ يُطْلَقَهُمَا وَيُخْلَلَ سَبِيلَهُمَا حَتَّى
 يُخْرِجَهُمَا إِلَى أَرْضٍ أُخْرَى قِيلَ هِيَ فِلَسْطِينَ فَعِنْدُ ذَلِكَ أَجَابَ فِرْعَوْنَ
 بِازْدِرَاءٍ وَاحْتِقَارٍ وَاسْتِصْغَارٍ وَامْتِهَانٍ ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ
 ١٨﴾ أَلَمْ تَتَرَبَّأْ فِي بَيْتِنَا فِي صِغَرِكَ وَتَأْكُلَ مِنْ طَعَامِنَا وَتَشْرَبَ شَرَابِنَا
 وَمَكَثْتَ مَعَنَا سِنِيًّا مِنْ عَمْرِكَ عَلَى طَرِيقَتِنَا، وَبَعْدَ ذَلِكَ قَتَلْتَ مَنَّا نَفْسًا
 وَكَفَرْتَ بِنِعْمَتِنَا عَلَيْكَ وَإِحْسَانِنَا إِلَيْكَ، فَعِنْدَهَا قَالَ مُوسَى ٨: ﴿فَعَلْنَاهَا إِذَا وَأَنَا مِنْ
 الصَّالِينَ ٢٠﴾ أَي: قَتَلْتَ النَّفْسَ الَّتِي قَتَلْتَهَا قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيَّ قَبْلَ أَنْ أَكُونَ
 رَسُولًا، وَقِيلَ: وَأَنَا مِنَ الْمَخْطُئِينَ بِفَعْلَتِي هَذِهِ الْجَاهِلِينَ. وَقِيلَ: لَمْ يَكُنْ
 يَعْلَمُ أَنَّ الْوَكْزَةَ تَقْضِي إِلَى الْقَتْلِ.

﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ﴾ وَخَرَجْتُ هَارِبًا مِنْ بِلَادِكُمْ لَمَّا خَشِيتُ أَنْ تَقْتُلُونِي فَلَمَّا
 خَرَجْتُ وَمَكَثْتُ زَمَانًا بَعِيدًا عَنْكُمْ وَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا، قِيلَ: نَبُوءَةً، وَقِيلَ:
 التَّوْرَةُ الَّتِي آتَاهُ اللَّهُ إِيَّاهَا.

وقوله: ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ٢١﴾ أَي: مَنْ اللَّهُ عَلَيَّ بِالرَّسَالَةِ فَاخْتَارَنِي
 رَسُولًا.

ثم قال موسى ٩: ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ تَمُّنَّا عَلَى أَنْ عَبَدْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ ٢٢﴾ أَي: أَي
 نِعْمَةٍ هَذِهِ الَّتِي تَمَنُّ عَلَيَّ بِهَا؟ مُقَابِلَ إِسَاءَتِكَ الْمُتَوَاصِلَةِ الْبَالِغَةِ إِلَى قَوْمِي
 بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَي: إِنْ كُنْتُ أَحْسَنْتُ إِلَيْكَ بِإِطْعَامِي وَشَرَابِي فَقَدْ قَتَلْتَ قَوْمِي
 وَاسْتَعْبَدْتَهُمْ وَاسْتَذَلَلْتَهُمْ وَسَمُّتَهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ.
 وَبَنَحُوا هَذَا قَالَ الْعُلَمَاءُ.

قال الطبري \$:

وقوله: ﴿فَأْتِيَٰ فِرْعَوْنَ فَقُولَا﴾... الآية، يقول: فأنت أنت يا موسى وأخوك هارون فرعون. ﴿فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٦) ﴿إِلَيْكَ بِأَن أَرْسَلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ (١٧) وقال رسول رب العالمين، وهو يخاطب اثنين بقوله: ﴿فَقُولَا﴾ لأنه أراد به المصدر من أرسلت، يقال: أرسلت رسالة ورسولا كما قال الشاعر:

لقد كذب الواشون ما بحت عندهم بسوء ولا أرسلتهم برسول

يعنى برسالة، وقال الآخر:

ألا من مبلغني خفافاً رسولا بيت أهلك منهاها

يعني بقوله: رسولا رسالة، فأنت لذلك الهاء.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ نَرْبِكْ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ (١٨) وَفَعَلْتَ فَعَلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾.

وفي هذا الكلام محذوف استغني بدلالة ما ظهر عليه منه، وهو: فأتيا فرعون فأبلغاه رسالة ربهما إليه، فقال فرعون: ألم نربك فينا يا موسى وليدًا، ولبثت فينا من عمرك سنين؟ وذلك مكثه عنده قبل قتل القتيل الذي قتله من القبط. ﴿وَفَعَلْتَ فَعَلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ﴾ يعني: قتله النفس التي قتل من القبط.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ فَعَلْنَاهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ (٢٠) فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خَفَّيْتُمْ فَوْهَبَ لِيَ رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾.

يقول تعالى ذكره: قال موسى لفرعون: فعلت تلك الفعلة التي فعلت، أي قتلت تلك النفس التي قتلت إذن وأنا من الضالين. يقول: وأنا من

الجاهلين قبل أن يأتيني من الله وحيً بتحريم قتله عليّ. والعرب تضع من الضلال موضع الجهل، والجهل موضع الضلال، فنقول: قد جهل فلان الطريق وضلّ الطريق، بمعنى واحد.

وأورد بإسنادٍ صحيحٍ عن ابن زيد في قوله: ﴿قَالَ فَعَلْنَاهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ قبل أن يأتيني من الله شيء كان قتلي إياه ضلالة خطأ. قال: والضلالة ههنا الخطأ، لم يقل ضلاله فيما بينه وبين الله.

وقوله: ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾... الآية، يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل موسى لفرعون: ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ﴾ معشر الملأ من قوم فرعون ﴿لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ أن تقتلوني بقتلي القتيل منكم. ﴿فَوَهَبَ لِي رِجِّي حُكْمًا﴾ يقول: فوهب لي ربي نبوة وهي الحكم.

وقوله: ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ يقول: وألحقني بعداد من أرسله إلى خلقه، مبلغاً عنه رسالته إليهم بإرساله إياي إليك يا فرعون.

وقال الطبري أيضاً:

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل نبيه موسى ﷺ لفرعون: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّ عَلَىَّ﴾ يعني بقوله: وتلك تربية فرعون إياه، يقول: وتربيتك إياي، وتركك استعبادي، كما استعبدت بني إسرائيل نعمة منك تمنُّها عليّ بحق. وفي الكلام محذوف استغني بدلالة ما ذكر عليه عنه، وهو: وتلك نعمة تمنُّها عليّ أن عبدت بني إسرائيل وتركتني، فلم تستعبدني، فترك ذكر «وتركتني» لدلالة قوله: ﴿أَنْ عَبَدْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ عليه، والعرب تفعل ذلك اختصاراً للكلام، ونظير ذلك في الكلام أن يستحق رجلان من ذي سلطان عقوبة، فيعاقب أحدهما، ويعفو عن الآخر، فيقول المعفو عنه هذه

نعمة علي من الأمير أن عاقب فلاناً، وتركني، ثم حذف «وتركني» لدلالة الكلام عليه، ولأن في قوله: ﴿أَنْ عَبَدْتَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ (٢٢) وجهين: أحدهما النصب، لتعلق (تمنأ) بها، وإذا كانت نصباً كان معنى الكلام: وتلك نعمة تمنأ علي لتعبدك بني إسرائيل. والآخر: الرفع على أنها ردُّ على النعمة. وإذا كانت رفعاً كان معنى الكلام: وتلك نعمة تمنأ علي تعبيدك بني إسرائيل. ويعني بقوله: ﴿أَنْ عَبَدْتَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ (٢٢): أن اتخذتهم عبيداً لك. يقال منه: عبدت العبيد وأعبدتهم، قال الشاعر:

علام يعبدني قومي وقد كثرت فيها أباعر ما شاءوا وعبدان

وقال آخرون: هذا استفهام كان من موسى لفرعون، كأنه قال: أتمنُّ علي أن اتخذت بني إسرائيل عبيداً؟!!

وأورد الطبري وجهاً آخر فقال: وقال بعض نحوي الكوفة في ذلك ما قلنا. وقال: معنى الكلام: وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين لنعمتي: أي لنعمة تربيتي لك، فأجابه فقال: نعم هي نعمة علي أن عبدت الناس ولم تستعبدني.

وقال ابن كثير \$:

﴿فَأَتَا فِرْعَوْنَ فَقَوْلَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٦)، وقال في الآية الأخرى: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ [طه: ٢٤] أي: كل منا رسول الله إليك، ﴿أَنْ أَرْسَلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ (١٧) أي: أطلقهم من إيسارك وقبضتك وقهرك وتعذيبك، فإنهم عباد الله المؤمنون، وحزبه المخلصون، وهم معك في العذاب المهين. فلما قال له موسى ذلك أعرض فرعون عما هنالك بالكلية، ونظر بعين الازدراء والغمص فقال: ﴿أَلَمْ تُرَبِّكْ فِينَا وَلِيدًا وَلِئْتَ فِينَا مِنْ عُمَرَاؤِ سِنِينَ﴾ (١٨) أي: أما أنت الذي

ربنا، وفي بيتنا وعلى فراشنا وغذينا، وأنعمنا عليه مدة من السنين، ثم بعد هذا قابلت ذلك الإحسان بتلك الفعل، أن قتلت منا رجلاً وجدت نعمتنا عليك؛ ولهذا قال: ﴿وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (١٩) أي: الجاحدين. قاله ابن عباس، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، واختاره ابن جرير.

﴿قَالَ فَعَلْنَاهَا إِذَا﴾ أي: في تلك الحال، ﴿وَأَنَا مِنَ الصَّالِينَ﴾ (٢٠) أي: قبل أن يوحى إليّ وينعم الله عليّ بالرسالة والنبوة.

قال ابن عباس **ف** ومجاهد، وقتادة، والضحاك، وغيرهم: ﴿وَأَنَا مِنَ الصَّالِينَ﴾ (٢٠) أي: الجاهلين.

قال ابن جريج: وهي كذلك في قراءة عبد الله بن مسعود **ف**. ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ أي: الحال الأول انفصل وجاء أمر آخر، فقد أرسلني الله إليك، فإن أطعته سلمت، وإن خالفته عذبت.

ثم قال موسى: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدَتْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ (٢٢) أي: وما أحسنت إلي وربيتني مقابل ما أسأت إلى بني إسرائيل، فجعلتهم عبيداً وخدماء، تصرفهم في أعمالك ومشاق رعبتك، أفيني إحسانك إلى رجل واحد منهم بما أسأت إلى مجموعهم؟ أي: ليس ما ذكرته شيئاً بالنسبة إلى ما فعلت بهم.

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدَتْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ (٢٢) أي: اختلاف الناس في معنى هذا الكلام فقال السدي والطبري والفراء: هذا الكلام من موسى **ع** على جهة الإقرار بالنعمة كأنه يقول: نعم؟ وتربيتك نعمة علي من حيث

عبدت غيري وتركنتي ولكن لا يدفع ذلك رسالتي وقيل: هو من موسى غ على جهة الإنكار أي: أتمنّ علي بأن ربيتني وليدًا وأنت قد استعبدت بني إسرائيل وقتلتهم؟ أي: ليست بنعمة؛ لأن الواجب كان ألا تقتلهم ولا تستعبدهم فإنهم قومي فكيف تذكر إحسانك إلي على الخصوص؟ قال معناه قتادة وغيره. وقيل: فيه تقدير استفهام أي: أوتلك نعمة؟ قاله الأحفش والفراء أيضًا وأنكره النحاس وغيره. قال النحاس: وهذا لا يجوز؛ لأن ألف الاستفهام تحدث معنى وحذفها محال إلا أن يكون في الكلام (أم) كما قال الشاعر:

تروح من الحي أم تبترك

ولا أعلم بين النحويين اختلافًا في هذا إلا شيئًا قاله الفراء قال: يجوز حذف ألف الاستفهام في أفعال الشك وحكى ترى زيدًا منطلقًا؟ بمعنى: أترى وكان علي بن سليمان يقول في هذا: إنما أخذه من ألفاظ العامة. قال الثعلبي: قال الفراء: ومن قال إنها إنكار قال معناه: أو تلك نعمة؟ على طريق الاستفهام كقوله: ﴿هَذَا رِيٌّ﴾ [الأنعام: ٧٨] ﴿فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ [٣٤] ﴿[الأنبياء: ١٧]﴾ قال الشاعر:

رفوني وقالوا يا خويلد لا ترع فقلت وأنكرت الوجوه هم هم

وأنشد الغزنوي شاهدًا على ترك ألف قولهم:

لم أنس يوم الرحيل وقفها وجفنها من دموعها شرق
وقولها والركاب واقفة تركنتي هكذا وتنطلق

قلت: ففي هذا حذف ألف الاستفهام مع عدم أم خلاف قول النحاس قال الضحاك: إن الكلام خرج مخرج التبكيت والتبكيت يكون باستفهام

وبغير استفهام والمعنى: لو لم تقتل بني إسرائيل لرباني أبواي فأني نعمة لك علي! فأنت تمنّ علي بما لا يجب أن تمن به وقيل: معناه كيف تمنّ بالتربية وقد أهنت قومي؟ ومن أهين قومه ذل و﴿أَنْ عَبَدْتَ﴾ في موضع رفع على البدل من ﴿نِعْمَةً﴾ ويجوز أن تكون في موضع نصب بمعنى: لأن عبدت بني إسرائيل أي اتخذتم عبيداً يقال: عبدته وأعبدته بمعنى قاله الفراء وأنشد:

علام يعبدني قومي وقد كثرت فيهم أباعر ما شافوا وعبدان



س: **وضح معنى قوله تعالى:** ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٣) قَالَ رَبُّ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - : أن فرعون قال لموسى غ لما قال له: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٦) قال: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٣) وأي شيء رب العالمين الذي تدعوني إليه؟ فأجابه موسى غ بقوله: رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم مصدقين.

قال الطبري \$:

وقوله: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٣) يقول: وأي شيء رب العالمين؟ ﴿قَالَ﴾ موسى هو ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ومالكهن ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ يقول: ومالك ما بين السموات والأرض من شيء. ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ (٢٤) يقول: إن كنتم موقنين أن ما تعابونه كما تعابونه، فذلك فأيقنوا أن ربنا هو رب السموات والأرض وما بينهما.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ﴾ (٢٥) **قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ** (٢٦) **قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ** (٢٧) **قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ** (٢٨).

ج: المعنى - والله أعلم -: أن فرعون قال لقومه لما سأل موسى **ع** عن رب العالمين فأجابه موسى بقوله: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ (٢٤) **قَالَ حِينِيذٍ لِقَوْمِهِ:** ﴿أَلَا تَسْمَعُونَ﴾ (٢٥) **إلى ما يقوله موسى ع** من أن له ربًّا غيري وهو ربُّ السموات والأرض، فحينئذٍ توجه موسى **ع** بالخطاب للقوم قائلاً لهم: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٢٦) **أي:** أن الله **ه** هو ربي وربكم ورب آبائكم الذين ماتوا وذهبوا، فعندها قال فرعون ساخرًا: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ (٢٧) **أي:** مغلوب على عقله لا يدري ما يقول، فعندها قال موسى **ع** متوجهًا للقوم: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٢٨) **أي:** إن كانت لكم عقول تفهمون بها.

قال الطبري \$:

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ﴾ (٢٥) **قال فرعون لمن حوله من قومه:** ألا تستمعون لما يقول موسى، فأخبر موسى **ع** القوم بالجواب عن مسألة فرعون إياه وقيله له ﴿وَمَارَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٣) **ليفهم بذلك قوم فرعون مقالته لفرعون، وجوابه إياه عما سألته؛ إذ قال لهم فرعون:** ﴿أَلَا تَسْمَعُونَ﴾ (٢٥) **إلى قول موسى، فقال لهم الذي دعوته إليه وإلى عبادته ﴿رَبُّكُمْ﴾ الذي خلقكم ﴿وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٢٦) فقال فرعون لما قال لهم موسى ذلك، وأخبرهم عما يدعو إليه فرعون وقومه:** ﴿إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ (٢٧) **يقول:** إن رسولكم هذا الذي يزعم أنه أرسل إليكم لمغلوب

على عقله؛ لأنه يقول قولاً لا نعرفه ولا نفهمه، وإنما قال ذلك ونسب موسى عدو الله إلى الجنة؛ لأنه كان عنده وعند قومه أنه لا ربَّ غيره يعبد، وأن الذي يدعوه إليه موسى باطل ليست له حقيقة، فقال موسى عند ذلك محتجاً عليهم، ومعرفهم ربهم بصفته وأدلته؛ إذ كان عند قوم فرعون أن الذي يعرفونه رباً لهم في ذلك الوقت هو فرعون، وأن الذي يعرفونه لأبائهم أرباباً ملوك آخر، كانوا قبل فرعون، قد مضوا فلم يكن عندهم أن موسى أخبرهم بشيء له معنى يفهمونه ولا يعقلونه، ولذلك قال لهم فرعون: إنه مجنون؛ لأن كلامه كان عندهم كلاماً لا يعقلون معناه، وقوله: ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ فمعناه: الذي أدعوكم وفرعون إلى عبادته رب المشرق والمغرب وما بينهما يعني ملك مشرق الشمس ومغربها، وما بينهما من شيء لا إلى عبادة ملوك مصر الذين كانوا ملوكها قبل فرعون لأبائكم فمضوا، ولا إلى عبادة فرعون الذي هو ملكها. ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ يقول: إن كان لكم عقول تعقلون بها ما يقال لكم، وتفهمون بها ما تسمعون مما يعين لكم؛ فلما أخبرهم **غ** بالأمر الذي علموا أنه الحق الواضح؛ إذ كان فرعون ومن قبله من ملوك مصر لم يجاوز ملكهم عريش مصر.

وقال القرطبي \$:

فعلم موسى جهله (أي جهل فرعون) فأضرب عن سؤله وأعلمه بعظيم قدرة الله التي تبين للسامع أنه لا مشاركة لفرعون فيها فقال فرعون: ﴿أَلَا تَسْمَعُونَ﴾ على معنى الإغراء والتعجب من سفه المقالة إذا كانت عقيدة القوم أن فرعون ربهم ومعبودهم والفراعنة قبله كذلك فزاد

موسى في البيان بقوله: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٢٦) فجاء بدليل يفهمونه عنه لأنهم يعلمون أنه قد كان لهم آباء وأنهم قد فنوا وأنه لا بد لهم من مُغَيِّرٍ وأنهم قد كانوا بعد أن لم يكونوا وأنهم لا بد لهم من مكون فقال فرعون حينئذ على جهة الاستخفاف: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ (٢٧) أي: ليس يجيبني عما أسأل فأجابه موسى غ عن هذا بأن قال: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ أن ليس ملكه كملكك لأنك إنما تملك بلدًا واحدًا لا يجوز أمرك في غيره ويموت من لا تحب أن يموت والذي أرسلني يملك المشرق والمغرب ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٢٨) وقيل: علم موسى غ أن قصده في السؤال معرفة من سأل عنه فأجاب بما هو الطريق إلى معرفة الرب اليوم.

قال الحافظ ابن كثير \$:

يقول تعالى مخبرًا عن كفر فرعون، وتمرده وطغيانه وجحوده، في قوله: ﴿وَمَارَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٣) ؟ وذلك أنه كان يقول لقومه: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [الفصص: ٢٤]، ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ﴾ [الزخرف: ٢٤]، وكانوا يجحدون الصانع -تعالى- ويعتقدون أنه لا رب لهم سوى فرعون، فلما قال له موسى: ﴿إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٦) [الزخرف: ٢٦]، قال له: وَمَنْ هَذَا الذي تزعم أنه ربُّ العالمين غيري؟ هكذا فسرهُ علماء السلف وأئمة الخلف، حتى قال السدي: هذه الآية كقوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يُمُوسَى﴾ (٤١) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، ثُمَّ هَدَى (٥٠) [طه: ٤١، ٥٠].

ومن زعم من أهل المنطق وغيرهم؛ أن هذا سؤال عن الماهية، فقد غلط؛ فإنه لم يكن مقرًا بالصانع حتى يسأل عن الماهية، بل كان جاحدًا

له بالكلية فيما يظهر، وإن كانت الحجج والبراهين قد قامت عليه، فعند ذلك قال موسى لما سألته عن رب العالمين: ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي: خالق جميع ذلك ومالكه، والمتصرف فيه وإلهه، لا شريك له، هو الله الذي خلق الأشياء كلها، العالم العلوي وما فيه من الكواكب الثابتة والسيارات النيرات، والعالم السفلي وما فيه من بحار وقفار، وجبال وأشجار، وحيوان ونبات وثمار، وما بين ذلك من الهواء والطيور، وما يحتوي عليه الجو، الجميع عبيد له خاضعون ذليلون.

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ (٢٤) أي: إن كانت لكم قلوب موقنة، وأبصار نافذة. فعند ذلك التفت فرعون إلى مَنْ حوله من ملئه ورؤساء دولته قائلاً لهم، على سبيل التهكم والاستهزاء والتكذيب لموسى فيما قاله: ﴿الَأَسْتَعُونَ﴾ (٢٥) أي: ألا تعجبون مما يقول هذا في زعمه، أن لكم إلهًا غيري؟ فقال لهم موسى: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٢٦) أي: خالقكم وخالق آبائكم الأوائل، الذي كانوا قبل فرعون وزمانه.

﴿قَالَ﴾ أي: فرعون لقومه: ﴿إِنْ رَسُولُكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ (٢٧) أي: ليس له عقل في دعواه أن ثم ربًّا غيري.

﴿قَالَ﴾ أي: موسى لأولئك الذين أوعز إليهم فرعون ما أوعز من الشبهة، فأجاب موسى بقوله: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي: هو الذي جعل المشرق مشرقًا تطلع منه الكواكب، والمغرب مغربًا تغرب فيه الكواكب، ثوابتها وسياراتها، مع هذا النظام الذي سخرها فيه وقدرها، فإن كان هذا الذي يزعم أنه ربكم وإلهكم صادقًا فليعكس الأمر، وليجعل المشرق مغربًا، والمغرب مشرقًا، كما أخبر تعالى عن ﴿الَّذِي حَاجَّ

إِبْرَهُمْ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَهُمْ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ
 قَالَ إِبْرَهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِيهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا
 يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ [البقرة: ٢٥٨]؛ ولهذا لما غلب فرعون وانقطعت
 حجته، عدل إلى استعمال جاهه وقوته وسلطانه، واعتقد أن ذلك نافع له
 ونافذ في موسى غ فقال ما أخبر الله تعالى عنه.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿قَالَ لَنْ أَخَذَتْ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾
 ﴿٢٩﴾ قَالَ أُولُو حِجَّتِكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ
 فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيضَاءٌ لِلنَّظِيرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ
 ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْبَعٌ فِي
 الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَا تَوَكُّلْ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: أن فرعون عليه لعنة الله لما غلب ولما
 انقطع عن الحجج وظهر بطلان رأيه تواعد موسى غ بالسجن، فقال له:
 ﴿لَنْ أَخَذَتْ إِلَهًا غَيْرِي﴾ لئن اتخذت معبودًا سواي تعبدته لأدخلنك السجن مع
 المسجونين، فقال له موسى غ: أولو حجتك بحجة ودلالة على صدقي فيما
 قلته لك، حجة تبين لمن تأملها أنني رسول من عند الله، قال فرعون
 آنذاك: ﴿فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في دعواك أنك رسول من عند
 الله.

فعندئذ ألقى موسى غ عصاه فإذا بها تتحول إلى ثعبان مبين، ثعبان
 عظيم يبين لمن نظر إليه أنه آية من عند الله ه ليس سحرًا ولا شعوذة
 ولا كهانة، وأضاف موسى إلى ذلك أيضًا أنه أدخل يده في جيبه، يعني

ففتح الصدر، ثم أخرجها فإذا بها تخرج بيضاء ناصعة البياض من غير مرض ولا برص، بيضاء لمن يراها وينظر إليها، فعندها قال فرعون لقومه لوجهاء قومه: إن هذا يعني موسى **غ** لساحر عليم بالسحر يريد أن يطرردكم من بلادكم بهذا السحر الذي أتى به فما الذي تشيرون به عليّ في شأن موسى هذا؟ فقالوا: أمهله وأمهل أخاه زمناً حتى نأتي بسحرة مصر يواجهونه ويبتلون سحره.

فأمهله وأرسل في المدائن مَنْ يجمع لك أمهر السحرة وأعلمهم بالسحر.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: قال موسى لفرعون لما عرفه ربه، وأنه ربُّ المشرق والمغرب، ودعاه إلى عبادته وإخلاص الألوهة له، وأجابه فرعون بقوله: ﴿لَئِنْ اتَّخَذَتِ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾: أتجعلني من المسجونين ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ﴾ ﴿٣٠﴾ يبين لك صدق ما أقول يا فرعون وحقيقة ما أدعوك إليه؟ وإنما قال ذلك له؛ لأن من أخلاق الناس السكون للإنصاف، والإجابة إلى الحق بعد البيان؛ فلما قال موسى له ما قال من ذلك، قال له فرعون: فأت بالشيء المبين حقيقة ما تقول، فإننا لن نسجنك حينئذٍ إن اتخذت إلهاً غيري إن كنت من الصادقين: يقول: إن كنت محققاً فيما تقول، وصادقاً فيما تصف وتخبر، ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ ﴿٣١﴾ يقول جل ثناؤه: فألقى موسى عصاه فتحولت ثعباناً، وهي الحية الذكر كما قد

بينت فيما مضى قبل من صفته وقوله: ﴿مُتَيْنٌ ۝٣٢﴾ يقول: يبين لفرعون والملا من قومه أنه ثعبان.

وقوله: ﴿وَوَجَّعَ يَدَهُ، فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ﴾ يقول: وأخرج موسى يده من جيبه فإذا هي بيضاء تلمع ﴿لِلنَّظِيرِ ۝٣٣﴾ لمن ينظر إليها ويراهها.

وقال \$:

يقول تعالى ذكره: قال فرعون لما أراه موسى من عظيم قدرة الله وسلطانه حجة عليه لموسى بحقيقة ما دعاه إليه، وصدق ما أتاه به من عند ربه ﴿لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ﴾ يعني لأشراف قومه الذين كانوا حوله. ﴿إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ۝٣٤﴾ يقول: إن موسى سحر عصاه حتى أراكموها ثعباناً ﴿عَلِيمٌ ۝٣٤﴾، يقول: ذو علم بالسحر وبصر به. ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ﴾ يقول: يريد أن يخرج بني إسرائيل من أرضكم إلى الشام بقهره إياكم بالسحر. وإنما قال: يريد أن يخرجكم فجعل الخطاب للملا حوله من القبط، والمعني به بني إسرائيل؛ لأن القبط كانوا قد استعبدوا بني إسرائيل، واتخذوهم خدماً لأنفسهم ومهاناً، فلذلك قال لهم: ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ﴾ وهو يريد: أن يخرج خدمكم وعبيدكم من أرض مصر إلى الشام.

وإنما قلت معنى ذلك كذلك؛ لأن الله إنما أرسل موسى إلى فرعون يأمره بإرسال بني إسرائيل معه، فقال له ولأخيه: ﴿فَأَتِيَافِرَعُونَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٣٥﴾ أَنْ أَرْسَلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ۝٣٦﴾.

وقوله: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ۝٣٧﴾ يقول: فأمر موسى في أمر موسى وما به تشيرون من الرأي فيه؟ ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الدَّائِنِ حَاشِرِينَ ۝٣٨﴾ يقول تعالى ذكره: فأجاب فرعون الملا حوله بأن قالوا له: أحر موسى وأخاه وأنظره، وابعث في بلادك وأمصار مصر حاشرين يحشرون إليك

كل سحر عليم بالسحر.

وقال الحافظ ابن كثير \$:

لما قامت على فرعون الحجة بالبيان والعقل، عدل إلى أن يقهر موسى بيده وسلطانه، وظن أنه ليس وراء هذا المقام مقال فقال: ﴿لَئِنْ أَخَذَتْ إِلَهَا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾. فعند ذلك قال موسى: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ﴾؟ أي: برهان قاطع واضح.

﴿قَالَ فَاتِّبِعْهُ إِنَّ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٣١) ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ أي: ظاهر واضح في غاية الجلاء والوضوح والعظمة، ذات قوائم وفم كبير، وشكل هائل مزعج.

﴿وَرَعَ يَدَهُ﴾ أي: من جيبه ﴿فَإِذَا هِيَ بِيَضَاءٍ لِلنَّظَرِ﴾ أي: تتلأأ كقطعة من القمر. فبادر فرعون - لشقائه - إلى التكذيب والعناد، فقال للملأ حوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ﴾ أي: فاضل بارع في السحر. فَرَوَّجَ عليهم فرعون أن هذا من قبيل السحر لا من قبيل المعجزة، ثم هيجهم وحرصهم على مخالفته، والكفر به. فقال: ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾؟ أي: أراد أن يذهب بقلوب الناس معه بسبب هذا، فيكثر أعوانه وأنصاره وأتباعه ويغلبكم على دولتكم، فيأخذ البلاد منكم، فأشيروا عليّ فيه ماذا أصنع به؟

﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ (٣٢) ﴿يَأْتُواكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾ (٣٧) [أي: أجزره وأخاه حتى تجمع له من مدائن مملكتك وأقاليم دولتك كل سحّار عليم] يقابلونه، ويأتون بنظير ما جاء به، فتغلبه أنت وتكون لك النصره والتأييد. فأجابهم إلى ذلك. وكان هذا من تسخير الله تعالى لهم في ذلك؛ ليجتمع الناس في صعيد واحد، ولتظهر آيات الله وحججه وبراهينه

على الناس في النهار جهرة.

وقال القرطبي \$:

لما انقطع فرعون - لعنه الله - في باب الحجة رجع إلى الاستعلاء والتغلب فتوعد موسى بالسجن ولم يقل ما دليلك على أن هذا الإله أرسلك لأن فيه الاعتراف بأن ثمَّ إلهاً غيره وفي توعدده بالسجن ضعف وكان فيما يروى أنه يفرع منه فرعاً شديداً حتى كان اللعين لا يمسك بوله. وروي أن سجنه كان أشد من القتل وكان إذا سجن أحداً لم يخرج منه من سجنه حتى يموت فكان مخوفاً ثم لما كان عند موسى غ من أمر الله تعالى ما لا يرعه توعد فرعون ﴿قَالَ﴾ له على جهة اللطف به والطمع في إيمانه ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٣٠﴾ فيتضح لك به صدقي فلما سمع فرعون ذلك طمع في أن يجد أثناءه موضع معارضة فـ ﴿قَالَ﴾ له ﴿فَأْتِ بِهِ إِن كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِیْنَ﴾ ﴿٣١﴾ ولم يحتج الشرط إلى جواب عند سيبويه لأن ما تقدم يكفي منه.



قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿فَجَمَعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّآ نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِن كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَأْجُرُكَ إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ هُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا حِبَاهُمْ وَعَصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْفَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأَلْفَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَا أَقِطِعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا أُصْلِبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا لَا ضَيْرَ لَنَا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾ [الشعراء: 38-51].

س: وضع معنى ما يلي:

﴿لَمِيقَتِ مَعْلُومٍ﴾ - ﴿لَعَلْنَا نَتَّبِعَ﴾ - ﴿لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ - ﴿عِزَّةَ فِرْعَوْنَ﴾ - ﴿تَلَقَّفُ﴾ - ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ - ﴿مِنْ خَلْفٍ﴾ - ﴿لَا ضَيْرٌ﴾ - ﴿مُنْقَلِبُونَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿لَمِيقَتِ﴾	لوقت
﴿مَعْلُومٍ﴾	مُحددٌ - معروف
﴿لَعَلْنَا نَتَّبِعَ﴾	كي نتبع
﴿لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾	لمن المقربين عندي ومن أهل مجالستي ومشورتي
﴿عِزَّةَ فِرْعَوْنَ﴾	بقوة فرعون - بشدته ومنعته
﴿تَلَقَّفُ﴾	تخطف - تبتلع - تلتهم
﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾	ما يكذبون - ما يصرفون به الناس عن الحق إلى
﴿مِنْ خَلْفٍ﴾	يعني اليد اليمنى مع الرجل اليسرى
﴿لَا ضَيْرٌ﴾	لا ضرر
﴿مُنْقَلِبُونَ﴾	راجعون - مبعوثون يوم القيامة



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿فَجَمِيعَ السَّحَرَةِ لَمِيقَتِ يَوْمِ مَعْلُومٍ﴾ (٣٨) وَقِيلَ لِلنَّاسِ

هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ (٣٩) لَعَلْنَا نَتَّبِعَ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ (٤٠).

ج: المعنى - والله أعلم - أن فرعون أرسل رسله لمدائن ملكه يجمع

السحرة منها فاجتمعوا إليه والتقوا بنبي الله موسى غ واتفقوا معه على

موعدٍ للقاء، وهو كما قال موسى **غ** إذ طلبوا منه ذلك بقولهم: ﴿فَجَعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلَفُهُ، نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سَوًى﴾ (٥٨) **[طه: ٥٨]**، وقال: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ (٥٩) **[طه: ٥٩]**.

فجمع السحرة لهذا اليوم الذي حُدد، وأمر الناس أيضًا أن يجتمعوا في هذا اليوم كي يتبعوا السحرة ويؤمنوا بهم ويصدقوهم في حال غلبتهم لموسى **غ** أي إن كانوا هم الغالبين موسى **غ**.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: فجمع الحاشرون الذين بعثهم فرعون بحشر السحرة ﴿لَمِيقَتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ (٣٨) يقول: لوقت واعد فرعون لموسى الاجتماع معه فيه من يوم معلوم، وذلك يوم الزينة ﴿وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ (٥٩) **[طه: ٥٩]**.

وقيل للناس: هل أنتم مجتمعون لتتنظروا إلى ما يفعل الفريقان، ولمن تكون الغلبة، لموسى أو للسحرة؟ فلعلنا نتبع السحرة، ومعنى لعل هنا كي، يقول: كي نتبع السحرة، إن كانوا هم الغالبين موسى، وإنما قلت ذلك معناها: لأن قوم فرعون كانوا على دين فرعون، فغير معقول أن يقول من كان على دين: أنظر إلى حجة من هو على خلافي لعلني أتبع دينه، وإنما يقال: أنظر إليها كي أزداد بصيرة بديني، فأقيم عليه. وكذلك قال قوم فرعون. فايها عنوا بقليلهم: ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعَ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾ (٤٠).

وقيل: إن اجتماعهم للميقات الذي اتعد للاجتماع فيه فرعون وموسى كان بالإسكندرية.

وقال الحافظ ابن كثير \$:

وذلك أن القبط أرادوا أن يطفئوا نور الله بأفواههم، فأبى الله إلا أن

يتم نوره ولو كره الكافرون. وهذا شأن الكفر والإيمان، ما تواجهها وتقابلا إلا غلبه الإيمان، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ﴾ (١٨) ﴿الأنبياء: ٤٥﴾، ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (٨١) ﴿الإسراء: ٨١﴾، ولهذا لما جاء السحرة، وقد جمعوهم من أقاليم بلاد مصر، وكانوا إذ ذاك أسحر الناس وأصنعهم وأشدّهم تخيلا في ذلك، وكان السحرة جمعا كثيرًا، وجمًا غفيرًا.

ثم قال \$:

واجتهد الناس في الاجتماع ذلك اليوم، وقال قائلهم: ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعَ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ أَغْلَبِينَ﴾ (٤٠)، ولم يقولوا: نتبع الحق سواء كان من السحرة أو من موسى، بل الرعية على دين ملكهم.



س: أهل الكفر والعياذ بالله يمكرون بأنفسهم وما يشعرون. وضح ذلك من قصة فرعون مع موسى غ.

ج: تلك واضحة في مواطن منها: أن فرعون اجتهد في جمع السحرة من كل مكان واجتهد في جمع الناس كذلك، فهو يجتهد كي يظهر خطأ موسى غ بزعمه، ولكن كل السحرة الذين جمعهم كانوا جنده واكتشفوا بطلان ما هم عليه فكأنه جمعهم ليريهم أن موسى غ رسول من عند الله وأن ما جاء به هو الحق.

فهو يريد أمرًا والله يريد أمرًا آخر، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

وكذا ينضم ذلك - كما سيأتي - من جمعه للناس وللجنود لملاحقة

موسى **غ** ولقنته هو ومن آمن معه فجمعهم فأغرقه الله ومن معه جميعاً، فكانه جمعهم للغرق بل جمعهم لذلك وهم لا يشعرون، فحقاً إن الله **ه** من وراء الكافرين محيط، وكما قال: ﴿وَيَمَكُرُونَ وَيَمَكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ (٣٠) [الأنفال: ٣٠]، والله أعلم.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَأَجْرُ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ (٤١) **قال نعم وإنكم إذا لئن المقربين** (٤٢) **قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون** (٤٣) **فألقوا جبالهم وعصيتهم وقالوا بعرّة فرعون إنا لنحن الغالبون** (٤٤).

ج: حاصل معناه - والله أعلم - أن السحرة قالوا لفرعون لما جمعهم: هل ستجعل لنا أجراً إن نحن غلبنا موسى وأبطلنا ما جاء به، قال: نعم ولكم أكثر من ذلك فسأجعلكم من المقربين عندي، من أهل مجالستي ومن أهل مشورتي تُقبل شفاعتكم عندي ويسمع قولكم، فاجتمعوا عنده، والتقوا بموسى **غ** فعرضوا على موسى عرضاً وخيروه تخييراً، فقالوا له: إما أن تلقى وإما أن نكون أول من ألقى، فقال لهم موسى **غ:** ﴿أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾ (٤٣) ألقوا أنتم أولاً وهاتوا ما عندكم، فألقوا جبالهم وعصيتهم، وأقسموا بعرّة فرعون، بقوته وعظمته وغلبته ومنعته أنهم سيغلبون. ولكن هيهات هيهات فقد تبدلت الأمور وتغيّرت الأحوال فموسى **غ** ليس بساحر كهؤلاء ولم يأت بسحر، بل هو رسول من عند الله حقاً.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ﴾ فرعون لوعده موسى وموعده فرعون ﴿قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَأَجْرُ﴾ سحرنا قبلك ﴿إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ (٤١) موسى

﴿قَالَ﴾ فرعون لهم: ﴿نَعَمْ﴾ لكم الأجر على ذلك ﴿وَأَنْتُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿مَنَا﴾ فقالوا عند ذلك لموسى: إما أن تلقى، وإما أن نكون نحن الملقين، وترك ذكر قيلهم ذلك لدلالة خبر الله عنهم أنهم قال لهم موسى: ألقوا ما أنتم ملقون، على أن ذلك معناه ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ من حبالكم وعصيكم. ﴿فَأَلْقُوا جَاهَهُمْ وَعَصِيَّهُمْ﴾ من أيديهم ﴿وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ﴾ يقول: أقسموا بقوة فرعون وشدة سلطانه، ومنعة مملكته ﴿إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ ﴿٤٤﴾ موسى.

وقال الحافظ ابن كثير \$:

﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ﴾ أي: إلى مجلس فرعون وقد ضرب له وطأًا، وجمع حشمه وخدمه وأمرائه ووزرائه ورؤساء دولته وجنود مملكته، فقام السحرة بين يدي فرعون يطلبون منه الإحسان إليهم والتقرب إليه إن غلبوا، أي: هذا الذي جمعنا من أجله، فقالوا: ﴿أَيُّنَا لَنَا أَجْرٌ إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَأَنْتُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ أي: وأخص مما تطلبون أجلكم من المقربين عندي وجلسائي. فعادوا إلى مقام المناظرة ﴿قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ ﴿٤٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا ﴿طه: ٤٥، ٤٦﴾، وقد اختصر هذا ها هنا فقال لهم موسى: ﴿أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقُوا جَاهَهُمْ وَعَصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾، وهذا كما يقوله الجهلة من العوام إذا فعلوا شيئًا: هذا بثواب فلان. وقد ذكر الله في سورة الأعراف: أنهم ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿١١٦﴾ ﴿الأعراف: ١١٦﴾، وقال في «سورة طه»: ﴿فَإِذَا جَاءَهُمْ وَعَصِيَّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴿٦٨﴾ وَالْقَوَى فِي يَمِينِكَ نَلَقَفْ مَا صُنِعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدَ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿٦٩﴾ ﴿طه: ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩﴾.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ (٤٥)
 ﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَ بَنَاتِ الْعَالَمِينَ﴾ (٤٦) ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٤٧) ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ (٤٨) ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: أن موسى غ، وبعد أن ألقى السحرة حبالهم وعصيتهم فظهرت للناس في صورة حيات وثعابين ونحو ذلك مما يأتي به السحرة، وكما قال تعالى: ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٠]، فحينئذٍ أوحى الله ه إلى موسى غ: ﴿أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ [الأعراف: ١١٢]، فألقى موسى غ عصاه فإذا وبتوفيق من الله وبقدرة الله تتحول إلى حية عظيمة ضخمة حية على الحقيقة، تبتلع كل ما جاء به هؤلاء السحرة من سحر ليصرفوا الناس به عن الحق، إنها ابتلعت والتهمت كل ما ألقاه السحرة فعندها وحينئذٍ، وقد علم السحرة أن هذا الذي جاء به موسى غ ليس بسحرٍ، بل هي آيةٌ من عند الله، عندها ألقى السحرة ساجدين خروا لله سجداً متواضعين خاشعين لله ذليلين مُقرين بقدرة الله، مصدقين موسى غ معلنيين عن إيمانهم قائلين آمنا برب العالمين رب موسى وهارون، قالوا ذلك دون استئذان من فرعون، ودون رجوع إلى أحد، بل كلهم وبمجموعهم وفي وقت واحد عند رؤية المعجزة الكبرى والآية العظيمة آمنوا كلهم أجمعون.

فعندها توعدهم فرعون وتهدهم قائلاً: آمنتم له قبل أن آذن لكم!!
 ويظن عدو الله أنه مسيطرٌ على القلوب وأن الإيمان يحتاج إلى استئذان.

ثم بدأ عدو الله يطعن في صدقهم ويتوعدهم فقال لهم: ﴿إِنَّهُ﴾ يعني موسى غ ﴿لَكَبِيرُكُمُ﴾ أي: لرئيسكم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون ما

سيحل بكم من العقوبة والنكال.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: ﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ﴾ حين ألقت السحرة حبالهم وعصيهم. ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ يقول: فإذا عصا موسى تزدرد ما يأتون به من الفرية والسحر الذي لا حقيقة له، وإنما هو مخايل وخدعة. ﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجِدِينَ﴾ يقول: فلما تبين السحرة أن الذي جاءهم به موسى حق لا سحر، وأنه مما لا يقدر عليه غير الله الذي فطر السموات والأرض من غير أصل، خروا لوجوههم سجداً لله، مذعنين له بالطاعة، مقرين لموسى بالذي أتاهم به من عند الله أنه هو الحق، وأن ما كانوا يعملونه من السحر باطل، قائلين: ﴿إِنَّمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ الذي دعانا موسى إلى عبادته دون فرعون وملئه. ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ قال آمنتم له قبل أن آذن لكم يقول جل ثناؤه: قال فرعون للذين كانوا سحرته فآمنوا: آمنتم لموسى بأن ما جاء به حق قبل أن آذن لكم في الإيمان به. ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ يقول: إن موسى لرئيسكم في السحر، وهو الذي علمكموه، ولذلك آمنتم به. ﴿فَلَسَوْفَ نَعْلَمُونَ﴾ عند عقابي إياكم وبال ما فعلتم، وخطأ ما صنعت من الإيمان به.

وقال ابن كثير \$:

﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ أي: تختطفه وتجمعه من كل بقعة وتبتلعه فلم تدع منه شيئاً.

قال تعالى: ﴿فَوْقَ الْحَقِّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ﴾

وَأَلْقَى السِّحْرَ سَاجِدِينَ ﴿١٣٠﴾ قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٣٢﴾ [الأعراف: ١٣٢-١٣٠]، وكان هذا أمراً عظيماً جداً، وبرهاناً قاطعاً للعدو وحجة دامغة، وذلك أن الذين استنصر بهم وطلب منهم أن يغلبوا، قد غلبوا وخضعوا وآمنوا بموسى في الساعة الراهنة، وسجدوا لله رب العالمين، الذي أرسل موسى وهارون بالحق وبالمعجزة الباهرة، فغلب فرعون غلباً لم يشاهد العالم مثله، وكان وقحاً جريئاً - عليه لعنة الله-، فعدل إلى المكابرة والعناد ودعوى الباطل، فشرع يتهدهم ويتوعددهم، ويقول: ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ [طه: ٦٧]، وقال: ﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لَتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٣].

وقال ابن كثير أيضاً:

تهدهم فلم يقطع ذلك فيهم، وتوعددهم فما زادهم إلا إيماناً وتسليماً. وذلك أنه قد كشف عن قلوبهم حجاب الكفر، وظهر لهم الحق بعلمهم ما جهل قومهم، من أن هذا الذي جاء به موسى لا يصدر عن بشر، إلا أن يكون الله قد أيده به، وجعله له حجة ودلالة على صدق ما جاء به من ربه؛ ولهذا لما قال لهم فرعون: ﴿ءَامِنْتُمْ لَهُ فَقُلْ أَدْنَى لَكُمْ؟﴾ أي: كان ينبغي أن تستأذنوني فيما فعلتم، ولا تفتاتوا علي في ذلك، فإن أذنت لكم فعلتم، وإن منعتكم امتنعتم، فإني أنا الحاكم المطاع؛ ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾. وهذه مكابرة يعلم كل أحد بطلانها، فإنهم لم يجتمعوا بموسى قبل ذلك اليوم، فكيف يكون كبيرهم الذي أفادهم صناعة السحر؟ هذا لا يقوله عاقل.



س: وضع معنى قول فرعون: ﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا صَلْبَتَكُمْ

أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

ج: هذا قول قاله فرعون للسحرة لما آمنوا، قاله لهم متوعدًا مُتهددًا لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلف، أي: لأقطعن اليد اليمنى مع الرجل اليسرى، ثم بعد ذلك اليد اليسرى مع الرجل اليمني، وليس هذا فحسب بل ولأصلبكم في جذوع النخل، لأصلبكم كالكم، ما أنا بتارك منكم أحدًا، قالوا حينئذٍ ﴿لَا ضَيْرٌ﴾ لا ضرر، لن يلحقنا كبير ضرر فالدنيا كلها زائلة وكلها فانية وإننا إلى الله راجعون يوم القيامة فسيجازينا على ما تحملناه في سبيله.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

يقول: ﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾ مخالفاً في قطع ذلك منكم بين قطع الأيدي والأرجل، وذلك أن أقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى، ثم اليد اليسرى والرجل اليمني، ونحو ذلك من قطع اليد من جانب، ثم الرجل من الجانب الآخر، وذلك هو القطع من خلاف ﴿وَلَأَصْلَبَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٤٩﴾ فوكد ذلك بأجمعين إعلامًا منه أنه غير مستبقي منهم أحدًا. ﴿قَالُوا لَا ضَيْرٌ﴾ يقول تعالى ذكره: قالت السحرة: لا ضير علينا؛ وهو مصدر من قول القائل: قد ضار فلان فلانًا فهو يضير ضيرًا، ومعناه: لا ضرر.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿لَا ضَيْرٌ﴾ قال: يقول: لا يضرنا الذي تقول، وإن صنعتنا بنا وصلبتنا. ﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ ﴿٥٠﴾ يقول: إنا إلى ربنا راجعون، وهو مجازينا بصبرنا على عقوبتك إيانا، وثباتنا

على توحيده، والبراءة من الكفر به.

وقال ابن كثير \$:

ثم توعدّهم فرعون بقطع الأيدي والأرجل والصلب، فقالوا: ﴿لَا صَبْرَ﴾ أي: لا حرج ولا يضرنا ذلك ولا نبالي به ﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ أي: المرجع إلى الله، وهو لا يضيع أجر مَنْ أحسن عملاً ولا يخفى عليه ما فعلت بنا، وسيجزينا على ذلك أتم الجزاء.



س: **وضح معنى قول السحرة لما آمنوا: ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَن**

كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

ج: معناه - والله أعلم -: أن السحرة وبعد أن منّ الله عليهم بالإيمان وتوعدّهم فرعون بالذي توعدّهم به لم يُبالوا ولم يتأثروا بل قالوا وبإيمان صادق، قالوا ما حاصله: إنا نرجو أن يغفر لنا ربنا ما قدمناه من الخطايا والذنوب والكبائر والآثام، نطمع في ذلك ونتوسل إلى الله ۞ بكوننا أول من آمن عند رؤية هذه الآية العظمى والمعجزة الكبرى.

فقولهم: ﴿أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ متضمنٌ توسلاً إلى الله ۞ بسبقهم إلى

الإيمان ومبادرتهم إليه.

أما كونهم أول المؤمنين، فكما قدمت، فأحد وجوهه أنهم أول المؤمنين عند رؤية الآية العظيمة.

وقيل: أول المؤمنين من قومهم، والله أعلم.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل السحرة: إنا نطمع: إنا نرجو أن

يصفح لنا ربنا عن خطايانا التي سلفت منا قبل إيماننا به، فلا يعاقبنا بها.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا

خَطَيْنَا﴾ قال: السحر والكفر الذي كانوا فيه.

ثم قال الطبري \$:

﴿أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول: لأن كنا أول من آمن بموسى وصدقه بما

جاء به من توحيد الله وتكذيب فرعون في ادعائه الربوبية في دهرنا هذا وزماننا.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

قال: كانوا كذلك يومئذٍ أول من آمن بآياته حين رأوها.

وقال ابن كثير \$:

﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَيْنَا﴾ أي: ما قارفناه من الذنوب، وما أكرهتنا

عليه من السحر، ﴿أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: بسبب أننا بادرنا قومنا من

القبط إلى الإيمان. فقتلهم كلهم.



قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنْكُمْ مُّتَّبِعُونَ ۚ ﴾ ٥٢ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي
الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ۚ ٥٣ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ۚ ٥٤ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَايُطُونَ ۚ ٥٥ وَإِنَّا
لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ۚ ٥٦ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۚ ٥٧ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۚ ٥٨
كَذَٰلِكَ وَأَوْثَقْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ۚ ٥٩ فَاتَّبَعُوهُمْ مُّشْرِقِينَ ۚ ٦٠ فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ
قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمَدْرُكُونَ ۚ ٦١ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ۚ ٦٢
فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ
الْعَظِيمِ ۚ ٦٣ وَأَزْلَفْنَا نَمَّ الْآخِرِينَ ۚ ٦٤ وَأَنْجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ ۖ أَجْمَعِينَ ۚ ٦٥
ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ۚ ٦٦ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ۚ ٦٧ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿ ٦٨ ﴾ [الشعراء: 52-68].

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿أَنسِرِ بَعَادَى﴾ - الْمُتَّبِعُونَ - الْمَدَّائِنَ - حَشِيرِينَ - لَشْرِزِمَةً - لَغَائِطُونَ - حَذِرُونَ - وَمَقَامِ كَرِيمٍ - فَاتَّبَعُوهُمْ - مُشْرِقِينَ - تَرَاءَ الْجَمْعَانِ - لَمُدَّرَكُونَ - سَيِّدِينَ - كُلُّ فِرْقٍ - كَالطُّورِ الْعَظِيمِ - وَأَرْزَفْنَا نَمَّ الْآخِرِينَ ﴿١٠﴾

ج:

الكلمة	معناها
﴿أَنسِرِ بَعَادَى﴾	اخرج ليلاً بعبادي (الذين هم آنذاك بنو إسرائيل وعموم من آمن بموسى ع)
﴿الْمُتَّبِعُونَ﴾	سيتبعكم فرعون لإدراككم والقبض عليكم
﴿الْمَدَّائِنَ﴾	مُدن مصر التي يحكمها فرعون
﴿حَشِيرِينَ﴾	جامعين يجمعون له الناس
﴿لَشْرِزِمَةً﴾	فئة قليلة مُحترقة
﴿لَغَائِطُونَ﴾	لمضايقون - يسببون لنا غيظاً
﴿حَذِرُونَ﴾	مستعدون متأهبون قد أخذنا عددنا وأسلحتنا، وقرئ (حذرون) أي: على حذر من هؤلاء وغوائلهم
﴿وَمَقَامِ كَرِيمٍ﴾	منازل حسان - منابر
﴿فَاتَّبَعُوهُمْ﴾	فساروا خلفهم للحاق بهم وللاّتيان بهم
﴿مُشْرِقِينَ﴾	عند شروق الشمس
﴿تَرَاءَ الْجَمْعَانِ﴾	نظر كل فريق إلى الآخر ورآه
﴿لَمُدَّرَكُونَ﴾	لملحقون - لملحوق بنا

﴿سَيَهْدِين﴾	سيوفقتي إلى الطريق الذي فيه نجاتي وسلامتي
﴿كُلُّ فِرْقٍ﴾	كل جانب - كل طائفة من البحر - كل ناحية
﴿كَالطُّورِ الْعَظِيمِ﴾	كالجبل العظيم
﴿وَأَرْلَفْنَا نَمَ الْآخَرِينَ﴾	قربنا هنالك القوم الآخرين وهم آل فرعون (استدراجاً لهم لإغراقهم)



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى﴾

أَن أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكَ مُتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾

ج: المعنى - والله أعلم :- وأوحينا إلى موسى أن اخرج ببني إسرائيل ليلاً فإن فرعون ومن معه سيتبعوك لمنعكم من الخروج وإبقائكم في الإذلال والامتهان.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

وقوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَن أَسْرِ بِعِبَادِي﴾ يقول: وأوحينا إلى موسى إذ تمادى فرعون في غيه وأبى إلا الثبات على طغيانه بعد ما أريناه آياتنا، أن أسر بعبادي؛ يقول: أن سر ببني إسرائيل ليلاً من أرض مصر. ﴿إِنَّكَ مُتَّبَعُونَ﴾ ﴿٥٢﴾ إن فرعون وجنده متبعوك وقومك من بني إسرائيل، ليحولوا بينكم وبين الخروج من أرضهم، أرض مصر.

وقال ابن كثير \$:

لما طال مقام موسى غ ببلاد مصر، وأقام بها حُجَجَ الله وبراهينه على فرعون وملئه، وهم مع ذلك يكابرون ويعاندون، لم يبق لهم إلا

العذاب والنكال، فأمر الله موسى **غ**، أن يخرج ببني إسرائيل ليلاً من مصر، وأن يمضي بهم حيث يؤمر، ففعل موسى **غ** ما أمره به ربه **ه**.
خرج بهم بعدما استعاروا من قوم فرعون حلياً كثيراً، وكان خروجه بهم - فيما ذكر غير واحد من المفسرين - وقت طلوع القمر.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَلَأِينَ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: أن فرعون -عليه لعنة الله- لما أصبح ووجد موسى **غ** قد خرج ببني إسرائيل ومن آمن معه من مصر أرسل رسله إلى مدائن ملكه يجمعون الجند ويجمعون من استطاعوا لملاحقة موسى **غ** ومن معه، قائلاً لهم: إن هؤلاء - يعني موسى **غ** ومن آمن به وقومه بني إسرائيل - ﴿لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾﴾ لفئة قليلة حقيرة، وإنهم دائماً يغيظوننا، كل يوم يأتوننا بشيء يضايقنا ويغيظنا، وذكر العلماء من أسباب هذه الإغظة ما يلي:

*** إيمانهم بموسى **غ** وتكذيبهم لفرعون وخروجهم على قوله: ﴿إِنَّا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾﴾... [النازعات: ٢٤].**

ومنها أن بني إسرائيل استعاروا حلياً من قوم فرعون وخرجوا بها من مصر ومنها - وهو غريب إلا أن عدداً من التابعين قال به- ألا وهو أن الملائكة قتلوا الأبقار من آل فرعون تلك الليلة، وكما أسلفت فهو قول غريب وبعيد ولا أعلم دليلاً عليه.

أما قوله: ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ فللعلماء فيه وجهان، أولهما: وإنا

لجميع مستعدون قد حملنا سلاحنا وعددنا وأخذنا أهبتنا، وإنا لجميع مقرون.

والثاني: وإنا لجميع حذرون أي: على حذر من هؤلاء فكل يوم تأتينا منهم أمور تجعلنا نحذرهم ونخشاهم ولذا فإني أريد أن أستأصلهم وأقطع دابرهم وأمن شرهم.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: فأرسل فرعون في المدائن يحشر له جنده وقومه ويقول لهم ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾ يعني بهؤلاء: بني إسرائيل ﴿لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ يعني بالشرذمة: الطائفة والعصبة الباقية من عصب جبيرة، وشرذمة كل شيء: بقيته القليلة.

وقال \$:

وقوله: ﴿وَأَنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ﴾ يقول: وإن هؤلاء الشرذمة لنا لغائظون، فذكر أن غيظهم إياهم كان قتل الملائكة من قتلت من أبكارهم.

وقال \$:

وقد يحتمل أن يكون معناه: وإنهم لنا لغائظون بذهابهم منهم بالعواري التي كانوا استعاروها منهم من الحلي، ويحتمل أن يكون ذلك بفراقهم إياهم، وخروجهم من أرضهم بكره لهم لذلك.

وقوله: ﴿وَأِنَّا لَجَمِيعٌ حَازِرُونَ﴾ اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الكوفة ﴿وَأِنَّا لَجَمِيعٌ حَازِرُونَ﴾ بمعنى: أنهم معدون مؤدون ذوو أداة وقوة وسلاح. وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة: ﴿وإنا لجميع

حذرون) بغير ألف. وكان الفراء يقول: كأن الحاذر الذي يحذرك الآن، وكأن الحذر المخلوق حذرًا لا تلقاه إلا حذرًا؛ ومن الحذر قول ابن أحرر: **هل أنسان يومًا إلى غيره إني حوالي وإني حذر**

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مستفيضتان في قراء الأمصار متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ، فمصيب الصواب فيه.

وقال ابن كثير \$:

فلما أصبحوا وليس في ناديتهم داعٍ ولا مجيب غاظ ذلك فرعون واشتد غضبه على بني إسرائيل؛ لما يريد الله به من الدمار، فأرسل سريعًا في بلاده حاشرين، أي: مَنْ يحشر الجندَ ويجمعه، كالنُّقباء والحجَّاب، ونادى فيهم: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾ -يعني: بني إسرائيل- ﴿شِرْزِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ (٥٤) أي: لطائفة قليلة.

﴿وَلَهُمْ لَنَا لَغَائِطُونَ﴾ (٥٥) أي: كل وقت يصل لنا منهم ما يغيظنا. ﴿وَلَنَا جَمِيعٌ حَازِرُونَ﴾ (٥٦) أي: نحن كل وقت نحذر من غائلتهم، وإني أريد أن أستأصل شأفتهم، وأبيد خضراءهم. فجوزي في نفسه وجنده بما أراد لهم.

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِبْ بِعِصَايَ الْكُفْرَ مَتَّبِعُونَ﴾ (٥٢) لما كان من سنته تعالى في عباده إنجاء المؤمنين المصدقين من أوليائه المعترفين برسالة رسله وأنبيائه وإهلاك الكافرين المكذبين لهم من أعدائه أمر موسى أن يخرج ببني إسرائيل ليلاً وسماهم عباده لأنهم آمنوا بموسى ومعنى: ﴿الْكُفْرَ مَتَّبِعُونَ﴾ أي يتبعكم فرعون وقومه ليردوكم وفي ضمن هذا

الكلام تعريفهم أن الله ينجيهم منهم فخرج موسى **غ** ببني إسرائيل سحرًا فترك الطريق إلى الشام على يساره وتوجه نحو البحر فكان الرجل من بني إسرائيل يقول له في ترك الطريق فيقول: هكذا أمرت فلما أصبح فرعون علم بسر موسى ببني إسرائيل خرج في أثرهم وبعث إلى مدائن مصر لتلحقه العساكر فروي أنه لحقه ومعه مائة ألف أدهم من الخيل سوى سائر الألوان وروي أن بني إسرائيل كانوا ستمائة ألف وسبعين ألفًا والله أعلم بصحته ⁽¹⁾ وإنما اللازم من الآية الذي يقطع به أن موسى **غ** خرج بجمع عظيم من بني إسرائيل وأن فرعون تبعه بأضعاف ذلك، قال ابن عباس: كان مع فرعون ألف جبار كلهم عليه تاج وكلهم أمير خيل والشرذمة الجمع القليل المحتقر والجمع الشراذم قال الجوهرى: الشرذمة الطائفة من الناس والقطعة من الشيء وثوب شراذم أي قطع، وأنشد الثعلبي قول الراجز:

جاء الشتاء وثيابي أخلاق شراذم يضحك منها النواق

النواق من الرجال الذي يروض الأمور ويصلحها قاله في الصحاح واللام في قوله: ﴿لَشِرْذِمَةً﴾ لا م تأكيد وكثيرا ما تدخل في خبر إن إلا أن الكوفيين لا يجيزون إن زيدا لسوف يقوم والدليل على أنه جائز قوله تعالى: ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الشعراء: ٦٤] وهذه لام التوكيد بعينها وقد دخلت على سوف قاله النحاس. ﴿وَأَنَّهُمْ لَنَا لَغَاطُونَ﴾ أي أعداء لنا لمخالفتهم ديننا وذهابهم بأموالنا التي استعاروها على ما تقدم وماتت أبقارهم تلك الليلة وقد مضى هذا في (الأعراف) و(طه) مستوفى، يقال: غاظني كذا

(1) ولا أعلم دليلاً على صحته.

وأغاظني والغيط: الغضب ومنه التغيط والاعتياط أي: غاظونا بخروجهم
من غير إذن ﴿وإنا لجميع حذرون﴾ أي مجتمع مستعد أخذنا حذرنا
وأسلحتنا وقرئ ﴿حَذِرُونَ﴾ (٥٦) أي: فرقون أي: فرقون خائفون، قال
الجوهرى: وقرئ: ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَذِرُونَ﴾ و(حَذِرُونَ)، و(حَذِرُونَ) بضم الدال،
حكاه الأخفش، ومعنى حاذرون متأهبون، ومعنى و(حذرون) خائفون.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِّنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۖ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ

﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ۖ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُمْ مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - فأخرجنا آل فرعون من الحدائق والبساتين وعيون الماء التي كانوا يستمتعون بها ومن المنازل الحسان التي كانوا يسكنونها والمنابر التي كانوا يرتقون عليها ويصعدون عليها، وكذا من كنوز الذهب والفضة التي كانوا يكتنزونها، وهكذا فكما أخرجناهم، أورثنا تلك الجنات والعيون والكنوز والمقام الكريم بني إسرائيل، ثم بشيء من التفصيل فيخرج آل فرعون لملاحقة موسى وبني إسرائيل في الصباح عند شروق الشمس، وقد قيل ⁽¹⁾ إنهم تأخروا عن ملاحتهم لكون القمر انخسف في تلك الليلة وأظلم الجو، وقيل: إنه تأخر عن ملاحتهم حتى جمع الجموع. فإله أعلم.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: فأخرجنا فرعون وقومه من بساتين وعيون ماء، وكنوز ذهب وفضة، ومقام كريم. قيل: إن ذلك المقام الكريم: المنابر. وقوله: ﴿كَذَلِكَ﴾ يقول: هكذا أخرجناهم من ذلك كما وصفت لكم في هذه الآية والتي قبلها. ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا﴾ يقول: وأورثنا تلك الجنات التي أخرجناهم منها والعيون والكنوز والمقام الكريم عنهم بهلاكهم بني إسرائيل. وقوله: ﴿فَأَتْبَعُوهُمْ مُّشْرِقِينَ﴾ ﴿٦٠﴾ فاتبع فرعون وأصحابه بني إسرائيل مشرقين حين أشرقت الشمس، وقيل: حين أصبحوا.

⁽¹⁾ وليس على ذلك دليل ثابت فيما علمت.

وقال ابن كثير \$:

﴿ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۖ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝٥٨ ﴾ أي: فخرجوا من هذا النعيم إلى الجحيم، وتركوا تلك المنازل العالية والبساتين والأنهار والأموال والأرزاق والملك والجاه الوافر في الدنيا.

﴿ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ۝٥٩ ﴾، كما قال تعالى: ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا ۖ وَدَمَرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ ۖ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ۝١٣٧ ﴾ [الأعراف: ١٣٧]، وقال تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَىٰ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَيْمَةً ۖ وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝٥ ﴾ وَنُكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ [الفصص: ٦].

ذكر غير واحد من المفسرين: أن فرعون خرج في جحفل عظيم وجمع كبير، هو عبارة عن مملكة الديار المصرية في زمانه، أولي الحل والعقد والدول، من الأمراء والوزراء والكبراء والرؤساء والجنود، فأما ما ذكره غير واحد من الإسرائيليات، من أنه خرج في ألف ألف وستمئة ألف فارس، منها مائة ألف على خيل دهم، وقال كعب الأحبار: فيهم ثمانمائة ألف حصان أدهم، ففي ذلك نظر. والظاهر أنه من مجازفات بني إسرائيل، والله سبحانه وتعالى أعلم. والذي أخبر به هو النافع، ولم يعين عدتهم؛ إذ لا فائدة تحته، إلا أنهم خرجوا بأجمعهم.

﴿ فَأَتَبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ۝٦٠ ﴾ أي: وصلوا إليهم عند شروق الشمس، وهو طلوعها.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ

﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا نَمُ الْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ ۞

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - واستمرت المطاردة والملاحقة من فرعون وجنوده بما معهم من أنواع السلاح والعتاد، وكان جيشاً عظيماً هائلاً فاستمرت المطاردة والملاحقة إلى أن اقترب موسى **غ** من البحر، واقترب فرعون بجموعه وجنوده من موسى **غ**، ورأى كل فريق الآخر فعندها قال أصحاب موسى لموسى **غ**: قد أدركنا القوم، قد أدركونا لا محالة، وليس أمامنا إلا البحر، فالبحر أمامنا والعدو يلاحقنا، ها هو قد أدركنا، وها نحن سنقتل لا محالة، فقال موسى **غ** نافياً هذا الظن: كلا، لن نُدرك فإن ربي معي سيوفقني لسلوك طريق السلامة والنجاة، فعندها أوحى الله **ه** إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر، فضرب بعصاه البحر فانفلق البحر فلقطين، كل فلاة منه كالجبل العظيم، وسبحان الله أصبح البحر كأنه جبلين عظيمين (من الماء) بينهما ممرٌ يابس، سبحان الله، ماء مرتفع جداً عن كل جانب وبينهما أرض يابسة، فسلك موسى **غ** ومن معه هذا الطريق اليبس والأمواج كالجبال تحيط به ولا تسقط عليه، وسبحان الله إنها معجزة عظيمة، ويُقال لِمَ لم يتفطن فرعون لهذا، ولم يتعظ؟! وجواب ذلك أن الله أعمى بصيرته عن هذه المعجزة، وقرببه الله وقرب من معه إلى هذا الطريق اليبس واقتحموا اليبس، وساروا فيه فعندها، وقد سلم الله **ه** موسى ومن معه أطبق الجبلان (جبلان من ماء) على فرعون

وجنده وهم يسرون على اليبس الذي سار عليه موسى **غ**، فسبحان من قربهم إلى حتفهم وسبحان من جرأهم على اقتحام اليبس بعد موسى ومن معه!! فحقاً إن الأمور تجري بمقادير، إن الله سلّم موسى **غ**، وتجاوزوا البحر، أما فرعون فانطبق عليه البحر وعلى من معه فأغرقه الله ومن معه جميعاً.

عندها صاح فرعون، وقبيل نهايته: ﴿ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ **[يونس: ٩٠]**، ولكن لم يكن إيمانه بنافع له، قال تعالى: ﴿ءَالْقَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ **[يونس: ٩١]**.

فحقاً إن في إهلاك فرعون ومن معه بهذه الطريقة وعلى هذا النحو لآية، ومعجزة ودلالة على قدرة الله **ه** ووحانيته لآية ودليلاً على أن الله **ه** يُنجي أوليائه وينتقم من أعدائه، ولكن من يتعظ، ومن يعتبر؟! إن الأكثرين لا يتعظون - لا يعتبرون - لا يؤمنون، وإن ربك لهو الغالب على أمره القوي الذي لا يُردُّ له أمرٌ، ولا يحول بينه وبين ما يريد حائلٌ، الرحيم بعباده المؤمنين. وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: فلما تناظر الجمعان: جمع موسى وهم بنو إسرائيل، وجمع فرعون وهم القبط ﴿قَالَ أَصْحَبُ مُوسَى إِنَّا لَمَدْرَكُونَ﴾ **[٩١]** أي: إنا لملحقون، الآن يلحقنا فرعون وجنوده فيقتلوننا، وذكر أنهم قالوا ذلك لموسى، تشاؤماً بموسى.

وأورد بإسناد صحيح عن سليمان بن طرفان قال: قلت لعبد الرحمن:

﴿فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَبُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ (٦١) قال: تشاءموا بموسى، وقالوا: ﴿أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ [الأعراف: ٦٢].

و عن السدي: ﴿فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانِ﴾ فنظرت بنو إسرائيل إلى فرعون قد رمقهم قالوا: ﴿إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ (٦١). ﴿قَالُوا﴾ يا موسى ﴿أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ [الأعراف: ٦٢] اليوم يدركننا فرعون فيقتلنا، إنا لمدركون؛ البحر بين أيدينا، وفرعون من خلفنا.

وقال الطبري:

وقوله: ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ (٦٢) قال موسى لقومه: ليس الأمر كما ذكرت، كلا لن تدركوا إن معي ربي سيهدين، يقول: سيهدين لطريق أنجو فيه من فرعون وقومه.

وقال الطبري أيضاً:

وقوله: ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ (٦٣) يقول تعالى ذكره: فكان كل طائفة من البحر لما ضربه موسى كالجبل العظيم. وذكر أنه انفلق اثنتي عشرة فلقة على عدد الأسباط، لكل سبط منهم فرق.

وقال \$:

يعني بقوله تعالى ذكره: ﴿وَأَرْزَلْنَا نَمَ الْأَخَرِينَ﴾ (٦٤): وقربنا هنالك آل فرعون من البحر، وقدمناهم إليه، ومنه قوله: ﴿وَأَرْزَلْنَا الْجَنَّةَ لِّلْمُنَافِقِينَ﴾ (٩٠) [الشعراء: ٦٤] بمعنى: قربت وأدنيت؛ ومنه قول العجاج:

طي الليالي زلفا فرلفا سماوة الهلال حتى احقوقفا

وقال \$:

وقوله: ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ﴾ (٦٥) يقول تعالى ذكره: وأنجينا موسى

مما أتبعنا به فرعون وقومه من الغرق في البحر ومن مع موسى من بني إسرائيل أجمعين. وقوله: ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ (٦٦) يقول: ثم أغرقنا فرعون وقومه من القبط في البحر بعد أن أنجينا موسى منه ومن معه.

وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ يقول تعالى ذكره: إن فيما فعلت بفرعون ومن معه تغريقي إياهم في البحر إذ كذبوا رسولي موسى، وخالفوا أمري بعد الإعذار إليهم، والإنذار لدلالة بينة يا محمد لقومك من قریش على أن ذلك سنتي فيمن سلك سبيلهم من تكذيب رسلي، وعظة لهم وعبرة أن اذكروا واعتبروا أن يفعلوا مثل فعلهم من تكذيبك مع البرهان والآيات التي قد أتيتهم، فيحل بهم من العقوبة نظير ما حل بهم، ولك آية في فعلي بموسى، وتنجيتي إياه بعد طول علاجه فرعون وقومه منه، وإظهاره إياه وتوريثه وقومه دورهم وأرضهم وأموالهم، على أنني سألك فيك سبيله، إن أنت صبرت صبره، وقمت من تبليغ الرسالة إلى من أرسلتك إليه قيامه، ومظهرك على مكذبيك، ومعليك عليهم. ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ (٦٧) يقول: وما كان أكثر قومك يا محمد مؤمنين بما أتاك الله من الحق المبين، فسابق في علمي أنهم لا يؤمنون.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ﴾ في انتقامه ممن كفر به وكذب رسله من أعدائه، ﴿الرَّحِيمُ﴾ (٦٨) بمن أنجى من رسله، وأتباعهم من الغرق والعذاب الذي عذب به الكفرة.

وقال الحافظ ابن كثير \$ تعالى:

﴿فَلَمَّا تَرَى الْجَمْعَانَ﴾ أي: رأى كل من الفريقين صاحبه، فعند ذلك ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَذْكُونٌ﴾ (٦١)، وذلك أنه انتهى بهم السير إلى سيف البحر،

وهو بحر القلزم، فصار أمامهم البحر، وفرعون قد أدركهم بجنوده، فلماذا قالوا: ﴿إِنَّا لَمَذْكُورُونَ﴾ (٦١) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ أي: لا يصل إليكم شيء مما تحذرون، فإن الله، سبحانه، هو الذي أمرني أن أسير هاهنا بكم، وهو لا يخلف الميعاد.

وكان هارون غ، في المقدمة، ومعه يوشع بن نون، ومؤمن آل فرعون وموسى غ، في الساقة، وقد ذكر غير واحد من المفسرين: أنهم وقفوا لا يدرون ما يصنعون، وجعل يوشع بن نون، أو مؤمن آل فرعون يقول لموسى، غ: يا نبي الله، هاهنا أمرك الله أن تسير؟ فيقول: نعم، واقترب فرعون وجنوده، ولم يبق إلا القليل، فعند ذلك أمر الله نبيه موسى أن يضرب البحر بعصاه، فضربه، وقال: انفلق بإذن الله.

وقال ابن كثير \$ في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ أي: في هذه القصة وما فيها من العجائب والنصر والتأييد لعباد الله المؤمنين؛ لدلالة وحجة قاطعة وحكمة بالغة، ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ (٦٧) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهِوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ تقدم تفسيره.

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَأَتِ الْجَمْعَانِ﴾ أي: تقابلا الجمعان بحيث يرى كل فريق صاحبه وهو تفاعل من الرؤية ﴿قَالَ أَصْحَبُ مُوسَى إِنَّا لَمَذْكُورُونَ﴾ (٦١) أي: قرب منا العدو ولا طاقة لنا به.

وقال \$:

قوله تعالى: ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ (٦٢) لما لحق فرعون بجمعه جمع موسى وقرب منهم ورأت بنو إسرائيل العدو القوي والبحر أمامهم ساءت

ظنّونهم وقالوا لموسى على جهة التوبيخ والجفاء: ﴿إِنَّا لَمَذْكُونٌ﴾ ﴿١١﴾ ﴿فرد عليهم قولهم وزجرهم وذكرهم وعد الله سبحانه له بالهداية والظفر﴾ ﴿كَلَّا﴾ ﴿أي لم يدركوكم﴾ ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾ ﴿أي: بالنصر على العدو﴾ ﴿سَيَهْدِينِ﴾ ﴿١٢﴾ ﴿أي: سيدلني على طريق النجاة فلما عظم البلاء على بني إسرائيل ورأوا من الجيوش ما لا طاقة لهم بها أمر الله تعالى موسى أن يضرب البحر بعصاه وذلك أنه ٥ أراد أن تكون الآية متصلة بموسى ومتعلقة بفعله وإلا فضرب العصا ليس بفارق للبحر ولا معين على ذلك بذاته إلا بما اقترن به من قدرة الله تعالى واختراعه وقد مضى في (البقرة) قصة هذا البحر ولما انفلق صار فيه اثنا عشر طريقاً على عدد أسباط بني إسرائيل ووقف الماء بينها كالطود العظيم أي: الجبل العظيم والطود: الجبل ومنه قول امرئ القيس:

فبينما المرء في الأحياء طود رماه الناس عن كذب فما لا

وقال الأسود بن يعفر:

حلوا بأنقرة يسيل عليهم ماء الفرات يجيء من أطواد

جمع: طود أي: جبل فصار لموسى وأصحابه طريقاً في البحر يبساً فلما خرج أصحاب موسى وتكامل آخر أصحاب فرعون على ما تقدم في (يونس) انصب عليهم وغرق فرعون فقال بعض أصحاب موسى: ما غرق فرعون فنبت على ساحل البحر حتى نظروا إليه.

وقال:

قوله تعالى: ﴿وَأَرْفَعْنَا قَوْمَ الْآخِرِينَ﴾ ﴿٦٤﴾ ﴿أي: قربناهم إلى البحر يعني

فرعون وقومه قاله ابن عباس وغيره قال الشاعر:

وكل يوم مضى أو ليلة سلفت فيها النفوس إلى الأجل تزدلف



شيء من قصة إبراهيم غ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ٧٠ ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا مَّا فَنَظُلُّ لَهَا عَتَكِفِينَ ٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمُ إِذْ تَدْعُونَ ٧٢ ﴿أَوْ يَنْفَعُونَكُمُ أَوْ يَضُرُّونَ ٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ٧٤ ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ٧٥﴾ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ٧٦ ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ٧٨ ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ٨٠ ﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ٨٢ ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْخِفَافِي بِالصَّلَاحِ ٨٣﴾ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ٨٤ ﴿وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ٨٥﴾ وَأَغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الصَّالِينَ ٨٦ ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ٨٨ ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ٨٩﴾

[الشعراء: 69-89]

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿وَأَنذِرْ﴾ - ﴿نَبَأٌ﴾ - إِذْ قَالَ - أَصْنَامًا - عَكِيفِينَ - تَدْعُونَ - الْأَقْدَمُونَ - أَطْمَعُ - خَطِئْتُ - يَوْمَ الدِّينِ - حُكْمًا - لِسَانَ صِدْقٍ﴾.

ج:

معناها	الكلمة
واقصص	﴿وَأَنذِرْ﴾
خبر	﴿نَبَأٌ﴾
حين قال	﴿إِذْ قَالَ﴾
تماثيل	﴿أَصْنَامًا﴾
مقيمين - ملازمين عبادتها	﴿عَكِيفِينَ﴾
تطلبون - تسألون - تعبدون	﴿تَدْعُونَ﴾
السابقون - المتقدمون	﴿الْأَقْدَمُونَ﴾
أرجو	﴿أَطْمَعُ﴾
خطاياي عمومًا، وقيل إنها قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾، وقوله عن سارة هذه أختي.	﴿خَطِئْتُ﴾
يوم القيامة - يوم الثواب والعقاب	﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾
نبوة - علمًا - فهمًا وفقها	﴿حُكْمًا﴾
ثناء حسنًا وذكرًا جميلًا من الناس	﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿وَأَنذَلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾ (٦٩) **إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ** (٧٠) **قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُهَا عَنْ كَيْفٍ** (٧١) **قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ** (٧٢) **أَوْ يَنفَعُونَكَ أَوْ يَضُرُّونَ** (٧٣) **قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ** (٧٤) **قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ** (٧٥) **أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ** (٧٦) **فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ** (٧٧) ﴿٧٧﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - **واقصص يا رسول الله على قومك وعلى عموم من أرسلت إليهم، اقصص على مشركي قومك وعموم المشركين كذلك خبر إبراهيم غ، خبر أبي الأنبياء ﷺ حين قال لأبيه وقومه، وقد رأهم يعبدون أصنامًا مع الله سبحانه وتعالى ويشركون بالله ما لم ينزل به سلطانًا فقال لهم: أي شيء تعبدون؟ قالوا: نعبد أصنامًا فنفقيم حولها ونلزم عبادتها ونعكف على عبادتها، فقال: هل يسمعونكم عند دعائكم وسؤالكم إياهم وطلبكم منهم وهل يجيبونكم؟ وأيضًا فهل إذا عبدتموهم نفعوكم بشيء؟ وإن تركتم عبادتها أضرتكم بشيء؟ هل تثيبكم هذه الآلهة أو تعاقبكم؟ هل تكشف عنكم ضرًا أو تجلب لكم نفعًا؟ قالوا: لا تجلب لنا ضرًا ولا تجلب لنا نفعًا؟ هذا مفهوم من جوابهم: بل وجدنا آباءنا كذلك يعبدونها ويعكفون حولها وملازمون لعبادتها، ومعنى العكوف: طول المكث، والمراد: الاستمرار في العبادة وحتى ولو ابتعدوا عنها، فعندها قال الخليل إبراهيم غ: أفأريتم هذه الآلهة التي تعبدونها مع الله، والتي كان آبؤكم وأجدادكم من قبل يعبدونها، فأنا بريء منها لا أقرُّ لها بعبادة ولا أقرُّ لها بجلب نفع أو دفع ضرٍّ، بل أعلن عن عداوتي لها وبرأتي من عبادتها لكنني لا أتبرأ من عبادة الله، فإنني سألزم عبادة الله وحده لا شريك له هو رب العالمين المعبود بحق سأعبده وحده لا شريك**

له.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري:

يقول تعالى ذكره: واقصص على قومك من المشركين يا محمد خبر إبراهيم حين قال لأبيه وقومه: أي شيء تعبدون؟ ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّهَا عَنَكُمِينَ﴾ (٧١) يقول: فنظّل لها خدماً مقيمين على عبادتها وخدمتها.

وقال:

في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ﴾ (٧٢) أَوْ يَفْعَلُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (٧٣) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ (٧٤).

يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم لهم: هل تسمع دعاءكم هؤلاء الآلهة إذ تدعونهم؟

وقال: وقوله: ﴿أَوْ يَفْعَلُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ (٧٣) يقول: أو تنفعكم هذه الأصنام، فيرزقونكم شيئا على عبادتكموها، أو يضرّونكم فيعاقبونكم على ترككم عبادتها بأن يسلبوكم أموالكم، أو يهلكوكم إذا هلكتم وأولادكم؟ ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ (٧٤). وفي الكلام متروك استغني بدلالة ما ذكر عما ترك، وذلك جوابهم إبراهيم عن مسألته إياهم: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ﴾ (٧٢) أَوْ يَفْعَلُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (٧٣) فكان جوابهم إياه: لا؛ ما يسمعوننا إذا دعوناهم، ولا ينفعوننا ولا يضرّون، يدل على أنهم بذلك أجابوه. قولهم: ﴿بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ (٧٤) وذلك رجوع عن مجود، كقول القائل: ما كان كذا بل كذا وكذا، ومعنى قولهم: ﴿بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ (٧٤) وجدنا من قبلنا ولا يضرّون، يدل على أنهم بذلك أجابوه، قولهم من آبائنا يعبدونها ويعكفون عليها

لخدمتها وعبادتها، فنحن نفعل ذلك اقتداء بهم، واتباعاً لمنهاجهم.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم لقومه: أفأريتم أيها القوم ما كنتم تعبدون من هذه الأصنام أنتم وأباؤكم الأقدمون، يعني بالأقدمين: الأقدمين من الذين كان إبراهيم يخاطبهم، وهم الأولون قبلهم ممن كان على مثل ما كان عليه الذين كلمهم إبراهيم من عبادة الأصنام ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾. يقول قائل: وكيف يوصف الخشب والحديد والنحاس بعداوة ابن آدم؟ فإن معنى ذلك: فإنهم عدو لي لو عبدتهم يوم القيامة، كما قال جل ثناؤه: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم: ٨١-٨٢].

وقوله: ﴿إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ نصباً على الاستثناء، والعدو بمعنى: الجمع، ووحد لأنه أخرج مخرج المصدر، مثل القعود والجلوس.

ومعنى الكلام: أفأريتم كل معبود لكم ولآبائكم، فإنني منه بريء لا أعبد، إلا رب العالمين.

وقال ابن كثير \$:

هذا إخبار من الله تعالى عن عبده ورسوله وخليته إبراهيم إمام الحنفاء، أمر الله رسوله محمداً ﷺ أن يتلوه على أمته، ليقصدوا به في الإخلاص والتوكل، وعبادة الله وحده لا شريك له، والتبري من الشرك وأهله؛ فإن الله تعالى أتى إبراهيم رشده من قبل، أي: من صغره إلى كبره، فإنه من وقت نشأ وشب، أنكر على قومه عبادة الأصنام مع الله ٥

فقال: ﴿لَأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾ (٧)؟

أي: ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون؟

﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظُلُّ لَهَا عَتِدِينَ﴾ (٧١) أي: مقيمين على عبادتها ودعائها.
 ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ﴾ (٧٢) ﴿أَوْ يَفْعَلُونَكَ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ (٧٣) ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ (٧٤) يعني: اعترفوا بأن أصنامهم لا تفعل شيئاً من ذلك، وإنما رأوا آباءهم كذلك يفعلون، فهم على آثارهم يُهرعون. فعند ذلك قال لهم إبراهيم: ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ (٧٥) ﴿أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ﴾ (٧٦) ﴿فَأَنْتُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (٧٧) أي: إن كانت هذه الأصنام شيئاً ولها تأثير، فلتخلص إلي بالمساءة، فإني عدو لها لا أباليها ولا أفكر فيها. وهذا كما قال تعالى مخبراً عن نوح **غ:** ﴿فَاَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾ (٧١) ﴿يونس: ٦١﴾، وقال هود **غ:** ﴿إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (٥٤) ﴿مِنْ دُونِهِ فَكِدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ﴾ (٥٥) ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٥٦) ﴿هود: ٦١﴾، وهكذا تبرأ إبراهيم من آلهتهم وقال: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾ ﴿الأنعام: ٢٥﴾، وقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ ﴿الممتحنة: ٦١﴾، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ (٦١) ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِي﴾ (٦٢) ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٦٣) ﴿الزخرف: ٦٣﴾ يعني: لا إله إلا الله.

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ نَبَأُ إِبْرَاهِيمَ﴾ (٦١) ﴿نبيه المشركين على فرط جهلهم

إذا رغبوا عن اعتقاد إبراهيم ودينه وهو أبوهـم. والنبأ الخبر أي: اقصص عليهم يا محمد خبره وحديثه وعيبه على قومه ما يعبدون وإنما قال ذلك ملزماً لهم الحجة.

وقال:

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَيِّهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ أي: أي شيء تعبدون؟ ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾ وكانت أصنامهم من ذهب وفضة ونحاس وحديد وخشب. ﴿فَنَظَّلْهُمَا عَكَفَيْنِ﴾ أي: فنقيم على عبادتها وليس المرد وقتاً معيناً بل هو إخبار عما هم فيه وقيل: كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل وكانوا في الليل يعبدون الكواكب فيقال: ظل يفعل كذا إذا فعله نهاراً وبات يفعل كذا إذا فعله ليلاً ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ﴾ قال الأخفش: فيه حذف والمعنى: هل يسمعون منكم؟ أو هل يسمعون دعاءكم؟

وقال في قوله تعالى:

﴿أَوْ يَفْعَلُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ أي: هل تنفعكم هذه الأصنام وترزقكم أو تملك لكم خيراً أو ضرراً إن عصيتم؟! وهذا استفهام لتقرير الحجة فإذا لم ينفعوكم ولم يضرروا فما معنى عبادتكم لها؟ ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ فنزعوا إلى التقليد من غير حجة ولا دليل وقد مضى القول فيه ﴿قَالَ﴾ إبراهيم. ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ من هذه الأصنام ﴿أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ﴾ الأولون ﴿فَأَنَّهُمْ عُدُوِّي﴾ واحد يؤدي عن جماعة وكذلك يقال للمرأة هي عدو الله وعدوة الله؟ حكاهما الفراء قال علي بن سليمان: من قال عدوة الله وأثبت الهاء قال: هي بمعنى معادية ومن قال عدو للمؤنث والجمع جعله بمعنى النسب ووصف الجماد بالعداوة بمعنى أنهم عدو لي

إن عبدتهم يوم القيامة كما قال: ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ (٨٢) **[مريم: ٢٤]**، وقال الفراء هو من المقلوب مجازة فإني عدو لهم لأن من عاديته عاداك ثم قال: ﴿إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (٧٧) قال الكلبي: أي إلا من عبد رب العالمين إلا عابد رب العالمين فحذف المضاف قال أبو إسحاق الزجاج: قال النحويون هو استثناء ليس من الأول وأجاز أبو إسحاق أن يكون من الأول على أنهم كانوا يعبدون الله ٥ ويعبدون معه الأصنام فأعلمهم أنه تبرأ مما يعبدون إلا الله وتأوله الفراء على الأصنام وحدها والمعنى عنده: فإنهم لو عبدتهم عدو لي يوم القيامة على ما ذكرنا وقال الجرجاني: تقديره: أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون إلى رب العالمين فإنهم عدو لي وإلا بمعنى دون وسوى كقوله: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ **[الدخان: ٢٤]** أي دون الموتة الأولى.



أدب في النقل عن الله ٥

س: في قول إبراهيم غ: ﴿وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ شَفِيءٌ﴾ (٨٠) أدب في النقل عن الله ٥. وضح ذلك.

ج: حاصل هذا - والله أعلم - أنه معلوم أن الأمراض قدّر لها الله سبحانه وتعالى، وقد يُقدرها ابتلاء لرفعة الدرجات وقد يُقدرها لشيء صدر من العبد، وهو سبحانه الذي يشفي تفضلاً منه.

فالحاصل أن المرض والشفاء كل ذلك بتقدير الله ٥ ولكن تأدباً في اللفظ نسب الخليل المرض إلى نفسه إذ قال: ﴿وَإِذَا مَرَضْتُ﴾ ونسب الشفاء إلى الله إذ قال: ﴿فَهُوَ شَفِيءٌ﴾ (٨٠) مع أن الجميع مقدر.

وهذا من حسن الكلام وأدب النقل عن الله ﷻ ونحوه قول الجن: ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدُ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ ﴿١٠﴾ [الجن: ٤].

وكذا قول الخضر: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٦٦] فنسب العيب إلى نفسه، ولكن قال في شأن الغلام: ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ ﴿٨١﴾ [الكهف: ٦٦]، وقال في شأن الأيتام: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ [الكهف: ٨٢].

كل ذلك مع أن الأمور كلها مقدره وبأمر الله، فقد قال الخضر بعد ذلك: ﴿وَمَا فَعَلْنَاهُ عَنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الكهف: ٨٢]؛ والله أعلم.



المراد بخطيئة إبراهيم غ

س: ما المراد بخطيئته ﷺ التي قال عنها: ﴿وَالَّذِي أَطْعَمُنِي أَنْ يَقْبَلَنِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ ﴿٨٢﴾؟

ج: قال عددٌ من أهل العلم إنها المذكورة في قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ ﴿٨١﴾ [الصافات: ٨١] لما دعوه إلى عبادة الأصنام، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ [الأنبياء: ٦٢]، وقوله عن سارة: هذه أختي.

وفي الحديث ^(١) عن رسول الله ﷺ: «لم يكذب إبراهيم غ، قط إلا ثلاث كذبات ثنتين في ذات الله. قوله: إني سقيم. وقوله: بل فعله كبيرهم هذا. وواحدة في شأن سارة. فإنه قدم أرض جبار ومعه سارة. وكانت أحسن الناس. فقال لها: إن هذا الجبار، إن يعلم أنك امرأتي، يغلبني عليك. فإن سألك فأخبريه أنك أختي. فإنك أختي في الإسلام. فإني لا أعلم

(١) مسلم (2371)، والبخاري (3358).

في الأرض مسلماً غيري وغيرك، فلما دخل أرضه رآها بعض أهل الجبار أتاه فقال له: لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغي لها أن تكون إلا لك. فأرسل إليها فأتي بها. فقام إبراهيم **غ** إلى الصلاة. فلما دخلت عليه لم يتمالك أن بسط يده إليها. فقبضت يده قبضة شديدة. فقال لها: ادعي الله أن يطلق يدي ولا أضرك. ففعلت. فعاد. فقبضت أشد من القبضة الأولى. فقال لها مثل ذلك. ففعلت. فعاد. فقبضت أشد من القبضتين الأولىين. فقال: ادعي الله أن يطلق يدي. قدر الله أن لا أضرك. ففعلت. وأطلقت يده. ودعا الذي جاء بها فقال له: إنك إنما أتيتني بشيطان. ولم تأتني بإنسان فأخرجها من أرضي، وأعطها هاجر. قال: فأقبلت تمشي. فلما رآها إبراهيم **غ** انصرف. فقال لها: مهيم؟ قالت: خيراً. كف الله يد الفاجر. وأخدم خادماً». قال أبو هريرة: فتلك أمكم يا بني ماء السماء.

*** وقال آخرون:** إنها عموم الخطايا التي صدرت من إبراهيم **غ**.



س: وضع إجمالاً معنى قوله: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ (٧٨) **وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي**

وَيَسْقِينِي﴾ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي﴾ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِي﴾ (٨١) **وَالَّذِي أَطْعَمُنِي
يَغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ (٨٢).**

ج: هذا يقوله إبراهيم خليل الرحمن **غ**، وهو متصل بما قبله، فالمعنى قبله أنه **غ** أعلن عن عداوته للأوثان والأصنام ورفضه التام لعبادتها وأعلن عن تمسكه بعبادة رب العالمين ثم وضع شيئاً من فضل الله **ه** عليه وكذا شيئاً من قدرته سبحانه فقال: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ (٧٨) أي: أنني أعبد الذي خلقني فهو الذي يوفقني ويرشدني، والذي هو - وليس أحد

سواه - ﴿يُطْعِمُنِي﴾ يغذيني بالطعام ⁽¹⁾ ويبسره لي ويرزقني إياه ويجعلني له مستسيعاً ويسقني الشراب بتيسيره ذلك لي، وإذا قُدر علي مرض، ووقعت في مرض بسبب ذنوبي أو ابتلاء ابتليت به، فالذي يكشف عني هو الله، هو الذي يشفيني منه ويعافيني، وهو الذي يميتني في الوقت الذي يريده ثم يحيي يوم القيامة للجزاء، والذي أرجو منه أن يغفر خطاياي التي أخطأتها في دنياي يوم القيامة يوم الجزاء يوم الثواب والعقاب، فهذا هو المستحق للعبادة، إنه ربي الذي لا أعبد إلهاً سواه.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ ^(٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ^(٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ^(٨٠).

يقول: فإنهم عدو لي إلا رب العالمين ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ ^(٧٨) للصواب من القول والعمل، ويسددني للرشاد. ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ ^(٧٩) يقول: والذي يغذوني بالطعام والشراب، ويرزقني الأرزاق ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ ^(٨٠) يقول: وإذا سقم جسمي واعتل، فهو يبرئه ويعافيه.

وقال \$ في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ ^(٨١) وَالَّذِي أَطْعَمَ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ^(٨٢).

يقول: والذي يميتني إذا شاء ثم يحييني إذا أراد بعد مماتي. ﴿وَالَّذِي أَطْعَمَ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ ^(٨٢) فربي هذا الذي بيده نفعي وضري، وله القدرة والسلطان، وله الدنيا والآخرة، لا الذي لا يسمع إذا دعي، ولا ينفع

(1) وفي الحديث القدسي: «كلكم جائع إلا من أطمعته»، وفي الآية الكريمة: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُهُ وَلَا يَطْمَعُ﴾.

ولا يضر. وإنما كان هذا الكلام من إبراهيم احتجاجاً على قومه، في أنه لا تصلح الألوهة، ولا ينبغي أن تكون العبودة إلا لمن يفعل هذه الأفعال، لا لمن لا يطيق نفعاً ولا ضرراً.

وقيل: إن إبراهيم صلوات الله عليه، عني بقوله: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ (٨٢): والذي أرجو أن يغفر لي قولي: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ (٨١) [الصفات: ٨٢]، وقولي: ﴿لَنْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٢٢]، وقولي لسارة: إنها أختي.

وقال الحافظ ابن كثير \$:

يعني: لا أعبد إلا الذي يفعل هذه الأشياء، ﴿وَالَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ (٧٨) أي: هو الخالق الذي قدر قدرًا، وهدى الخلائق إليه، فكل يجري على قدر، وهو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء.

﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ (٧٩) أي: هو خالقي ورازقي، بما سخر ويسر من الأسباب السماوية والأرضية، فساق المُرْن، وأنزل الماء، وأحيا به الأرض، وأخرج به من كل الثمرات رزقًا للعباد، وأنزل الماء عذبًا زلالًا ﴿وَسَقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَنَاسِيًّا كَثِيرًا﴾ (٨٠) [الفرقان: ٢٤].

وقوله: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ (٨٠) أسند المرض إلى نفسه، وإن كان عن قدر الله وقضائه وخلقه، ولكن أضافه إلى نفسه أدبًا، كما قال تعالى أمرًا للمصلي أن يقول: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (١) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧) [الفاتحة: ٢، ٣] فأسند الإنعام إلى الله، سبحانه وتعالى، والغضب حذف فاعله أدبًا، وأسند الضلال إلى العبيد، كما قالت الجن: ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشْرَأُ رَيْدِمْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ (١٠) [الجن: ٢]؛ ولهذا قال

إبراهيم: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ (٨٠) أي: إذا وقعت في مرض فإنه لا يقدر على شفائي أحد غيره، بما يقدر من الأسباب الموصلة إليه.

﴿وَالَّذِي يُسْتَنَّى ثُمَّ يُجِيبُ﴾ (٨١) أي: هو الذي يحيي ويميت، لا يقدر على ذلك أحد سواه، فإنه هو الذي يبدئ ويعيد.

﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ (٨٢) أي: هو الذي لا يقدر على غفر الذنوب في الدنيا والآخرة، إلا هو، ومن يغفر الذنوب إلا الله، وهو الفعال لما يشاء.

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ (٧٨) أي: يرشدني إلى الدين. ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ (٧٩) أي: يرزقني ودخول ﴿هُوَ﴾ تنبيهه على أن غيره لا يطعم ولا يسقي كما تقول: زيد هو الذي فعل كذا أي لم يفعله غيره. ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ (٨٠) قال: ﴿مَرِضْتُ﴾ رعاية للأدب وإلا فالمرض والشفاء من الله ٥ جميعاً ونظيره قول فتى موسى: ﴿وَمَا أَنَسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ﴾ [الكهف: ٦٣]. ﴿وَالَّذِي يُسْتَنَّى ثُمَّ يُجِيبُ﴾ (٨١) يريد البعث وكانوا ينسبون الموت إلى الأسباب فبين أن الله هو الذي يميت ويحيي وكله بغير ياء ﴿يَهْدِينِ﴾ (٧٨) ﴿يَشْفِينِ﴾ (٨٠) لأن الحذف في رؤوس الآي حسن لتتفق كلها وقرأ ابن أبي إسحاق على جلالته ومحلّه من العربية هذه كلها بالياء لأن الياء اسم وإنما دخلت النون لعله فإن قيل: فهذه صفة لجميع الخلق فكيف جعلها إبراهيم دليلاً على هدايته ولم يهتد بها غيره؟ قيل: إنما ذكرها احتجاجاً على وجوب الطاعة لأن من أنعم وجب أن يطاع ولا يعصى ليلتزم غيره من الطاعة ما قد التزمها وهذا إلزام صحيح.

قلت (مصطفى): وقد أعرضت عن ذكر أمور أشار إليها القرطبي ناقلًا لها عن غيره ولا أرتضيها ولا أحب أن أسلك مسلكهم هذا مع كتاب الله ٥.

هذا، ثم قال القرطبي:

﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ (٨٢) ﴿أَطْمَعُ﴾ أي: أرجو وقيل: هو بمعنى اليقين في حقه وبمعنى الرجاء في حق المؤمنين سواء قرأ الحسن وابن أبي إسحاق: ﴿خطاياي﴾ وقال: ليست خطيئة واحدة قال النحاس: خطيئة بمعنى خطايا معروف في كلام العرب.

ثم قال \$:

﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾ (٨٢) يوم الجزاء حيث يجازى العباد بأعمالهم وهذا من إبراهيم إظهار للعبودية وإن كان يعلم أنه مغفور له وفي صحيح مسلم عن عائشة قلت: يا رسول الله، ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذلك نافعة؟ قال: «لا ينفعه إنه لم يقل يومًا: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين».



الثناء على الله وتمجيده وتعظيمه بين يدي الدعاء

س: يستحب للداعي أن يُقَدِّمَ دعاءه بثناءٍ على الله ٥. وضح ذلك من الآيات التي بين أيدينا ومن غيرها.

ج: إيضاحه أن إبراهيم غُ اثنى على ربِّه ٥ ومجده بقوله: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ (٧٨) ... ثم دعا بعد ذلك بقوله: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّقْ بِالصَّالِحِينَ﴾ (٨٣)، فجاء دعاؤه بعد ثنائه على الله وتمجيده له.

ولهذا شواهد كثيرة، وقد تقدم مثل هذا في تفسير قوله تعالى: ﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا﴾ [البقرة: ١٨٦]، وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (٨٣) وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ (٨٤) وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ (٨٥) وَأَغْفِرْ لِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ (٨٦) وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٧) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩)﴾.

ج: هذا دعاء إبراهيم غ بعد ثنائه على الله ه وإعلانه عن وجهته وهويته وتوحيده لربه ه وخالقه، وتبرئه من عبادة غير الله ه فدعا ربه بهذه الدعوات المباركات: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (٨٣) يا رب تفضل علي بعلم يقربني منك، بفقهِ أتعبد به وبنبوة تمنُّ بها عليَّ وألحقني بمن أنعمت من الأنبياء والرسل وأهل الإيمان والفضل والصلاح، ألحقني بهم يا رب وأدخلني مدخلهم وأنزلني منازلهم، واجعل لي يا رب ثناءً حسنًا على السنة الذين يأتون من بعدي، ومُنَّ عليَّ آخرتي بأن تجعلني من ورثة جنة النعيم، الذين يرثونها بدلًا عن أهل الكفر الذين تركوها بسىِّ أعمالهم وحرموها بشركهم وضلالهم. واغفر يا رب لأبي فقد كان من الذين أخطأوا الطريق طريق التوحيد وسلك طريق أهل الشرك والزيغ والضلال، فاغفر له يا رب. وكان هذا من إبراهيم غ قبل أن يعلم أن أباه عدوُّ الله ثم إنه غ تراجع بعد هذا الدعاء، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أَسْتَغْفَرُ ابْرَاهِيمَ لَأِيَّهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ ابْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ (١١٤) **[التوبة: ١١٤].**

ثم سأل إبراهيم غ ربه قائلاً: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ (٨٧) لا تفضحني على

رؤوس الأشهاد يوم القيامة ولا تعذبني، فالعذاب خزي عظيم، لا تخزني يوم القيامة يوم لا ينفع صاحب المال ماله ولا صاحب الولد ولده لكن السالم الآمن من العذاب من أتى الله يوم القيامة بقلب سليم من الشرك بالله.

وكذا سليم القلب من الأغلال والأحقاد لأهل الإيمان، فصاحبه يرتفع درجات.

وهذه أقول بعض أهل العلم في الآية الكريمة.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره مخبراً عن مسألة خليله إبراهيم إياه: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا﴾ يقول: رب هب لي نبوة. ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ يقول: واجعلني رسولاً إلى خلقك، حتى تلحقني بذلك بعدد من أرسلته من رسلك إلى خلقك، وانتمنته على وحيك، واصطفيته لنفسك. وقوله: ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ يقول: واجعل لي في الناس ذكراً جميلاً وثناء حسناً، باقياً فيمن يجيء من القرون بعدي.

وأورد الطبري بسندٍ - فيه مقال، لكن معناه جيد - عن عكرمة قوله:

﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ قوله: ﴿وَأَيَّتَهُ أَجْرُهُ فِي الدُّنْيَا﴾ [العنكبوت: ٢٧]. قال: إن الله فضله بالخلعة حين اتخذه خليلاً فسأل الله فقال: ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ حتى لا تكذبني الأمم، فأعطاه الله ذلك، فإن اليهود آمنت بموسى، وكفرت بعبسى، وإن النصارى آمنت بعبسى، وكفرت بمحمد ﷺ، وكلهم يتولى إبراهيم؛ قالت اليهود: هو خليل الله وهو منا، فقطع الله ولايتهم منه بعد ما أقروا له بالنبوة وآمنوا به، فقال: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ

يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَتْ خَافِيًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٧﴾ ﴿آل عمران: ٤٧﴾ ثم ألحق ولايته بكم فقال: ﴿إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿آل عمران: ٦٨﴾ فهذا أجره الذي عجل له، وهي الحسنة، إذ يقول: ﴿وَمَا آتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ ﴿النحل: ١٢٧﴾ وهو اللسان الصدق الذي سأل ربه.

وبإسنادٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ ﴿٨٤﴾ قال: اللسان الصدق: الذكر الصدق، والثناء الصالح، والذكر الصالح في الآخرين من الناس، من الأمم.

وقال الطبري \$ في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَجْعَلْ لِي مِنْ وَرَثَةٍ جَنَّةَ النَّعِيمِ﴾ ﴿٨٥﴾ وَأَعْفِرْ لِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الصَّالِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾

يعني إبراهيم صلوات الله عليه بقوله: ﴿وَأَجْعَلْ لِي مِنْ وَرَثَةٍ جَنَّةَ النَّعِيمِ﴾ ﴿٨٥﴾ أورتني يا رب من منازل من هلك من أعدائك المشركين بك من الجنة، وأسكني ذلك. ﴿وَأَعْفِرْ لِي﴾ يقول: واصفح لأبي عن شركه بك، ولا تعاقبه عليه ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الصَّالِينَ﴾ ﴿٨٦﴾ يقول: إنه كان ممن ضل عن سبيل الهدى، فكفر بك.

وقوله: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ ﴿٨٧﴾ يقول: ولا تذلني بعقابك إياي يوم تبعث عبادك من قبورهم لموقف القيامة. ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ ﴿٨٨﴾ يقول: لا تخزني يوم لا ينفع من كفر بك وعصاك في الدنيا مال كان له في الدنيا، ولا بنوه الذين كانوا له فيها، فيدفع ذلك عنه عقاب الله إذا عاقبه، ولا ينجيهِ منه.

وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (٨٦) يقول: ولا تخزني يوم يبعثون، يوم لا ينفع إلا القلب السليم.

والذي عني به من سلامة القلب في هذا الموضع: هو سلامة القلب من الشك في توحيد الله، والبعث بعد الممات.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن عون قال: قلت لمحمد: ما القلب السليم؟ قال: أن يعلم أن الله حق وأن الساعة قائمة وأن الله يبعث من في القبور. وأورد عدة آثار مفادها أن القلب السليم هو السليم من الشرك.

وقال ابن كثير \$:

وقوله: ﴿وَأَغْفِرْ لَأَيِّئِنَّهُ كَانَ مِنَ الصَّالِينَ﴾ (٨٦) كقوله: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، وهذا مما رجَّع عنه إبراهيم، غ، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانِ اسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ (١١٤) [التوبة: ١١٤]. وقد قطع تعالى الإلحاق في استغفاره لأبيه، فقال: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِ إِنَّا نُبِرُّكُمْ وَإِنَّا نَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرًا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الأنفال: ١٢٤].

وقوله: ﴿وَلَا تُخْزِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ (٨٧) أي: أجرني من الخزي يوم القيامة ويوم يبعث الخلائق أولهم وآخرهم.

وأورد ابن كثير ما أخرجه البخاري (1) من حديث أبي هريرة ؓ عن رسول الله ﷺ قال: «إن إبراهيم رأى أباه يوم القيامة عليه الغبرة والفترة».

(1) البخاري (4768).

وفي رواية: «يلقى إبراهيم أباه فيقول: يا رب إنك وعدتني أنك لا تخزيني يوم يبعثون. فيقول الله: إني حرمت الجنة على الكافرين». هكذا رواه عند هذه الآية.

وفي أحاديث الأنبياء بهذا الإسناد بعينه منفردًا به، ولفظه: «يلقى إبراهيم أباه أزر يوم القيامة، وعلى وجه أزر قترّة وغبرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك: لا تعصني؟ فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك. فيقول إبراهيم: يا رب، إنك وعدتني ألا تخزيني يوم يبعثون، فأني خزي أخزي من أبي الأبعد؟ فيقول الله تعالى: إني حرمت الجنة على الكافرين. ثم يُقال: يا إبراهيم، ما تحت رجلِك؟ فينظر فإذا هو بذيخ متلخ، فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار».

قال ابن كثير: والذخ: هو الذكر من الضباع، كأنه حول أزر إلى صورة ذخ متلخ بعذرتة فيلقى في النار كذلك.

قال ابن كثير: وقوله: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ (٨٨) أي: لا يقي المرء من عذاب الله ماله ولو افتدى بملء الأرض ذهبًا: ﴿وَلَا بَنُونَ﴾ (٨٨) ولو افتدى بمن في الأرض جميعًا، ولا ينفع يومئذ إلا الإيمان بالله، وإخلاص الدين له، والتبري من الشرك؛ ولهذا قال: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (٨٩) أي: سالم من الدنس والشرك.

وأورد أقوالاً في القلب السليم، منها الشرك كما قدمنا، ويلتحق به النفاق وألحق البعض به البدعة.



ندم أهل الكفر يوم القيامة

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿وَأَزَلَّتِ الْجَنَّةُ لِلْمُنْفِقِينَ ٩٠﴾ وَبُرِزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ٩١ وَقِيلَ لَهُمْ أَتَيْنَ مَا كُنْتُمْ
تَعْبُدُونَ ٩٢ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْصِرُونَ ٩٣ فَكُذِّبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ
٩٤ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ٩٥ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ٩٦ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي
ضَلَالٍ مُبِينٍ ٩٧ إِذْ نُسَوِّكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٩٨ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ٩٩
فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ١٠١ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
١٠٢ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ١٠٣ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْغَزِيرُ الرَّحِيمُ
١٠٤﴾

[الشعراء: 90-104]

س: **وضح معنى ما يلي:**

﴿وَأُزْلِفَتْ - وَبُرُزَتْ - لِلْغَاوِينَ - فَكَبَّكُوا - يَخْنَصِمُونَ - تَأَلَّه - حَمِيم - كَرَّة﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿وَأُزْلِفَتْ﴾	قُرِّبَتْ - أُذْنِيَتْ
﴿وَبُرُزَتْ﴾	أُظْهِرَتْ وَكُشِفَ عَنْهَا
﴿لِلْغَاوِينَ﴾	لِلْغَوَاةِ الَّذِينَ أَغْوَا بَنِي آدَمَ سِوَاءَ كَانُوا مِنَ الْجِنِّ أَوْ مِنَ الْإِنْسِ
﴿فَكَبَّكُوا﴾	أَلْقَوْا عَلَى بَعْضِهِمُ الْبَعْضَ - رُمِيَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ - دُهِرُوا
﴿يَخْنَصِمُونَ﴾	يَخَاصِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَيَجَادِلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا
﴿تَأَلَّه﴾	تَتَلَا عَنِ اللَّهِ
﴿حَمِيم﴾	قَرِيبٌ - شَدِيدُ الصَّدَاقَةِ - كَانَ فِي الدُّنْيَا يَحْمِي مِنْ أَجْلِ أَخِيهِ وَيَغْضَبُ لَهُ
﴿كَرَّة﴾	رَجْعَةٌ إِلَى الدُّنْيَا



س: **وضح معنى الآيات السابقات من قوله تعالى:** ﴿وَأُزْلِفَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ

﴿...﴾ **إلى قوله تعالى:** ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (١٠٤).

ج: **المعنى -** والله تعالى أعلم -: وَقُرِّبَتْ الْجَنَّةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِأَهْلِهَا

الَّذِينَ اتَّقَوْا اللَّهَ ٥ فِي دُنْيَاهُمْ، وَذَلِكَ بِطَاعَتِهِمْ لَهُ فِيمَا أَمَرَهُمْ بِهِ وَاجْتِنَابِهِمْ

ما نهاهم الله عنه، وبخشيتهم له في السر والعلن وأظهرت النار (الجحيم) لأهلها قبل أن يدخلوها وكشف لهم عنها، كشف عن النار لهؤلاء الغواة الذين أضلوا العباد وتسببوا في كفرهم وقيل لهؤلاء الذين هم أهل النار: أين آلهتكم التي كنتم تعبدونها من دون الله في دنياكم؟ أين هذه الأصنام والأوثان وعموم الآلهة التي عبدتموها مع الله؟! أين هي الآن هل تستطيع هذه الآلهة أن تنصركم الآن؟! بل هل تستطيع هذه الآلهة أن تنتصر لأهلها فضلاً عن نصرتها لغيرها؟! كلا بل قد تبرأ كل معبود ممن عبدوه، وتخلي كلٌّ عن الآخر، فهناك كبكبوا فيها، أي طرحوا على وجوههم في النار بعضهم فوق بعض هم ومن أغوهم وتسببوا لهم في الضلال ومعهم جنود إبليس كلهم، هؤلاء الجنود الذين كانوا في الدنيا يصدون الناس عن الإيمان وعن الخير، فاجتمع هنالك في النار بعضهم فوق بعض بإهمال وازدراء واحتقار وإهانة، اجتمعوا أهل الكفر مع آلهتهم التي عبدوها من دون الله فقالوا آنذاك -وقد دبّت بينهم الخصومات-: ﴿تَاللَّهِ﴾ أي: والله لقد كنا في الدنيا في بُعدٍ عن الحق مظهر لمن تأمله أننا في ضلال، لقد كنا في ضلالٍ واضح عندما كنا نعبد آلهة مع الله ونسويكم يا من عبدناهم في الدنيا ويا من اتخذناهم آلهة، نسويكم بالله ٥، فنعبدكم كما نعبد ونطيعكم فيما دعوتمونا إليه من الضلال كما يطيع أهل الطاعة ربهم فيما يدعوهم إليه من الخير والحق والإيمان ﴿وَمَا أَضَلَّنَا﴾ وما صرفنا عن الحق إلى الباطل إلا أهل الإجمام، فما نحن قد اجتمعنا في النار ولم نجد شفعاء يشفعوا لنا لا آلهة ولا بشر ولا ملائكة ولا أي شافع يشفع، فقد قال تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمٍّ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ (١٨)

[غافر: ٢٤].

كذا، وليس لنا هاهنا اليوم صديق ينفعنا، ذلكم الصديق القريب، قريب الصداقة وقريب النسب الذي كان في الدنيا ينتصر لنا ويغضب لغضبنا فما رأيناه اليوم، لقد تخلص هو الآخر عنا فلو أن لنا رجعة إلى الحياة الدنيا حتى نؤمن ونصدق ونتبع رسل الله الكرام. ولكن هيهات هيهات، إن في ذلك المتقدم ذكره لدلالات على وحدانية الله ﷻ وقدرته، ولكن الأكثرون عن تلك الدلالات معرضون لا يؤمنون ولا يصدقون، ولا يتعظون ولا يعتبرون، وإن ربك هو العزيز الغالب الذي لا يمنع من شيء يريد، ﴿الرَّحِيمُ ١٠٤﴾ بعباده إذ أرسل إليهم رسلاً تبين لهم طريق الحق وطريق الصواب، رحيم بالعباد؛ إذ دلهم على وحدانيته وأرشدهم لها، رحيم بأهل الإيمان إذ يدخلهم فسيح الجنان، والله أعلم.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ١٠١﴾ وأدْنيت الجنة وقربت للمتقين، الذين اتقوا عقاب الله في الآخرة بطاعتهم إياه في الدنيا ﴿وَبُرَزَتْ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ١١١﴾ يقول: وأظهرت النار للذين غووا فضلوا عن سواء السبيل. ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ١١٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿مِنَ الْأَنْدَادِ ١١٣﴾ هَلْ يَصُرُونَكُمْ ﴿يَوْمَ مِنَ اللَّهِ﴾ فينقذونكم من عذابه ﴿أَوْ يَنْصُرُونَ ١١٣﴾ لأنفسهم، فينجونها مما يراد بها؟

وقوله: ﴿فَكَبَّوْا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ١١٤﴾ يقول: فرمى ببعضهم في الجحيم على بعض، وطرح بعضهم على بعض منكبين على وجوههم. وأصل كبكبوا:

كَبِوْا، وَلَكِن الْكَاف كُرِّرَتْ كَمَا قِيلَ: ﴿بَرِيحٌ صَرْصَرٌ﴾ [الحاقة: ٢] يعني به صر، ونهْهَنِي ينهْهَنِي، يعني به: نهْهَنِي.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا﴾ قال: طرحوا فيها.

قال الطبري \$:

فتأويل الكلام: فكُكِبَ هؤلاء الأنداد التي كانت تعبد من دون الله في الجحيم والغاوون.

وذكر عن قتادة أنه كان يقول: الغاوون في هذا الموضع: الشياطين.
فتأويل الكلام على هذا القول الذي ذكرنا عن قتادة: فكُكِبَ فيها الكفار الذين كانوا يعبدون من دون الله الأصنام والشياطين.

وقوله: ﴿وَجُنُودٌ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾ (١٥) يقول: وكُكِبَ فيها مع الأنداد والغاوين جنود إبليس أجمعون. وجنوده: كل من كان من أتباعه، من ذريته كان أو من ذرية آدم.

وقال \$ في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ (١٦) تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (١٧) إِذْ دُسَّوْا لَكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨).

يقول تعالى ذكره: قال هؤلاء الغاوون والأنداد التي كانوا يعبدونها من دون الله وجنود إبليس، وهم في الجحيم يختصمون: ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (١٧) يقول: تالله لقد كنا في زهاب عن الحق، إن كنا لفي ضلال مبين، يبين زهابنا ذلك عنه عن نفسه، لمن تأمله وتدبره، أنه ضلال وباطل.
وقوله: ﴿إِذْ دُسَّوْا لَكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٨) يقول الغاوون للذين يعبدونهم من دون الله: تالله إن كنا لفي زهاب عن الحق حين نعدلكم برب العالمين فنعبدكم

من دونه.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصْلَنَا إِلَّا الْمَجْرُمُونَ﴾ (١١) ﴿فَمَالَنَا مِنْ شَفْعِينَ﴾ (١٢) ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ (١٣) ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٤).

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل هؤلاء الغاوين في الجحيم: ﴿وَمَا أَصْلَنَا إِلَّا الْمَجْرُمُونَ﴾ (١١) يعني بالمجرمين: إبليس، وابن آدم الذي سنّ القتل.

وقال:

وقوله: ﴿فَمَالَنَا مِنْ شَفْعِينَ﴾ (١٢) يقول: فليس لنا شافع فيشفع لنا عند الله من الأبعاد، فيعفو عنا، وينجيننا من عقابه. ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ (١٣) من الأقارب. واختلف أهل التأويل في الذين عنوا بالشافعين، وبالصديق الحميم، فقال بعضهم: عني بالشافعين: الملائكة، وبالصديق الحميم: النسيب.

وقال آخرون: كل هؤلاء من بني آدم.

وقوله: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٤) يقول: فلو أن لنا رجعة إلى الدنيا فنؤمن بالله فنكون بإيماننا به من المؤمنين.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٣) ﴿وَلِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (١٤).

يقول تعالى ذكره: إن فيما احتج به إبراهيم على قومه من الحجج التي ذكرنا له لدلالة بيينة واضحة لمن اعتبر، على أن سنة الله في خلقه الذين يستنون بسنة قوم إبراهيم من عبادة الأصنام والآلهة، ويقتدون بهم في ذلك ما سن فيهم في الدار الآخرة، من كبكبتهم وما عبدوا من دونه مع جنود إبليس في الجحيم، وما كان أكثرهم في سابق علمه مؤمنين. وإن ربك يا محمد لهو الشديد الانتقام ممن عبد دونه، ثم لم يتب من كفره حتى

هلك، الرحيم بمن تاب منهم أن يعاقبه على ما كان سلف منه قبل توبته من إثم وجرم.

وقال ابن كثير \$:

﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ﴾ أي: قربت الجنة وأدريت من أهلها يوم القيامة مزخرفة مزينة لناظرها، وهم المتقون الذين رغبوا فيها، وعملوا لها في الدنيا. ﴿وَبُرُزَّتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ (١١) أي: أظهرت وكُشف عنها، وبدأت منها عُقُ، فزفرت زفرة بلغت منها القلوب إلى الحناجر، وقيل لأهلها تقريباً وتوبيخاً: ﴿إِنَّ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ (١٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْصُرُونَ﴾ (١٣) أي: ليست الآلهة التي عبدتموها من دون الله، من تلك الأصنام والأنداد تغني عنكم اليوم شيئاً، ولا تدفع عن أنفسها؛ فإنكم وإياها اليوم حصَبُ جهنم أنتم لها واردون.

وقوله: ﴿فَكَبُورُ فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾ (١٤) قال مجاهد: يعني: فذهوروا فيها.

وقال غيره: كذبوا فيها. والكاف مكررة، كما يقال: صرصر. والمراد: أنه ألقى بعضهم على بعض، من الكفار وقادتهم الذين دعواهم إلى الشرك.

﴿وَجُنُودٌ أَلْبَسَ أَجْعُونَ﴾ (١٥) أي: ألقوا فيها عن آخرهم.

﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ (١٦) تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (١٧) إِذْ سُوِّيَكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٨) أي: يقول الضعفاء للذين استكبروا: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ بَعَا فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ﴾ (١٩) [غافر: ٤٧]. ويقولون وقد عادوا على أنفسهم بالملامة: ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٢٠) إِذْ سُوِّيَكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢١) أي: نجعل أمركم مطاعاً كما يطاع أمر رب العالمين، وعبدناكم مع رب العالمين.

﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾ (١٩) أي: ما دعانا إلى ذلك إلا المجرمون.
 ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ (٢٠) قال بعضهم: يعني من الملائكة، كما يقولون:
 ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [الأعراف: ٢٥]. وكذا
 قالوا: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ (٢٠) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ أي: قريب.
قال قتادة: يعلمون - والله - أن الصديق إذا كان صالحًا نفع، وأن
 الحميم إذا كان صالحًا شفع.

﴿فَلَوْ أَنَّ لِلنَّاسِ فِكْرًا مِمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ (١٠٢) وذلك أنهم يطمنون أنهم يردُّون إلى الدار
 الدنيا، ليعملوا بطاعة ربهم - فيما يزعمون - وهو - سبحانه وتعالى - يعلم
 أنه لو ردهم إلى الدار الدنيا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون. وقد أخبر
 تعالى عن تخاصم أهل النار في سورة «ص»، ثم قال: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ
 أَهْلِ النَّارِ﴾ (٦٤) [ص: ٤٤].

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٠٣) أي: إن في محاجة
 إبراهيم لقومه وإقامته الحجج عليهم في التوحيد آية ودلالة واضحة جليلة
 على أنه لا إله إلا الله ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٠٣) وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾.
وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٩٠) أي: قربت وأدْنيت ليدخلوها وقال
 الزجاج: قرب دخولهم إياها. ﴿وَوُيِّرَتْ﴾ (٩١) أي: أظهرت ﴿الْجَحِيمُ﴾ يعني جهنم
 ﴿لِلْغَاوِينَ﴾ (٩١) أي: الكافرين الذين ضلوا عن الهدى أي: تظهر جهنم لأهلها
 قبل أن يدخلوها حتى يستشعروا الروع والحزن كما يستشعر أهل الجنة
 الفرح لعلمهم أنهم يدخلون الجنة. ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَتَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُعْبَدُونَ﴾ (٩٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿مَنْ
 الْأَصْنَامُ وَالْأَنْدَادُ﴾ (٩٣) هَلْ يَصْرُونَكُمْ ﴿مَنْ عَذَابُ اللَّهِ﴾ (٩٤) أَوْ يَنْصَرُونَ ﴿٩٥﴾ لأنفسهم وهذا

كله توبّخ. ﴿فَكَبِّكُوا فِيهَا﴾ أي: قلبوا على رؤوسهم وقيل: دهوروا وألقي بعضهم على بعض.

وقال \$:

﴿وَالْغَاوُونَ﴾ (٩٤) الآلهة. ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ﴾ من كان من ذريته وقيل: كل من دعاه إلى عبادة الأصنام فاتبعه. وقال قتادة والكلبي ومقاتل: ﴿وَالْغَاوُونَ﴾ هم الشياطين وقيل: إنما تلقى الأصنام في النار وهي حديد ونحاس ليعذب بها غيرهم. ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ (٩٦) يعني: الإنس والشياطين والغاوين والمعبودين اختصموا حينئذٍ. ﴿تَاللَّهِ﴾ حلفوا بالله ﴿إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٩٧) أي: في خسارة وتبّار وحيرة عن الحق بينة؛ إذ اتخذنا مع الله آلهة فعبدناها كما يعبد وهذا معنى قوله: ﴿إِذْ نُسَوِّكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٩٨) أي: في العبادة وأنتم لا تستطيعون الآن نصرنا ولا نصر أنفسكم. ﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْأَلْمُجُرِّمُونَ﴾ (٩٩) يعني الشياطين الذين زينوا لنا عبادة الأصنام وقيل: أسلافنا الذين قلدناهم قال أبو العالية وعكرمة: ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾ (١٠٠) إبليس وابن آدم القتاتل هما أول من سن الكفر والقتل وأنواع المعاصي. ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ (١٠٠) أي: شفعاء يشفعون لنا من الملائكة والنبيين والمؤمنين. ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ (١٠١) أي: صديق مشفق.

وقال:

ويجوز أن يريد بالصدّيق الجمع والحميم القريب أو الخاص ومنه حامة الرجل أي: أقرباؤه وأصل هذا من الحميم وهو الماء الحار ومنه الحمام والحمى فحامة الرجل: الذين يحرقهم ما أحرقه يقال: وهم حزّانته أي: يحزنهم ما يحزنه ويقال: حم الشيء وأحم إذا قرب ومنه الحمى؛ لأنها تقرب من الأجل. وقال علي بن عيسى: إنما سمي القريب حميمًا

لأنه يحمى لغضب صاحبه فجعله مأخوذاً من الحمية وقال قتادة: يذهب
الله ﷻ يوم القيامة مودة الصديق ورقة الحميم.



شيء من قصة نوح غ

قال الله تعالى:

﴿كَذَبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ۝١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۝١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٠٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۝١١٠﴾ ﴿ قَالُوا أَنْتَ مِنْ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ۝١١١﴾ قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝١١٢﴾ إِنْ حَسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ۝١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ۝١١٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝١١٥﴾ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَنُوحَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ۝١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ۝١١٧﴾ فَأَفْنَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝١١٨﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ۝١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ۝١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ۝١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝١٢٢﴾﴾ [الشعراء: 105-

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿نَنفَقُونَ﴾ - آمِنٌ - أَتُؤْمِنُ لَكَ - الْأَرْذَلُونَ - إِنْ حَسَابُهُمْ - الْمَرْجُومِينَ - فَأَفْنَحَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ
فَتَحًا - أَلْفَلْكَ الْمَشْحُونِ - الْبَاقِينَ ۞

ج:

الكلمة	معناها
﴿نَنفَقُونَ﴾	ألا تجعلون بينكم وبين عذاب الله وقاية، وذلك بتوحيدهم لله وعبادتك إياه وحده لا شريك له وطاعته فيما أمر واجتناب ما نهاكم عنه وتصديق ما أخبركم
﴿آمِنٌ﴾	ذو أمانة؛ أبلغ الذي كلفت به دون زيادة أو نقص
﴿أَتُؤْمِنُ لَكَ﴾	أنصدقك ونتبعك
﴿الْأَرْذَلُونَ﴾	الضعفاء - الفقراء - الوضعاء الذين ليس معهم مال وليسوا من ذوي الجاه والمنصب
﴿إِنْ حَسَابُهُمْ﴾	ما حسابهم
﴿الْمَرْجُومِينَ﴾	المقتولين رجماً بالحجارة وقيل: المشتومين المقذوفين بسيئ الألفاظ
﴿فَأَفْنَحَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحًا﴾	فأقضي بيني وبينهم قضاء
﴿أَلْفَلْكَ الْمَشْحُونِ﴾	السفينة العظيمة الهائلة الممتلئة
﴿الْبَاقِينَ﴾	الباقيين في العذاب مع الغرقى والهلكى

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ نُّوحَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٠٥) **إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا نُنْفِقُونَ** (١٠٦) **إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ** (١٠٧) **فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا** (١٠٨) **وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ** (١٠٩) **فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا** (١١٠) **﴿**

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - **: كذبت قوم نوح نبيهم نوحًا ﷺ فيما دعاهم إليه من تقوى الله ٥ وطاعته وعبادته وحده لا شريك له.**

أما قوله: ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ نُّوحَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٠٥) **﴿** وقد أرسل إليهم نوح فقط، فحاصل توجيهه أن من كذب رسولاً فقد كذب الرسل كلهم، ذلك لأن دعوة المرسلين- عليهم صلوات الله وسلامه- دعوة واحدة فالمكذب لواحدٍ مكذبٌ للجميع.

أما قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا نُنْفِقُونَ﴾ (١٠٦) **﴿** **إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ** (١٠٧) **﴿** فحاصل القول فيه أنهم كذبوه لما قال لهم ذلك، لما قال لهم: ألا تجعلوا بينكم وبين عذاب الله وقايةً بتوحيدكم واتباعكم أمر ربكم وترككم ما نهاكم عنه، فإنني لكم رسول أمين على الوحي أبلغكم إياه كما أمرني ربي بلا زيادة ولا نقصان، فاجعلوا بينكم وبين عذاب الله وقاية، وأطيعوا فيما أمركم به وما أسألكم على تبليغي الوحي إليكم أجراً، وكذا ما أسألكم على إيمانكم إن آمنتم أجراً إن أجري إلا على رب العالمين، فاتقوا الله فقد علمتم صدقي وأطيعوا فيما أنقله لكم عن الله ٥.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ نُّوحَ﴾ رسل الله الذين أرسلهم إليهم لما ﴿قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا نُنْفِقُونَ﴾ (١٠٦) **﴿** الله فتحذروا عقابه على كفركم به، وتكذيبكم رسله. **﴿** **إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ** من الله (١٠٧) **﴿** على وحيه إلي، برسالته إياي إليكم.

ويقول تعالى ذكره: فاتقوا عقاب الله أيها القوم على كفركم به، وأطيعوني في نصيحتي لكم، وأمرني إياكم باتقائه. ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ يقول: وما أطلب منكم على نصيحتي لكم وأمرني إياكم باتقاء عقاب الله بطاعته فيما أمركم ونهاكم، من ثواب ولا جزاء ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٠٩﴾ دونكم ودون جميع خلق الله، فاتقوا عقاب الله على كفركم به، وخافوا حلول سخطه بكم على تكذيبكم رسله، وأطيعون، يقول: وأطيعوني في نصيحتي لكم، وأمرني إياكم بإخلاص العبادة لخالقكم.

وقال ابن كثير \$:

هذا إخبار من الله ٥ عن عبده ورسوله نوح غ وهو أول رسول بُعث إلى الأرض بعدما عبدت الأصنام والأنداد، بعثه الله ناهياً عن ذلك، ومحذراً من وبيل عقابه، فكذبه قومه واستمروا على ما هم عليه من الأفعال الخبيثة في عبادتهم أصنامهم، ويتنزل تكذيبهم له بمنزلة تكذيب جميع الرسل؛ ولهذا قال: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُّ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ أي: ألا تخافون الله في عبادتكم غيره؟

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ ﴿١٠٧﴾ أي: إني رسول من الله إليكم، أمين فيما بعثني به، أبلغكم رسالة الله لا أزيد فيها ولا أنقص منها.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ﴿١٠٩﴾ أي: لا أطلب منكم جزاء على نصحي لكم، بل أدخر ثواب ذلك عند الله ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ ﴿١١٠﴾ فقد وضح لكم وبان صدقي ونصحي وأمانتي فيما بعثني به وأتضمنني عليه.

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿١٠٥﴾ قال: ﴿كَذَّبَتْ﴾ والقوم مذكر لأن المعنى كذبت جماعة قوم نوح وقال: ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿١٠٥﴾ لأن من كذب رسولا

فقد كذب الرسل لأن كل رسول يأمر بتصديق جميع الرسل وقيل: كذبوا نوحًا في النبوة وفيما أخبرهم به من مجيء المرسلين بعده وقيل: ذكر الجنس والمراد نوح **غ** وقد مضى هذا في (الفرقان) ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُّ أَخُوهُمْ نُوحٌ﴾ أي: ابن أبيهم وهي أخوة نسب لا أخوة دين وقيل: هي أخوة المجانسة قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ﴾ [إبراهيم: ٦]. وقيل: هو من قول العرب يا أخا بني تميم يريدون يا واحدًا منهم الزمخشري ومنه بيت الحماسة:

لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا

﴿الْأَنْتَقُونَ﴾ (١٠٦) ﴿أي: ألا تتقون الله في عبادة الأصنام.﴾ (إِنْ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾) أي: صادق فيما أبلغكم عن الله تعالى وقيل: (أمين) فيما بينكم فإنهم كانوا عرفوا أمانته وصدقه من قبل كمحمد ﷺ في قریش. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي: فاستتروا بطاعة الله تعالى من عقابه ﴿وَاطِيعُونَ﴾ (١٠٨) ﴿فيما أمركم به من الإيمان.﴾ ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ أي لا طمع لي في مالكم ﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾ أي ما جزائي ﴿إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٠٩) ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاطِيعُونَ﴾ (١١٠) ﴿كرر تأكيدًا.﴾



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَنْزِلْ لَكَ وَاتَّبِعَكَ الْأَرْدَلُونَ﴾ (١١١) قَالَ وَمَا

عَلَيْهِ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١١٢) إِنْ حَسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ (١١٣) وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١١٤) إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (١١٥) .

ج: المعنى - والله أعلم - قال قوم نوح لنوح **غ** لما دعاهم إلى توحيد الله **هـ** وتقواه وطاعته أجابوه بقولهم: أنؤمن لك واتبعك الأرذلون أي: أنهم قالوا: كيف نتبعك وإنما أتباعك هم الفقراء الضعفاء والوضعاء فينا، ليس معك كبير أحد من ذوي المناصب والوجاهات والأموال، أفنجالسك

فنعذ من هؤلاء؟!

فقال حينئذ: وما علمي بما كانوا يعملون، ما أمرت أن أفتش عن قلوبهم ولا أن أكون رقيباً عليهم إنما أقبل منهم ما ظهر من إيمان، أما حسابهم فهو على الله هـ هو الذي يعلم سرهم وعلاانيتهم، أما إذا طالبتموني بطردهم فما أنا بطاردهم، وما أنا بمبتعد عنهم فما أنا إلا نذير للخلق، أحذر من عصي وأشرك وأنذره وأبين له عاقبة أمره إن هو مات على الشرك، وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري \$:

تعالى ذكره: قال قوم نوح له مجيبيه عن قيله لهم: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (١٠٧) فَأَتَقُوا اللَّهَ وَاطِيعُونَ ﴿١٠٨﴾ قالوا: أنؤمن لك يا نوح، ونقر بتصديقك فيما تدعونا إليه، وإنما اتبعك منا الأرذلون دون ذوي الشرف وأهل البيوتات؟! ﴿قَالَ وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١١٢) قال نوح لقومه: وما علمي بما كان أتباعي يعملون؟! إنما لي منهم ظاهر أمرهم دون باطنه، ولم أكلف علم باطنهم، وإنما كلفت الظاهر، فمن أظهر حسناً ظننت به حسناً، ومن أظهر سيئاً ظننت به سيئاً. يقول: إن حساب باطن أمرهم الذي خفي عني إلا على ربي لو تشعرون، فإنه يعلم سر أمرهم وعلايته.

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل نوح لقومه: وما أنا بطارد من آمن بالله واتبعني على التصديق بما جئت به من عند الله. ﴿إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (١١٥) يقول: ما أنا إلا نذير لكم من عند ربكم أنذركم بأسه، وسطوته على كفركم به. مبين: يقول: نذير قد أبان لكم إنذاره، ولم يكتمم نصيحته.

وقال ابن كثير \$:

يقولون: أنؤمن لك ونتبعك، ونتساوى في ذلك بهؤلاء الأراذل الذين

اتبعوك وصدقوك، وهم أراذلنا؟! ولهذا قالوا: ﴿أَتُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ (١١٣) قَالَ وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٤﴾؟ أي: وأي شيء يلزمني من اتباع هؤلاء لي، ولو كانوا على أي شيء كانوا عليه لا يلزمني التنقيب عنه والبحث والفحص، إنما عليّ أن أقبل منهم تصديقهم إياي، وأكل سرائرهم إلى الله. هـ.

﴿إِنْ حَسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ (١١٣) وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾، كأنهم سألوا منه أن يبعدهم عنه ليتابعوه، فأبى عليهم ذلك، وقال: ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١١٤) إِنْ أَنَا إِلَّا أَنْذِرُ مُبِينٌ ﴿١١٥﴾؟ أي: إنما بعثت نذيرًا، فمن أطاعني واتبعني وصدقني كان مني وكنت منه، سواء كان شريفًا أو وضيعًا، أو جليلًا أو حقيرًا.

قال السعدي \$ في (تيسير الكريم الرحمن):

﴿أَتُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ (١١٣) أي: كيف نتبعك ونحن لا نرى أتباعك إلا أسافل الناس، وأراذلهم، وسقطهم؟ بهذا يعرف تكبرهم عن الحق، وجهلهم بالحقائق، فإنهم لو كان قصدهم الحق، لقالوا - إن كان عندهم إشكال وشك في دعوته -: بين لنا صحة ما جئت به بالطرق الموصلة إلى ذلك، ولو تأملوا حق التأمل، لعلموا أن أتباعه، هم الأعلون، خيار الخلق، أهل العقول الرزينة، والأخلاق الفاضلة، وأن الأرذل، من سلب خاصية عقله، فاستحسن عبادة الأحجار، ورضي أن يسجد لها، ويدعوها، وأبى الانقياد لدعوة الرسل الكمل. وبمجرد ما يتكلم أحد الخصمين في الكلام الباطل، يعرف فساد ما عنده بقطع النظر عن صحة دعوى خصمه، فقوم نوح، لما سمعنا عنهم، أنهم قالوا في ردهم دعوة نوح: ﴿أَتُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ (١١٣) فبنوا على هذا الأصل، الذي كل أحد

يعرف فساد، رد دعوته - عرفنا أنهم ضالون مخطئون، ولو لم نشاهد من آيات نوح ودعوته العظيمة، ما يفيد الجزم واليقين، بصدقه وصحة ما جاء به.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْتَه يَنْتُوح لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴾ (١١٦)
قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذِبُونَ ﴿١١٧﴾ فَأَفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنْجِنَهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَلَكَ الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ ۞

ج: المعنى - والله أعلم - أن قوم نوح **غ** ازداد تكذيبهم له وعنادهم له فقالوا: لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين، قيل: من المرجومين بالحجارة المقتولين، وقيل: المرجومين بالسباب والقذف والشتيم، فعندها اعتصم بالله وازداد اعتصامه فقال: رب إن قومي كذبون فاقض بيني وبينهم يا رب قضاءً تنتصر فيه من الظالم وتأخذ للمظلوم حقه ونجني يا رب ومن آمنوا معي واحفظنا من شرور هؤلاء فأنجاه الله **ه** وأنجى من معه وهم المؤمنون به في السفينة العظيمة التي أمر نوح **غ** بصناعتها، تلك السفينة العظيمة التي أمر نوح **غ** أن يحمل فيها من كل زوجين اثنين وأهله إلا من سبق عليه القول منهم وهم زوجته وولده، فالفلك المشحون هو المملوء الموقر، فحمل **غ** فيه وأنجاه الله ومن معه ثم أغرق الباقين في الكفر والضلال، إن في ذلك لدلالة على قدرة الله **ه** ووحدانيته، ودلالة على أن الله **ه** يُنجي أهل الإيمان، وإن ربك لهو العزيز الذي لا يغلب ولا يردُّ له، أمر الرحيم الذي يرحم عباده برهم وفاجرهم أما

رحمته في الآخرة فهي خاصة بأهل الإيمان، والله أعلم.

قال الطبري \$:

﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَنْتُحَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ (١١٦) يقول: قال لنوح قومه: لئن لم تنته يا نوح عما تقول، وتدعو إليه، وتعيب به آلهتنا، لتكونن من المشتومين، يقول: لنشتمنك.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾ (١١٧) فَأَفْنَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١١٨) فَأُنَجِّنَهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ (١١٩) ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ (١٢٠).

يقول تعالى ذكره: قال نوح: ﴿رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾ (١١٧) فيما أتيتهم به من الحق من عندك، وردوا علي نصيحتي لهم. ﴿فَأَفْنَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحًا﴾ يقول: فاحكم بيني وبينهم حكمًا من عندك تهلك به المبطل، وتنتقم به ممن كفر بك وجدد توحيدك، وكذب رسولك.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿فَأَفْنَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحًا﴾ قال يقول: اقض بيني وبينهم.

قال الطبري \$:

﴿وَنَجِّنِي﴾ يقول: ونجني من ذلك العذاب الذي تأتي به حكمًا بيني وبينهم. ﴿وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول: والذين معي من أهل الإيمان بك والتصديق لي.

وقوله: ﴿فَأُنَجِّنَهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ﴾ (١١٩) يقول: فأنجينا نوحًا ومن معه من المؤمنين -حين فتحنا بينهم وبين قومهم، وأنزلنا بأسنا بالقوم الكافرين- في الفلك المشحون: يعني في السفينة الموقرة المملوءة.

وقوله: ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ﴾ (١٢٠) من قومه الذين كذبوه، وردوا عليه النصيحة.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٢١) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾.

يقول تعالى ذكره: إن فيما فعلنا يا محمد بنوح ومن معه من المؤمنين في الفلك المشحون، حين أنزلنا بأسنا وسطوتنا، بقومه الذين كذبوه، آية لك ولقومك المصدقك منهم والمكذبيك، في أن سنتنا تنجية رسلنا وأتباعهم، إذا نزلت نعمتنا بالمكذبين بهم من قومهم، وإهلاك المكذبين بالله، وكذلك سنتي فيك وفي قومك. ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٢١) يقول: ولم يكن أكثر قومك بالذين يصدقونك مما سبق في قضاء الله أنهم لن يؤمنوا. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في انتقامه ممن كفر به، وخالف أمره ﴿الرَّحِيمُ﴾ (١٢٢) بالتائب منهم، أن يعاقبه بعد توبته.

قال ابن كثير \$:

لما طال مقام نبي الله بين أظهرهم يدعوه إلى الله ليلاً ونهاراً، وجهراً وإسراراً، وكلما كرر عليهم الدعوة صمموا على الكفر الغليظ، والامتناع الشديد، وقالوا في الآخر: ﴿لَنْ لَمْ تَنْتَهُ﴾ أي: عن دعوتك إيانا إلى دينك يا نوح ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ أي: لنرجمنك. فعند ذلك دعا عليهم دعوة استجاب الله منه فقال: ﴿رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾ (١٢٧) فَأَفْنَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، كما قال في الآية الأخرى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾ (١٠) فَفَنَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢) وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ (١٣) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ (١٤) ﴿[القمر: ١٤]

وقال هاهنا: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَلَكَ الْمَشْحُونِ﴾ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾. والمشحون: هو المملوء بالأمّعة والأزواج التي حمل فيه من كل زوجين اثنين، أي: نجيناها ومن معه كلهم، وأغرقنا مَنْ كذبه وخالف أمره كلهم، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾.

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَيْنَ لَمَّا تَنَزَّهَتْ يَنْتُحُ﴾ أي: عن سبِّ آلهتنا وعيب ديننا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ ﴿١٢١﴾ أي: بالحجارة قاله قتادة وقال ابن عباس ومقاتل: من المقتولين. قال الثمالي: كل مرجومين في القرآن فهو القتل إلا في مريم: ﴿لَيْنَ لَمَّا تَنَزَّهَتْ لَأَرْجَمَنَّكَ﴾ [مريم: ٢٤] أي: لأسبئك وقيل: ﴿مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ ﴿١٢١﴾ من المشتومين قاله السدي ومنه قول أبي دؤاد: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾ ﴿١٢٧﴾ فَأَفْنَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٨﴾ قال ذلك لما يؤس من إيمانهم والفتح: الحكم وقد تقدم. ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَلَكَ الْمَشْحُونِ﴾ ﴿١١٩﴾ يريد السفينة وقد مضى ذكرها والمشحون: المملوء والشحن: ملء السفينة بالناس والدواب وغيرهم ولم يؤنث الفلك هاهنا لأن الفلك هاهنا واحد لا جمع. ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ﴾ ﴿١٢٠﴾ أي: بعد إنجاننا نوحًا ومن آمن. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾.



ذِكْرُ نَبِيِّ اللَّهِ هُودٍ غ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿كَذَبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ ۚ (١٢٣) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا نُنْقُونَ (١٢٤) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٢٥) فَانْقُوا لِلَّهِ وَأَطِيعُوا (١٢٦) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢٧) أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (١٢٨) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (١٢٩) وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (١٣٠) فَانْقُوا لِلَّهِ وَأَطِيعُوا (١٣١) وَانْقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ (١٣٢) أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَمِ وَبَيْنَ (١٣٣) وَحَنَّتِ وَعُيُونٍ (١٣٤) إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣٥) قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أُوْعِظَتْ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ (١٣٦) إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ (١٣٧) وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ (١٣٨) فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۚ﴾ [الشعراء: 123-140].

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿رَبِيعَ﴾ - ﴿ءَايَةَ﴾ - ﴿تَعَبُّونَ﴾ - ﴿مَصَانِعَ﴾ - ﴿تَخْلُدُونَ﴾ - ﴿بَطَشْتُمْ﴾ - ﴿بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ - ﴿بِأَنْعَمِ﴾ - ﴿أَوْعَظْتَ﴾ - ﴿خُلِقَ الْأَوَّلِينَ﴾.

ج:

معناها	الكلمة
الربيع المكان المُشرف المرتفع وقيل: المراد به الطريق، وقيل: الطريق بين الجبلين	﴿رَبِيعَ﴾
بنيانًا عظيمًا كدليلٍ تستدلون به على قوتكم	﴿ءَايَةَ﴾
تلعبون - تصنعون ما لا فائدة فيه	﴿تَعَبُّونَ﴾
قصور مشيدة - أبراج - حصون - وقيل: مأخذ المياه	﴿مَصَانِعَ﴾
تعيشون لا تموتون - تَخْلُدُونَ في الدنيا	﴿تَخْلُدُونَ﴾
ضربتم - أذيتم	﴿بَطَشْتُمْ﴾
ضربتم بقوة بالسيف، قتلتم بلا هوادة ولا رحمة من غير سبب أو لأتفه سببٍ	﴿بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾
بإبل، وقيل: بالأنعام الثمانية والجمال والناقة والثور والبقرة والكبش والنعجة، والجدي والعنز	﴿بِأَنْعَمِ﴾
أذكرت وحذرت	﴿أَوْعَظْتَ﴾
دين الأولين وعادتهم وشأنهم، وقيل: المراد: أساطير الأولين	﴿خُلِقَ الْأَوَّلِينَ﴾



س: كيف قيل: ﴿كَذَّبَ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٢٣) ﴿وَإِنَّمَا أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ نَبِي اللَّهِ هُودٌ غَٰثٌ

فقط؟

ج: الحاصل - والله أعلم - أن عادًا لما كذبوا رسولهم هود فقد كذبوا المرسلين جميعًا ذلك لأن الذي أرسل به هودٌ غَٰثٌ من الدعوة إلى توحيد الله ٥ وعبادته وطاعته وتقواه هو الذي أرسلت به الرسل كلها فمكذبٌ لواحد منهم إنما هو مكذبٌ لجميعهم. والله أعلم.



س: كيف الجمع بين قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ (١٢٤) ومعلوم أن قوم هود الذين هم (عاد) كفار؟

ج: لأهل العلم في ذلك أجوبة ذكرت ضمناً في قصة نوحٍ غَٰثٍ المتقدمة، وحاصلها:

أنه قيل إنها أخوةٌ في النسب.

وقيل: إنها بمعنى واحدٍ منهم كما يقال: يا أخا العرب، يا أخا تميم، ونحو ذلك، فالله أعلم.



س: وضع المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿كَذَّبَ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٢٣) إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) إِنِّي لَكُمُ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٢٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١٢٦) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢٧)﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - أن قبيلة عاد، تلك القبيلة التي أتاها الله قوةً عظيمة كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَرُبُّكَ يُعَادٍ﴾ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨)﴾ [الفجر: ٦-٨]، هذه القبيلة العاتية الظالمة كذبت رسول

الله إليها، وهو نبي الله هود **غ** لما دعاهم إلى توحيد ربه وتقواه وطاعته قائلاً لهم ﴿الَّا نُنْفِقُونَ﴾ (١٢٤) ﴿أَلَا تَجْعَلُونَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ عَذَابِ اللَّهِ وَقَايَةً بِطَاعَتِكُمْ لَهُ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ عَلَى الْوَحْيِ الَّذِي أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، أُبَلِّغُكُمْ إِيَّاهُ دُونَ زِيَادَةٍ أَوْ نَقْصَانٍ، فَاتَّقُوا اللَّهَ فِيمَا أَمَرْتَكُمْ بِهِ فَقَدْ عَلِمْتُمْ صَدَقِي، وَأَطِيعُونِي وَلَا تَعْصُونِي وَمَا أَسَأَلُكُمْ عَلَى إِيْمَانِكُمْ وَلَا عَلَى دَعْوَتِكُمْ إِلَى الْإِيْمَانِ أَجْرًا، إِنَّمَا أَطْلُبُ الْأَجْرَ مِنَ اللَّهِ **ه** وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، هُوَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ كُلِّ شَيْءٍ.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: ﴿كَذَبَتْ عَادٌ﴾ رسل الله إليهم. ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَّا نُنْفِقُونَ﴾ عقاب الله على كفركم به. ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ﴾ من ربي يأمركم بطاعته، ويحذركم على كفركم بأسه، ﴿أَمِينٌ﴾ (١٢٥) على وحيه ورسالته. ﴿فَاقْنُوا اللَّهَ﴾ بطاعته والانتفاء إلى ما يأمركم وينهاكم ﴿وَأَطِيعُوا﴾ (١٢٦) فيما أمركم به من اتقاء الله وتحذيركم سطوته. ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ يقول: وما أطلب منكم على أمري إياكم باتقاء الله جزاء ولا ثواباً. ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٢٧) يقول: ما جزائي وثوابي على نصيحتي إياكم إلا على رب العالمين.

وقال ابن كثير \$:

وهذا إخبار من الله تعالى عن عبده ورسوله هود، **غ**، أنه دعا قومه عاداً، وكانوا قومًا يسكنون الأحقاف، وهي: جبال الرمل قريئاً من بلاد حضرموت متاخمة لبلاد اليمن، وكان زمانهم بعد قوم نوح، كما قال في «سورة الأعراف»: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً﴾ [الأعراف: ٦٦] وذلك أنهم كانوا في غاية من قوة التركيب، والقوة

والبطش الشديد، والطول المديد، والأرزاق الدارة، والأموال والجنات والعيون، والأبناء والزروع والثمار، وكانوا مع ذلك يعبدون غير الله معه، فبعث الله إليهم رجلاً منهم رسولاً وبشيراً ونذيراً، فدعاهم إلى الله وحده، وحذرهم نعمته وعذابه في مخالفته، فقال لهم كما قال نوح لقومه، إلى أن قال: ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَابَةً تَعْبَثُونَ ﴾ (١٢٨).



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَابَةً تَعْبَثُونَ ﴾ (١٢٨) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (١٢٩) وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ (١٣٠) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١٣١) وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ (١٣٢) أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَمِ وَبَيْنَ (١٣٣) وَجَنَّتِ وَعُيُونِ (١٣٤) إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣٥).

ج: هذا خطاب نبي الله هود **ع** مع قومه، قال لهم: أتبنون بكل مكانٍ مرتفع، وبكل مكانٍ مرتفع، وبكل طريق بنياناً عظيماً هائلاً تستدلون به على قوتكم وجبروتكم عبثاً بلا فائدة، تبنونهم فقط لإظهار قوتكم ولا حاجة لكم فيه، إنما تضيعون أوقاتكم وتهلكون أبدانكم، وتبددون أموالكم فيما لا فائدة لكم فيه، وكذا تبنون المصانع التي هي القصور الشاهقة والبروج المشيدة والتي هي مأخذ المياه، تفعلون ذلك كي تخلصوا في الدنيا لا تموتون، أو تصنعون ذلك كأنكم ستعيشون أبد الدهر لا تموتون، وإذا أنزلتم عقوبة بشخصٍ بطشتم به بلا رحمة ولا هوادة بسببٍ أو لغير سبب، بل بطشتم بالعباد ظلماً وقهراً بكل قوتكم وبكل أنواع البطش، وأعظمه القتل بالسيف فاتقوا الله بامتنال ما أمركم وانتهوا عما نهاكم واجعلوا بينكم وبين عذابه وقاية وأطيعوني فقد علمتم صدقي، ثم عاود

التذكير بتقوى الله وبيان نعمه عليهم إذ قال: واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون من صنوف النعم والقوة في البدن وغير ذلك، فقد أمدكم بأنعام، وهي الأنعام الثمانية (الإبل والبقر والغنم والماعز) من كل زوجين، وقد تطلق الأنعام على الإبل خاصة.

وكذا فإنه سبحانه وتعالى أمدكم ببنين فرزقكم الذرية وأمدكم بحدائق وبساتين وعيون للمياه تشربون منها وتسقون، إنني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم وهو يوم القيامة.
وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هود لقومه: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَبْنُونَ﴾ (١٢٨) والريع: كل مكان مشرف من الأرض مرتفع، أو طريق أو واد.

وقال: وقوله: ﴿تَبْنُونَ﴾ (١٢٨) قال: تلعبون.

وقال \$: قوله: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾ اختلف أهل التأويل في معنى المصانع، فقال بعضهم: هي قصور مشيدة.

وقال آخرون: هي أبرجة الحمام.

وقال آخرون: بل هي مأخذ الماء.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن المصانع جمع مصنعة، والعرب تسمي كل بناء مصنعة، وجائز أن يكون ذلك البناء كان قصورا وحصونا مشيدة، وجائز أن يكون كان مأخذ للماء، ولا خبر يقطع العذر بأي ذلك كان، ولا هو مما يدرك من جهة العقل. فالصواب أن يقال فيه، ما قال الله: إنهم كانوا يتخذون مصانع.

وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ (١١٩) يقول: كأنكم تخلدون، فتبقون في الأرض.

وقال \$:

وقوله: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ (١٢٠) يقول: وإذا سطوتم سطوتم قتلاً

بالسيوف، وضرباً بالسياط.

وقال \$:

في تأويل قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ (١٢١) ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ (١٢٢)

﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَمِ وَبَيْنَ﴾ (١٢٣) ﴿وَحَنَّتِ وَعْيُونِ﴾ (١٢٤) ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (١٢٥).

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل هود لقومه من عاد: اتقوا عقاب الله

أيها القوم بطاعتكم إياه فيما أمركم ونهاكم، وانتهوا عن اللهو واللعب، وظلم الناس، وقهرهم بالغلبة والفساد في الأرض، واحذروا سخط الذي أعطاكم من عنده ما تعلمون، وأعانكم به من بين المواشي والبنين، والبساتين والأنهار. ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ﴾ من الله ﴿عَظِيمٍ﴾ (١٢٥).

وقال ابن كثير \$:

اختلف المفسرون في الريع بما حاصله: أنه المكان المرتفع عند جواد

الطرق المشهورة. تبنون هناك بناءً محكمًا باهرًا هائلًا؛ ولهذا قال: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً﴾ أي: معلمًا بناءً مشهورًا، تعبثون، وإنما تفعلون ذلك عبثًا لا للاحتياج إليه؛ بل لمجرد اللعب واللهو وإظهار القوة؛ ولهذا أنكر عليهم نبيهم غ ذلك؛ لأنه تضييع للزمان وإتعاث للأبدان في غير فائدة، واشتغال بما لا يجدي في الدنيا ولا في الآخرة.

ثم قال: ﴿وَتَخَذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ (١٢٦). قال مجاهد: المصانع:

البروج المشيدة، والبنيان المخلد. وفي رواية عنه: بروج الحمام.

وقال قتادة: هي مأخذ الماء. قال قتادة: وقرأ بعض القراء: (وتتخذون مصانع كأنكم خالدون).

وفي القراءة المشهورة: ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ (١٢٩) أي: لكي تقيموا فيها أبدًا، وليس ذلك بحاصل لكم، بل زائل عنكم، كما زال عن كان قبلكم.

وقال:

وقوله: ﴿وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ وصفهم بالقوة والغلبة والجبروت.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ (١٣١) أي: اعبدوا ربكم، وأطيعوا رسولكم.

ثم شرع يذكرهم نعم الله عليهم فقال: ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ (١٣٢) أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَمِ وَبَيْنَ (١٣٣) وَجَنَّتِ وَعُيُونِ (١٣٤) إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أي: إن كذبتكم وخالفتم، فدعاهم إلى الله بالترغيب والترهيب، فما نفع فيهم.

وأورد \$ أثرًا عزاه لابن أبي حاتم فقال: وقال ابن أبي حاتم \$: حدثنا أبي، حدثنا الحكم بن موسى، حدثنا الوليد، حدثنا ابن عجلان، حدثني عَوْْنُ بن عبد الله بن عتبة، أن أبا الدرداء \$ لما رأى ما أحدث المسلمون في العُوطَة من البنيان ونصب الشجر، قام في مسجدهم فنادى: يا أهل دمشق! فاجتمعوا إليه، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ألا تستحيون! ألا تستحيون! تجمعون ما لا تأكلون، وتبنون ما لا تسكنون، وتأملون ما لا تدركون، إنه كانت قبلكم قرون، يجمعون فيوعون، ويبنون فيوثقون، ويأملون فيطيلون، فأصبح أملهم غرورًا، وأصبح جمعهم بورًا، وأصبحت مساكنهم قبورًا، ألا إن عادًا ملكت ما بين عدن وعلان خيالًا وركابًا، فمن يشتري مني ميراث عاد بدرهمين؟

وقال القرطبي \$:

﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ أي: كي تخلدوا وقيل: لعل استفهام بمعنى التوبيخ أي: فهل (تخلدون) كقولك: لعلك تشتمني أي: هل تشتمني وروي معناه عن ابن زيد وقال الفراء: كيما تخلدون لا تتفكرون في الموت وقال ابن عباس وقتادة: كأنكم خالدون باقون فيها.

وقال \$:

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ البطش: السطوة والأخذ بالعنف وقد بطش به يبطش ويطش بطشاً وباطشه مباطشة وقال ابن عباس ومجاهد: البطش: العسف قتلاً بالسيف وضرباً بالسوط ومعنى ذلك: فعلتم ذلك ظلماً وقال مجاهد أيضاً: هو ضرب بالسياط ورواه مالك بن أنس عن نافع عن ابن عمر فيما ذكر ابن العربي وقيل: هو القتل بالسيف في غير حق حكاه يحيى بن سلام وقال الكلبي والحسن: هو القتل على الغضب من غير تثبيت وكله يرجع إلى قول ابن عباس وقيل: إنه المؤاخذه على العمد والخطأ من غير عفو ولا إبقاء. قال ابن العربي: ويؤيد ما قال مالك قول الله تعالى عن موسى: ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمْوَسَّىٰ أَرِيدُ أَنْ نَبْتَلِيكَ كَمَا فَنَنْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تَرْيَدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص: ١٧] وذلك أن موسى غ لم يسئل عليه سيفاً ولا طعنه برمح وإنما وكزه وكانت منيته في وكزته والبطش يكون باليد وأقله الوكز والدفع ويليه السوط والعصا ويليه الحديد والكل مذموم إلا بحق والآية نزلت خبراً عن تقدم من الأمم وو عظماً من الله ٥ لنا في مجانبته ذلك الفعل الذي ذمهم به وأنكره عليهم.



س: في قوله تعالى: ﴿...خُلِقَ الْأَوَّلِينَ﴾ قراءتان وضحهما مع بيان معنيهما.

ج: القراءتان هي ﴿خُلِقَ﴾ بضم الخاء واللام والثانية: ﴿خُلِقَ﴾.

أما معنى خُلِقَ الأولين فمعناها لأهل العلم فيه أقوال:

أحدها: دين الأولين وعادتهم وأخلاقهم، أي: أن هذا الذي نحن عليه دين آبائنا وأخلاق آبائنا ولن نتركه.

والثاني: خلق الأولين، ومعناه: اختلاق الأولين وكذب الأولين وأساطير الأولين أي: هذا الذي تدعوننا إليه إنما هو أساطير الأولين.

قال الطبري \$:

وقوله: ﴿إِنَّ هَذَا إِلاَّ خُلِقَ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٣٧) اختلفت القراء في قراءة ذلك؛ فقرأته عامة قراء المدينة سوى أبي جعفر، وعامة قراء الكوفة المتأخرين منهم: ﴿إِنَّ هَذَا إِلاَّ خُلِقَ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٣٧) من قبلنا: وقرأ ذلك أبو جعفر، وأبو عمرو ابن العلاء: «إِنَّ هَذَا إِلاَّ خُلِقَ الْأَوَّلِينَ» بفتح الخاء وتسكين اللام بمعنى: ما هذا الذي جئنا به إلا كذب الأولين وأحاديثهم؟

وقال \$:

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، نحو اختلاف القراء في قراءته، فقال بعضهم: معناه: ما هذا إلا دين الأولين وعادتهم وأخلاقهم.

وأورد الطبري بإسناد صحيح عن ابن مسعود: ﴿إِنَّ هَذَا إِلاَّ خُلِقَ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٣٧) يقول: إن هذا إلا اختلاق الأولين.

وبإسناد صحيح عنه: أنه كان يقرأ: ﴿إِنَّ هَذَا إِلاَّ خُلِقَ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٣٧) ويقول: شيء اختلقوه.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٣٧) قال: إن هذا إلا أمر الأولين وأساطير الأولين اكتتبها فهي تُملى عليه بكرة وأصيلاً.

قال الطبري \$:

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب: قراءة من قرأ: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٣٧) بضم الخاء واللام، بمعنى: إن هذا إلا عادة الأولين ودينهم، كما قال ابن عباس؛ لأنهم إنما عوتبوا على البنيان الذي كانوا يتخذونه، وبطشهم بالناس بطش الجابرة، وقلة شكرهم ربهم فيما أنعم عليهم، فأجابوا نبيهم بأنهم يفعلون ما يفعلون من ذلك، احتذاء منهم سنة من قبلهم من الأمم، واقتفاء منهم آثارهم، فقالوا: ما هذا الذي فعله إلا خلق الأولين، يعنون بالخلق: عادة الأولين. ويزيد ذلك ببياناً وتصحيحاً لما اخترنا من القراءة والتأويل، قولهم: ﴿وَمَا تَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ لأنهم لو كانوا لا يقرؤون بأن لهم رباً يقدر على تعذيبهم، ما قالوا: ﴿وَمَا تَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ بل كانوا يقولون: إن هذا الذي جئتنا به يا هود إلا خلق الأولين، وما لنا من معذب يعذبنا، ولكنهم كانوا مقرين بالصانع، ويعبدون الآلهة، على نحو ما كان مشركو العرب يعبدونها، ويقولون: إنها تقربنا إلى الله زلفى، فلذلك قالوا لهود وهم منكرون نبوته: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾ ثم قالوا له: ما هذا الذي فعله إلا عادة من قبلنا وأخلاقهم، وما الله معذبنا عليه. كما أخبرنا تعالى ذكره عن الأمم الخالية قبلنا، أنهم كانوا يقولون لرسولهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا

ءَابَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ ءَاتِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ (٢٣) **[الزخرف: ٢٣].**

﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: دينهم؛ عن ابن عباس وغيره وقال الفراء:

عادة الأولين وقرأ ابن كثير و أبو عمرو و الكسائي: ﴿خُلِقَ الْأَوَّلِينَ﴾
الباقون ﴿خُلِقُ﴾ قال الهروي: وقوله ٥: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلِقَ الْأَوَّلِينَ﴾ أي:
اختلاقهم وكذبهم ومن قرأ: ﴿خُلِقَ الْأَوَّلِينَ﴾ فمعناه عادتهم والعرب تقول:
حدثنا فلان بأحاديث الخلق أي بالخلافات والأحاديث المفتعلة وقال ابن
الأعرابي: الخلق: الدين والخلق: الطبع. والخلق: الروءة. قال النحاس:
﴿خُلِقَ الْأَوَّلِينَ﴾ عند الفراء يعني عادة الأولين وحكى لنا محمد بن الوليد عن
محمد بن يزيد قال: ﴿خُلِقَ الْأَوَّلِينَ﴾ مذهبهم وما جرى عليه أمرهم. قال أبو
جعفر: والقولان متقاربان ومنه الحديث عن النبي ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ
إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا» أي: أحسنهم مذهبًا وعادة وما يجري عليه الأمر في
طاعة الله ٥ ولا يجوز أن يكون من كان حسن الخلق فاجرًا فاضلاً ولا
أن يكون أكمل إيمانًا من السيئ الخلق الذي ليس بفاجر. قال أبو جعفر:
حكى لنا عن محمد بن زيد أن معنى ﴿خُلِقَ الْأَوَّلِينَ﴾ تكذيبهم وتخرصهم
غير أنه كان يميل إلى القراءة الأولى لأن فيها مدح آبائهم وأكثر ما جاء
القرآن في صفتهم مدحهم لأبائهم وقولهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف:
١٣] وعن أبي قلابة: أنه قرأ: ﴿خُلِقُ﴾ بضم الخاء وإسكان اللام تخفيف
﴿خُلِقُ﴾ ورواها ابن جبير عن أصحاب نافع عن نافع وقد قيل: إن معنى
﴿خُلِقَ الْأَوَّلِينَ﴾: دين الأولين ومنه قوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ [النساء:
١٣] أي: دين الله و ﴿خُلِقَ الْأَوَّلِينَ﴾ عادة الأولين: حياة ثم موت ولا بعث
وقيل: ما هذا الذي أنكرت علينا من البنيان والبطش إلا عادة من قبلنا
فنحن نفتدي بهم.



س: **وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾ (١٣٦) إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾**

ج: هذا جواب قوم عاد لنبيهم هود **ع** بعد أن وعظهم وذكرهم وحذرهم، وأمرهم بطاعة الله **هـ**، قالوا له: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾ أحذرتنا وذكرتنا أم لم تكن من المذكرين الواعظين، كل ذلك يستوي عندنا فلن نؤمن لك ولن نصدقك فما هذا الذي نحن عليه إلا دين الأولين وعادة آبائنا الأقدمين، وقد ماتوا عليه وما أصابهم شيء فلن نعذب، فإنهم لم يعذبوا، وهكذا تمادى بهم تكذيبهم فأهلكناهم إن في ذلك لدلالة على وحدانيتنا وقدرتنا وما كان أكثر هؤلاء بعد وعظهم بمؤمنين، بل استمروا على كفرهم ولم يُجد فيهم وعظ الواعظين، وإن ربك لهو العزيز في انتقامه فإذا أراد أن ينتقم فلا راد لعذابه، وهو كذلك الرحيم بعباده فلم يعاجلهم بالعقوبة بل أنذرهم وحذرهم، ثم هو رحيم بأهل الإيمان في الدنيا والآخرة.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال ابن كثير \$:

يقول تعالى مخبراً عن جواب قوم هود له، بعدما حذرهم وأنذرهم، وَرَغَّبَهُمْ وَرَهَبَهُمْ، وَبَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقَّ وَوَضَحَهُ: ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾ أي: لا نرجع عما نحن فيه، ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ٦٦] وهكذا الأمر؛ فإن الله تعالى قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦٦] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ

حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿١٧﴾

[يونس: ١٧، ١٨]

وقولهم: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾: قرأ بعضهم: (إن هذا إلا خلق) بفتح الخاء وتسكين اللام.

قال ابن مسعود، والعوفي عن عبد الله بن عباس، وعلقمة، ومجاهد: يعنون ما هذا الذي جئتنا به إلا أخلاق الأولين. كما قال المشركون من قريش: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أَكْتَتَبَهَا فِي تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿١٧﴾ **[الفرقان: ٢١]**، وقال: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ ﴿١٨﴾ **[الفرقان: ٢٢، ٢٣]**، وقال: ﴿وَلَا ذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنْزِلَ رَبُّكُمْ قَالَُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ **[النحل: ٢٤]**.

وقرأ آخرون: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ -بضم الخاء واللام- يعنون: دينهم وما هم عليه من الأمر هو دين الأوائل من الآباء والأجداد. ونحن تابعون لهم، سالكون وراءهم، نعيش كما عاشوا، ونموت كما ماتوا، ولا بعث ولا معاد؛ ولهذا قالوا: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾.

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ يقول: دين الأولين. وقاله عكرمة، وعطاء الخراساني، وقتادة، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، واختاره ابن جرير.

قال الله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾ أي: فاستمروا على تكذيب نبي الله هود ومخالفته وعناده، فأهلكهم الله، وقد بيّن سبب إهلاكه إياهم في غير موضع من القرآن بأنه أرسل عليهم ريحًا صرصرًا عاتية، أي: ريحًا شديدة الهبوب ذات برد شديد جدًّا، فكان إهلاكهم من جنسهم، فإنهم كانوا

أعنى شيء وأجبره، فسلط الله عليهم ما هو أعتى منهم وأشد قوة، كما قال: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ [الفجر: ٦، ٧] وهم عاد الأولى، كما قال: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ﴿٨﴾ [النجم: ٨]، وهم من نسل إرم بن سام بن نوح. ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ أي: الذين كانوا يسكنون العمدة. ومن زعم أن «إرم» مدينة، فإنما أخذ ذلك من الإسرائيليات من كلام كعب ووهب، وليس لذلك أصل أصيل. ولهذا قال: ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبَلَدِ ﴿٩﴾ [الفجر: ٩]، أي: لم يخلق مثل هذه القبيلة في قوتهم وشدتهم وجبروتهم، ولو كان المراد بذلك مدينة لقال: التي لم يبن مثلها في البلاد، وقال: ﴿فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [فصلت: ٦١].

وقد قَدَّمْنَا أن الله تعالى لم يرسل عليهم من الريح إلا بمقدار أنف الثور، عتت على الخزنة، بإذن الله لها في ذلك، وسلكت وحصبت بلادهم، فحصبت كل شيء لهم، كما قال تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا أَسَنُكُهُمْ ﴿٦١﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴿٦٢﴾ [الحاقة: ٦١، ٦٢]، أي: كاملة ﴿فَفَزَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَازٌ نَحْلٌ خَاوِيَةٌ ﴿٦٣﴾ [الحاقة: ٦٣]، أي: بقوا أبدانًا بلا رؤوس؛ وذلك أن الريح كانت تأتي الرجل منهم فتقتلعه وترفعه في الهواء، ثم تنكسه على أم رأسه فتشده دماغه، وتكسر رأسه، وتلقيه، كأنهم أعجاز نخل منقعر. وقد كانوا تحصنوا في الجبال والكهوف والمغارات، وحفروا لهم في الأرض إلى أنصافهم، فلم يغن عنهم ذلك من أمر الله شيئاً، ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ ﴿٦٤﴾ [نوح: ٦٤]؛ ولهذا قال: ﴿فَكَذَّبُوهُ

فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٣٩﴾

وقال الطبري \$:

في تأويل قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٣٩﴾

يقول تعالى ذكره: فكذبت عاد رسول ربهم هودًا، والهاء في قوله: ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ من ذكر هود. ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾ يقول: فأهلكنا عادًا بتكذيبهم رسولنا. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ يقول تعالى ذكره: إن في إهلاكنا عادًا بتكذيبها رسولها، لعبرة وموعظة لقومك يا محمد، المكذبيك فيما أتيتهم به من عند ربك. ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٣٨﴾ يقول: وما كان أكثر من أهلكنا بالذين يؤمنون في سابق علم الله.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ﴾ في انتقامه من أعدائه، ﴿الرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين به.



شيء من قصة صالح غ

قال الله تعالى:

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ صَالِحٌ ﴿١٤٢﴾ أَلا تَتَّقُونَ ﴿١٤٣﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٤﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿١٤٥﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّهُ بَشِيرٌ وَأَذُنٌ ﴿١٤٦﴾ فَلَمَّا كَفَتْ لَرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٧﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ﴿١٤٨﴾ فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٩﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٥٠﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٥١﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿١٥٢﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥٣﴾ الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٤﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٥﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بَآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٦﴾ قَالَ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿١٥٧﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٨﴾ فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَدِيمِينَ ﴿١٥٩﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٦٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٦١﴾﴾ [الشعراء:

[159-141].

س: وضع معنى ما يلي:

﴿طَلَعَهَا - هَضِيمٌ - وَتَنَحَّثُونَ - فَزْهَيْنَ - الْمُسْرِفِينَ - الْمُسْحَرِينَ - إِثَايَةَ - شَرِبٌ - وَلَا تَمْسُوهُا بِسُوءٍ - فَعَقَرُوها - فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾.

ج:

معناها	الكلمة
ثمرها، (الملفة على بعضها والتي تحيط بها	﴿طَلَعَهَا﴾
ناضج وطيب مستطاب يُهضم سريعاً إذا أكل	﴿هَضِيمٌ﴾
تحفرون - تنقشون	﴿وَتَنَحَّثُونَ﴾
مهرة حاذقين - متجبرين - بطرين - أشرين - متطاولين متعجبين مستكبرين	﴿فَزْهَيْنَ﴾
المتجاوزين للحد في الطغيان	﴿الْمُسْرِفِينَ﴾
المصابين بالسحر	﴿الْمُسْحَرِينَ﴾
بدليل على صدقك ونبوتك بمعجزة تشهد أنك رسول من عند الله	﴿إِثَايَةَ﴾
حظ من الشرب - قدر من الوقت تشرب فيه	﴿شَرِبٌ﴾
لا تقربوها بأذى	﴿وَلَا تَمْسُوهُا بِسُوءٍ﴾
فقتلوا - رموها بالسهم وضربوها بالسيوف	﴿فَعَقَرُوها﴾
فحل بهم العقاب	﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾



(1) قال القرطبي: والطلعة هي التي تطلع من النخل كنصل السيف في جوفه شماريخ القنور.

س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٤١) **إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ**
أَلَا تَتَّقُونَ﴾ (١٤٢) إِنْ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (١٤٣) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ (١٤٤) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ
أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٤٥).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - كذبت قبيلة ثمود جميع المرسلين، وذلك بتكذيبها بنبيها صالحًا **غ** فالذي يكذب رسولاً فقد كذب جميع الرسل، كما تقدم إذ دعوة الرسل عليهم صلوات الله وسلامه واحدة. كذبوا رسولهم إذ قال لهم: ألا تتقون ربكم بامثالكم أمره واجتنابكم نهيه، وعبادته وحده لا شريك له فإني لكم رسول من عند الله أمين على وحيه، فاتقوا الله وأطيعوا فقد علمتم صدقي في دعوتكم إليه، وما أسألكم على دعوتي لكم ولا على إيمانكم من أجر إن أجري إلا على رب العالمين.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: كَذَّبَتْ ثَمُودُ رسل الله، إذ دعاهم صالح أخوهم إلى الله، فقال لهم: ألا تتقون عقاب الله يا قوم على معصيتكم إياه، وخلافكم أمره، بطاعتكم أمر المفسدين في أرض الله. ﴿إِنْ لَكُمْ رَسُولٌ﴾ من الله أرسلني إليكم بتحذيركم عقوبته على خلافكم أمره ﴿أَمِينٌ﴾ على رسالته التي أرسلها معي إليكم. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أيها القوم، واحذروا عقابه ﴿وَأَطِيعُوا﴾ في تحذيري إياكم، وأمر ربكم باتباع طاعته. ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ يقول: وما أسألكم على نصحي إياكم، وإنذاركم من جزاء ولا ثواب. ﴿إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يقول: إن جزائي وثوابي إلا على رب جميع ما في السموات، وما في الأرض، وما بينهما من خلق.

وقال الحافظ ابن كثير \$:

وهذا إخبار من الله ه عن عبده ورسوله صالح غ: أنه بعثه إلى قوم ثمود، وكانوا عربًا يسكنون مدينة الحجر، التي بين وادي القُرى وبلاد الشام، ومساكنهم معروفة مشهورة. وقد قدمنا في «سورة الأعراف» الأحاديث المروية في مرور رسول الله ﷺ بهم حين أراد غزو الشام، فوصل إلى تبوك، ثم عاد إلى المدينة ليتأهب لذلك. وقد كانوا بعد عاد وقبل الخليل غ. فدعاهم نبيهم صالح إلى الله ه أن يعبدوه وحده لا شريك له، وأن يطيعوه فيما بلغهم من الرسالة، فأبوا عليه وكذبوه وخالفوه. فأخبرهم أنه لا يبتغي بدعوتهم أجرًا منهم، وإنما يطلب ثواب ذلك من الله ه ثم ذكرهم آلاء الله عليهم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ أَتَذْكُرُونَ فِي مَا هُمْ نَاءُ آمِنِينَ ﴾ (١٦٦) فِي جَنَّتِ وَعُيُونٍ (١٥٧) وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلَمَهَا هَٰضِمٌ (١٥٨) وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَدَرِهِينَ (١٥٩) فَأَتَقُوا اللَّهَ وَاطِيعُونَ (١٦٠) وَلَا تَطِيعُوا أَمْرَ الْمُشْرِكِينَ (١٥١) الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يَصْلِحُونَ (١٥٢) .

ج: المعنى – والله تعالى أعلم- أن صالحًا غ استمر في وعظ قومه وتذكيرهم وتحذيرهم قائلاً لهم: أظنون أنكم ستتركون في دياركم آمنين مطمئنين وأنتم مقيمين على كفركم بالله وشرككم به وظلمكم للعباد وطغيانكم وبغيكم، أظنون أنكم ستتركون هكذا في بلادكم وأنتم على هذه الحال آمنين مطمئنين تعيشون في حدائق وبساتين، وعيون ماء تجري رزقًا من الله لكم، وزروع ونخل ثمرها نضيج تأكلون رطبًا مريًا يسهل

عليكم هضمه، وأما عن مساكنكم فيها أنتم تطاولتم بغياً، ولم تنشؤوا مساكن على قدر حاجاتكم بل تطاولتم وبغيتم ونحتم من الجبال بيوتاً، وقد علمتم كيف النحت ولكن لم تشكروا الله عليه، بل تطاولتم وبغيتم واستكبرتم على خالقكم، لقد كنتم حذقةً ومهرةً في النحت ولكن صوحب ذلك بالكبر والتعالي، فلا تظنوا أن هذه المساكن التي نحتموها في الجبال ستخلدكم أو أنكم ستخلدون في دنياكم فاتقوا الله وأطيعون فقد علمتم صدقي ونصحي لكم، ولا تطيعوا أمر هؤلاء الذين تجاوزوا الحد في الظلم والطغيان وأسرفوا على أنفسهم، أكثروا عليها من المعاصي والكبائر والشرك بالله.

وبنحو ذلك قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل صالح لقومه من ثمود: أيتركم يا قوم ربكم في هذه الدنيا آمنين، لا تخافون شيئاً؟ ﴿فَجَنَّتْ وَعُيُونٌ﴾ يقول: في بساتين وعيون ماء. ﴿وَزُرُوعٌ وَخَلٌّ طَلَمَهَا هَاضِمٌ﴾ يعني بالطلع: الكُفْرَى. واختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿هَاضِمٌ﴾ فقال بعضهم: معناه اليناع النضيج.

وقال آخرون: بل هو المتهشم المتفتت.

وقال آخرون: هو الرطب اللين.

وقال آخرون: هو الراكب بعضه بعضاً.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: الهضم: هو المتكسر من

لينه ورطوبته، وذلك من قولهم: هضم فلان حقه: إذا انتقصه وتحيفه، فكذلك الهضم في الطلع، إنما هو التتقص منه من رطوبته ولينه إما بمس الأيدي، وإما بركوب بعضه بعضاً، وأصله مفعول صرف إلى فعيل.

وقوله: ﴿وَتَنَحُّونَ مِنَ الْجِبَالِ يَبُوتًا فَرِهِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: وتتخذون من الجبال بيوتاً. واختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿فَرِهِينَ﴾ فقرأته عامة قراء أهل الكوفة: ﴿فَرِهِينَ﴾ بمعنى: حاذقين بنحتها. وقراءته عامة قراء أهل المدينة والبصرة: ﴿فَرِهِينَ﴾ بغير ألف، بمعنى: أشيرين بطرين.

وأورد \$ أقوالاً في معنى فارهين، منها حاذقين، ومنها متجبرين ومنها كيسين ومنها أشيرين، ومنها أقوياء، ثم قال:

وقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ يقول تعالى ذكره: فاتقوا عقاب الله أيها القوم على معصيتكم ربكم، وخلافكم أمره، وأطيعوا في نصيحتي لكم، وإنذاري إياكم عقاب الله ترشدوا.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾ (١٥١) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (١٥٢) قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٢﴾

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل صالح لقومه من ثمود: لا تطيعوا أيها القوم أمر المسرفين على أنفسهم في تماديهم في معصية الله، واجترائهم على سخطه، وهم الرهط التسعة الذين كانوا يفسدون في الأرض، ولا يصلحون من ثمود الذين وصفهم الله جل ثناؤه بقوله: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ سَعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [النمل: ٢٤] يقول: الذين يسعون في أرض الله بمعاصيه، ولا يصلحون، يقول: ولا يصلحون أنفسهم بالعمل بطاعة الله.

وقال ابن كثير \$:

يقول لهم واعظاً لهم ومحذراً إياهم نقم الله أن تحل بهم، ومذكراً بأنعم الله عليهم فيما رزقهم من الأرزاق الدارة، وجعلهم في أمن من المحذورات. وأنبت لهم من الجنات، وأنبع لهم من العيون الجاريات، وأخرج لهم من الزروع والثمرات؛ ولهذا قال: ﴿وَوَحَلِّ طَلْعَهَا هَٰضِمٌ﴾. قال العوفي، عن ابن عباس: أينع وبلغ، فهو هضم.

وقوله: ﴿وَوَحَلِّطُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ﴾ قال ابن عباس، وغير واحد: يعني: حاذقين. وفي رواية عنه: شرهين أشرين. وهو اختيار مجاهد وجماعة. ولا منافاة بينهما؛ فإنهم كانوا يتخذون تلك البيوت المنحوتة في الجبال أشراً وبطراً وعبثاً، من غير حاجة إلى سكنائها، وكانوا حاذقين متقنين لنحتها ونقشها، كما هو المشاهد من حالهم لمن رأى منازلهم؛ ولهذا قال: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ أي: أقبلوا على عمل ما يعود نفعه عليكم في الدنيا والآخرة، من عبادة ربكم الذي خلقكم ورزقكم لتوحدوه وتعبدوه وتسبحوه بكرة وأصيلاً.

﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾ (١٥١) الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يَصْلِحُونَ يعني: رؤساءهم وكبراءهم، الدعاة لهم إلى الشرك والكفر، ومخالفة الحق.



س: من هم المسرفون الذين عناهم صالح غ بقوله: ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ

الْمُسْرِفِينَ﴾ (١٥١)؟

ج: قال بعض أهل العلم إنهم التسعة الذين ذكرهم الله بقوله: ﴿وَلَا وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يَصْلِحُونَ﴾ وقال آخرون: هم

عموم المسرفين الذي تجاوزوا الحد في الظلم والطغيان والكفر والعصيان. والله أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ (١٥٣) مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بَآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (١٥٤) قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ (١٥٥) وَلَا تَسْهَوْا يَوْمَ فِئَاخُذِكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (١٥٦) فَمَقَرُّوْهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾ (١٥٧) فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٥٨) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (١٥٩) ۞

ج: المعنى – والله تعالى أعلم- أن قوم صالح **ع** وهم قبيلة ثمود لما دعاهم إلى عبادة الله **هـ** وحده لا شريك له وأمرهم بطاعته وتقواه ردوا عليه بقولهم إنما أنت من المُسحَرين، أي من الذين أصابهم السحر فغيّر عقولهم، فلذلك قلت ما قلت، وادعيت ما ادعيت من أنك رسول الله، وقيل: إن قولهم من المُسحَرين أي: المخلوقين أمثالنا لك (سحر) وهو الرنة فأنت تمرض كما نمرض تصاب كما نصاب، وليست لك علينا مزية حتى نتبعك. فما أنت برسولٍ من عند الله إنما أنت بشرٌ مثلنا، وإن كنت تدعي الرسالة فهات الدليل على ذلك، اثنتا بآية – بعلامة- بدليل على صدقك أنك رسول من عند الله، فقال لهم: هذه ناقة الله، ناقة تخرج لكم كما طلبتم، ناقة عظيمة هائلة لبنها يكفي القبيلة بكاملها لها أن تشرب من البئر يومًا واليوم الثاني تشربوا أنتم من البئر، فلها أن تشرب في يوم ولكم أن تشربوا يومًا من البئر، كل له يوم مخصوص مُحدد فلا تقربوا هذه الناقة، التي هي من عند الله دليل على نبوتي ورسالتي، لا تقربوها بسوء ولا تلحقوا بها أذى فيصيبكم عذابٌ عظيم في دنياكم هذه فضلًا عن

الآخرة وعذابها، فهكذا نصحبهم صالحٌ غ، ولكن هل أجدى نصحه معهم؟! وهل أثرت نصيحته فيهم؟! كلا بل تماردوا في الشر والفساد والتعالي والإجرام فعقروا الناقة، قتلوها بسهامهم وسيوفهم فقد خرج لها أشد رجلٍ إجرامًا وأكثر رجل عزةً ومنعةً في قومه، وهو أشقى رجل في قبيلة ثمود، كما سيأتي في قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾ وكما قال: ﴿إِذْ أُنْبِئَتْ أَشَقُّهَا﴾.

فالحاصل: أنهم عقروا الناقة ﴿فَأَصْبَحُوا نَدِيمِينَ﴾ على عقرها لما رأوا من طلائع العذاب ومقدماته ولم ينفعهم الندم آنذاك، بل حلَّ بهم من أمر الله ما حلَّ ونزل بهم من عذاب الله ما نزل فأخذهم الله ه ورجفت بهم الأرض وجاءتهم صيحة هائلة عظيمة فدوتهم وأبادتهم وأماتتهم. إن في ذلك لدليل على قدرة الله على الانتقام من أعدائه، ودليل على إنجاء الله لعباده المؤمنين، ولكن، ومع هذا التذكير فلم تكن الذكرى تنفع الأكثرين بل أعرض الأكثرون مع رؤيتهم الآيات والمعجزات وإن ربك يا محمد لهو العزيز الذي لا يُغلب والذي لا يرد له أمر الرحيم بعباده المؤمنين، وكذا رحيم بالخلق في دنياهم ينذرهم ويحذرهم ويطعمهم ويسقيهم ويعافيههم.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

وقوله: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويله، فقال بعضهم: معناه: إنما أنت من المسحورين.
وقال آخرون: معناه: من المخلوقين.

وقال:

والصواب من القول في ذلك عندي: القول الذي ذكرته عن ابن عباس، أن معناه: إنما أنت من المخلوقين الذين يعللون بالطعام والشراب مثلنا، ولست ربًّا ولا ملكًا فنطيعك، ونعلم أنك صادق فيما تقول. والمسحر: المفعول من السحرة، وهو الذي له سحرة.

وقال \$: في تأويل قوله تعالى: ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بَيِّنَاتٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (١٥٤) قَالَ هَذِهِ نَاقَةُ هَآ شَرِبَ وَلَكُمْ شَرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (١٥٥) وَلَا تَمْسُوهُاسَوْءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل ثمود لنبيها صالح: ﴿مَا أَنْتَ﴾ يَا صَالِحُ ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ من بني آدم، تأكل ما نأكل، وتشرب ما نشرب، ولست برب ولا ملك، فعلام نتبعك؟ فإن كنت صادقًا في قيلك، وأن الله أرسلك إلينا ﴿فَأْتِ بَيِّنَاتٍ﴾ يعني: بدلالة وحجة على أنك محق فيما تقول، إن كنت ممن صدقنا في دعواه أن الله أرسله إلينا.

وقال \$:

وقوله: ﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةُ هَآ شَرِبَ وَلَكُمْ شَرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ يقول تعالى ذكره: قال صالح لثمود لما سألوهم آية يعلمون بها صدقه، فأتاهم بناقة أخرجها من صخرة أو هضبة: هذه ناقة يا قوم، لها شرب ولكم مثله شرب يوم آخر معلوم، ما لكم من الشرب، ليس لكم في يوم وردها أن تشربوا من شربها شيئًا، ولا لها أن تشرب في يومكم مما لكم شيئًا. ويعني بالشرب: الحظ والنصيب من الماء، يقول: لها حظ من الماء، ولكم مثله، والشرب والشرب والشرب مصادر كلها بالضم والفتح والكسر.

وقد حُكي عن العرب سماعًا: آخرها أقلها شربًا وشربًا.

وقوله: ﴿وَلَا تَسْوَاهُوا بَيْنَهُمَا﴾ يقول: لا تمسوها بما يؤذيها من عقر وقتل ونحو ذلك.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَدِيمِينَ﴾ (١٥٧) فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٥٨) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿

يقول تعالى ذكره: فخالفت ثمود أمر نبيها صالح عليه السلام، فعقروا الناقة التي قال لهم صالح: لا تمسوها بسوء، فأصبحوا نادمين على عقرها، فلم ينفعهم ندمهم، وأخذهم عذاب الله الذي كان صالح توعدهم به فأهلكهم. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ يقول: إن في إهلاك ثمود بما فعلت من عقرها ناقة الله وخلافها أمر نبي الله صالح لعبرة لمن اعتبر به يا محمد من قومك. ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ يقول: ولن يؤمن أكثرهم في سابق علم الله. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ في انتقامه من أعدائه ﴿الرَّحِيمُ﴾ بمن آمن به من خلقه.

وأورد ابن كثير قولين في تفسير المسحورين. أحدهما: المسحورين، والثاني (المخلوقين).

قال:

واستشهد بعضهم على هذا القول بما قال الشاعر:

فإن تسألينا: فيم نحن؟ فإننا عصافير من هذا الأنام المسحر

يعني الذين لهم سُحور، والسَّحر: هو الرُّة، والأظهر في هذا قول مجاهد وقتادة: أنهم يقولون: إنما أنت في قولك هذا مسحور لا عقل لك.

وقال ابن كثير \$:

ثم قالوا: ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ يعني: فكيف أوحى إليك دوننا؟ كما قالوا في الآية الأخرى: ﴿أَتَأْتِيَ الذِّكْرَ عَلِيمٌ يَّيْنَابِلٌ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ﴾ (٢٥) سَيَعْمُونَ عَذَابَ مِنَ الْكَذَّابِ الْأَشِرِّ ﴿الْقَمَرُ: ٢٥، ٢٦﴾.

ثم إنهم اقترحوا عليه آية يأتيهم بها، ليعلموا صدقه بما جاءهم به من ربهم فطلبوا منه -وقد اجتمع ملؤهم- أن يخرج لهم الآن من هذه الصخرة -وأشاروا إلى صخرة عندهم -ناقة عُشْرَاء من صفتها كذا وكذا. فعند ذلك أخذ عليهم نبي الله صالح العهود والمواثيق، لأن أجابهم إلى ما سألوا ليؤمنن به، وليتبعنه، فأنعموا بذلك. فقام نبي الله صالح **غ** فصلى، ثم دعا الله، **هـ**، أن يجيبهم إلى سؤالهم، فانفطرت تلك الصخرة التي أشاروا إليها عن ناقة عُشْرَاء، على الصفة التي وصفوها. فأمن بعضهم وكفر أكثرهم، ﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةُ لَهَا شَرِبٌ وَلَكُمْ شَرِبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾ يعني: ترد ماءكم يومًا، ويومًا تردونه أنتم، ﴿وَلَا تَمْسُوهُا بِسَوْءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ فحذرهم نقمة الله إن أصابوها بسوء، فمكثت الناقة بين أظهرهم حيًا من الدهر ترد الماء، وتأكل الورك والمرعى. وينتفعون بلبنها، يحتلبون منها ما يكفيهم شربًا وريًا، فلما طال عليهم الأمد وحضر شقاؤهم، تمالؤوا على قتلها وعقرها. ﴿فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَدِيمِينَ﴾ (١٥٧) فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ ﴿وهو أن أرضهم زُلزِلت زلزالًا شديدًا، وجاءتهم صيحة عظيمة اقتلعت القلوب عن محالها، وأتاهم من الأمر ما لم يكونوا يحتسبون، فأصبحوا في ديارهم جائعين، ﴿وَإِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٥٨) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: ﴿فَأْتِ بِثَابِتٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في قولك: ﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةُ لَهَا شَرِبٌ وَلَكُمْ شَرِبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾ قال ابن عباس: قالوا: إن كنت صادقًا فادع الله يخرج لنا

من هذا الجبل ناقة حمراء عشراء فتضع ونحن ننظر وترد هذا الماء فتشرب وتعدو علينا بمثله لبناً فدعا الله وفعل الله ذلك ﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةُ هَآءِ مَا شَرَبَ﴾ أي: حظ من الماء أي: لكم شرب يوم ولها شرب يوم. فكانت إذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله أول النهار وتسقيهم اللبن آخر النهار. وإذا كان يوم شربهم كان لأنفسهم ومواشيهم وأرضهم ليس لهم في يوم ورودها أن يشربوا من شربها شيئاً ولا لها أن تشرب في يومهم من مائهم شيئاً قال الفراء: الشرب الحظ من الماء.

وقال أيضاً:

﴿فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَدِيمِينَ﴾ أي: على عقرها لما أيقنوا بالعذاب وذلك أنه أنظرهم ثلاثاً فظهرت عليهم العلامة في كل يوم وندموا ولم ينفعهم الندم عند معاينة العذاب وقيل: لم ينفعهم الندم لأنهم لم يتوبوا بل طلبوا صالحاً **غ** ليقتلوه لما أيقنوا بالعذاب وقيل: كانت ندامتهم على ترك الولد إذ لم يقتلوه معها وهو بعيد ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ إلى آخره تقدم.



شيء من قصة نبي الله لوط غ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿كَذَبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ ١٦٠ ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ ١٦١ ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ ١٦٢ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ ١٦٣ ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِن أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ١٦٤ ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ ١٦٥ ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ ١٦٦ ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ ١٦٧ ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾ ١٦٨ ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ ١٦٩ ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ ١٧٠ ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾ ١٧١ ﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ﴾ ١٧٢ ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ ١٧٣ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ط وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ١٧٤ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ١٧٥ ﴿

[الشعراء: 160-175]

س: وَضِّحْ مَعْنَى مَا يَلِي:

﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ - الْعَالَمِينَ - وَقَدْ رُؤِنَ - عَادُونَ - الْمُخْرَجِينَ - الْقَالِينَ - عَجُوزًا - الْغَيْرِينَ -
وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا - فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ﴾.

ج:

معناها	الكلمة
أتجامعون الرجال في أدبارهم	﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ﴾
البشر	﴿الْعَالَمِينَ﴾
تتركون	﴿وَقَدْ رُؤِنَ﴾
معتدون - متجاوزون للحد	﴿عَادُونَ﴾
المطرودين من البلاد	﴿الْمُخْرَجِينَ﴾
المبغضين المنكرين الكارهين الرافضين	﴿الْقَالِينَ﴾
امرأة كبيرة السن	﴿عَجُوزًا﴾
الباقيين في العذاب	﴿الْغَيْرِينَ﴾
المراد هنا أرسلنا عليهم حجارة	﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا ^ط ﴾
بنس المطر، ذلك المطر الذي أمطره الله على الذين أنذرتهم رسلهم فكذبوا رسلهم	﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ﴾



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿كَذَبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٦٠) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿١٦٣﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - كذبت قوم لوط جميع المرسلين بتكذيبهم نبي الله لوطاً غ، فمن كذب رسولاً فقد كذب جميع المرسلين، وذلك لأن دعوة المرسلين واحدة، كذبوا لوطاً إذ أمرهم بتقوى الله ه، ولقد قال لهم مُذَكِّراً إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ أَمِينٌ عَلَى الْوَحْيِ أَبْلَغُكُمْ مَا أُرْسَلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ دُونَ زِيَادَةٍ أَوْ نَقْصَانٍ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ صِدْقِي فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا فِيمَا أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَى دَعْوَتِي لَكُمْ أَجْراً فَمَا أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ هُوَ الَّذِي أَطْلُبُ مِنْهُ الْأَجْرَ وَأَبْتَغِي مِنْهُ الثَّوَابَ.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: ﴿كَذَبَتْ قَوْمُ لُوطٍ﴾ من أرسله الله إليهم من الرسل حين ﴿قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ الله أيها القوم. ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ﴾ من ربكم ﴿أَمِينٌ﴾ على وحيه، وتبليغ رسالته. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في أنفسكم، أن يحل بكم عقابه على تكذيبكم رسوله ﴿وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ فيما دعوتكم إليه أهدكم سبيل الرشاد. ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ يقول: وما أسألكم على نصيحتي لكم ودعايتكم إلى ربي جزاءً ولا ثواباً. يقول: ما جزائي على دعايتكم إلى الله، وعلى نصحي لكم وتبليغ رسالات الله إليكم، إلا على رب العالمين.

وقال الحافظ ابن كثير \$:

يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله لوط غ وهو: لوط بن هاران بن أزر، وهو ابن أخي إبراهيم الخليل، وكان الله تعالى قد بعثه إلى أمة

عظيمة في حياة إبراهيم، وكانوا يسكنون «سدم» وأعمالها التي أهلكها الله بها، وجعل مكانها بحيرة منتنة خبيثة، وهي مشهورة ببلاد الغور، متاخمة لجال البيت المقدس، بينها وبين بلاد الكرك والشوبك، فدعاهم إلى الله ٥ أن يعبدوه وحده لا شريك له، وأن يطيعوا رسولهم الذي بعثه الله إليهم، ونهاهم عن معصية الله، وارتكاب ما كانوا قد ابتدعوه في العالم، مما لم يسبقهم الخلائق إلى فعله، من إتيان الذكران دون الإناث.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿آتَاؤُنَ الذَّكَرَانَ مِنَ الْعَلَمِينَ﴾ (٣٥) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ (٣٦).

ج: هذا قول نبي الله لوط ٥ لقومه مستنكراً عليهم صنيعهم القبيح، وهو إتيان الرجال في أدبارهم وترك الزوجات اللواتي أحلهن الله ٥، فقال لهم: ﴿آتَاؤُنَ الذَّكَرَانَ﴾ أتجامعون الرجال في أدبارهم، وقوله: ﴿مِنَ الْعَلَمِينَ﴾ أي: من البشر، ﴿وَتَذَرُونَ﴾ تتركون ﴿مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ﴾ نساءكم الحلال اللواتي أحلهن الله لكم بل أنتم قوم تتجاوزون للحد معتدين.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

يعني بقوله: ﴿آتَاؤُنَ الذَّكَرَانَ مِنَ الْعَلَمِينَ﴾: أتتكحون الذكران من بني آدم في أدبارهم. وقوله: ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ﴾ يقول: وتدعون الذي خلق لكم ربكم من أزواجكم من فروجهن، فأحلّه لكم. وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله: ﴿وَتَذَرُونَ مَا أَصْلَحَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ﴾.

وقوله: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ يقول: بل أنتم قوم تتجاوزون ما أباح لكم

ربكم، وأحله لكم من الفروج إلى ما حرم عليكم منها.

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ كانوا ينكحونهم في أدبارهم وكانوا يفعلون ذلك بالغرباء على ما تقدم (في الأعراف) ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ يعني: فروج النساء فإن الله خلقها للنكاح. قال إبراهيم بن مهاجر: قال لي مجاهد: كيف يقرأ عبد الله: ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ قلت: (وتذرون ما أصلح لكم ربكم من أزواجكم) قال: الفرج؛ كما قال: ﴿فَأَتَوْهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٣٤]. قوله تعالى: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ أي: متجاوزون لحدود الله.



س: أهل الكفر دوماً يهددون رسلهم بالإخراج من البلاد، دليل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ [إبراهيم: ٢٢].

وقول قوم لوط للوط غ: ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَلُوطُ لَتَكُونَ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ [الشعراء: ١٦].

وقولهم: ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَنْطَهُرُونَ﴾ [النمل: ٥٤].

وقول قوم شعيب لشعيب غ: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِيبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ

لَتَعُوذَنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ [الأعراف: ٩١].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

وقول ورقة بن نوفل لرسول الله ﷺ: «ليتني فيها جزعاً، إذ يخرجك قومك قال: أو مخرجي هم؟ قال: نعم لم يأت أحد قط بمثل ما جئت به إلا عودي».

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَلُوطُ لَتَكُونَ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ (١٧٧) قال إني لعمركم من القالين ﴿١٧٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٧٩﴾ فَنجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٨٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَايَةِ ﴿١٨١﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٨٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٨٣﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٨٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَمَوْعِظٌ رَحِيمٌ ﴿١٨٥﴾.

ج: المعنى - والله اعلم - أن قوم لوط غ أجابوه لما دعاهم إلى الله ونهاهم عن فعل الفاحشة القبيحة التي اختصوا بها، وأعلن لهم عن بغضه لها ولسائر أعمالهم القبيحة، ولشركهم بالله، أجابوه بقولهم: لئن لم تنته يا لوط عن دعوتك لنا إلى توحيد ربك، وعن نهيك لنا عن أفعالنا التي نفعلها لنطردنك من بلادنا أنت والذين اتبعوك على ما أنت عليه، فعندها أجابهم لوط غ معلناً عن وجهته وعن دينه، إني لعمركم من القالين، من المبغضين الكارهين التاركين، ثم دعا ربه ه بقوله: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ رب احفظني وسلمني من شرهم وكيدهم ومكرهم، أنا وأهلي، وكذا رب فاعصمني من هذا الزلل الذي وقعوا فيه والقبح الذي يرتكبوه.

وكذا رب نجني من العذاب الذي سيحل بهم نتيجة عملهم السيئ. فأجاب الله دعاءه فنجاه وأهله أجمعين إلا زوجته تلك العجوز الخائنة التي كانت تدل قومه على أضيافه، ثم ولما أنجاه الله وسلمه دمر الله قومه، ومعهم زوجته الخائنة له في الدين، وكانت صورة هذا الدمار أن رُفعت قريتهم إلى السماء ثم قلبت رأساً على عقب كما قال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَا

عَلَيْهَا سَافِلَهَا ﴿[الحجر: ٧٤]﴾، ثم أتبعوا بحجارة من طين متحجر كلُّ له حجرٌ يصيبه كما قال تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ﴾، فهكذا كان العقاب وفي الأخرى: ﴿سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ ﴿٨٢﴾﴾، فبئس المطر الذي أمطره الله ٥ على هؤلاء القوم الذين أتتهم رسلهم تنذره فكذبوا رسلهم وتمادوا في غيهم وطغيانهم، إن في ذلك الذي أحلله بهم من الدمار والذي أنزلناه بهم من العذاب، وكذا في إنجاننا عبادنا المؤمنين لدلالة على وحدانيتنا وقدرتنا، ولكن ما كان أكثر هؤلاء القوم بمؤمنين مع مجيء النذر إليهم، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَمَوْعِظٌ رَّحِيمٌ﴾ الذي لا يغلب بل أمره نافذٌ في خلقه وقضائه فيهم لا يُرد ومع ذلك فهو رحيم بعباده إذ أرسل إليهم رسلاً تذكرهم وتحذرهم، وأيضاً رحيم بهم يرزقهم ويعافيهم.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: قال قوم لوط: ﴿لَئِنْ لَّمْ تَنْتَهِ لِنُوطٍ﴾ عن نهينا عن إتيان الذكران ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ من بين أظهرنا وبلدنا. ﴿قَالَ إِنِّي لَعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ﴾ يقول لهم لوط: إني لعملكم الذي تعملونه من إتيان الذكران في أدبارهم من القالين، يعني من المبغضين، المنكرين فعله.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿رَبِّ يَحْيَىٰ وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦١﴾ فَجَعَلْنَاهُ وَأَهْلَهُ

أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٧١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فاستغاث لوط حين توعدده قومه بالإخراج من بلدهم إن هو لم ينته عن نهيه عن ركوب الفاحشة، فقال: ﴿رَبِّ يَحْيَىٰ وَأَهْلِي﴾

من عقوبتك إياهم على ما يعملون من إتيان الذكران. ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ من عقوبتنا التي عاقبنا بها قوم لوط ﴿الْجَمْعِينَ ١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾ يعني في الباقين، لطول مرور السنين عليها، فصارت هرمة، فإنها أهلك من بين أهل لوط، لأنها كانت تدل قومها على الأضياف. وقد قيل: إنما قيل من الغابرين لأنها لم تهلك مع قومها في قرينتهم، وإنما أصابها الحجر بعد ما خرجت عن قرينتهم مع لوط وابنتيه، فكانت من الغابرين بعد قومها، ثم أهلكها الله بما أمطر على بقايا قوم لوط من الحجارة، وقد بينا ذلك فيما مضى بشواهد المغنية عن إعادتها.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ ١٧١﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ١٧٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ١٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

يقول تعالى ذكره: ثم أهلكنا الآخرين من قوم لوط بالتدمير. ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ وذلك إرسال الله عليهم حجارة من سجيل من السماء. ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ يقول: فبئس ذلك المطر مطر القوم الذين أنذرهم نبيهم فكذبوه. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ يقول تعالى ذكره: إن في إهلاكنا قوم لوط الهلاك الذي وصفنا بتكذيبهم رسولنا، لعبرة وموعظة لقومك يا محمد، يتعظون بها في تكذيبهم إياك، وردهم عليك ما جئتهم به من عند ربك من الحق ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ في سابق علم الله ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ لمن آمن به.

وقال ابن كثير \$:

لما نهاهم نبي الله عن إتيانهم الفواحش، وغشيانهم الذكور، وأرشدهم إلى إتيان نسائهم اللاتي خلقهن الله لهم - ما كان جواب قومه له إلا قالوا: ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَلُوطُ﴾ يعنون: عما جئتنا به، ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ أي: ننفيك من

بين أظهرنا، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]، فلما رأى أنهم لا يرتدعون عما هم فيه وأنهم مستمررون على ضلالهم، تبرأ منهم فقال: ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ﴾ أي: المبغضين، لا أحبه ولا أَرْضِي به؛ أنا بريء منكم. ثم دعا الله عليهم قال: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾.

قال الله تعالى: ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ أي: كلهم.

﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَدِيرِ﴾، وهي امرأته، وكانت عجوز سوء بقيت فهلكت مع مَنْ بقي من قومها، وذلك كما أخبر الله تعالى عنهم في «سورة الأعراف» و«هود»، وكذا في «الحجر» حين أمره الله أن يسري بأهله إلا امرأته، وأنهم لا يلتفتون إذا سمعوا الصيحة حين تنزل على قومه، فصبروا لأمر الله واستمروا، وأنزل الله على أولئك العذاب الذي عمَّ جميعهم، وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود؛ ولهذا قال: ﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ﴾ (١٧٢) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ (١٧٣) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ (١٧٤) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ.

وقال القرطبي \$:

﴿قَالُوا لَئِنْ لَّمْ تَنْتَهِ يَنُوطْ﴾ عن قولك هذا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ أي: من بلدنا وقرينتنا ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ﴾ يعني: اللواط ﴿مِّنَ الْقَالِينَ﴾ أي: المبغضين والقلبي: البغض قلبيته أقلية قلى وقلاء قال:

فليست بمقلي الخلال ولا قالي

وقال آخر:

عليك السلام لا مللت قريبة ومالك عندي إن نأيت قلاء

﴿رَبِّ نَحْيِ وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ أي: من عذاب عملهم دعا الله لما أيس من إيمانهم ألا يصيبه من عذابهم.

قال تعالى: ﴿فَنَجِّنُهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ ولم يكن إلا ابتناه على ما تقدم في (هود).

﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَيْرِينَ﴾ روى سعيد عن قتادة قال: غبرت في عذاب الله ٥ أي: بقيت وأبو عبيدة يذهب إلى أن المعنى: من الباقيين في الهرم أي: بقيت حتى هرمت قال النحاس: يقال للذاهب غابر والباقي غابر كما قال: لا تكسع الشول بأغبارها إنك لا تدري من الناتج

وكما قال:

فما ونى محمد مذ ان غفر له الإله ما مضى وما غبر

أي ما بقي والأغبار: بقيات الألبان.

﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ﴾ أي أهلكناهم بالخسف والحصب قال مقاتل: خسف الله بقوم لوط وأرسل الحجارة على ما كان خارجا من القرية ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ يعني الحجارة ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ وقيل: إن جبريل خسف بقريتهم وجعل عاليها سافلها ثم أتبعها الله بالحجارة ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ لم يكن فيها مؤمن إلا بيت لوط وابتناه.



شيء من قصة نبي الله شعيب غ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا نَنْقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾ أَوفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ بِالْقِسْطِ أَسْقِطُوا الْمِيزَانَ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِيلَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّیْ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾﴾

[الشعراء: 176-191]

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿لَيْتَكُمْ-أَوْفُوا الْكَيْلَ- الْمُخْسِرِينَ- بِالْقِسْطِ- الْمُسْتَقِيمِ- وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ- وَلَا تَعْتُوا- وَالْجِيلَ الْأَوَّلِينَ- الْمُسْحَرِينَ- كَسَفًا- يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿لَيْتَكُمْ﴾	الشجر المُنْتَفِ الكثیر
﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ﴾	أتموا الكيل – أعطوا الناس إذا بعتم لهم الكيل مستوفى كاملاً
﴿الْمُخْسِرِينَ﴾	الْمُنْقَصِينَ – المبخسين – الذين لا يعطون الناس حقهم مستوفى
﴿بِالْقِسْطِ﴾	الميزان
﴿الْمُسْتَقِيمِ﴾	العدل
﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾	لا تنقصوا الناس حقوقهم عند البيع ولا تحرموهم أموالهم كذلك
﴿وَلَا تَعْتُوا﴾	لا تسرعوا في الأرض بالفساد
﴿وَالْجِيلَ الْأَوَّلِينَ﴾	الخلق الذين من قبلكم
﴿الْمُسْحَرِينَ﴾	المسحورين، وقيل: المخلوقين من أمثالنا الذين لهم (سحر) وهو الرنة والذين يأكلون ويشربون مثلنا
﴿كَسَفًا﴾	قطعا

يوم أن أظلمهم العذاب في صورة سحابة أظلمتهم
فاجتمعوا تحتها فتأججت عليهم نارًا

﴿يَوْمَ الظُّلَّةِ﴾



س: هل القوم الذين أرسل إليهم شعيب شيء واحد أم هي شيئان؟

ج: ذهب فريق كبير من أهل العلم إلى أن الذين أرسل إليهم شعيب غ
شيء واحد وهم أهل مدين، وهم أيضًا أنفسهم أصحاب الأيكة.
وذهب آخرون من العلماء: إلى أنه أرسل إلى قبيلتين، وهي أصحاب
الأيكة، وأهل مدين، والأول أظهر. وسيأتي ما يؤيد ذلك إن شاء الله من
كلام أهل العلم.



س: لماذا لم يقل هاهنا (أخوهم شعيب)؟

ج: قال بعض أهل العلم: إن سبب ذلك أنهم نُسبوا إلى عبادة الأيكة،
وهي الشجر الكثير الملتف فلم يكن أخًا لهم في عبادتهم تلك والله أعلم.
هذا، وأما الذين قالوا إن شعيبًا غ أرسل إلى فريقين، وهما أهل مدين
وأصحاب الأيكة فذهبوا إلى أن شعيبًا كان أخًا لأهل مدين، ولم يكن أخًا
لأصحاب الأيكة، والله أعلم.

قال القرطبي \$:

﴿قَالَ مِمَّنْ شُعَيْبٌ﴾ ولم يقل أخوهم شعيب لأنه لم يكن أخًا لأصحاب الأيكة
في النسب فلما ذكر مدين قال: ﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ لأنه كان منهم وقد مضى
في (الأعراف) القول في نسبه قال ابن زيد: أرسل الله شعيبًا رسولًا إلى
قومه أهل مدين وإلى أهل البادية وهم أصحاب الأيكة وقاله قتادة.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ النَّارِ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٧٧) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٧٨) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١٧٩) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٠) .

ج: المعنى -والله أعلم- أن هؤلاء القوم الذين أرسل إليهم نبي الله شعيب غ، وهم قوم مدين، كانوا أصحاب أشجار كثيرة ملتفة وهي الغيضة، وقيل: كانوا يعبدونها ومع شركهم بالله وعبادتهم غير الله ه كانوا يظلمون الناس أيضاً، وكانوا يبخسونهم حقوقهم فإذا باعوا للناس شيئاً أنقصوا من كيله ووزنه، وإذا اشتروا من الناس شيئاً أخذوا حقهم كاملاً مستوفى، فحذرهم نبي الله شعيب غ من هذا، ومن ذاك، حذرهم من الشرك بالله ه، ومن ظلم العباد وأكل أموال الناس بالباطل فقال لهم: ألا تتقون الله ه بعبادته وحده لا شريك له وترك ما تعبدون، ألا تتقون الله ه بامثالكم أمره، واجتنابكم ما نهاكم عنه إني لكم رسول من عند الله ﴿أَمِينٌ﴾ على وحيه، فكذبوا بتكذيبهم بنبيهم غ جميع المرسلين، فمن كذب رسولاً فقد كذب الجميع؛ لأن دعوة الرسل عليهم صلوات الله وسلامه واحدة.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ النَّارِ الْمُرْسَلِينَ﴾. والأيغة: الشجر الملتف، وهي واحدة الأيك، وكل شجر ملتف فهو عند العرب أيغة؛ ومنه قول نابغة بني ذبيان:

تَجَلُّوْا بِقَادِمَتَيَّ حَمَامَةٍ أَيْكَةٍ بَرَدًا أَسِفَ لِنَاسِهِ بِالْإِثْمِ

وأصحاب الأيكة: هم أهل مدين فيما ذكر.

وقال \$:

وقوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: قال لهم شعيب: ألا تتقون عقاب الله على معصيتكم ربكم؟. ﴿إِنِّي﴾ من الله ﴿لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ على وحيه. ﴿فَاتَّقُوا﴾ عقاب ﴿الله﴾ على خلافكم أمره ﴿وَأَطِيعُوا﴾ ترشدوا. ويقول: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ﴾ على نصحي لكم من جزاء وثواب، ما جزائي وثوابي على ذلك ﴿إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

وقال ابن كثير \$:

هؤلاء -أعني أصحاب الأيكة -هم أهل مدين على الصحيح. وكان نبي الله شعيب من أنفسهم، وإنما لم يقل هنا أخوهم شعيب؛ لأنهم نسبوا إلى عبادة الأيكة، وهي شجرة. وقيل: شجر ملتف كالغيضة، كانوا يعبدونها؛ فلهذا لما قال: كذب أصحاب الأيكة المرسلين، لم يقل: «إذ قال لهم أخوهم شعيب»، وإنما قال: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ شُعَيْبٌ﴾، فقطع نسبة الأخوة بينهم؛ للمعنى الذي نسبوا إليه، وإن كان أخاهم نسبًا. ومن الناس من لم يتفطن لهذه النكتة، فظن أن أصحاب الأيكة غير أهل مدين، فزعم أن شعيبًا غ، بعثه الله إلى أمتين، ومنهم من قال: ثلاث أمم.

وقد روى إسحاق بن بشر الكاهلي -وهو ضعيف -حدثني ابن السدي، عن أبيه -وزكريا بن عمر، عن خَصِيف، عن عِكرمة قال: ما بعث الله نبيًا مرتين إلا شعيبًا، مرة إلى مدين فأخذهم الله بالصيحة، ومرة إلى أصحاب الأيكة فأخذهم الله بعذاب يوم الظلة.

وروى أبو القاسم البغوي، عن هُذْبَةَ، عن هَمَّام، عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الرَّسِّ﴾ [ق: ٢٢] قوم شعيب، وقوله: ﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ [ق: ٢٢] قوم

شعيب.

قال إسحاق بن بشر: وقال غير جُوَيْر: أصحاب الأيكة ومدين هما واحد. والله أعلم.

وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة «شعيب»، من طريق محمد بن عثمان بن أبي شيبة، عن أبيه، عن معاوية بن هشام، عن هشام بن سعد، عن سعيد بن أبي هلال، عن ربيعة بن سيف، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «إن قوم مدين وأصحاب الأيكة أمتان، بعث الله إليهما شعيباً النبي، غ».

وهذا غريب، وفي رفعه نظر، والأشبه أن يكون موقوفاً. والصحيح أنهم أمة واحدة، وصفوا في كل مقام بشيء؛ ولهذا وعظ هؤلاء وأمرهم بوفاء المكيال والميزان، كما في قصة مدين سواء بسواء، فدل ذلك على أنهم أمة واحدة.



الأمر بإيفاء الكيل والميزان

س: **وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ (١٨١) وَزِنُوا بِالْقِسْطِاسِ الْمُسْتَقِيمِ (١٨٢) وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (١٨٣) وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِلَّةَ الْأَوَّلِينَ (١٨٤) .**

ج: هذا قول نبي الله شعيب غ لقومه يأمرهم بإيفاء الكيل، وإعطاء الناس حقهم كاملاً مستوفى غير منقوص ولا مبخوس وينهاهم عن إنقاص الحقوق، فيقول: ولا تكونوا من المخسرين للناس أشياءهم وإذا وزنتم فزنوا بالميزان العادل المضبوط ولا تنقصوا الناس حقوقهم ولا تكثرُوا من الفساد في الأرض، ولا تسرعوا في الأرض بالفساد، واتقوا

الذي خلقكم وخلق الخلق الذين من قبلكم.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري \$:

﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ﴾ يقول: أوفوا الناس حقوقهم من الكيل. ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ يقول: ولا تكونوا ممن نقصهم حقوقهم.

ويعني بقوله: ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطِ﴾ وزنوا بالميزان ﴿الْمُسْتَقِيمِ﴾ الذي لا بخس فيه على من وزنتم له. ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ يقول: ولا تنقصوا الناس حقوقهم في الكيل والوزن. ﴿وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ يقول: ولا تكثرُوا في الأرض الفساد.

ويقول تعالى ذكره: ﴿وَاتَّقُوا﴾ أيها القوم عقاب ربكم ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ وَخَلَقَ ﴿وَالْجِبْلَةَ الْأُولَى﴾ يعني بالجبل: الخلق الأولين. وفي الجبل للعرب لغتان: كسر الجيم والباء وتشديد اللام، وضم الجيم والباء وتشديد اللام؛ فإذا نزعَت الهاء من آخرها كان الضم في الجيم والباء أكثر كما قال جل ثناؤه: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبَلًا كَثِيرًا﴾ [يس: ٢٥] وربما سكنوا الباء من الجبل.

قال ابن كثير \$:

يأمرهم تعالى بإيفاء المكيال والميزان، وينهاهم عن التطفيف فيهما، فقال: ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ أي: إذا دفعتم إلى الناس فكمّلوا الكيل لهم، ولا تخسروا الكيل فتعطوه ناقصًا، وتأخذوه -إذا كان لكم -تامًا وافيًا، ولكن خذوا كما تعطون، وأعطوا كما تأخذون.

﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ والقسطاس هو: الميزان، وقيل: القَبَّانُ. قال بعضهم: هو معرب من الرومية.

وقال مجاهد: القسطاس المستقيم: العدل - بالرومية. وقال قتادة:

القسطاس: العدل.

وقوله: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ أي: تَنْقُصُوهُمْ أموالهم، ﴿وَلَا تَعْتَوُوا الْأَرْضَ مُفْسِدِينَ﴾ يعني: قطع الطريق، كما في الآية الأخرى: ﴿وَلَا تَعْدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾ [الأعراف: ٨٥].

وقوله: ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِلَّةَ الْأُولَى﴾: يخوفهم بأس الله الذي خلقهم وخلق آباءهم الأوائل، كما قال موسى **ع**: ﴿رَبِّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولَى﴾ [الصافات: ٢٢]. قال ابن عباس، ومجاهد، والسُّدِّي، وسفيان بن عيينة، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ﴿وَالْجِلَّةَ الْأُولَى﴾ يقول: خلق الأولين. وقرأ ابن زيد: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِيلًا كَثِيرًا﴾ [يس: ٧].



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ (١٨٥) وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (١٨٦) فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٨٧).

ج: هذا جواب قوم شعيب لما دعاهم **ع** إلى الله، قالوا له: إنما أنت من المسحورين الذين أثر السحر على عقولهم فلم تعد تضبط ما تقول وأصبحت تُخرف، وقال بعض العلماء: إن المعنى، إنما أنت من المخلوقين من أمثالنا، بشر كما أننا بشر ليس لك فضل علينا، واعتقادنا فيك أنك كاذب، هذا يقيننا، ثم استعجلوا نزول العذاب بقولهم: ﴿فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا﴾ أي: قطعًا من السماء إن كنت من الصادقين في دعواك أنك

رسول، فهكذا استعجلوا العذاب.

قال الطبري \$:

وقوله: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ يقول: قالوا: إنما أنت يا شعيب معلل تعلل بالطعام والشراب، كما نعلل بهما، ولست ملگًا. ﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ تأكل وتشرب ﴿وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَذِبِينَ﴾. يقول: وما نحسبك فيما تخبرنا وتدعونا إليه، إلا ممن يكذب فيما يقول، فإن كنت صادقًا فيما تقول بأنك رسول الله كما تزعم ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ يعني: قطعًا من السماء، وهي جمع كِسفة، جمع كذلك كما تجمع ثمرة: تمرًا.

وقال القرطبي \$:

﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ الذين يأكلون الطعام والشراب على ما تقدم ﴿وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَذِبِينَ﴾ أي: ما نظنك إلا من الكاذبين في أنك رسول الله تعالى ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ أي: جانبًا من السماء وقطعة منه فننظر إليه كما قال: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ [الطور: ٦٨] وقيل: أرادوا أنزل علينا العذاب وهو مبالغة في التكذيب.

وقال ابن كثير \$:

يخبر تعالى عن جواب قومه له بمثل ما أجابت به ثمود لرسولها- تشابهت قلوبهم -حيث قالوا: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ يعنون: من المسحورين، كما تقدم.

﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَذِبِينَ﴾ أي: تتعمد الكذب فيما تقوله، لا أن الله أرسلك إلينا.

﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ قال الضحاك: جانبًا من السماء. وقال

قتادة: قطعاً من السماء. وقال السدي: عذاباً من السماء. وهذا شبيه بما قالت قريش فيما أخبر الله عنهم في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَجْعَلَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ۝١٠﴾، إلى أن قالوا: ﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتَ عَلَيْنَا كَيْفًا أَوْ تَأْتِي بِنَا إِلَهِ وَالْمَلَكَةِ قَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٩٤]. وقوله: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا مِنْ عِنْدِكَ فَامْطُرْ عَلَيْنَا جِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ امْنُنْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٩٢] وهكذا قال هؤلاء الكفرة الجهلة: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كَيْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اعْلَمْ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١٣٨﴾ فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٣٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ۝١٤٠﴾ وَلَئِنْ رَبِّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝١٤١﴾.

ج: هذا - والله أعلم - قول شعيب غ لقومه لما كذبوه، قال لهم: ربي أعلم بما تعملون، هو أعلم بأعمالكم، أعلم بشرككم، وتطيفكم المكيال والميزان، والله أعلم بقولي لكم وجوابكم عليّ، فكذبوه في كل ذلك فسأط الله عليهم حرّاً شديداً اضطرهم الحر للخروج من بيوتهم، فلما خرجوا منها التماساً لظلّ يستظلون به، إذا بهم يرون سحابة عظيمة سوداء قد أظلت ما تحتها، فاجتمعوا كلهم تحت تلك السحابة العظيمة السوداء للاستئصال بها، فلما اجتمعوا كلهم تحتها تأجبت عليهم ناراً، وصدق الله إذ قال: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، إن في انتقامنا من أعدائنا وإنجائنا لرسائنا دلالة على قدرتنا ووحدانيتنا، ولكن لم يكن أكثر الناس بمؤمنين، وإن

ربك لهو الغالب القوي الذي لا يمنع من شيء أراده، وفي ذات الوقت رحيم بالعباد.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: قال شعيب لقومه: ﴿رَبِّ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ يقول: بأعمالهم هو بها محيط، لا يخفى عليه منها شيء، وهو مجازيكم بها جزاءكم. ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ يقول: فكذبوه قومه. ﴿فَأَخَذَهُمُ عَذَابُ يَوْمِ الظَّلَّةِ﴾ يعني بالظلة: سحابة ظللتهم، فلما تتاموا تحتها التهبت عليهم ناراً، وأحرقتهم، وبذلك جاءت الآثار.

وأورد بإسناد صحيح عن زيد بن معاوية، في قوله: ﴿فَأَخَذَهُمُ عَذَابُ يَوْمِ الظَّلَّةِ﴾ قال: أصابهم حرٌّ أفلقهم في بيوتهم، فنشأت لهم سحابة كهيئة الظلة، فابتدروها، فلما تتاموا تحتها أخذتهم الرجفة.

وبإسناد صحيح عن جرير بن حازم أنه سمع قتادة يقول:

بعث شعيب إلى أمتين: إلى قومه أهل مدين، وإلى أصحاب الأيكة. وكانت الأيكة من شجر ملتف؛ فلما أراد الله أن يعذبهم، بعث الله عليهم حرّاً شديداً، ورفع لهم العذاب كأنه سحابة؛ فلما دنت منهم خرجوا إليها رجاء بردها، فلما كانوا تحتها مطرت عليهم ناراً. قال: فذلك قوله: ﴿فَأَخَذَهُمُ عَذَابُ يَوْمِ الظَّلَّةِ﴾.

وقال الطبري \$:

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثني سعيد بن زيد أخو حماد بن زيد، قال: ثنا حاتم بن أبي صغيرة، قال: ثني يزيد الباهلي، قال: سألت عبد الله ابن عباس، عن هذه الآية: ﴿فَأَخَذَهُمُ عَذَابُ يَوْمِ الظَّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ

يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٩﴾ فقال عبد الله بن عباس: بعث الله عليهم ومدة وحرًا شديدًا، فأخذ بأنفاسهم، فدخلوا البيوت، فدخل عليهم أجواف البيوت، فأخذ بأنفاسهم، فخرجوا من البيوت هربًا إلى البرية، فبعث الله عليهم سحابة، فأظلمت من الشمس، فوجدوا لها بردًا ولذة، فنأى بعضهم بعضًا، حتى إذا اجتمعوا تحتها، أرسلها الله عليهم نارًا. قال عبد الله بن عباس: فذلك عذاب يوم الظلة، ﴿إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

وأورد الطبري كذلك بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿فَأَخَذَهُمُ عَذَابُ يَوْمِ الظَّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ قال: بعث الله إليهم ظلة من سحب، وبعث إلى الشمس فأحرقت ما على وجه الأرض، فخرجوا كلهم إلى تلك الظلة، حتى إذا اجتمعوا كلهم، كشف الله عنهم الظلة، وأحمى عليهم الشمس، فاحترقوا كما يحترق الجراد في المقلية.

قال الطبري \$:

وقوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ يقول تعالى ذكره: إن عذاب يوم الظلة كان عذاب يوم لقوم شعيب عظيم.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١١٠﴾

يقول تعالى ذكره: ﴿إِنَّ فِي﴾ تعذينا قوم شعيب عذاب يوم الظلة، بتكذيبهم نبيهم شعيبًا، ﴿لَآيَةً﴾ لقومك يا محمد، وعبرة لمن اعتبر، إن اعتبروا أن سنتنا فيهم بتكذيبهم إياك، سنتنا في أصحاب الأيكة. ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ في سابق علمنا فيهم ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾ يا محمد ﴿لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في نعمته ممن انتقم منه من أعدائه ﴿الرَّحِيمُ﴾ بمن تاب من خلقه، وأناب إلى طاعته.

وقال ابن كثير \$:

﴿قَالَ رَبِّ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ يقول: الله أعلم بكم، فإن كنتم تستحقون ذلك جازاكم به غير ظالم لكم، وكذلك وقع بهم كما سألوا، جزاءً وفاً؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ وهذا من جنس ما سألوا، من إسقاط الكسف عليهم، فإن الله، سبحانه وتعالى، جعل عقوبتهم أن أصابهم حر شديد جداً مدة سبعة أيام لا يَكْنُثُهم منه شيء، ثم أقبلت إليهم سحابة أظلمتهم، فجعلوا ينطلقون إليها يستظلون بظلمتها من الحر، فلما اجتمعوا تحتها أرسل الله تعالى عليهم منها شرراً من نار، ولهباً ووهجاً عظيماً، ورجفت بهم الأرض وجاءتهم صيحة عظيمة أزهقت أرواحهم؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

وقد ذكر الله تعالى صفة إهلاكهم في ثلاثة مواطن كل موطن بصفة تناسب ذلك السياق، ففي الأعراف ذكر أنهم أخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين؛ وذلك لأنهم قالوا: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعَبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيِنَا أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ [الأعراف: ٤٤]، فأرجفوا بنبي الله ومن اتبعه، فأخذتهم الرجفة. وفي سورة هود قال: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ [هود: ٤٤]؛ وذلك لأنهم استهزؤوا بنبي الله في قولهم: ﴿أَصَلَوْنَاكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتَّركَ مَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي ءَمُولِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود: ٤٧]. قالوا ذلك على سبيل التهكم والازدراء، فناسب أن تأتيهم صيحة تسكتهم، فقال: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ وها هنا قالوا: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ على وجه التعنت والعناد، فناسب أن يحق عليهم ما استبعدوا وقوعه. ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ (١١٠) وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١١١﴾ أَي: العزيز
 في انتقامه من الكافرين، الرحيم بعباده المؤمنين.



قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿وَلَنُنَزِّلُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَلَنُفِئَنَّ زُبُرَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوْ لَوْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَعَذَابُنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَنِعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذَكَرْنَاهُ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٠٩﴾﴾ [الشعراء: 192-209].

س: وضع معنى ما يلي:

﴿الرُّوحُ الْأَمِينُ - زُبُرُ الْأَوَّلِينَ - آيَةٌ - الْأَعْجَمِينَ - سَلَكَنَّهُ - بَغْتَةً - مُنْظَرُونَ - مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ - يَمْتَعُونَ - مُنْذَرُونَ - ذِكْرَى﴾.

ج:

معناها	الكلمة
المراد به جبريل غ الأمين على الوحي	﴿الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾
كتب الأولين، (الكتب التي أنزلها الله ه على الأمم من قبلنا)	﴿زُبُرُ الْأَوَّلِينَ﴾
علامةً ودليلاً (على صدقك وعلى أن القرآن من عند الله)	﴿آيَةٌ﴾
الذين لا يتكلمون اللغة العربية، وقيل: الذين لا ينطقون، وقيل: البهائم	﴿الْأَعْجَمِينَ﴾
أدخلناه	﴿سَلَكَنَّهُ﴾
فجأة	﴿بَغْتَةً﴾
مؤجلون - مُمهلون - مؤخرون	﴿مُنْظَرُونَ﴾
جعلناهم يعيشون في المتاع سنين طويلة لهم في الدنيا ما يطلبون وما يتمتعون به	﴿مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾
يستمتعون به	﴿يَمْتَعُونَ﴾
رسلٌ محذرون مخوفون	﴿مُنْذَرُونَ﴾
موعظة - تذكيراً	﴿ذِكْرَى﴾

س: في قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ ﴿١٣٣﴾ قراءتان وضحهما.

ج: القراءة الأولى هي (نَزَلَ) بالتخفيف والفتح والثانية هي (نَزَّل) بفتح النون وتشديد الزاي.

قال الطبري \$:

واختلف القراء في قراءة قوله: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ فقرأته عامة قراء الحجاز والبصرة ﴿نَزَلَ بِهِ﴾ مخففة ﴿الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ رفعًا بمعنى: أن الروح الأمين هو الذي نزل بالقرآن على محمد، وهو جبريل. وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة. (نَزَّل) مشددة الزاي ﴿الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ نصبًا، بمعنى: أن رب العالمين نزل بالقرآن الروح الأمين، وهو جبريل غ.

والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إنهما قراءتان مستفيضتان في قراء الأمصار، متقاربتا المعنى، فأيتهما قرأ القارئ فمصيب، وذلك أن الروح الأمين إذا نزل على محمد بالقرآن، لم ينزل به إلا بأمر الله إياه بالنزول، ولن يجهل أن ذلك كذلك ذو إيمان بالله، وأن الله إذا أنزله به نزل.

نزل بلسان عربي حتى يفهم عنك المراد كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَتَعْجَمِي وَعَرَبِيٌّ﴾ [فصلت: ٤٤]، وكما قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣]، وكما قال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾.

فلهذا نزل القرآن بلسان عربي مبين. وهنا يجدر إيراد أثر ابن عباس **ق** الذي أخرجه البخاري ⁽¹⁾ في صحيحه من طريق سعيد بن جبير عن

(1) البخاري (5).

ابن عباس في قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعْجِلُ الْجُ

مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً، وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَأَنَا أُحَرِّكُهُمَا لَكُمْ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحَرِّكُهُمَا. وَقَالَ سَعِيدٌ: أَنَا أُحَرِّكُهُمَا كَمَا رَأَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يُحَرِّكُهُمَا - فَحَرَّكَ شَفَتَيْهِ - فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ قَالَ: جَمَعُهُ لَكَ فِي صَدْرِكَ وَتَقْرَأُهُ (فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَانْصِتْ فَتَنُحِيطُ بِحُكْمِهِ) قَالَ: فَاسْتَمِعْ لَهُ وَأَنْصِتْ (ثُمَّ إِنْ عَلَيْنَا لَبَايَةٌ أَنْ تُقْرَأَهُ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا أَنَا جِبْرِيلُ اسْتَمَعَ فَإِذَا انْطَلَقَ جِبْرِيلُ قَرَأَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا قَرَأَهُ.



س: **وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَنُفِثَنَّ نَزِيلَ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٣٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ**

(١٣٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٣٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٣٥﴾

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - وإن هذا القرآن المنزل عليك تنزيل أنزله رب العالمين، أنزله عليك بواسطة جبريل غ، وهو الروح، روح القدس وهو الأمين على الوحي لا يزيد فيه ولا ينقص ولا يتخلف عن إيصاله، نزل به على قلبك لتكون من المنذرين العباد المحذرين لهم من الشرك الذي هم فيه، وذلك الشرك الذي يُفَضُّ بِهِمْ إِلَى النَّارِ إِنْ هُمْ مَاتُوا عَلَيْهِ، كَذَا لَتَحْذَرُهُمْ مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَتَحْذَرُهُمْ مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ وَنَارِهِ الَّتِي أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْعَصَاةِ وَالْمُجْرِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ، نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُظَهَّرٌ مُوضِحٌ لِلْأُمُورِ.

هذا، وقد قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: وَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ ﴿لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْأَعْلَمِينَ﴾ والهاء في قوله: ﴿وَلِئِنَّهُ﴾ كناية الذكر الذي في قوله: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ﴾ [الشعراء: ٢١].

وقال:

وبنحو الذي قلنا في أن المعنى بالروح الأمين في هذا الموضع جبريل قال أهل التأويل.

وقال \$:

وقوله: ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ يقول: نزل به الروح الأمين فتلاه عليك يا محمد، حتى وعيته بقلبك. وقوله: ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ يقول: لتكون من رسل الله الذين كانوا ينذرون من أرسلوا إليه من قومهم، فتتذر بهذا التنزيل قومك المكذِّبين بآيات الله. وقوله: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ يقول: لتتذر قومك بلسان عربي مبين، يبين لمن سمعه أنه عربي، وبلسان العرب نزل، والباء من قوله: ﴿بِلِسَانٍ﴾ من صلة قوله: ﴿نَزَلَ﴾، وإنما ذكر تعالى ذكره أنه نزل هذا القرآن بلسان عربي مبين في هذا الموضع، إعلامًا منه مشركي قريش أنه أنزله كذلك، لئلا يقولوا: إنه نزل بغير لساننا، فنحن إنما نعرض عنه ولا نسمعه، لأننا لا نفهمه، وإنما هذا تقرُّيع لهم، وذلك أنه تعالى ذكره قال: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّنَ رَبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾. ثم قال: لم يعرضوا عنه لأنهم لا يفهمون معانيه، بل يفهمونها، لأنه تنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين بلسانهم العربي، ولكنهم أعرضوا عنه تكذيبًا به واستكبارًا ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا يَسْتَهْزِئُونَ﴾. كما أتى هذه الأمم التي قصصنا نبأها في هذه السورة حين كذبت رسلها أنباء ما كانوا به يكذبون.

وقال ابن كثير \$:

يقول تعالى مخبراً عن الكتاب الذي أنزله على عبده ورسوله محمد، صلوات الله وسلامه عليه: ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي: القرآن الذي تقدم ذكره في أول السورة في قوله: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٌ﴾، ﴿لَنَزِيلٍ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: أنزله الله عليك وأوحاه إليك.

﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾: وهو جبريل غ، قاله غير واحد من السلف: ابن عباس، ومحمد بن كعب، وقتادة، وعطية العوفي، والسدي، والضحاك، والزهري، وابن جريج. وهذا ما لا نزاع فيه.

قال الزهري: وهذه كقوله: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ الآية [البقرة: ٩٧].

وقال مجاهد: من كلمه الروح الأمين لا تأكله الأرض.

﴿عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ أي: نزل به ملك كريم أمين، ذو مكانة عند الله، مطاع في الملأ الأعلى، ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾ يا محمد، سالمًا من الدنس والزيادة والنقص؛ ﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ أي: لتتذر به بأس الله ونقمته على من خالفه وكذبه، وتبشر به المؤمنين المتبعين له.

وقوله: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ أي: هذا القرآن الذي أنزلناه إليك أنزلناه بلسانك العربي الفصيح الكامل الشامل، ليكون بيّنًا واضحًا ظاهرًا، قاطعًا للعدر، مقيمًا للحجة، دليلاً إلى المحجة.

وقال القرطبي \$:

وإن القرآن لتنزيل رب العالمين نزل به جبريل إليك كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ﴾ [البقرة: ٩٧] أي: يتلوه عليك فيعيه

قلبك وقيل: ليثبت قلبك ﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ ﴿١١٤﴾ بِلسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١﴾ أي: لنلا يقولوا: لسنا نفهم مما تقول.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿١١٣﴾ أَوْ لَمْ يَكُنْ لَمْ يَأَيَّ أَنْ يَعْلَمَهُ عِلْمُ تَوَابِي إِسْرَءِيلَ ﴿١١٧﴾ .

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - وإن هذا القرآن لمذكور في الكتب التي أنزلها الله **هـ** على الأنبياء السابقين الذين أرسلوا للأمم السابقة، فالكتب التي أنزلها الله (كالتوراة والزيبور والإنجيل) وقبلها صحف إبراهيم وغير ذلك من الكتب مذكور فيها هذا القرآن الكريم وفيها ثناء عليه وثناء على من أنزل عليه.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ لَمْ يَكُنْ لَمْ يَأَيَّ أَنْ يَعْلَمَهُ عِلْمُ تَوَابِي إِسْرَءِيلَ﴾ معناه: أولم يكن لهؤلاء المشركين المكذبين بالقرآن، أولم يكن لهم في شهادة علماء بني إسرائيل - كعبد الله بن سلام وغيره من علماء بني إسرائيل - لهذا القرآن بأنه من عند الله، أولم يكن في ذلك دليلٌ وحجة وعلامة على أنه من عند الله وأنتك صادق فيما تقول؟!

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: وإن هذا القرآن لفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ: يعني في كتب الأولين، وخرج مخرج العموم ومعناه الخصوص، وإنما هو: وإن هذا القرآن لفِي بعض زُبُرِ الْأَوَّلِينَ؛ يعني: أن ذكره وخبره في بعض ما نزل من الكتب على بعض رسله. وقوله: ﴿أَوْ لَمْ يَكُنْ لَمْ يَأَيَّ أَنْ يَعْلَمَهُ عِلْمُ تَوَابِي إِسْرَءِيلَ﴾ يقول تعالى ذكره: أولم يكن لهؤلاء المعرضين عما يأتيك يا محمد من

وقال ابن كثير \$:

ثم قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي: أوليس يكفيهم من الشاهد الصادق على ذلك: أن العلماء من بني إسرائيل يجدون ذكر هذا القرآن في كتبهم التي يدرسونها؟ والمراد: العدول منهم، الذين يعترفون بما في أيديهم من صفة محمد ﷺ ومبعثه وأمته، كما أخبر بذلك مَنْ آمَنَ مَنْ مَنَّهُمْ كعبد الله بن سلام، وسلمان الفارسي، عَمَّنْ أدركه منهم وَمَنْ شاكلهم. وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ الآية [الأعراف: ٥٤].



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾ (٣٨) فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿٣٩﴾ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٤١﴾ فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٢﴾ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - ولو نزلنا هذا القرآن على رجل أعجمي لا ينطق العربية فقراه عليهم، بلغة العجم ما فهموه ولا عقلوه ولا آمنوا به ولا صدقوه.

وكذا لو قرأه الأعجمي عليهم بلغتهم وهو عجمي، أي: أن عجمي ومع ذلك مكَّنه الله من قراءة هذا القرآن عليهم بلغتهم الفصحى، فكانت معجزة، عجمي يتكلم بأفصح اللغات وهو لم يتعلمها أيضاً ما آمنوا بهذا القرآن ولا صدقوه.

وكذلك لو أنزلناه على بهيمةٍ عجماء **(1)** لا تتكلم فنطقت به ما آمن هؤلاء الكفار مع وجود هذه المعجزة، فلو تكلمت البهيمة وقرأت القرآن وأخبرتهم أن القرآن من عند الله ما آمنوا أيضاً، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَاهُ إِلَيْهِمُ الْمَلَكُكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتُ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ **[الأنعام: ١١٠].**

فهكذا من خُتم على قلبه لن يؤمن ولو جاءته كل آية كما قال جل ذكره: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ (١٤) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ **[الحجر: ٩٤، ٩٥]**، وكما قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٦) وَلَوْ جَاءَهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ **[يونس: ١٦، ١٧]**، فهكذا أدخلنا الكفر في قلوب أهل الإجمام وهكذا أدخلنا التكذيب بالقرآن في قلوبهم،

(1) ومنه قول النبي ﷺ: «العجماء جبار» أي: أن العجماء إذا قتلت شخصاً أو جرحتة فلا دية على أصحابها.

فهذا قوله: ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ ﴿لَا يُؤْمِنُ بِهِ﴾ بالقرآن ﴿حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ حتى يروا العذاب المؤلم الموجه الذي سيحل بهم حقيقة، إلا أن هذا العذاب سيأتيهم بغتة، وستأتيهم الساعة بما تحمله من أهوالها بغتة وهم لا يشعرون، فعندها يقولوا: هل نحن مؤجلون مؤخرون كي نتوب ونرجع، كما في الآية الأخرى: ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنِّي كُنتَ مِنَّا كَوِّنَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر: ٤٥] والآية وفيها قولهم: ﴿أَوْ تُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [الأعراف: ٤٤].

وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري \$:

وقوله: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: ولو نزلنا هذا القرآن على بعض البهائم التي لا تنطق، وإنما قيل على بعض الأعجمين، ولم يقل على بعض الأعجميين، لأن العرب تقول إذا نعتت الرجل بالعجمة وأنه لا يفصح بالعربية: هذا رجل أعجم، وللمرأة: هذه امرأة عجماء، وللجماعة: هؤلاء قوم عجم وأعجمون، وإذا أريد هذا المعنى وصف به العربي والأعجمي، لأنه إنما يعني أنه غير فصيح اللسان، وقد يكون كذلك، وهو من العرب ومن هذا المعنى قول الشاعر:

مِنْ وَائِلٍ لَا حَيٍّ يَعْدِلُهُمْ مِنْ سُوقَةٍ عَرَبٍ وَلَا عَجْمٍ

فأما إذا أريد به نسبة الرجل إلى أصله من العجم، لا وصفه بأنه غير فصيح اللسان، فإنه يقال: هذا رجل عجمي، وهذان رجلان عجميان، وهؤلاء قوم عجم، كما يقال: عربي، وعربيان، وقوم عرب. وإذا قيل: هذا رجل أعجمي، فإنما نسب إلى نفسه كما يقال للأحمر: هذا أحمر.

ضخم، وكما قال العجاج:

والدَّهْرُ بِالْإِنْسَانِ دَوَّارِيٌّ

ومعناه: دَوَّار، فنسبه إلى فعل نفسه.

وأورد بإسناد صحيح عن محمد بن أبي موسى، قال: كنت واقفاً إلى

جنب عبد الله بن مطيع بعرفة، فتلا هذه الآية: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٨﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ قال: لو نزل على بعيري هذا فتكلم به ما آمنوا به ﴿لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ حتى يفقهه عربيٌّ وعجميٌّ، لو فعلنا ذلك.

وقال \$:

وقوله: ﴿فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ﴾ يقول: فقرأ هذا القرآن على كفار قومك يا محمد الذين حتمت عليهم أن لا يؤمنوا ذلك الأعجم ما كانوا به مؤمنين. يقول: لم يكونوا ليؤمنوا به، لما قد جرى لهم في سابق علمي من الشقاء، وهذا تسلية من الله نبيه محمداً ﷺ عن قومه، لنلا يشتد وجده بإدبارهم عنه، وإعراضهم عن الاستماع لهذا القرآن، لأنه كان ﷺ شديداً حرصه على قبولهم منه، والدخول فيما دعاهم إليه، حتى عاتبه ربه على شدة حرصه على ذلك منهم، فقال له: ﴿لَمَّا كَبِخَ نَفْسَكَ لَا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢٢] ثم قال مؤيسه من إيمانهم وأنهم هالكون ببعض مثلاته، كما هلك بعض الأمم الذين قص عليهم قصصهم في هذه السورة: ولو نزلناه على بعض الأعجمين يا محمد لا عليك، فإنك رجل منهم، ويقولون لك: ما أنت إلا بشر مثلنا، وهلا نزل به ملك، فقرأ ذلك الأعجم عليهم هذا القرآن، ولم يكن لهم علة يدفعون بها أنه حق، وأنه تنزيل من عندي، ما كانوا به مصدقين، فخفض من حرصك على إيمانهم به، ثم وكد تعالى ذكره الخبر

عما قد حتم على هؤلاء المشركين، الذين آيس نبيه محمداً ﷺ من إيمانهم من الشقاء والبلاء، فقال: كما حتمنا على هؤلاء أنهم لا يؤمنون بهذا القرآن: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ۖ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ﴾ ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ﴾ التَّكْذِيبَ وَالْكَفْرَ ﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾. ويعني بقوله: سلكنا: أدخلنا، والهاء في قوله: ﴿سَلَكْنَاهُ﴾ كناية من ذكر قوله: ﴿مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾، كأنه قال: كذلك أدخلنا في قلوب المجرمين ترك الإيمان بهذا القرآن.

وقال \$:

وقوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرُوا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ يقول: فعلنا ذلك؛ بهم لنأل يصدّقوا بهذا القرآن، حتى يروا العذاب الأليم في عاجل الدنيا، كما رأت ذلك الأمم الذين قص الله قصصهم في هذه السورة.

وقال \$:

في تأويل قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿٢٠٢﴾ فيقولوا هل نحن مُنْظَرُونَ ﴿٢٠٢﴾.

يقول تعالى ذكره: فيأتي هؤلاء المكذّبين بهذا القرآن، العذاب الأليم بغتة، يعني: فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ يقول: لا يعلمون قبل ذلك بمجيئه حتى يفجأهم بغتة. ﴿فَيَقُولُوا﴾ حين يأتهم بغتة ﴿هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾ أي: هل نحن مؤخّر عنا العذاب، ومُنْسَأ في آجالنا لنثوب، وننيب إلى الله من شركنا وكفرنا بالله، فنراجع الإيمان به، وننيب إلى طاعته؟

وقال ابن كثير \$:

ثم قال تعالى مخبراً عن شدة كفر قريش وعنادهم لهذا القرآن؛ أنه لو أنزله على رجل من الأعاجم، ممَّنْ لا يدري من العربية كلمة، وأنزل عليه هذا الكتاب ببيانه وفصاحته، لا يؤمنون به؛ ولهذا قال: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ

الْأَعْجَمِينَ ﴿١١٨﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٩﴾ ﴿١٢٠﴾ كَمَا أَخْبَر عَنْهُمْ فِي الْآيَةِ الْآخَرَى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٢١﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الحجر: ١٢١، ١٢٢، ١٢٣] وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكِيَّةَ وَلَكَّمْهُمُ الْتَوَقُّ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴿١٢٤﴾﴾ [الأنعام: ١٢٤]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿١٢٦﴾﴾ [يونس: ١٢٥، ١٢٦].

وقال \$:

ويقول تعالى: كذلك سلطنا الكذيب والكفر والعناد والجحود، أي: أدخلناه في قلوب المجرمين.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ أي: بالحق ﴿حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ أي: حيث لا ينفع الظالمين معذرتهم، ولهم اللعنة ولهم سوء الدار.

﴿فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً﴾ أي: عذاب الله بغتة، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ يَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ﴿١٢٨﴾؟ أي: يتمنون حين يشاهدون العذاب أن لو أنظروا قليلا ليعملوا بطاعة الله، كما قال تعالى: ﴿وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَّجِبْ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرَّسُولَ أَوَّلَمَ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿١٢٩﴾﴾ [إبراهيم: ١٢٩]، فكل ظالم وفاجر وكافر إذا شاهد عقوبته، ندم ندمًا شديدًا هذا فرعون لما دعا عليه الكليم بقوله: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُ عَنِ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿١٣٠﴾﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا ﴿١٣١﴾﴾ [يونس: ١٣٠، ١٣١]، فأثرت هذه الدعوة في فرعون، فما آمن حتى رأى العذاب الأليم، ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٣٢﴾﴾ [يونس: ١٣٢]

وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٢٦﴾ [يونس: ٢٦]، وقال: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا امْنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ، وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَتُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسًا ﴿٨٥﴾ [غافر: ٨٤، ٨٥] الآية.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿أَفِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ ﴿٢٦﴾ أَفَرَوَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٧﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٨﴾ مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَنُونَ ﴿٢٩﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيْبٍ إِلَّا لَمَّا مَنذُرُون ﴿٣٠﴾ ذَكَرْنِي وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - أفيستعجل هؤلاء المكذبون نزول عذابنا عليهم فيقولون: ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، ويقولون: ﴿رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦] ويقولون: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذَاهُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابَهُ مِنَ السَّمَاءِ وَأُنْزِلْ عَلَيْنَا عَذَابَ الْإِلْمِ﴾ [الأنفال: ٢٤]، ويقول: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ إلى غير ذلك من صور الاستعجال.

أفيستعجل هؤلاء نزول العذاب عليهم ويغترون بما هم فيه من النعيم في هذه الدنيا الفانية الزائلة، ألا فاعلم وأخبرهم أننا لو متعناهم عشرات السنين أو مئات السنين أو آلاف السنين، بكل صور المتاع فأعطوا من الدنيا كل ما أحبوا وكل ما رغبوا، وكل ما تمنوا فتزوج أحدهم بمن شاء، وأكل أحدهم وشرب مما يشاء ولبس ما يشاء، وسكن فيما يشاء وركب ما شاء وتقلد من المناصب ما شاء، وبعد ذلك جاءه الموت والحساب فما أغنى عنه كل ما تمتع به دنياه، ما أغنى عنه ماله ولا جاهه ولا منصبه ولا ولده ولا مسكنه، فسيأتي يوم يقول فيه قائل: ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِي﴾ ﴿٢٨﴾ هَلَكْ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴿٢٩﴾ [الحاقة: ٢٩] ويفتدى آخر بكل ما كان يملك في الدنيا فلا تقبل منه فدية ولا تنفعه شفاعة ولا يغني عنه ما كان فيه من النعيم.

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يُؤْتَى بِأَنعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ النَّارِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْعَةً. ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ! هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا. وَاللَّهِ يَا رَبِّ! وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ. فَيُصْبَغُ صَبْعَةً فِي الْجَنَّةِ فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ! هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا. وَاللَّهِ! يَا رَبِّ! مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ. وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ» (1).

وفي الحديث الآخر أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «جَاءَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى غ فَقَالَ لَهُ: أَجِبْ رَبَّكَ. قَالَ: فَلَطَمَ مُوسَى غ عَيْنَ مَلَكِ الْمَوْتِ فَفَقَّأَهَا. قَالَ: فَرَجَعَ الْمَلَكُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَقَالَ: إِنَّكَ أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَكَ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ. وَقَدْ فَقَّأَ عَيْنِي. قَالَ: فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ عَيْنَهُ وَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى عَبْدِي فَقُلْ: الْحَيَاةُ تُرِيدُ؟ فَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْحَيَاةَ فَضَعْ يَدَكَ عَلَى مَنْثَرٍ ثَوْرٍ، فَمَا تَوَارَتْ يَدُكَ مِنْ شَعْرَةٍ. فَإِنَّكَ تَعِيشُ بِهَا سَنَةً. قَالَ: ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: ثُمَّ تَمُوتُ قَالَ: فَالآنَ مِنْ قَرِيبٍ. رَبِّ! أَمَتْنِي مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ. رَمِيَةً بِحَجَرٍ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَاللَّهِ! لَوْ أَنِّي عِنْدَهُ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ، عِنْدَ الْكُتَيْبِ الْأَحْمَرِ» (2).

وفي رواية أخرى في الصحيحين (3) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى غ. فَلَمَّا جَاءَهُ صَغَّهُ فَفَقَّأَ عَيْنَهُ. فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ فَقَالَ: أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ. قَالَ: فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ عَيْنَهُ وَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهِ. فَقُلْ لَهُ: يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَنْثَرٍ ثَوْرٍ. فَلَهُ، بِمَا غَطَّتْ يَدُهُ بِكُلِّ

(1) مسلم (2807).

(2) مسلم (2372) وهو عند البخاري كذلك بنحوه (1339).

(3) مسلم (2372)، وانظر أيضًا البخاري (1339).

شَعْرَةً سَنَةً. قَالَ: أَيُّ رَبِّ! ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: ثُمَّ الْمَوْتُ. قَالَ: فَالآنَ. فَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمِيَّةً بِحَجَرٍ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَلَوْ كُنْتُ ثُمَّ، لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ تَحْتَ الْكُثِيبِ الْأَحْمَرِ».

أما قوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرَبَةٍ إِلَّا هُمْ يُنذِرُونَ﴾ (٢٠٨) ذَكَرُوا وَمَا كُنَّا نَظْلِمِينَ ﴿فَحَاصِلُ مَعْنَاهُ: أَنَّا أَعْذَرْنَا إِلَى الْخَلْقِ بِإِرْسَالِ الرِّسْلِ إِلَيْهِمْ وَلَمْ نَبْخَسْهُمْ حَقُّوْقَهُمْ فِي ذَلِكَ بَلْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْحُجَجِ فَأَنْذَرُوهُمْ وَحَذَرُوهُمْ وَبَلَّغُوهُمْ وَنَصَحُوهُمْ، مَوْعِظَةً مِنَّا وَتَذْكِيرًا لَهُمْ، وَمَا كُنَّا لِنُظْلِمَهُمْ بِإِهْلَاكِهِمْ بَلَا نَذِيرَ بَلْ أَنْذَرْنَاهُمْ وَحَذَرْنَاهُمْ، وَلَكِنْهُمْ كَذَبُوا الرِّسْلَ وَعَانَدُوهُمْ، بَلْ وَحَارَبُوهُمْ وَأَذَوْهُمْ.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

وقوله: ﴿أَفَعِدَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: أفبعذابنا هؤلاء المشركون يستعجلون بقولهم: لن نؤمن لك حتى ﴿تُثْقِلَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمَتَ عَلَيْنَا كَيْفًا﴾.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾ (٢٠٥) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَعُونَ ﴿٢٠٧﴾.

يقول تعالى ذكره: ثم جاءهم العذاب الذي كانوا يوعدون على كفرهم بآياتنا، وتكذيبهم رسولنا. ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُمْ﴾ يقول: أي شيء أغنى عنهم التأخير الذي أخرنا في آجالهم، والمتاع الذي متعناهم به من الحياة، إذ لم يتوبوا من شركهم، هل زادهم تمتيعنا إياهم ذلك إلا خبالاً؟، وهل نفعهم شيئاً؟، بل ضرهم بازديادهم من الآثام، واكتسابهم من الإجمام ما لو لم يمتعوا لم

يكتسبوه.

ويقول تعالى ذكره: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ﴾ من هذه القرى التي وصفت في هذه السور ﴿إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾ يقول: إلا بعد إرسالنا إليهم رسلاً يذنبونهم بأسنا على كفرهم وسخطنا عليهم. ﴿ذِكْرَى﴾ يقول: إلا لها منذرون يذنبونهم، تذكرة لهم وتنبيهاً لهم على ما فيه النجاة لهم من عذابنا. ففي الذكرى وجهان من الإعراب: أحدهما: النصب على المصدر من الإنذار على ما بيَّنتُ، والآخر: الرفع على الابتداء كأنه قيل: ذكرى.

وقوله: ﴿وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ يقول: وما كنا ظالمينهم في تعذيبناهم وإهلاكهم، لأننا إنما أهلكناهم، إذ عتوا علينا، وكفروا نعمتنا، وعبدوا غيرنا بعد الإعذار عليهم والإنذار، ومتابعة الحجج عليهم بأن ذلك لا ينبغي أن يفعلوه، فأبوا إلا التماذي في الغي.

وقال ابن كثير \$:

وقوله تعالى: ﴿أَفَعَدَابُنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾: إنكار عليهم، وتهديد لهم؛ فإنهم كانوا يقولون للرسول تكذيباً واستبعاداً: ﴿أَتُنَبِّئُكَ بِالْعَذَابِ﴾ [العنكبوت: ٢٤]، كما قال تعالى: ﴿وَسَتَّعِجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ الآية. [العنكبوت: ٢٥].

ثم قال: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾ ٢٥ ﴿ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ ٢٦ ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَوُونَ﴾ ٢٧ أي: ولو أخرناهم وأنظرناهم، وأملينا لهم برهة من الزمان وحيناً من الدهر وإن طال، ثم جاءهم أمر الله، أي: شيء يجدي عنهم ما كانوا فيه من النعم؟ ﴿كَانَتْهُمْ يَوْمَ يُؤْتَوْنَهَا لَمْ يَلْبَسُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوِ صُحُورًا﴾ ٢٨ [النازعات: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿يُؤَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزَجَةٍ مِنَ الْعَذَابِ﴾ ٢٩

يُعَمَّرُ ﴿البقرة: ١٢٥﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَا يُعْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ ﴿الليل: ٢﴾؛ ولهذا قال: ﴿وَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَنِعُونَ﴾.

وفي الحديث الصحيح (1): «يؤتى بالكافر فيغمس في النار غمسة، ثم يقال له: هل رأيت خيراً قط؟ هل رأيت نعيماً قط؟ فيقول: لا [والله يا رب]. ويؤتى بأشد الناس بؤساً كان في الدنيا، فيصبغ في الجنة صبغة، ثم يقال له: هل رأيت بؤساً قط؟ فيقول: لا والله يا رب» أي: ما كان شيئاً كان؛ ولهذا كان عمر بن الخطاب، **ف** يتمثل بهذا البيت:

كَأَنَّكَ لَمْ تُوتِرْ مِنَ الدَّهْرِ لَيْلَةً إِذَا أَنْتَ أَدْرَكْتَ الَّذِي كُنْتَ تَطْلُبُ

ثم قال الله تعالى مخبراً عن عدله في خلقه: أَنَّهُ مَا أَهْلَكَ أُمَّةً مِنَ الْأُمَمِ إِلَّا بَعْدَ الْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ، وَالْإِنْذَارَ لَهُمْ وَبَعَثَ الرُّسُلَ إِلَيْهِمْ وَقِيَامَ الْحُجَجِ عَلَيْهِمْ؛ ولهذا قال: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا مَا مُنْذَرُونَا﴾ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾﴾ ﴿الإسراء: ٩٥﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَنْتَلُوا عَلَيْهِمْ مَا أَتَيْنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾﴾ ﴿القصص: ٢٥﴾.



قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ ٢١٠ ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ٢١١ ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعَزُولُونَ﴾ ٢١٢ ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ﴾ ٢١٣ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ ٢١٤ ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ٢١٥ ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرِئَاءٍ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ٢١٦ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ ٢١٧ ﴿الَّذِي يَرِنُكَ حِينَ تَقُومُ﴾ ٢١٨ ﴿وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدِينَ﴾ ٢١٩ ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ٢٢٠ ﴿هَلْ أَنْتُمْ عَلَىٰ مَا أَنْزَلَ الشَّيَاطِينُ﴾ ٢٢١ ﴿تَنْزِلٌ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ أَثِيمٍ﴾ ٢٢٢ ﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ ٢٢٣ ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ ٢٢٤ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ ٢٢٥ ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ ٢٢٦ ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ ٢٢٧ ﴿[الشعراء: 210-227].

س: وضح معنى ما يلي:

﴿عَنِ السَّمْعِ - لَمَعَزُولُونَ - فَلَا نَدْعُ - وَأَخْفِضُ جَنَاحَكَ - وَتَوَكَّلْ - وَتَقَلِّبُكَ فِي السَّجْدَيْنِ - تَنْزَلُ - أَفَّاكٍ - أَثِيرٍ - يُلْقُونَ السَّمْعَ - الْفَاوُونَ - فِي كُلِّ وَادٍ - يَهيمُونَ - مُنْقَلَبٍ - يَنْقَلِبُونَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿عَنِ السَّمْعِ﴾	عن الاستماع للملائكة الذين يتحدثون في السماء بالأمر الذي قضاه الله
﴿لَمَعَزُولُونَ﴾	لممنوعون كما قال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَى آلَمٍ إِلَّا أَعْلَى وَيُقَدَّرُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾ [الصافات: ٢٢]، وقال: ﴿فَمَنْ يَسْمَعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شَهَابًا رَصَدًا﴾ [الجن: ٢٢].
﴿فَلَا نَدْعُ﴾	فلا تعبد
﴿وَأَخْفِضُ جَنَاحَكَ﴾	ألن الخطاب ولين الجانب وكن رقيقاً
﴿وَتَوَكَّلْ﴾	اعتمد
﴿وَتَقَلِّبُكَ فِي السَّجْدَيْنِ﴾	سجودك مع الساجدين، وأعمالك مع المصلين
﴿تَنْزَلُ﴾	تنزل
﴿أَفَّاكٍ﴾	كذاب (يصرف الناس عن الحق بكذبه وافترائه)
﴿أَثِيرٍ﴾	مرتكب للآثام
﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ﴾	يلقون ما يستمعونه من السماء وما يخطفونه (من الملائكة الذين يتحدثون في السماء بالأمر الذي قضاه الله)

الضلال من الإنس والجن والشیاطین	﴿أَغَاوَنَ﴾
في كل طريق، وفي كل فنٍّ، وفي كل موضوع	﴿فِي كُلِّ وَادٍ﴾
يخوضون – يتكلمون	﴿يَهَيِّمُونَ﴾
مرجع – مصير	﴿مُنْقَلَبٍ﴾
يرجعون إليه – يصيرون إليه	﴿يُنْقَلِبُونَ﴾



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ (١٣٠) وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ (١٣١) إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ (١٣٢) .

ج: المعنى - والله أعلم - وما تنزلت الشياطين بهذا القرآن، وما ينبغي لهم أن يتنزلوا به فليسوا بأهل لأن يتنزلوا بالقرآن، وليس من سجاياهم ولا من طبائعهم أن يتنزلوا بالقرآن فالقرآن هدى ونور، وهم (أي: الشياطين) يريدون إضلال العباد وإغوائهم فأنى لهم أن يتنزلوا بهذا القرآن، وأنى لهم أن يكرموا بحمله، ثم إن القرآن يؤذيهم ويخنسون ويهربون عند تلاوته.

ثم إنهم إن فكروا أن يأخذوه من الملائكة التي تتحدث في العنان، أي: في السماء ما استطاعوا ذلك؛ لأن الشهب أعدت لهم ترجمهم وتحرقهم فهم معزولون عن السمع (عن استماع الملائكة) كما قال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَى آلَمٍ إِلَّا أَعْلَىٰ وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾ (٨) دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿ [الصفافات: ٤، ٥] .

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

وقوله: ﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ يقول تعالى ذكره: وما تنزلت بهذا القرآن

الشياطين على محمد، ولكنه ينزل به الروح الأمين. ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ﴾ يقول: وما ينبغي للشياطين أن ينزلوا به عليه، ولا يصلح لهم ذلك. ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ يقول: وما يستطيعون أن يتنزلوا به، لأنهم لا يصلون إلى استماعه في المكان الذي هو به من السماء. ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ﴾ يقول: إن الشياطين عن سمع القران من المكان الذي هو به من السماء لمعزولون، فكيف يستطيعون أن يتنزلوا به؟!

وقال ابن كثير \$:

يقول تعالى مخبرًا عن كتابه العزيز، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد: أنه نزل به الروح الأمين المؤيد من الله، ﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾. ثم ذكر أنه يمتنع عليهم من ثلاثة أوجه، أحدها: أنه لا ينبغي لهم، أي: ليس هو من بُغيتهم ولا من طلبتهم؛ لأن من سجاياهم الفساد وإضلال العباد، وهذا فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونور وهدى وبرهان عظيم، فبينه وبين الشياطين منافاة عظيمة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ﴾.

وقوله: ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أي: ولو انبغى لهم لما استطاعوا ذلك، قال الله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَشِعًا مُّصَدَّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٥]. ثم بين أنه لو انبغى لهم واستطاعوا حمله وتأديته، لما وصلوا إلى ذلك؛ لأنهم بمعزل عن استماع القرآن حال نزوله؛ لأن السماء ملئت حرسًا شديدًا وشهبًا في مدة إنزال القرآن على رسوله، فلم يخلص أحد من الشياطين إلى استماع حرف واحد منه، لئلا يشتبه الأمر. وهذا من رحمة الله بعباده، وحفظه لشرعه، وتأبيده لكتابه ولرسوله؛ ولهذا قال:

﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ﴾، كما قال تعالى مخبراً عن الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ (٨) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِّلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَحْدِثْ لَّهُ شَهَابًا مَّرصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ يَمَن فِي الْأَرْضِ أَمَّ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿الجن: ٩﴾.



س: من لم يعمل صالحًا وتمادى في الغيِّ ومات على الكفر لن تغني عنه قرباته ولن يشفع فيه أحدٌ دليل ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

* قوله تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ٢٦].

* وقوله تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [البقرة: ٢٥].

* وقوله تعالى في شأن الخليل إبراهيم **ع** إذ قال لأبيه: ﴿لَا تَسْغِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [المتحنة: ٦]، وبعدها قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أَسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤].

* وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَحْبِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٦].

وكذا ابن نوح -على نوح السلام- إذا قال نوح: ﴿يَبْنَىٰ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ (٤٢) قَالَ سَوَاءٌ إِلَيَّ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿رَبِّ إِنِّي أَنبِئُ مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ (٤٥) قَالَ يَنْفُوخُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَتْلَنْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْظَمُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ [هود: ٤٢-٤٦].

* وقوله تعالى في شأن امرأة نوح وامرأة لوط: ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ

عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَاتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿٤٠﴾
[التحریم: ٤٠].

ونبيناً محمد ﷺ لم يغن عن عمه أبي لهب شيئاً بل نزلت فيه سورة المسد ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ...﴾.
وعمه أبو طالب في ضحضاح من نار يغلي منهما دماغه كما جاء في الحديث ولولا رسول الله (أي: لولا دفاعه عن رسول الله) لكان في الدرك الأسفل من النار.

* وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾
[المؤمنون: ٤١].

وقوله ﷺ: «من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه».
وستأتي أدلة أخر قريباً عند قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ وفي الباب أدلة أكثر بكثير مما ذكر.



س: ماذا صنع النبي ﷺ حينما أنزل عليه قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾؟

ج: ورد في ذلك ما يلي:

ما أخرجه البخاري (1) ومسلم من حديث أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اسْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا،

(1) البخاري (2753)، و(4771)، ومسلم (206).

يَا صَفِيَّةَ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ سَلِّينِي بِمَا شِئْتِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا».

وفي رواية (1):

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: لَمَّا أَنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُرَيْشًا فَاجْتَمَعُوا فَعَمَّ وَخَصَّ. فَقَالَ: «يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ أَنْقِدُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي مُرَّةِ بْنِ كَعْبٍ أَنْقِدُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ أَنْقِدُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ أَنْقِدُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي هَاشِمٍ أَنْقِدُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَنْقِدُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا فَاطِمَةُ أَنْقِذِي نَفْسَكَ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا غَيْرَ أَنْ لَكُمْ رَحِمًا سَأُبْلَاهَا بِبِلَالِهَا».

وعند البخاري (2) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ صَعَدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصَّفَا فَجَعَلَ يُنَادِي: يَا بَنِي فَهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ - لِبُطُونِ قُرَيْشٍ - حَتَّى اجْتَمَعُوا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ، فَقَالَ: أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟ قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا. قَالَ: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ. فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ أَلْهَذَا جَمَعْتُنَا؟ فَنَزَلَتْ: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ (١) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ».

وعند مسلم (3) من حديث عائشة قَالَتْ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ

(1) مسلم (204).

(2) البخاري (4770).

(3) مسلم (حديث 205).

الْأَقْرَبِ ﴿ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الصَّفَا فَقَالَ: «يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ! يَا صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ! يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ! لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا سَلُونِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمْ».

وعنده (1) أيضاً من حديث قَبِيصَةَ بْنِ الْمُخَارِقِ وَرُهَيْرِ بْنِ عَمْرِو قَالَا: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ قَالَ: انْطَلَقَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ إِلَى رَضْمَةٍ مِنْ جَبَلٍ. فَعَلَا أَعْلَاهَا حَجْرًا. ثُمَّ نَادَى: «يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ! إِنِّي نَذِيرٌ. إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ رَأَى الْعَدُوَّ فَاَنْطَلَقَ يَرْبَأُ أَهْلَهُ. فَخَشِيَ أَنْ يَسْبِقُوهُ فَجَعَلَ يَهْتَفُ: يَا صَبَاحَاهُ».



س: هل ورد أن النبي ﷺ تلا: (ورَهطك منهم المخلصين) عقب قوله:

﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾؟

ج: ورد هذا في صحيح مسلم (2) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ وَرَهْطُكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ. خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى صَعِدَ الصَّفَا. فَهَتَفَ: «يَا صَبَاحَاهُ!» فَقَالُوا: مَنْ هَذَا الَّذِي يَهْتَفُ قَالُوا: مُحَمَّدٌ فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ فَقَالَ: «يَا بَنِي فُلَانٍ! يَا بَنِي فُلَانٍ! يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ! يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ!» فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ فَقَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ بِسَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟» قَالُوا: مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا. قَالَ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ».

(1) مسلم (حديث 207).

(2) مسلم (حديث 208).

قال القرطبي \$:

قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ خص عشيرته الأقربين بالإنذار لتتحسم أطماع سائر عشيرته وأطماع الأجانب في مفارقتة إياهم على الشرك وعشيرته الأقربون قریش وقيل: بنو عبد مناف ووقع في صحيح مسلم ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (ورهلك منهم المخلصين) وظاهر هذا أنه كان قرأنا يتلى وأنه نسخ إذ لم يثبت نقله في المصحف ولا تواتر ويلزم على ثبوته إشكال وهو أنه كان يلزم عليه ألا ينذر إلا من آمن من عشيرته فإن المؤمنين هم الذين يوصفون بالإخلاص في دين الإسلام وفي حب النبي ﷺ لا المشركون لأنهم ليسوا على شيء من ذلك والنبي ﷺ دعا عشيرته كلهم مؤمنهم وكافرهم وأنذر جميعهم ومن معهم ومن يأتي بعدهم ﷺ فلم يثبت ذلك نقلا ولا معنى.



التحذير من الشرك والأمر بإنذار العشيرة الأقربين

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾ (٢١٣) وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢١٤) وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢١٥) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ (٢١٦) وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٢١٧) الَّذِي يَرِنَكَ إِذِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَتَقَلُّبِكَ فِي السَّجْدِينَ (٢١٩) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٢٢٠).

ج: هذا - والله أعلم، حاصله أن الله 5 حذر نبيه ﷺ من عبادة غير الله وتوعده بالعذاب إن فعل ذلك، وأمره أيضاً أن ينذر عشيرته الأقربين، وكذا أن يبلغ أهل الإيمان ويخفض جناحه لهم، فإن خالفوا في ذلك فليعلن عن براءته من أعمالهم وليتوكل على الله الذي لا يُغلب ولا يُمنع من

شيء يريد به فإنه به رحيم ثم طمأنه بأنه يسمعه ويراه في كل أحواله وفي سجوده مع الساجدين وأخبره بأنه هو السميع العليم، هذا إجمالاً.

*** وبشيء من التفصيل،** ينهى الله سبحانه وتعالى عبده ونبيه ورسوله محمداً ﷺ عن عبادة أحدٍ مع الله ﷻ، ويحذره من ذلك فإن فعل ذلك فإنه من المعذبين، وإذا كان الخطاب في صورته لرسول الله ﷺ فسائر أمته وسائر الخلق داخلون في الخطاب بلا شك ولقد قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (٧٢) **[المائدة: ٧٢]**، وقال تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ **[فصلت: ٢٢]**.

ثم يأمر الله ﷻ نبيه أن ينذر عشيرته الأقربين وأولهم أولاده وبنو جده عبد المطلب فقد بدأ بهم النبي ﷺ لما أنزلت عليه الآية الكريمة على ما أوضحته سابقاً.

أمره الله ﷻ أن ينذرهم ويخوفهم من عصيان أمر الله ﷻ وأن ينذرهم ويخوفهم عاقبة شركهم، وهي نارٌ تلظى والعياذ بالله.

وأمره الله ﷻ أن يُلين جانبه وكلامه مع أهل الإيمان، يخفض لهم الجناح ويلين لهم الخطاب، فإن أعرض هؤلاء (عشيرته الأقربون وغيرهم) عن الإيمان وأبوا إلا الكفر فليعلن عن براءته من أفعالهم قائلاً: إني بريء مما تعملون.

وكذا فليتوكل على الله وليعتمد عليه وحده لا شريك له فهو ناصره ومتولي أمره وموفقه وحافظه فهو الذي يراه عند قيامه في الصلاة وعند كل قيام يقومه وكذا كل مجلس يجلسه، ويرى تقلبه في الساجدين أي: ويرى سجوده مع الساجدين وصلاته مع المصلين ويبين له أنه السميع

لكل الأقوال والحركات والسكنات السميع لكل شيء العليم بكل شيء، ومنه سماعه لأقوالك لقومك وما أجابوك به، سميع لدعاتك ومجيبك إن شاء في الوقت الذي يشاء، سميع لمناجاتك وتلاوتك، العليم بكل شؤونك وشؤون غيرك وما يعتريك وما يعترى غيرك، عليم بما يضايقك وعليم بالفرج ووقت الفرّج.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿فَلَا تَدْعُ﴾ يا محمد ﴿مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ أي: لا تعبد معه معبودًا غيره ﴿فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ﴾ فينزل بك من العذاب ما نزل بهؤلاء الذين خالفوا أمرنا وعبدوا غيرنا. وقوله: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: وأنذر عشيرتك من قومك الأقربين إليك قرابة، وحذّرهم من عذابنا أن ينزل بهم بكفرهم. وقوله: ﴿وَخُفِّضْ جَنَاحَكَ﴾ يقول: وألن جانبك وكلامك ﴿لَمَنْ أَنْجَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٢١٦) **وَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ** (٢١٧) **الَّذِي يَرِنَاكَ حِينَ تَقُومُ** (٢١٨) **وَتَقْلُبَكَ فِي السَّجْدِينَ** (٢١٩) **إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** (٢٢٠)

يقول تعالى ذكره: فإن عصتك يا محمد عشيرتك الأقربون الذين أمرتك بإنذارهم، وأبوا إلا الإقامة على عبادة الأوثان، والإشراك بالرحمن، فقل لهم: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من عبادة الأصنام ومعصية باري الأنام. ﴿وَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ﴾ في نفمته من أعدائه ﴿الرَّحِيمِ﴾ بمن أناب إليه وتاب

من معاصيه.

﴿الَّذِي يَرَبُّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ يقول: الذي يراك حين تقوم إلى صلاتك.
﴿وَتَقَلِّبُكَ فِي السَّجْدَيْنِ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم:
معنى ذلك: ويرى تقلبك في صلاتك حين تقوم، ثم ترقع، وحين تسجد.
وقال آخرون: بل معنى ذلك: ويرى تقلبك في المصلين، وإبصارك
منهم من هو خلفك، كما تبصر من هو بين يديك منهم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وتقلبك مع الساجدين: أي تصرفك معهم
في الجلوس والقيام والقعود.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ويرى تصرفك في الناس.
وقال آخرون: بل معنى ذلك: وتصرفك في أحوالك كما كانت الأنبياء
من قبلك تفعله، والساجدون في قول قائل هذا القول: الأنبياء.

قال الطبري \$:

وأولى الأقوال في ذلك بتأويله قول من قال تأويله: ويرى تقلبك مع
الساجدين في صلاتهم معك، حين تقوم معهم وترقع وتسجد، لأن ذلك هو
الظاهر من معناه. فأما قول من وجهه إلى أن معناه: وتقلبك في الناس،
فإنه قول بعيد من المفهوم بظاهر التلاوة، وإن كان له وجه، لأنه وإن كان
لا شيء إلا وظله يسجد لله، فإنه ليس المفهوم من قول القائل: فلان مع
الساجدين، أو في الساجدين، أنه مع الناس أو فيهم، بل المفهوم بذلك أنه
مع قوم سجود، السجود المعروف، وتوجيه معاني كلام الله إلى الأغلب
أولى من توجيهه إلى الأنكر.

وكذلك أيضا في قول من قال: معناه: تتقلب في أبصار الساجدين، وإن

كان له وجه، فليس ذلك الظاهر من معانيه.

فتأويل الكلام إذن: وتوكل على العزيز الرحيم، الذي يراك حين تقوم إلى صلاتك، ويرى تقلبك في المؤمنين بك فيها بين قيام وركوع وسجود وجلس.

وقوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ يقول تعالى ذكره: إن ربك هو السميع تلاوتك يا محمد، وذكرك في صلاتك مما تتلو وتذكر، العليم بما تعمل فيها ويعمل فيها من يتقلب فيها معك مؤتمماً بك، يقول: فرتل فيها القرآن، وأقم حدودها، فإنك بمرأى من ربك ومسمع.

وقال ابن كثير \$:

يقول تعالى آمراً بعبادته وحده لا شريك له، ومخبراً أن مَنْ أشرك به عذبه.

ثم قال تعالى آمراً لرسوله، صلوات الله وسلامه عليه أن ينذر عشيرته الأقربين، أي: الأذنين إليه، وأنه لا يُخَلِّص أحداً منهم إلا إيمانه بربه ٥، وأمره أن يلين جانبه لمن اتبعه من عباد الله المؤمنين. ومن عصاه من خلق الله كائنًا مَنْ كان فليتبرأ منه؛ ولهذا قال: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾. وهذه النِّذَارَةُ الْخَاصَّةُ لَا تَنَافِي الْعَامَّةُ، بل هي فرد من أجزائها، كما قال: ﴿لَنُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أُنْذِرَ آبَاؤَهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ [يس:٢١]، وقال: ﴿لَنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الشورى:٢٤]، وقال: ﴿وَأُنْذِرَ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام:٦١]، وقال: ﴿لَتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَنُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدَا﴾ [مريم:٤٧]، وقال: ﴿لَنُذِرْكُم بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام:٦٢]، كما قال: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾ [هود:٤٧].

وفي صحيح مسلم: «والذي نفسي بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني، ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار». وقد وردت أحاديث كثيرة في نزول هذه الآية الكريمة. وأورد جملة أحاديث في هذا الصدد. سنذكر بعضها إن شاء الله، وقال:

وقوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ أي: في جميع أمورك؛ فإنه مؤيدك وناصرك وحافظك ومظفرك ومُعَلِّ كَلِمَتِكَ.

وقوله: ﴿الَّذِي يَرَبُّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ أي: هو معتنٍ بك، كما قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٢١٣].

قال ابن عباس: ﴿الَّذِي يَرَبُّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ يعني: إلى الصلاة.

وقال عكرمة: يرى قيامه وركوعه وسجوده.

وقال الحسن: ﴿الَّذِي يَرَبُّكَ حِينَ تَقُومُ﴾: إذا صليت وحدك.

وقال الضحاك: ﴿الَّذِي يَرَبُّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ أي: من فراشك أو مجلسك.

وقال قتادة: ﴿الَّذِي يَرَبُّكَ﴾: قائما وجالسا وعلى حالاتك.

وقوله: ﴿وَتَقَلَّبُكَ فِي السَّجْدَيْنِ﴾: قال قتادة: ﴿الَّذِي يَرَبُّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ (٢١٨) وَتَقَلَّبُكَ فِي

السَّجْدَيْنِ قال: في الصلاة، يراك وحدك ويراك في الجَمْع. وهذا قول عكرمة، وعطاء الخراساني، والحسن البصري.

وقال مجاهد: كان رسول الله ﷺ يرى مَنْ خلفه كما يرى مَنْ أمامه؛

ويشهد لهذا ما صح في الحديث: «سَوُّوا صفوفكم؛ فَإِنِّي أُرَاقِمُ مَنْ وَرَاءَ ظَهْرِي» (1).

وروى البزار وابن أبي حاتم، من طريقين، عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية: يعني قلبه من صلب نبي إلى صلب نبي، حتى أخرجه نبياً.

وقوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ أي: السميع لأقوال عبادِه، العليم بحركاتهم وسكناتهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ الآية. [يونس: ٤١].

قال السعدي \$ (تيسير الكريم الرحمن):

﴿وَأَخْفَضَ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بلين جانبك، ولطف خطابك لهم، وتوددك، وتحببك إليهم، وحسن خلقك والإحسان التام بهم، وقد فعل ﷺ، ذلك كما قال تعالى: ﴿فِمَا رَحِمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] فهذه أخلاقه ﷺ، أكمل الأخلاق، التي يحصل بها من المصالح العظيمة، ودفع المضار، ما هو مشاهد، فهل يليق بمؤمن بالله ورسوله، ويدعي اتباعه والافتداء به، أن يكون كلاً على المسلمين، شرس الأخلاق، شديد الشكيمة عليهم، غليظ القلب، فظ القول، فظيعه؟ [و] إن رأى منهم معصية، أو سوء أدب، هجرهم، ومقتهم، وأبغضهم، لا لين عنده، ولا أدب لديه، ولا توفيق، قد حصل من هذه المعاملة، من المفساد، وتعطيل المصالح ما حصل، ومع ذلك تجده محتقرا لمن اتصف بصفات الرسول الكريم، وقد رماه بالنفاق والمداهنة، وقد كمل نفسه ورفعها، وأعجب بعمله، فهل يعد هذا إلا من جهله، وتزيين الشيطان وخدعه له، ولهذا قال الله لرسوله: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ﴾ في أمر من الأمور، فلا تتبرأ منهم، ولا تترك معاملتهم، بخفض الجناح،

ولين الجانب، بل تبرأ من عملهم، فعظمهم عليه وانصحهم، وابذل قدرتك في ردهم عنه، وتوبتهم منه، وهذا لدفع احتراز وهم من يتوهم، أن قوله: ﴿وَخَفِضْ جَنَاحَكَ﴾ للمؤمنين، يقتضي الرضاء بجميع ما يصدر منهم، ما داموا مؤمنين، فدفع هذا بهذا والله أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَا نَزَّلَ الشَّيَاطِينُ﴾ (٣٣) نَزَّلَ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٣٤) يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْتَرُهم كَذِبُوتٌ (٣٥) .

ج: المعنى - والله أعلم - هل أخبركم أيها الناس على ما تنزل الشياطين، إنها لا تنزل على الرسل والأنبياء، وذلك لكونهم يتلون القرآن وهي تفر من القرآن، إنما تنزل (من الهواء لكونها تطير في الهواء) على كل كذاب يصرف الناس عن دينهم ﴿أَثِيمٍ﴾ مرتكب للآثام.

أما قوله تعالى: ﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ﴾، فالمراد أن الشياطين تلقي ما سمعته من حديث اختطفته من الملائكة الذين يتحدثون في الملاء الأعلى، تلقيه على السحرة أو الكهنة فتكذب السحرة والكهنة ويزيدون مع الكلمة الواحدة مائة كذبة (على ما سيأتي بيانه في تفسير سورة سبأ عند تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾).

فقوله تعالى: ﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ﴾: المراد به الشياطين تلقي ما سمعته على الكهنة.

فقوله: ﴿وَأكْتَرُهم كَذِبُوتٌ﴾: المراد به أكثر السحرة والكهنة كاذبون، وهذا قول أكثر المفسرين.

وهناك وجه آخر يبدو لي من السياق، والله أعلم حاصله أن قوله: يلْقون السمع عائدٌ على السحرة والكهنة (الأفاكون الأثمة) فالمعنى

يُصْغُونَ بِأَسْمَاعِهِمْ إِلَى إِمْلَاءَاتِ الشَّيَاطِينِ، وَيَقْبَلُونَ مَا تُلْقِيهِ عَلَيْهِمُ الشَّيَاطِينِ، ثُمَّ أَيْضًا فَأَكْثَرَهُمْ (أَكْثَرُ السَّحَرَةِ وَالْكُهْنَةِ) كَاذِبُونَ.

ونحوه في تفسير ﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ١٢] لكن الأخير مؤمن ويلقي السمع للقرآن والمواعظ، والله أعلم.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: ﴿هَلْ أَتَيْنَاكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾ من الناس؟ ﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ﴾ يعني كذاب بهات ﴿أَثِيمٍ﴾ يعني: آثم.

وقال \$:

حدثني محمد بن عمارة الأسدي، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن وهب، قال: كنت عند عبد الله ابن الزبير، فقيل له: إن المختار يزعم أنه يوحى إليه، فقال: صدق، ثم تلا ﴿هَلْ أَتَيْنَاكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾ ﴿٣٣﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ.

وقوله: ﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ﴾ يقول تعالى ذكره: يلقي الشياطين السمع، وهو ما يسمعون مما استرقوا سمعه من حين حدث من السماء، إلى ﴿كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ من أوليائهم من بني آدم.

وقوله: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَذِبُونَ﴾ يقول: وأكثر من تنزل عليه الشياطين كاذبون فيما يقولون ويخبرون.

وقال ابن كثير \$:

يقول تعالى مخاطبًا لِمَنْ زعم من المشركين أن ما جاء به الرسول ليس حقًا، وأنه شيء افتعله من تلقاء نفسه، أو أنه أتاه به رأي من الجن،

فنزله الله، سبحانه، جناب رسوله عن قولهم وافترائهم، ونبه أن ما جاء به إنما هو [الحق] من عند الله، وأنه تنزيله ووحيه، نزل به ملك كريم أمين عظيم، وأنه ليس من قبيل الشياطين، فإنهم ليس لهم رغبة في مثل هذا القرآن العظيم، وإنما ينزلون على من يشاكلهم ويشابههم من الكهان الكذبة؛ ولهذا قال الله: ﴿هَلْ أُتِيتُكُمْ﴾ أي: أخبركم. ﴿عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ أي: كذوب في قوله، وهو الأفَّاك الأثيم، أي الفاجر في أفعاله. فهذا هو الذي تنزل عليه الشياطين كالكهان وما جرى مجراهم من الكذبة الفسقة، فإن الشياطين أيضا كذبة فسقة.

﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ﴾ أي: يسترقون السمع من السماء، فيسمعون الكلمة من علم الغيب، فيزيدون معها مائة كذبة، ثم يلقونها إلى أوليائهم من الإنس فيتحدثون بها، فيصدقهم الناس في كل ما قالوه، بسبب صدقهم في تلك الكلمة التي سمعت من السماء، كما صح بذلك الحديث، كما رواه البخاري، من حديث الزهري: أخبرني يحيى بن عُرْوَةَ بن الزبير، أنه سمع عُرْوَةَ بن الزبير يقول: قالت عائشة، **ف**: سألت ناس النبي ﷺ عن الكهان، فقال: «إنهم ليسوا بشيء». قالوا: يا رسول الله، فإنهم يحدثون بالشيء يكون حقا؟ فقال النبي ﷺ: «تلك الكلمة من الحق يخطفها الجنى، فيقرقها في أذن وليه كقرقرة الدجاجة، فيخلطون معها أكثر من مائة كذبة» (1).

وقال البخاري أيضاً (2): حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان، حدثنا عمرو

(1) صحيح البخاري حديث (7561).

(2) صحيح البخاري حديث (4800).

قال: سمعت عكرمة يقول: سمعت أبا هريرة يقول: إن نبي الله ﷺ قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاءاً لقوله، كأنها سلسلة على صفوان، حتى إذا فُزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحق وهو العلي الكبير. فيسمعها مسترقو السمع، ومسترقو السمع، هكذا بعضهم فوق بعض». ووصف سفيان بيده فحرفها، وبدد بين أصابعه «فيسمع الكلمة، فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقوها الآخر إلى من تحته، حتى يلقوها على لسان الساحر - أو الكاهن - فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقوها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة. فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمع من السماء». انفرد به البخاري.



بحث يسير في الشعر

س: ما المراد بـ(الغاوون)؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: الغواة، أهل الغواية، والضلال من الناس، ومردة الشياطين وعصاة الجن.

الثاني: أنهم رواة الشعر، الذين يتتبعون الشعراء وينقلون شعرهم.

الثالث: أنهم الشياطين.

الرابع: أنهم ضلال الإنس والجن.

قال الطبري \$:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال فيه ما قال الله جلّ ثناؤه: **إِنَّ شَعْرَاءَ الْمُشْرِكِينَ يَتَّبِعُهُمْ غَوَاةٌ مِنَ النَّاسِ، وَمِرْدَةُ الشَّيَاطِينِ، وَعَصَاةُ الْجَنِّ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ عَمَّ بِقَوْلِهِ: ﴿وَالشَّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾** فلم يخص بذلك بعض الغواة دون بعض، فذلك على جميع أصناف الغواة التي دخلت في عموم الآية.



س: هل كل الشعراء يتبعهم الغاوون؟

ج: لا، بل هناك الذين استثناهم الله هـ بقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ والله أعلم.

ولقد كان من أصحاب رسول الله ﷺ شعراء نافحوا عن الإسلام ودافعوا عن رسول الله ﷺ وردوا أذى المشركين، كحسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك **ف** وغيرهم كذلك.

أخرج الطبري بسند صحيح عن عبد الرحمن بن زيد: قال رجل لأبي:

يا أبا أسامة، أرأيت قول الله جل ثناؤه: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ ^(٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ^(٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿ فَقَالَ لَهُ أَبِي: إنما هذا لشعراء المشركين، وليس شعراء المؤمنين، ألا ترى أنه يقول: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾... إلخ. فقال: فَرَجَّتْ عني يا أبا أسامة؛ فَرَجَّ الله عنك.



س: هل كل الشعر مذموم؟

ج: لا، بل حسنه كحسن الكلام وطيبه كطيب الكلام، وسيئه كسيء الكلام. فمنه إذن الطيب المستحب، ومنه المحرم والمكروه وكذلك منه المباح.

قال القرطبي \$:

قوله تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ﴾ جمع شاعر مثل جاهل وجهلاء قال ابن عباس: هم الكفار ﴿يَتَّبِعُهُمُ﴾ ضلال الجن والإنس وقيل ﴿الْغَاوُونَ﴾ الزائلون عن الحق ودل بهذا أن الشعراء أيضا غاؤون لأنهم لو لم يكونوا غاوين ما كان أتباعهم كذلك وقد قدمنا في سورة (النور) أن من الشعر ما لا يجوز إنشاده ويكره ويحرم وروى مسلم من حديث عمرو بن الشريد عن أبيه قال: «ردفت رسول الله ﷺ يوما فقال: هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء؟» قلت: نعم قال: (هيه) فأنشدته بيتا فقال: (هيه) ثم أنشدته بيتا فقال: (هيه) حتى أنشدته مائة بيت هكذا صواب هذا السند وصحيح روايته وقد وقع لبعض رواة كتاب مسلم: عن عمرو بن الشريد عن الشريد أبيه وهو وهم لأن الشريد هو الذي أُرِده رسول الله ﷺ واسم

أبي الشريد سويد وفي هذا دليلٌ على حفظ الأشعار والاعتناء بها إذا تضمنت الحكم والمعاني المستحسنة شرعاً وطبعاً وإنما استكثر النبي ﷺ من شعر أمية لأنه كان حكيماً ألا ترى قوله غ: «وكاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم» فأما ما تضمن ذكر الله وحمده والثناء عليه فذلك مندوب إليه كقول القائل:

الحمد لله العلي المنان صار الشريد في رؤوس العيدان

أو ذكر رسول الله ﷺ أو مدحه كقول العباس:

من قلها طبت في الظلال وفي مس تودع حيث يخصف الورق

ثم هبطت البلاد لا بشر أن ت ولا مضغة ولا علق

بل نطفة تركب السفين وقد أل جم نسرًا وأهله الغرق

تنقل من صالب إلى رحم إذا مضى عالم بدا طبق

فقال له النبي ﷺ: «لا يفض الله فاك» أو الذب عنه كقول حسان:

هجوت محمدا فأجبت عنه وعند الله في ذالك الجزاء

وهي أبيات ذكرها مسلم في صحيحه وهي في السير أتم أو الصلاة عليه كما روى زيد بن أسلم خرج عمر ليلة يحرس فرأى مصباحا في بيت وإذا عجوز تنفث صوفا وتقول:

على محمد صلاة الأبرار صلى عليه الطيبون الأخيار

قد كنت قواما بكا بالأسحار يا ليت شعري والمنايا أطوار

هل يجمعني وحببي الدار

يعني النبي ﷺ فجلس عمر ييكي وكذلك ذكر أصحابه ومدحهم ف

ولقد أحسن محمد بن سابق حيث قال:

إني رضيت عليا للهدى علما كما رضيت عتيقا صاحب الغار
وقد رضيت أبا حفص وشيعته وما رضيت بقتل الشيخ في الدار
كل الصحابة عندي قدوة علم فهل علي بهذا القول من عار
إن كنت تعلم أنني لا أحبهم إلا من أجلك فاعتقتي من النار

وقال آخر فأحسن:

حب النبي رسول الله مفترض وحب أصحابه نور ببرهان
من كان يعلم أن الله خالقه لا يرمين أبا بكر ببهتان
ولا أبا حفص الفاروق صاحبه ولا الخليفة عثمان بن عفان
أما علي فمشهور فضائله والبيت لا يستوي إلا بأركان

قال ابن العربي: أما الاستعارات في التشبيهات فمأذون فيها وإن استغرقت الحد وتجاوزت المعتاد فبذلك يضرب الملك الموكل بالرؤيا المثل وقد أنشد كعب بن زهير النبي ﷺ:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول
وما سعاد غداة البين إذ رحلوا إلا أغن غضيض الطرف مكحول
تجلو عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت كأنه منهل بالراح معلول

فجاء في هذه القصيدة من الاستعارات والتشبيهات بكل بديع والنبي ﷺ يسمع ولا ينكر في تشبيهه ريقها بالراح وأنشد أبو بكر ف:

فقدنا الوحي إذ وليت عنا وودعنا من الله الكلام

سوى ما قد تركت لنا رهينا توارثه القراطيس الكرام
فقد أورثتنا ميراث صدق عليك به التحية والسلام

فإذا كان رسول الله ﷺ يسمعه وأبو بكر ينشده فهل للتقليد والاقتداء موضع أرفع من هذا قال أبو عمر: ولا ينكر الحسن من الشعر أحد من أهل العلم ولا من أولي النهى وليس أحد من كبار الصحابة وأهل العلم وموضع القدوة إلا وقد قال الشعر أو تمثل به أو سمعه فرضيه ما كان حكمة أو مباحا ولم يكن فيه فحش ولا خنا ولا لمسلم أذى فإذا كان كذلك فهو والمنثور من القول سواء لا يحل سماعه ولا قوله وروى أبو هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ على المنبر يقول: «أصدق كلمة - أو أشعر كلمة - قالتها العرب قول لبيد:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل»

أخرجه مسلم وزاد: «وكاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم» وروي عن ابن سيرين أنه أنشد شعرا فقال له بعض جلسائه: مثلك ينشد الشعر يا أبا بكر فقال: ويلك يا لكع! وهل الشعر إلا كلام لا يخالف سائر الكلام إلا في القوافي، فحسنه حسن وقبيحه قبيح! قال: وقد كانوا يتذكرون الشعر قال: وسمعت ابن عمر ينشد:

يحب الخمر من مال الندامى ويكره أن يفارقه الغلوس

وكان عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أحد فقهاء المدينة العشرة ثم المشيخة السبعة شاعرا مجيدا مقدما فيه وللزبير بن بكار القاضي في أشعاره كتاب وكانت له زوجة حسنة تسمى عثمة فعتب عليها في بعض الأمر فطلقها وله فيها أشعار كثيرة منها قوله:

تغلغل حب عثمة في فؤادي فبأديه مع الخافي يسير
تغلغل حيث لم يبلغ شراب ولا حزن ولم يبلغ سرور
أكاد إذا ذكرت العهد منها أطيرو لو أن إنسانا يطير

وقال ابن شهاب: قلت له تقول الشعر في نسكك وفضلك! فقال: إن المصدور إذا نفث براً.

الثانية: وأما الشعر المذموم الذي لا يحل سماعه وصاحبه ملوم فهو المتكلم بالباطل حتى يفضلوا أجبن الناس على عنثرة وأشحهم على حاتم وأن يبهتوا البريء ويفسقوا التقي وأن يفرطوا في القول بما لم يفعله المرء رغبة في تسلية النفس وتحسين القول كما روي عن الفرزدق أن سليمان بن عبد الملك سمع قوله:

فبتن بجاني مصرعات وبت أفض أغلاق الختام

فقال: وقد وجب عليك الحد فقال: يا أمير المؤمنين قد درأ الله عني الحد بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ وروي أن النعمان بن عدي بن نضلة كان عاملاً لعمر بن الخطاب **ف** فقال:

من مبلغ الحسناء أن حليلها بميسان يسقى في زجاج وحنتم

إذا شئت غننتي دهاقين قرية ورقاصة تجذو على كل منسم

فإن كنت ندماني فبالأكبر اسقني ولا تسقني بالأصغر المتثلّم

لعل أمير المؤمنين يسوءه تنادمنّا بالجوسق المتهدّم

فبلغ ذلك عمر فأرسل إليه بالقدوم عليه وقال: إي والله إنني ليسوءني ذلك فقال يا أمير المؤمنين ما فعلت شيئاً مما قلت وإنما كانت فضلة من

القول وقد قال الله تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ فقال له عمر: أما عذرك فقد درأ عنك الحد ولكن لا تعمل لي عملاً أبداً وقد قلت ما قلت.

وقال القرطبي أيضاً:

روى مسلم عن أبي هريرة **ف** قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا حتى يريه خير من أن يمتلئ شعرا» وفي الصحيح أيضاً: عن أبي سعيد الخدري قال: بينا نحن نسير مع رسول الله ﷺ إذا عرض شاعر ينشد فقال رسول الله ﷺ: «خذوا الشيطان - أو أمسكوا الشيطان - لأن يمتلئ جوف رجل قيحا خير له من أن يمتلئ شعرا» قال علمائنا: وإنما فعل النبي ﷺ هذا مع هذا الشاعر لما علم من حاله فلعل هذا الشاعر كان ممن قد عرف من حاله أنه قد اتخذ الشعر طريقا للتكسب فيفرط في المدح إذا أعطي وفي الهجو والذم إذا منع فيؤذي الناس في أموالهم وأعراضهم ولا خلاف في أن من كان على مثل هذه الحالة فكل ما يكتسبه بالشعر حرام وكل ما يقوله من ذلك حرام عليه ولا يحل الإصغاء إليه بل يجب الإنكار عليه فإن لم يمكن ذلك لمن خاف من لسانه قطعاً تعين عليه أن يداريه بما استطاع ويدافعه بما أمكن ولا يحل له أن يعطى شيئاً ابتداءً لأن ذلك عون على المعصية فإن لم يجد من ذلك بدا أعطاه بنية وقاية العرض فما وقى به المرء عرضه كتب له به صدقة قلت قوله: «لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا حتى يريه» القيح: المدة يخالطها دم يقال منه: قاح الجرح يقيح وتقيح وقيح (يريه) قال الأصمعي: هو من الوري على مثال الرمي وهو أن يدوى جوفه يقال منه: رجل موري

مشدد غير مهموز وفي الصحاح: وروى القيح جوفه يريه وريا إذا أكله وأنشد اليزيدي:

قالت له وريا إذا تنحنا

وهذا الحديث أحسن ما قيل في تأويله: إنه الذي قد غلب عليه الشعر وامتلاً صدره منه دون علم سواه ولا شيء من الذكر ممن يخوض به في الباطل ويسلك به مسالك لا تحمد له كالمكثر من اللغط والهذر والغيبة وقبيح القول ومن كان الغالب عليه الشعر لزمته هذه الأوصاف المذمومة الدنية لحكم العادة الأدبية وهذا المعنى هو الذي أشار إليه البخاري في صحيحه لما بوب على هذا الحديث «باب ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر» وقد قيل في تأويله: إن المراد بذلك الشعر الذي هجي به النبي ﷺ أو غيره وهذا ليس بشيء لأن القليل من هجو النبي ﷺ وكثيره سواء في أنه كفر ومذموم وكذلك هجو غير النبي ﷺ من المسلمين محرم قليله وكثيره وحينئذ لا يكون لتخصيص الذم بالكثير معنى.

الرابعة: قال الشافعي: الشعر نوع من الكلام حسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام يعني أن الشعر ليس يكره لذاته وإنما يكره لمضمنااته وقد كان عند العرب عظيم الموقع قال الأول منهم:

وجرح اللسان كجرح اليد

وقال النبي ﷺ في الشعر الذي يرد به حسان على المشركين: [إنه لأسرع فيهم من رشق النبل] أخرجه مسلم وروى الترمذي وصححه عن ابن عباس أن النبي ﷺ دخل مكة في عمرة القضاء وعبد الله بن رواحة يمشي بين يديه ويقول:

خلوا بني الكفار عن سبيله اليوم نضربكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله

فقال عمر: يا ابن رواحة! في حرم الله وبين يدي رسول الله ﷺ! فقال رسول الله ﷺ: «خل عنه يا عمر فلهو أسرع فيهم من نضح النبل».



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ (٢٢٥).

ج: المعنى - والله أعلم -: ألم تعلم، وألم تر أن الشعراء في كل بابٍ يخوضون، وفي كل موضوع يتحدثون.

قال الطبري \$:

قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ألم تر يا محمد أنهم - يعني الشعراء - في كل واد يذهبون، كالهائم على وجهه على غير قصد، بل جائرا على الحق، وطريق الرشاد، وقصد السبيل. وإنما هذا مثل ضربه الله لهم في افتنانهم في الوجوه التي يفتنون فيها بغير حق، فيمدحون بالباطل قوما ويهجون آخرين كذلك بالكذب والزور.

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ يقول: في كل لغو يخوضون ولا يتبعون سنن الحق لأن من اتبع الحق وعلم أنه يكتب عليه ما يقوله تثبت ولم يكن هائما يذهب على وجه لا يبالي ما قال نزلت في عبد الله بن الزبير ومسافع بن عبد مناف وأمّية بن أبي الصلت: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ يقول: أكثرهم يكذبون أي يدلون بكلامهم على الكرم والخير ولا يفعلونه وقيل: إنها نزلت في أبي عزة الجمحي حيث قال:

ألا أبلغا عني النبي محمداً بأنك حق والمليك حميد
ولكن إذا ذكرت بدرا وأهله تأوه مني أعظم وجلود



س: وضح المراد بذكر الله ٥ في قوله: ﴿وَذَكِّرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك وجوه:

أحدها: ذكروا الله كثيرًا في أشعارهم.

الثاني: كان من شأنهم ذكر الله كثيرًا في أقوالهم وعلى ألسنتهم.

قال القرطبي \$:

ثم استثنى شعر المؤمنين: حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وكعب بن زهير ومن كان على طرقهم من القول الحق فقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكِّرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ في كلامهم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَأَنْتَصِرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمْتُمْ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم- وانتصروا من أهل الكفر والعصيان والعدوان لما ظلمهم هؤلاء، فهجوهم كما هجوهم، وكذا انتصروا من الذين اعتدوا على الإسلام.

قال الطبري \$:

وقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وهذا استثناء من قوله: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾. وذكر أن هذا الاستثناء نزل في شعراء رسول الله ﷺ، كحسان بن ثابت، وكعب بن مالك، ثم هو لكل من كان بالصفة التي وصفه الله بها.

وقوله: ﴿وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ اختلف أهل التأويل في حال الذكر الذي وصف الله به هؤلاء المستثنين من الشعراء، فقال بعضهم: هي حال منطقهم ومحاورتهم الناس، قالوا: معنى الكلام: وذكروا الله كثيرا في كلامهم.

وقال آخرون: بل ذلك في شعرهم.

قال الطبري:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله وصف هؤلاء الذين استثناهم من شعراء المؤمنين بذكر الله كثيرا، ولم يخص ذكرهم الله على حال دون حال في كتابه، ولا على لسان رسوله، فصفتهم أنهم يذكرون الله كثيرا في كل أحوالهم.

وقوله: ﴿وَأَنْصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ يقول: وانتصروا ممن هجاهم من شعراء المشركين ظلما بشعرهم وهجائهم إياهم، وإجابتهم عما هجوه به.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾؟

ج: المعنى — والله أعلم —: وسيعلم أهل الكفر والتكذيب والذين ظلموا أنفسهم بشركهم بالله واعتدائهم على الإسلام وأهله المنقلب السيء، والمرجع السيء الذي سيرجعون إليه إما في الدنيا عاجلاً غير آجل وفي الآخرة حتماً سيعلمون ما لهم من مصير سيء يصيرون إليه. والله أعلم.

قال القرطبي \$ ومعنى: ﴿أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ أي: مصير يصيرون وأي مرجع يرجعون لأن مصيرهم إلى النار وهو أقبح مصير ومرجعهم إلى

العقاب وهو شر مرجع والفرق بين المنقلب والمرجع أن المنقلب الانتقال إلى ضد ما هو فيه والمرجع العود من حال هو فيها إلى حال كان عليها فصار كل مرجع منقلبا وليس كل منقلب مرجعا والله أعلم.

وقال الطبري \$:

وقوله: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ يقول تعالى ذكره: وسيعلم الذين ظلموا أنفسهم بشركهم بالله من أهل مكة ﴿أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ يقول: أي مرجع يرجعون إليه، وأي معاد يعودون إليه بعد مماتهم، فإنهم يصيرون إلى نار لا يُطفأ سعيها، ولا يَسْكُنُ لها.



تفسير سورة النمل

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿طَسَّ تِلْكَ ءَايَةُ الْفُرْقَانِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّاتٌ لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخِسُونَ ﴿٥﴾ وَلَئِكَ لَنُتَلَقَّى الْفُرْقَانِ مِنَ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَتَاتِكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾ يَمْوَسَّىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْوَسَّى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلْ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾ وَادْخُلْ يَدُوكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ ءَايَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ ءَايَتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾ وَحَدِّثُوا بِهَا وَأَسْتَفِئْتَهَا أَنْفُسَهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾

[النمل: 1-14].

س: وضع معنى ما يلي:

﴿طَسَّ - مُبِينٍ - يُوقِنُونَ - زَيْنًا - يَعْمَهُونَ - لَنُلْقِيَنَّ - لَدُنَّ - ءَانَسْتُ - إِشْهَابٍ قَبَسٍ -
تَصْطَلُوبٌ - بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ - وَسُبْحَنَ اللَّهُ - جَانُّ - وَلَنْ مُدْرِكًا - وَلَنْ يُعْقِبَ - لَدَى -
بَدَلٌ حُسْنًا - مِنْ غَيْرِ سُوءٍ - قَسِيعَ آيَاتٍ - مُبْصِرَةً - سِحْرًا - وَحَدِّثُوا بِهَا - وَأَسْتَيْقِنَتْهَا
أَنْفُسُهُمْ - ظَلَمًا وَعُلُوًّا﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿طَسَّ﴾	أحرف مقطعة، بُدئت بها بعض السور لا يعمل معناها إلا الله
﴿مُبِينٍ﴾	مظهر موضع للأشياء - ظاهر بين
﴿يُوقِنُونَ﴾	يصدقون
﴿زَيْنًا﴾	حسنًا
﴿يَعْمَهُونَ﴾	يترددون - يتحIRON في الضلالة
﴿لَنُلْقِيَنَّ﴾	لنأخذ - لنلتقى
﴿لَدُنَّ﴾	عند
﴿ءَانَسْتُ﴾	أبصرت - أحسست
﴿إِشْهَابٍ قَبَسٍ﴾	بشعلة مقتبسة
﴿تَصْطَلُوبٌ﴾	تستدفئون (من البرد)
﴿بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ﴾	تقدس وتعظم وكثر الخير الوارد منه
﴿وَسُبْحَنَ اللَّهُ﴾	تنزه الله (عن كل ما لا يليق به)

﴿جَانَّ﴾	حية عظيمة، نوع من الحيات سريعة الحركة
﴿وَلَّى مَذْبَرًا﴾	انصرف هاربًا مسرعًا
﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾	لم يلتفت - لم يرجع
﴿لَدَى﴾	عندي
﴿بَدَلَ حَسَنًا﴾	عمل أعمالًا صالحة يبتغى بها وجه الله بعد أن عمل سوءًا
﴿مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ﴾	من غير برصٍ ولا مرض
﴿تَسْعَ آيَاتٍ﴾	تسع حجج واضحات - تسع معجزات
﴿مُبْصِرَةً﴾	مضيئة - نيرة - واضحة يسترشد بها من أراد
﴿سِحْرٍ﴾	سحر مظهر لمن رآه أن فاعله ساحر
﴿وَجَعَدُوا بِهَا﴾	أنكروها - كذبوا بها، مع علمهم أنها من عند الله
﴿وَأَسْتَيْقِنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾	كان عندهم يقين أنها من عند الله
﴿ظُلْمًا﴾	بخسًا لأنفسهم حقها من الأمان كلما كذبوا استجلبوا لأنفسهم نارًا
﴿وَعُلُوًّا﴾	تعالياً عن الحق ورفضاً له



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿طَسَّ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (١) هدى

وَيُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٣) .

ج: أما عن قوله تعالى: ﴿طَسَّ﴾ فأحرف مقطعة، لا يعلم معناها إلا

الله.

وقوله: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ﴾ هذه المتلوة عليك والمنزلة عليك آيات القرآن وكتاب مظهر موضح لكل الحقائق، مظهر لكونك رسول من عند الله ه، كتاب من عند الله حقًا، ليس كما يقول أهل الظلم وأهل الكفر من أنك افتريته وتقولته واختلقته، قد أنزلناه عليك ﴿هُدًى﴾ دلالة وإرشادًا وتوفيقًا وتبشيرًا للطائعين المصدقين بالله ووحدانيته وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

مبشرًا لهم بفسيح الجنان وجميل الثواب، تُبشر هؤلاء العاملين، الذين اتبعوا الإيمان بالعمل الصالح هم يُداومون على الصلاة ويحافظون عليها في أوقاتها بأركانها وواجباتها وحدودها وفرائضها، وكذا فإنهم يؤدون ما أوجب الله عليهم أداءه من الزكوات وهم بالآخرة وما فيها من الثواب والعقاب مُصدقين تمام التصديق.

وبنحو ذلك قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

إن هذه الآيات التي أنزلتها إليك يا محمد لآيات القرآن، وآيات كتاب مبين: يقول: يبين لمن تدبره، وفكر فيه بفهم أنه من عند الله، أنزله إليك، لم تتخرّصه أنت ولم تتقوله، ولا أحد سواك من خلق الله؛ لأنه لا يقدر أحد من الخلق أن يأتي بمثله، ولو تظاهر عليه الجن والإنس. وخفض قوله: ﴿وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ عطفًا به على القرآن. وقوله: ﴿هُدًى﴾ من صفة القرآن.

يقول: هذه آيات القرآن بيان من الله بيّن به طريق الحق وسبيل السلام. ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول: وبشارة لمن آمن به، وصدق بما أنزل فيه

بالفوز العظيم في المعاد.

وقوله: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ يقول: هو هُدًى وبشرى لمن آمن بها، وأقام الصلاة المفروضة بحدودها. وقوله: ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ يقول: ويؤدون الزكاة المفروضة. وقيل: معناه: ويُطهرون أجسادهم من دنس المعاصي. وقد بينا ذلك فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ يقول: وهم مع إقامتهم الصلاة، وإيتائهم الزكاة الواجبة، بالمعاد إلى الله بعد الممات يوقنون، فيذلون في طاعة الله، رجاء جزيل ثوابه، وخوف عظيم عقابه، وليسوا كالذين يكذبون بالبعث، ولا يبالون، أحسنوا أم أساءوا، وأطاعوا أم عصوا؛ لأنهم إن أحسنوا لم يرجوا ثوابًا، وإن أساءوا لم يخافوا عقابًا.

وقال ابن كثير \$:

وقوله: ﴿تِلْكَ آيَاتُ﴾ أي: هذه آيات ﴿الْفُرْقَانِ وَكِتَابِ مُبِينٍ﴾ أي: بين واضح. ﴿هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: إنما تحصل الهداية والبشارة من القرآن لمن آمن به واتبعه وصدق، وعمل بما فيه، وأقام الصلاة المكتوبة، وآتى الزكاة المفروضة، وآمن بالدار الآخرة والبعث بعد الموت، والجزاء على الأعمال، خيرها وشرها، والجنة والنار، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي آمَنُوا هُدًى وَشَفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ١٨]. وقال: ﴿لَتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَنُنَذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدَا﴾ [مريم: ١٧].

قال السعدي \$ (تيسير الكريم الرحمن):

ينبه تعالى عباده على عظمة القرآن ويشير إليه إشارة دالة على

التعظيم فقال:

﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ أي: هي أعلى الآيات وأقوى البينات وأوضح الدلالات وأبينها على أجل المطالب وأفضل المقاصد، وخير الأعمال وأزكى الأخلاق.

آيات تدل على الأخبار الصادقة والأوامر الحسنة والنهي عن كل عمل وخيم وخُلِقَ ذميم.

آيات بلغت في وضوحها وبيانها للبصائر النيرة مبلغ الشمس للأبصار.

آيات دلت على الإيمان ودعت للوصول إلى الإيمان، وأخبرت عن الغيوب الماضية والمستقبلية، طبقاً ما كان ويكون.

آيات دعت إلى معرفة الرب العظيم بأسمائه الحسنى وصفاته العلى وأفعاله الكاملة.

آيات عرفتنا برسله وأوليائه ووصفتهم حتى كأننا ننظر إليهم بأبصارنا، ولكن مع هذا لم ينتفع بها كثير من العالمين ولم يهتد بها جميع المعاندين صوتاً لها عن من لا خير فيه ولا صلاح ولا زكاء في قلبه، وإنما اهتدى بها من خصَّهم الله بالإيمان واستنارت بذلك قلوبهم وصفت سرائرهم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ

يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسُونَ ﴿٥﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: إن الذين يكذبون بالبعث وينكرونه وينكرون الثواب والعقاب والجنة والنار حسَّنا لهم في أعينهم أعمالهم،

فعملوا أعمالاً سيئة ورأوها حسنة فاستمروا فيها وتمادوا فيها، يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

فهؤلاء الذين استمروا في الضلالة مع ظنهم أنها حسنة لهم يوم القيامة العذاب الذي يُسيئهم وهم أكثر الناس خسراً لأنفسهم ولأعمالهم فقد ضاعت عليهم أعمالهم التي عملوها، بل وانقلبت عليهم شراً وعذاباً، والعياذ بالله.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: إن الذين لا يصدقون بالدار الآخرة، وقيام الساعة، وبالمعاد إلى الله بعد الممات والثواب والعقاب. ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾. يقول: حببنا إليهم قبيح أعمالهم، وسهّلنا ذلك عليهم. ﴿فَهُمْ يَعمَهُونَ﴾ يقول: فهم في ضلال أعمالهم القبيحة التي زينّاها لهم يترددون حيارى يحسبون أنهم يحسنون.

وقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة لهم سوء العذاب في الدنيا، وهم الذين قتلوا ببدر من مشركي قريش.

يقول: وهم يوم القيامة هم الأوضاعون تجارة والأوكسوها باشترائهم الضلالة بالهدى ﴿فَمَارِجَتْ يَجْرُئُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ **[البقرة: ١٧٥].**

وقال ابن كثير \$:

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ أي: يكذبون بها، ويستبعدون وقوعها ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ أي: حسنّا لهم ما هم فيه، ومددنا لهم في غيهم فهم يتيهون في ضلالهم. وكان هذا جزاء على ما كذبوا به من الدار الآخرة،

كما قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْعَادَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٤]، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ أي: في الدنيا والآخرة، ﴿وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسُونَ﴾ أي: ليس يخسر أنفسهم وأموالهم سواهم من أهل المحشر.

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ أي: لا يصدقون بالبعث ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ﴾ قيل: أعمالهم السيئة حتى رأوها حسنة وقيل: زيننا لهم أعمالهم الحسنة فلم يعملوها. وقال الزجاج: جعلنا جزاءهم على كفرهم أن زيننا لهم ما هم فيه، قوله تعالى: ﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ أي: يترددون في أعمالهم الخبيثة وفي ضلالتهم عن ابن عباس. أبو العالية: يتمادون. قتادة: يلعبون. الحسن: يتحирون، قال الراجز:

ومهمه أطرافه في مهمه أعمى الهدى بالحائرين العمه

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ وهو جهنم قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسُونَ﴾ في الآخرة تبين وليس بمتعلق بالآخرين فإن من الناس من خسر الدنيا وريح الآخرة وهؤلاء خسروا الآخرة بكفرهم فهم أخسر كل خاسر.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَنَّاكَ لَنَلْقَى الْقُرْآنَ مِنَ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: وإنك يا رسول الله لتأخذ هذا القرآن وتتلقاه من عند الله ٥ الحكيم في شرعه وقضائه وقدره، وفي كل الأمور العليم بكل الأحوال، لا تخفى عليه خافية.

هذا، ومن العلماء من قال إنه قوله: ﴿عَلِيمٍ﴾ متعلق بما بعده، أي: وإنك

لتلقى القرآن من عند حكيم عليم بقول موسى لأهله: إني آنست نارًا.

وهذه بعض أقوال العلماء في ذلك.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: وإنك يا محمد لتحفظ القرآن وتعلمه ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ يقول: من عند حكيم بتدبير خلقه، عليم بأنباء خلقه ومصالحهم، والكائن من أمورهم، والماضي من أخبارهم، والحادث منها.

وقال ابن كثير \$:

وقوله: ﴿وَأَنَّكَ لَتَلَقَى الْأُنثَرَاتِ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ أي: ﴿وَأَنَّكَ﴾ يا محمد - قال قتادة: ﴿لَتَلَقَى﴾ أي: لتأخذ. ﴿الْأُنثَرَاتِ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ أي: من عند حكيم عليم، أي: حكيم في أوامره ونواهيه، عليم بالأمور جليلها وحقيرها، فخبيره هو الصدق المحض، وحكمه هو العدل التام، كما قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٤].



س: ذكر العلماء قراءتين في قوله: ﴿بَشَاهِبِ قَبَسٍ﴾ وضحهما مع بيان معنيهما.

ج: أما القراءتان؛ فالأولى: بشهاب قبس ومعناها بشعلة اقتبسها.

والثانية: بشهاب قبس والمعنى بشهاب مقتبس.



س: ما العامل في قوله: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى﴾ ؟

ج: لأهل العلم هنا قولان:

أحدهما: أن العامل فيه ما تقدم قبله، وهو قوله: ﴿عَلِيمٍ﴾ فالمعنى عليم بقول موسى لأهله.

الثاني: أن العامل فيه واذكر، والمعنى واذكر يا رسول الله قول موسى لقومه. والله أعلم.



شيء من ذكر موسى غ

س: **وضح معنى قوله تعالى:** ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ بَأْسٍ شَدِيدٍ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم:- واذكر قول موسى غ لأهله حين رجوعه من بلاد مدين متجهاً إلى مصر، وهو في سيناء عند جبل الطور إذ قال لأهله والأجواء مظلمة والليالي باردة، وقد أبصر ناراً فقال: إني أبصرت ناراً فامكثوا حتى آتيكم منها بخبر لعلنا نستدل به على طريقنا طريق الرجوع أو آتي بخبر عن أهل مصر الذين سنذهب إليهم وعن فرعون وماذا صنع، أو آتيكم بشعلة من هذه النار اقتبسها منها لعلكم تستدفئون بها من هذا البرد، فلما جاءها ناداه ربُّه ه وكلمه أن بورك مَنْ في النار، أي تقدَّس من في النار وتعاضم وتكاثر الخير الوارد من قبله، والمراد بالنار – عند كثير من العلماء- النور الذي هو الحجاب، ففي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «جَبَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ» (1).

وقال بعض أهل العلم: إن المراد بالنار حقيقة إذ الله قال أن بورك من في النار.

وأما قوله: ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أي: وبارك الله فيمن حولها شرفهم الله بهذا

(1) انظر مسلم (حديث 179).

الشرف، كما قال في آية أخرى: ﴿رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ [هود: ٧٤] والمراد بالذين حولها الملائكة عليهم سلام الله وكذا موسى **ع**، وأيضا الوادي المكان فهو وادٍ مقدس كما قال تعالى: ﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه: ٩٦].

أما قوله تعالى: ﴿وَسُبِّحَنَ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: وتنزهه عن كل نقصٍ وعيب وتنزهه عن الشريك والمثيل والنِدِّ والصاحبة والولد وتنزهه عن كل ما لا يليق به، فهو ربُّ العالمين رب السموات والأرض وما بينهما.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

﴿إِذْ قَالَ مُوسَى﴾ وإذ من صلة عليم. ومعنى الكلام: عليم حين قال موسى ﴿لِأَهْلِيهِ﴾ وهو في مسيره من مدين إلى مصر، وقد آذاهم برد ليلهم لما أصلد زنده. ﴿إِنِّي أَنَسْتُ نَارًا﴾ أي: أبصرت نارا أو أحسستها، فامكثوا مكانكم ﴿سَاتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ﴾ يعني من النار، والهاء والألف من ذكر النار ﴿أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾.

اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة: «بِشِهَابٍ قَبَسٍ» بإضافة الشهاب إلى القبس، وترك التنوين، بمعنى: أو آتاكم بشعلة نار أقتبسها منها. وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة: ﴿بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ بتنوين الشهاب وترك إضافته إلى القبس، يعني: أو آتاكم بشهاب مقتبس.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان في قراءة الأمصار، متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

وقال \$:

وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ يقول: كي تصطلوا بها من البرد. وقوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا﴾ يقول: فلما جاء موسى النار التي أنسها ﴿تُودِي أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾.

وأورد الطبري بسند فيه مقال عن ابن عباس، قال: ﴿تُودِي أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ﴾ يقول: قدّس.

واختلف أهل التأويل في المعنى بقوله: ﴿مَنْ فِي النَّارِ﴾ فقال بعضهم: عني جلّ جلاله بذلك نفسه، وهو الذي كان في النار، وكانت النار نوره تعالى ذكره في قول جماعة من أهل التأويل.

وأورد أثرًا ضعيف الإسناد عن ابن عباس: في قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا تُودِي أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ﴾ يعني نفسه؛ قال: كان نور ربّ العالمين في الشجرة.

قال الطبري: وقال آخرون: بل معنى ذلك: بوركت النار.

وقال \$:

واختلف أهل التأويل في معنى النار في هذا الموضع، فقال بعضهم: معناه: النور، كما ذكرت عن ذلك عنه.

وقال آخرون: معناه النار لا النور.

وقوله: ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ يقول: ومن حول النار. وقيل: عني بمن حولها: الملائكة.

وقال آخرون: هو موسى والملائكة.

وقوله: ﴿وَسُبْحَنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يقول: وتنزيهاً لله رب العالمين، مما يصفه به الظالمون.

وقال الحافظ ابن كثير \$:

يقول تعالى لرسوله ﷺ مذكراً له ما كان من أمر موسى، كيف اصطفاه الله وكلمه، ونجاه وأعطاه من الآيات العظيمة الباهرة، والأدلة القاهرة، وابتعثه إلى فرعون وملئه، فجددوا بها وكفروا واستكبروا عن اتباعه والانقياد له، فقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ﴾ أي: اذكر حين سار موسى بأهله، فأضل الطريق، وذلك في ليل وظلام، فأنس من جانب الطور ناراً، أي: رأى ناراً تأجج وتضطرم، فقال ﴿إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَاءَتِ كُفْرُهَا بِخَبَرٍ﴾ أي: عن الطريق، ﴿أَوَّاتِكُمْ بِشَهَابٍ مِّنَ السَّمَاءِ تَصِطُّوْنَ﴾ أي: تتدفقون به. وكان كما قال، فإنه رجع منها بخبر عظيم، واقتبس منها نوراً عظيماً؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أي: فلما أتاها رأى منظرًا هائلاً عظيماً؛ حيث انتهى إليها، والنار تضطرم في شجرة خضراء، لا تزداد النار إلا توقدًا، ولا تزداد الشجرة إلا خضرة ونضرة، ثم رفع رأسه فإذا نورها متصل بعمان السماء.

قال ابن عباس وغيره (1): لم تكن ناراً، إنما كانت نوراً يتوهج.

وفي رواية عن ابن عباس (2): نور رب العالمين. فوقف موسى متعجباً مما رأى، فنودي أن بورك من في النار. قال ابن عباس: أي قُدس. ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أي: من الملائكة.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا يونس بن حبيب، حدثنا أبو داود -وهو الطيالسي- حدثنا شعبة والمسعودي، عن عمرو بن مُرَّة، سمع أبا عُبَيْدَةَ يحدث، عن أبي موسى **ق** قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنَامُ، وَلَا

(1، 2) ولم أفق على سند صحيح عن ابن عباس بهذا، والأسانيد التي وقفت عليها فيها مقال.

ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل». زاد المسعودي: «وحجابه النور -أو النار- لو كشفها لأحرقت سُبحات وجهه كل شيء أدركه بصره» (1). ثم قرأ أبو عُبَيْدَةَ: ﴿أَنْبُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ وأصل هذا الحديث مخرج في الصحيح لمسلم، من حديث عمرو ابن مُرَّة، به.

وقوله: ﴿وَسَبَّحَنَ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: الذي يفعل ما يشاء ولا يشبه شيئاً من مخلوقاته، ولا يحيط به شيء من مصنوعات، وهو العلي العظيم، المباين لجميع المخلوقات، ولا يكتنفه الأرض والسماوات، بل هو الأحد الصمد، المنزه عن مماثلة المحدثات.

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ﴾ (إذ) منصوب بمضمر وهو اذكر كأنه قال على أثر قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَلْقَىٰ الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾: خذ يا محمد بن آثار حكمته وعلمه قصة موسى؛ إذ قال لأهله: ﴿إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾ أي: أبصرتها من بعد قال الحارث بن حلزة:

آنست نبأه وأفزعها القناص عصراً وقد دنا الإمساء

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا﴾ أي فلما جاء موسى الذي ظن أنه نار وهي نور قاله وهب بن منبه، فلما رأى موسى النار وقف قريباً منها فرآها تخرج من فرع شجرة خضراء شديدة الخضرة (2) يقال لها العليق، لا تزدد النار إلا عظماً وتضرماً ولا تزدد الشجرة إلا خضرة وحسناً،

(1) مسلم (249 و 295 حديث 179) بنحوه.

(2) قلت: ولم أفق على خبر ثابت عن رسول الله ﷺ في ذكر الشجرة. والله أعلم.

فعجب منها وأهوى إليها بضغت في يده ليقبّس منها، فمالت إليه فخافها فتأخر عنها، ثم لم تزل تُطمعه ويطمع فيها إلى أن وضح أمرها على أنها مأمورة، لا يدري من أمرها إلى أن ﴿تُؤَدِّيْ اَنْ بُرْكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ وقد مضى هذا المعنى في (طه) ﴿تُؤَدِّيْ﴾ أي: ناداه الله كما قال: ﴿وَنَدَيْتُهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْاَيْمَنِ﴾ [مريم: ١٩] ﴿اَنْ بُرْكَ﴾ قال الزجاج: ﴿اَنْ﴾ في موضع نصب أي بأنه قال: ويجوز أن تكون في موضع رفع جعلها اسم ما لم يسم فاعله وحكى أبو حاتم أن في قراءة أبي وابن عباس ومجاهد (اَنْ بُورَكَتْ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا) قال النحاس: ومثل هذا لا يوجد بإسناد صحيح ولو صح لكان على التفسير فتكون البركة راجعة إلى النار ومن حولها الملائكة وموسى وحكى الكسائي عن العرب: باركك الله وبارك فيك الثعلبي العرب تقول: باركك الله وبارك فيك وبارك عليك وبارك لك أربع لغات، قال الشاعر:

فبوركت مولوداً وبوركت ناشئاً وبوركت عند الشيب إذ أنت أشيب

الطبري: قال ﴿بُرْكَ مَنْ فِي النَّارِ﴾ ولم يقل بورك في من في النار على لغة من يقول: باركك الله ويقال باركه الله وبارك له وبارك عليه وبارك فيه بمعنى أي: بورك على من في النار وهو موسى أو على من في قرب النار لا أنه كان في وسطها وقال السدي: كان في النار ملائكة، فالتبريك عائد إلى موسى والملائكة أي بورك فيك يا موسى وفي الملائكة الذين هم حولها وهذا تحية من الله تعالى لموسى وتكرمة له كما حيّا إبراهيم على السنة الملائكة حين دخلوا عليه قال: ﴿رَحِمْتُ اِلَهَ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ اَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [هود: ٧٦] وقول ثالث قاله ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير: قدس من

في النار وهو الله سبحانه وتعالى عني به نفسه تقدس وتعالى. قال ابن عباس و محمد بن كعب: النار نور الله ٥ نادى الله موسى وهو في النور.... إلى آخر ما قاله \$:



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يَمُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ١٠ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدِرًّا وَلَمْ يَعْصِبْ يَمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمَرْسُولِ ١١ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَلْ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ١٢؟

ج: أما قوله تعالى: ﴿يَمُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فحاصل معناه: أن الله ٥ أكرم موسى غ بكرامة عظيمة جدًا، وهي كونه ناداه وكلمه بلا واسطة قائلاً له: إنه أنا الله العزيز الذي لا يُغلب، الحكيم في كل شيء يشرعه ويقضيه.

ثم إن الله ٥ أمره بأن يلق عصاه التي في يده، فألقاها غ، فتحولت إلى حية عظيمة كما قال تعالى: ﴿فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ [طه: ٢١] والجآن نوع من أنواع الحيات العظيمة شديدة الحركة، فلما رآها موسى هكذا انصرف مسرعًا هاربًا ولم يلتفت ورائه ولم يرجع فناده ربه ٥: يا موسى لا تخف مما رأيت إني لا يخاف عندي المرسلون الذين أخذتهم واجتبيتهم، فهؤلاء لا يخافون لكن من ظلم منهم فإني أخيفه بسبب ما صدر منه من ظلم، وقد قال بعض أهل العلم هاهنا: إن موسى غ إنما خاف لكونه قد ظلم بقتل نفس لم يُؤمر بقتلها.

وروي عن بعض أهل العلم أن الأنبياء ٥ كانت تذنّب فتعاقب، أي: من ارتكب منهم شيئاً من الذنوب عُوقب به، ونُقل هذا بأسانيد فيها بعض

المقال عن بعض التابعين، وقال به بعض المفسرون.

هذا، ومن العلماء من قال: إن المعنى تمّ عند قوله: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ﴾.

أي: إني لا يخاف عندي رسلي إلا من ظلم منهم فإنه يخاف بسبب ذنبه.

أما قوله: ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فقال بعض أهل العلم: إنه هنا مستقرّ محذوف مفهوم من السياق، والمعنى: أما من ظلم من سائر خَلْقِي ثم عمل عملاً صالحاً مبنغياً به وجه الله فإني غفورٌ لذنبه، رحيمٌ به.

هذا، ومن العلماء من قال إن قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ﴾ إلى هنا تم الكلام ثم استثناء منقطع حاصل معناه لكن من ظلم من سائر خلقي، ثم بدل حُسْنًا بعد سوء فإني غفور له والله أعلم.

ويبقى هنا سؤال واردٌ على من قال إن من ظلم من المرسلين يُخيفه الله ٥ بسبب ظلمه، ألا وهو إن موسى غ لما قتل النفس التي لم يؤمر بقتلها استغفر من ذلك إذ قال: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ فطلب المغفرة وغفر الله له إذ الله قال: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ﴾ فكيف يُخيفه الله وقد غفر له؟؟؟!!!

وجواب ذلك فيما أرى والله أعلم أن موسى آنذاك لم يكن أَوْحِي إليه، وإنما أرسل غ بعد تكليم ربّه ٥ له، فمن ثمّ لم يكن قد علم أن الله غفر له فبقي خائفًا من عقوبة ذنبه، ولحقه شيء من هذا الخوف في هذا المقام.

أو يُقال: إن الله ٥ غفر له بعد هذه الوقائع.

أو يُقال: إنه لبيان أن من ظلم فإنه يخاف من عاقبة ظلمه.

أو يُقال: إلا من ظلم فإنه يخاف وإن كنت قد غفرت له والله أعلم.

وقال القرطبي \$:

فإن قال قائل: فما معنى الخوف بعد التوبة والمغفرة؟ قيل له: هذه سبيل العلماء بالله **هـ** أن يكونوا خائفين من معاصيهم وجلين وهم أيضاً لا يأمنون أن يكون قد بقي من أشرط التوبة شيء لم يأتوا به فهم يخافونه من المطالبة به. وقال الحسن وابن جريج: قال الله لموسى: إني أخفكتك لقتلك النفس. قال الحسن: وكانت الأنبياء تذنب فتعاقب. قال الثعلبي والقشيري والموردي وغيرهم: فالاستثناء على هذا صحيح أي إلا من ظلم نفسه من النبيين والمرسلين فيما فعل من صغيرة قبل النبوة وكان موسى خاف من قتل القبطي وتاب منه وقد قيل: إنهم بعد النبوة معصومون من الصغائر والكبائر قد مضى هذا في (البقرة).

قلت: والأول أصح لتصلهم من ذلك في القيامة كما في حديث الشفاعة وإذا أحدث المقرب حدثاً فهو وإن غفر له ذلك الحدث فأنثر ذلك الحدث باقي وما دام الأثر والتهمة قائمة، فالخوف كائن لا خوف العقوبة ولكن خوف العظمة والمتهم عند السلطان يجد للتهمة حزاة تؤديه إلى أن يكدر عليه صفاء الثقة، وموسى **غ** قد كان منه الحدث في ذلك الفرعوني ثم استغفر وأقر بالظلم على نفسه، ثم غفر له ثم قال بعد المغفرة: ﴿رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص: ٢٧] ثم ابتلي من الغد بالفرعوني الآخر وأراد أن يبطش به فصار حدثاً آخر بهذه الإرادة وإنما ابتلي من الغد؛ لقوله: ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ﴾ وتلك كلمة اقتدار من قوله: لن أفعل فعوقب بالإرادة حين أراد أن يبطش ولم يفعل فسلط عليه الإسرائيلي حتى أفشى سره؛ لأن الإسرائيلي لما رآه تشمر للبطش ظن

أنه يريد فافشى عليه ف ﴿قَالَ يَمُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾ [1] **القصص: ٢٤** فهرب الفرعوني وأخبر فرعون بما أفشى الإسرائيلي على موسى وكان القتل بالأمس مكتومًا أمره، لا يدرى مَنْ قتلته فلما علم فرعون بذلك وَجَّه في طلب موسى ليقتله واشتد الطلب وأخذوا مجامع الطرق، جاء رجل يسعى ف ﴿قَالَ يَمُوسَى إِنَّكَ أَلَمَلَايَاتِمُرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ﴾ [1] **القصص: ٢٥** الآية فخرج كما أخبر الله فخوف موسى إنما كان من أجل هذا الحدث فهو وإن قربه ربُّه وأكرمه واصطفاه بالكلام فالتهمة الباقية ولَّت به ولم يعقب.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قبيله لموسى: ﴿إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ﴾ في نقمته من أعدائه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في تدبيره في خلقه.

وقال \$:

وقوله: ﴿وَأَلْقَى عَصَاهُ فَلَمَّارَةً هَازِلَةً﴾ في الكلام محذوف ترك ذكره، استغناء بما ذكر عما حذف، وهو فألقاها فصارت حية تهتز ﴿فَلَمَّارَةً هَازِلَةً كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ يقول: كأنها حية عظيمة، والجآن: جنس من الحيات معروف.

وقال \$:

وقوله: ﴿وَلَّى مُدْبِرًا﴾ يقول تعالى ذكره: ولَّى موسى هاربًا خوفًا منها ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ يقول: ولم يرجع. من قولهم: عقب فلان: إذا رجع على عقبه إلى حيث بدأ.

وأورد الطبري بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ قال: لم يرجع ﴿يَمُوسَى﴾ قال: لما ألقى العصا صارت حية، فرعب منها وجزع،

فَقَالَ اللَّهُ: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ قال: فلم يرعوا لذلك، قال: فقال الله له: ﴿أَقِيلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِينَ﴾ [القصص: ٢٦] قال: فلم يقف أيضاً على شيء من هذا حتى قال: ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ [طه: ٥٦] قال: فالتفت فإذا هي عصا كما كانت فرجع فأخذها ثم قوي بعد ذلك حتى صار يرسلها على فرعون ويأخذها.

وقوله: ﴿يُمُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ ﴿١٠﴾ ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ يقول تعالى ذكره: فناداه ربه: يا موسى لا تخف من هذه الحية، إني لا يخاف لدي المرسلون. يقول: إني لا يخاف عندي رسلي وأنبيائي الذين أختصهم بالنبوة، إلا من ظلم منهم، فعمل بغير الذي أذن له في العمل به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

وقال الطبري - بعد أن أورد أقوالاً وبعض القراءات -:

قوله: ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ استثناء صحيح من قوله: ﴿لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ ﴿١٠﴾ ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ منهم فأتى ذنباً، فإنه خائف لديه من عقوبته، وقد بين الحسن \$ معنى قيل الله لموسى ذلك، وهو قوله قال: إني إنما أخفك لقتلك النفس. فإن قال قائل: فما وجه قيله إن كان قوله: ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ استثناءً صحيحاً، وخارجاً من عداد من لا يخاف لديه من المرسلين، وكيف يكون خائفاً من كان قد وعد الغفران والرحمة؟ قيل: إن قوله: ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حَسْتًا بَعْدَ سُوءٍ﴾ كلام آخر بعد الأول، وقد تناهى الخبر عن الرسل من ظلم منهم، ومن لم يظلم عند قوله: ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ ثم ابتدأ الخبر عن ظلم من الرسل، وسائر الناس غيرهم، وقيل: فمن ظلم ثم بدّل حسناً بعد سوء فإنني له غفور رحيم.

فإن قال قائل: فعلام تعطف إن كان الأمر كما قلت بـ(ثُمَّ) إن لم يكن عطفاً على قوله: ﴿ظَلَمَ﴾؟ قيل: على متروك استغني بدلالة قوله: ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ﴾ عليه عن إظهاره؛ إذ كان قد جرى قبل ذلك من الكلام نظيره، وهو فمن ظلم من الخلق. وأما الذين ذكرنا قولهم من أهل العربية، فقد قالوا على مذهب العربية، غير أنهم أغفلوا معنى الكلمة وحملوها على غير وجهها من التأويل. وإنما ينبغي أن يُحمل الكلام على وجهه من التأويل، ويلتمس له على ذلك الوجه للإعراب في الصحة مخرج لا على إحالة الكلمة عن معناها ووجهها الصحيح من التأويل.

وقوله: ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ﴾ يقول تعالى ذكره: فمن أتى ظلماً من خلق الله، وركب مائماً، ثم بدل حسناً، يقول: ثم تاب من ظلمه ذلك وركوبه المائم، ﴿فَإِنِّي عَفُورٌ﴾ يقول: فإني ساتر على ذنبه وظلمه ذلك بعفوي عنه، وترك عقوبته عليه ﴿رَحِيمٌ﴾ به أن أعاقبه بعد تبديله الحسن بضده.

وقال ابن كثير \$:

وقوله: ﴿يَمُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أعلمه أن الذي يخاطبه ويناجيه هو ربه الله العزيز الحكيم، الذي عز كل شيء وقهره وغلبه، الحكيم في أفعاله وأقواله.

ثم أمره أن يلقي عصاه من يده؛ ليظهر له دليلاً واضحاً على أنه الفاعل المختار، القادر على كل شيء. فلما ألقى موسى تلك العصا من يده انقلبت في الحال حية عظيمة هائلة في غاية الكبر، وسرعة الحركة مع ذلك؛ ولهذا قال: ﴿فَلَمَّا رَأَاهَا هَتَّزَتْ كَانَتْ جَانً﴾ والجاء: ضرب من الحيات، أسرع حركة، وأكثره اضطراباً - وفي الحديث نَهْيٌ عن قتل جِنَّان البيوت - فلما عاين

موسى ذلك ﴿وَلَىٰ مُدِيرٌ يُعَقِّبُ﴾ أي: ولم يلتفت من شدة فرقه ﴿يُمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمَرْسُولِ﴾ أي: لا تخف مما ترى، فإني أريد أن أصطفيك رسولا واجعلك نبيا وجيهاً.

وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلْ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ هذا استثناء منقطع، وفيه بشارة عظيمة للبشر، وذلك أن من كان على شيء ثم أقلع عنه، ورجع وأناب، فإن الله يتوب عليه، كما قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٤٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] والآيات في هذا كثيرة جداً.

قال القرطبي \$:

قوله تعالى: ﴿يُمُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ الهاء عماد وليست بكناية في قول الكوفيين والصحيح أنها كناية عن الأمر والشأن ﴿أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ﴾ الغالب الذي ليس كمثله شيء ﴿الْحَكِيمُ﴾ في أمره وفعله وقيل: قال موسى: يا رب من الذي نادى؟ فقال له: ﴿إِنَّهُ﴾ أي: أنا المنادي لك ﴿أَنَا اللَّهُ﴾.

وقال \$:

إنها قُلبت له أولاً حية صغيرة فلما أنس منها قُلبت حية كبيرة وقيل: انقلبت مرة حية صغيرة ومرة حية تسعى وهي الأنثى ومرة ثعباناً وهو الذكر الكبير من الحيات وقيل: المعنى انقلبت ثعباناً تهتز كأنها جانٌّ، لها عظم الثعبان وخفة الجان واهتزازة وهي حية تسعى وجمع الجان جنان ومنه الحديث: «نهى عن قتل الجنان التي في البيوت» ﴿وَلَىٰ مُدِيرٌ﴾ خائفاً على عادة البشر ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ أي: لم يرجع قاله مجاهد. وقال قتادة: لم يلتفت ﴿يُمُوسَىٰ لَا تَخَفْ﴾ أي: من الحية وضررها، ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمَرْسُولِ﴾ وتم

الكلام، ثم استثنى استثناء منقطعاً فقال: ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ وقيل: إنه استثناء من محذوف والمعنى: إني لا يخاف لدي المرسلون وإنما يخاف غيرهم ممن ظلم ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ﴾ فإنه لا يخاف.

ثم قال \$:

وفي الآية قول آخر: وهو أن يكون الاستثناء متصلاً والمعنى إلا من ظلم من المرسلين بإتيان الصغائر التي لا يسلم منها أحد سوى ما روي عن يحيى ابن زكريا **غ** وما ذكره الله تعالى في نبينا **غ** في قوله: ﴿لِيَغْفَرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢٤] ذكره المهدوي واختاره النحاس وقال: علم الله من عصى منهم يُسرّ الخيفة فاستثناه فقال: ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ﴾ فإنه يخاف وإن كنت قد غفرت له. الضحاك: يعني آدم وداود **ث**. الزمخشري: كالذي فرط من آدم ويونس وداود وسليمان وإخوة يوسف ومن موسى **غ** بوكزه القبطي.

قال السعدي \$ (تيسير الكريم الرحمن):

﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمَرْسُولِ﴾ لأن جميع المخاوف مندرجة في قضائه وقدره وتصريفه وأمره، فالذين اختصهم الله برسالاته واصطفاهم لوحيه لا ينبغي لهم أن يخافوا غير الله خصوصاً عند زيادة القرب منه والحظوة بتكليمه. ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ﴾ أي: فهذا الذي هو محلّ الخوف والوحشة بسبب ما أسدى من الظلم وما تقدم له من الجُرم، وأما المرسلون فما لهم وللوحشة والخوف؟ ومع هذا من ظلم نفسه بمعاصي الله، وتاب وأناب فبدل سيئاته حسنات ومعاصيه طاعات فإن الله غفور رحيم، فلا ييأس أحد من رحمته ومغفرته فإنه يغفر الذنوب جميعاً وهو أرحم بعباده من الوالدة

بولدها.



س: هل هذه الآية، إدخال اليد في الجيب وإخراجها بيضاء من غير سوء، داخلة في التسع أم أن الآيات تسع غيرها، وهي العاشرة؟

ج: الظاهر – والله أعلم- أنها داخلة في تلك الآيات التسع فقوله: ﴿فِي تِسْعَ آيَاتٍ﴾ معناه والله أعلم ضمن تسع آيات.

وإن كان من العلماء من قال إنها تسع غيرها وهي العاشرة، لكن ما قدمته أولى، ولقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسَلَّ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ﴾ [الإسراء: ١٠١].



الآيات التسع التي أيد بها موسى غ

س: ما هذه الآيات التسع؟

ج: منها بالاتفاق العصا واليد، العصا التي تحوّلت إلى حية تسعى، وتلك التي ضرب بها البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم، وتلك التي ضرب بها الحجر قائلاً: ثوبي يا حجر ثوبي يا حجر. واليد التي تخرج بيضاء من غير سوء.

فهاتان آيتان العصا واليد:

ومنها المذكورات في قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ﴾ [الأعراف: ١٣٣] فهذه خمس آيات.

(الطوفان – الجراد – القمل – الضفادع – الدم)

وثنتان في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾

[الأعراف: ١٢٢] فالسنون سنوات الشدة التي حَلَّتْ بهم ونزلت، بما فيها من فقر ومرض، ونقص الثمرات فهاتان اثنتان.

فيكون المجموع للمذكور كله تسع.

وهناك آيات تدخل ضمن المذكورات فالرجز المذكور في قولهم: ﴿

أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لِيَن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَ لَكَ وَلَتُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ **[الأعراف: ١٢٢]** داخلة في السنين (سنوات الشدة) أو داخل في الخمس المذكورات والله أعلم.

وهناك قرينة إيضاح لهذا في سورة الإسراء بحمد الله.



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ

غَيْرِ سُوِّ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (١٢٣).

ج: يقول الله تعالى لموسى **ع:** ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ أي: في فتحة ثوبك، تلك الفتحة التي تُدخل فيها رأسك ثم أخرجها فإن أخرجتها خرجت بيضاء من غير مرض من غير برص، خرجت بيضاء ناصعة فهذه آية ومعجزة ضمن تسع آيات ومعجزات أيدناك بها وأرسلناك بها إلى فرعون وقومه فقد كانوا قوماً فاسقين، كافرين بالله جاحدين وحدانيته ونعمه.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيله لنبيه موسى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ ذكر أنه تعالى ذكره أمره أن يدخل كفه في جيبه؛ وإنما أمره بإدخاله في

جبيته؛ لأن الذي كان عليه يومئذٍ مدرعة من صوف. قال بعضهم: لم يكن لها كُمٌّ. وقال بعضهم: كان كُمُّها إلى بعض يده.

وقال:

﴿وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ قال: الكفُّ فقط في جيبك، قال: كانت مدرعة إلى بعض يده، ولو كان لها كُمٌّ أمره أن يدخل يده في كمه.

وقوله: ﴿تَخْرُجُ بِيضًا﴾ يقول: تخرج اليد بيضاء بغير لون موسى ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ يقول: من غير برص ﴿فِي سَعِ آيَاتٍ﴾، يقول تعالى ذكره: ﴿وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بِيضًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾، فهي آية في تسع آيات مُرسل أنت بهنّ إلى فرعون؛ وترك ذكر مرسل لدلالة قوله: ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾ على أن ذلك معناه، كما قال الشاعر:

رَأَتْنِي بِحَبْلَيْهَا فَصَدَّتْ مَخَافَةً وَفِي الْحَبْلِ رَوْعَاءُ الْفُؤَادِ فَرُوقُ

ومعنى الكلام: رأيتني مقبلاً بحبلَيْها، فترك ذكر «مقبلاً» استغناء بمعرفة السامعين معناه في ذلك؛ إذ قال: رأيتني بحبلَيْها؛ ونظائر ذلك في كلام العرب كثيرة.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿سَعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾ قال: هي التي ذكر الله في القرآن: العصا، واليد، والجراد، والقمل، والضفادع، والطوفان، والدم، والحجر، والطمس الذي أصاب آل فرعون في أموالهم.

وقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ يقول: إن فرعون وقومه من القبط كانوا قوماً فاسقين، يعني: كافرين بالله، وقد بيّنا معنى الفسق فيما مضى.

وقال الحافظ ابن كثير \$:

وقوله: ﴿وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ هذه آية أخرى، ودليل باهر على قدرة الله الفاعل المختار، وصدق من جعل له معجزة، وذلك أن الله - تعالى - أمره أن يدخل يده في جيب يرعه، فإذا أدخلها وأخرجها خرجت بيضاء ساطعة، كأنها قطعة قمر، لها لمعان يتلأأ كالبرق الخاطف.

وقوله: ﴿فِي سَعِ آيَاتٍ﴾ أي: هاتان ثنتان من تسع آيات أويديك بهن، وأجعلهن برهاناً لك ﴿إِلَّا فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾. وهذه هي الآيات التسع التي قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى سَعِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ [الإسراء: ١٠١] كما تقدم تقرير ذلك هنالك.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (١٣) **وَحَمَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ** (١٤).

ج: المعنى - والله أعلم - فلما جاءت آل فرعون حججنا واضحة جلية منيرة يستنبطون بها، ومضيئة يستضيئون بها وبصائر يستبصرون بها ووصفوها بأنها سحر، فوصفوا العصا التي تحولت إلى حية تسعى بأنها سحر، ووصفوا اليد التي تخرج بيضاء للناظرين بأنها سحر، فقالوا: هذا سحر مبين، سحرٌ مظهر لمن رآه، أن فاعله ساحر، أما قوله: ﴿وَحَمَدُوا بِهَا﴾ أي: وكذبوا رسولنا لما جاءهم بهذه الآيات، وأنكروا أن تكون هذه معجزات من عند الله ٥ مع كونهم في قرار أنفسهم يوقنون أنها من عند الله، ولكن كذبوا بها فظلموا أنفسهم بهذا التكذيب، وكذبوا بها كبراً وتعالياً على الحق فأهلكوا أنفسهم بهذا الكبر وبذاك التعالي فانظر بعين الاعتبار والاتعاظ إلى ما حلَّ بهؤلاء القوم المفسدين، وكيف كانت عاقبة أمرهم،

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: فلما جاءت فرعون آياتنا، يعني: أدلتنا وحججنا، على حقيقة ما دعاهم إليه موسى وصحته، وهي الآيات التسع التي ذكرناها قبل. وقوله: ﴿مُبْصِرَةً﴾ يقول: يبصر بها من نظر إليها ورآها حقيقة ما دلت عليه.

وقال في قوله:

﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾، يقول: قال فرعون وقومه: هذا الذي جاءنا به موسى سحر مبين، يقول: يبين للناظرين له أنه سحر. **وقوله:** ﴿وَجَحَدُوا بِهَا﴾ يقول: وكذبوا بالآيات التسع أن تكون من عند الله.

وقوله: ﴿وَأَسْتَيْقِنَنَّهَا أَنْفُسُهُمْ﴾ يقول: وأيقنتها قلوبهم، وعلموا يقيناً أنها من عند الله، فعاندوا بعد تبينهم الحق، ومعرفتهم به.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد في قول الله: ﴿وَأَسْتَيْقِنَنَّهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ قال: استيقنوا أن الآيات من الله حق، فلما جحدوا بها؟ قال: ظلمًا وعلوًا.

وقوله: ﴿ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ يعني بالظلم: الاعتداء، والعلو: الكبر، كأنه قيل: اعتداءً وتكبرًا.

وقال:

ومعنى ذلك: وجحدوا بالآيات التسع ظلمًا وعلوًا، واستيقنتها أنفسهم أنها من عند الله، فعاندوا الحق بعد وضوحه لهم، فهو من المؤخر الذي معناه التقديم.

وقوله: ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾.

وقال الطبري أيضاً:

ويقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فانظر يا محمد بعين قلبك كيف كان عاقبة تكذيب هؤلاء الذين جحدوا آياتنا حين جاءتهم مبصرة؟! وماذا حلَّ بهم من إفسادهم في الأرض ومعصيتهم فيها ربهم، وأعقبهم ما فعلوا؟! فإن ذلك أخرجهم من جنات وعيون، وزروع ومقام كريم، إلى هلاك في العاجل بالغرق، وفي الآجل إلى عذاب دائم، لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون. يقول: وكذلك يا محمد سُنتي في الذين كذبوا بما جئتكم به من الآيات على حقيقة ما تدعوهم إليه من الحق من قومك.

وقال الحافظ ابن كثير \$:

وقوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً﴾ أي: بينة واضحة ظاهرة، ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ وأرادوا معارضته بسحرهم فغلبوا وانقلبوا صاغرين .
﴿وَجَحَدُوا بِهَا﴾ أي: في ظاهر أمرهم، ﴿وَأَسْتَقْبَلَتَهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ أي: علموا في أنفسهم أنها حقٌّ من عند الله، ولكن جحدوها وعاندوها وكابروها، ﴿ظَلَمُوا﴾ أي: ظلمًا من أنفسهم، سَجِيَّةً ملعونة، ﴿وَعُلُوًّا﴾ أي: استكبارًا عن اتباع الحق؛ ولهذا قال: ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ أي: انظر يا محمد كيف كان عاقبة كُفرهم، في إهلاك الله إياهم، وإغراقهم عن آخرهم في صبيحة واحدة.

وفحوى الخطاب يقول: احذروا أيها المكذبون بمحمد، الجاحدون لما جاء به من ربه، أن يصيبكم ما أصابهم بطريق الأولى والأخرى؛ فإن محمدًا، صلوات الله وسلامه عليه أشرف وأعظم من موسى، وبرهانه أدل وأقوى من برهان موسى، بما آتاه الله من الدلائل المقتزنة بوجوده

في نفسه وشمائله، وما سبقه من البشارات من الأنبياء به، وأخذ المواثيق له، عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام.

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ ءَايَتُنَا مُبْصِرَةً ﴾ أي: واضحة بينة. قال الأخفش: ويجوز مبصرة وهو مصدر كما يقال: الولد مجبنة ﴿ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّسْتَبِينٌ ﴾ جروا على عادتهم في التكذيب فلهذا قال: ﴿ وَحَمَدُوا بِهَا وَاسْتَيْفَنَتَهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ أي: تيقنوا أنها من عند الله وأنها ليست سحرًا ولكنهم كفروا بها وتكبروا أن يؤمنوا بموسى وهذا يدل على أنهم كانوا معاندين و﴿ ظُلْمًا ﴾ ﴿ وَعُلُوًّا ﴾ منصوبان على نعت مصدر محذوف أي وجدوا بها جحودًا ظلمًا وعلوًا والباء زائدة أي: وجدوها قاله أبو عبيدة ﴿ فَانْظُرْ ﴾ يا محمد ﴿ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ أي: آخر أمر الكافرين الطاغين انظر ذلك بعين قلبك وتدبر فيه الخطاب له والمراد غيره.

قصة نبي الله سليمان غ مع ملكة سبأ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ۝١٥ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَتَىٰهَا النَّاسُ عُلِمْنَا مَنَاطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ۝١٦ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِّنَ الْجِبِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝١٧ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَتَىٰهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝١٨ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَن أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَتِي وَأَن أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ۝١٩ ﴾ [النمل: 15-19].

س: وضع معنى ما يلي:

﴿مَنْطِقَ الطَّيْرِ - وَحْشَرَ - يُوزَعُونَ - لَا يَحْطِمْكُمْ - أَوْزَعِيَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾	لغة الطير
﴿وَحْشَرَ﴾	جُمع
﴿يُوزَعُونَ﴾	يرد أولهم لآخرهم وآخرهم لأولهم حتى يكونوا مجتمعين أو يكونون صفًا واحدًا، وقيل: يُساقون، وقيل: يتقدمون
﴿لَا يَحْطِمْكُمْ﴾	لا يكسرنكم
﴿أَوْزَعِيَ﴾	ألهمني



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٥).

ج: هذا - والله أعلم - إخبارٌ من الله ﷻ بالذي منَّ به على داود وسليمان ث، وبالذي أنعم به عليهما، وكيف وأنهما قابلا ذلك بالشكر وليس بالجحود والنكران، وهكذا كل من أنعم الله عليه يلزمه أن يقابل نعم الله بالشكر.

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾ والمراد النبوة وعلومها وسائر العلوم التي آتاها الله إياها فمن ذلك ما ذكره في شأن داود غ: ﴿وَأَتَيْنَاهُ

أَلْحَكَمَهُ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴿ص: ٢٤﴾، وقوله: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِنُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ﴾ [الأنبياء: ٢٤]، وكذا ما علمه الله سليمان من القضاء والفهم فيه، وتعليمه لغة الطير وغير ذلك، فلما آتاها ذلك قالوا شاكرين لله الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾ وذلك علم كلام الطير والدواب، وغير ذلك مما خصهم الله بعلمه. ﴿وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول جل ثناؤه: وقال داود وسليمان: الحمد لله الذي فضلنا بما خصنا به من العلم الذي آتانا، دون سائر خلقه من بني آدم في زماننا هذا على كثير من عباده المؤمنين به في دهرنا هذا.

وقال ابن كثير \$:

يخبر تعالى عما أنعم به على عبديه ونبييه داود وابنه سليمان، عليهما من الله السلام، من النعم الجزيلة، والمواهب الجلييلة، والصفات الجميلة، وما جمع لهما بين سعادة الدنيا والآخرة، والمُلْك والتمكن التام في الدنيا، والنبوة والرسالة في الدين؛ ولهذا قال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾ أي: فهما قاله قتادة وقيل: علمًا بالدين والحكم وغيرهما كما قال: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ [الأنبياء: ٢٤] وقيل: صنعة الكيمياء وهو شاذ وإنما الذي آتاها الله النبوة والخلافة في الأرض والزرور ﴿وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وفي الآية

دليل على شرف العلم وإنافة محله وتقدم حملته وأهله وأن نعمة العلم من أجل النعم وأجزل القسم وأن من أوتيته فقد أوتي فضلاً على كثير من عباد الله المؤمنين ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١].



س: هل كان سليمان غ يفهم لغة الطير فقط؟

ج: الظاهر – والله أعلم – أنه كان يعلم لغة الحيوانات أيضاً، والدواب عموماً بدليل فهمه للغة النمل على ما سيأتي بيانه إن شاء الله.

قال القرطبي \$:

قال ابن العربي: من قال إنه لا يعلم إلا منطق الطير فنقصان عظيم وقد اتفق الناس على أنه كان يفهم كلام من لا يتكلم ويخلق له فيه القول من النبات فكان كل نبت يقول له: أنا شجر كذا أنفع من كذا وأضر من كذا فما ظنك بالحيوان.



س: كيف يجمع بين قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ﴾ وبين قول النبي

ﷺ: «إِنَّا مَعَشَرُ الْأَنْبِيَاءِ لَا نُورِثُ»؟

ج: الجمع بأن يقال: إن سليمان إنما ورث العلم والنبوة، وليس المراد وراثته المال، ولو كان المراد وراثته المال ما ورثه سليمان وحده بل كان سيرته عموم وراثته، والله أعلم، وسيأتي مزيد من ذلك في أقوال المفسرين إن شاء الله.

قال القرطبي:

وقال ابن العربي: فلو كانت وراثته مال لانقسمت على العدد فخص

الله سليمان بما كان لداود من الحكمة والنبوة وزاده من فضله ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده، قال ابن عطية: داود من بني إسرائيل وكان ملكًا وورث سليمان ملكه ومنزلته من النبوة - بمعنى: صار إليه ذلك بعد موت أبيه فسمي ميراثًا تجوزًا وهذا نحو قوله: «العلماء ورثة الأنبياء» ويحتمل قوله غ: «إنا معشر الأنبياء لا نورث» أن يريد أن ذلك من فعل الأنبياء وسيرتهم وإن كان فيهم من ورث ماله كزكرياء على أشهر الأقوال فيه، وهذا كما تقول: إنا معشر المسلمين إنما شغلنا العبادة والمراد أن ذكر فعل الأكثر ومنه ما حكى سيبويه: إنا معشر العرب أقرى الناس للضيف.

قلت: قد تقدم هذا المعنى في (مريم) وأن الصحيح القول الأول لقوله غ: «إنا معشر الأنبياء لا نورث» فهو عامٌ ولا يخرج منه شيء إلا بدليل.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ وَقَالَ يَتَىٰهَا النَّاسُ عُلَمَنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ (١٧).

ج: المعنى - والله أعلم - وورث نبي الله سليمان غ علم أبيه داود ونبوته غ وقال شاكراً لله مُذَكِّراً بنعمه: ﴿يَتَىٰهَا النَّاسُ عُلَمَنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾، أي: لغة الطير ﴿وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من الخيرات وما تحتاج إليه وما يحتاجه الخلق في دنياهم ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُ الْفَضْلُ﴾ المظهر لمن تأمله أننا والله الحمد قد فضلنا.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ﴾ أباه ﴿دَاوُدَ﴾ العلم الذي كان آتاه الله في حياته، والمُلك الذي كان خصّه به على سائر قومه، فجعله له بعد أبيه

داود دون سائر ولد أبيه ﴿وَقَالَ يَتَآيَهَا النَّاسُ عِلْمًا مِّنْطِقِ الطَّيْرِ﴾ يقول: وقال سليمان لقومه: يا أيها الناس عِلْمًا مِّنْطِقِ الطير، يعني: فهما كلامها؛ وجعل ذلك من الطير كمنطق الرجل من بني آدم إذ فهمه عنها.

وقوله: ﴿وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يقول: وأعطينا ووهب لنا من كل شيء من الخيرات ﴿إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ يقول: إن هذا الذي أوتينا من الخيرات لهو الفضل على جميع أهل دهرنا المبين، يقول: الذي يبين لمن تأمله وتدبره أنه فَضْلٌ أعطيناه على من سوانا من الناس.

وقال ابن كثير \$:

وقوله: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ أي: في الملك والنبوة، وليس المراد وراثته المال؛ إذ لو كان كذلك لم يخص سليمان وحده من بين سائر أولاد داود، فإنه قد كان لداود مائة امرأة. ولكن المراد بذلك وراثته الملك والنبوة؛ فإن الأنبياء لا تورث أموالهم، كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ: «نحن معشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة» (1).

وقوله: ﴿يَتَآيَهَا النَّاسُ عِلْمًا مِّنْطِقِ الطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾، أي: أخبر سليمان بنعم الله عليه، فيما وهبه له من الملك التام، والتمكين العظيم، حتى إنه سَخَّرَ له الإنس والجن والطير. وكان يعرف لغة الطير والحيوان أيضًا، وهذا شيء لم يُعْطَ أحد من البشر -فيما علمناه- مما أخبر الله به ورسوله. وَمَنْ زعم من الجهلة والرّاع أن الحيوانات كانت تنطق كمنطق بني آدم قبل سليمان بن داود- كما يتفوه به كثير من الناس - فهو قولٌ بلا

(1) أخرجه البخاري (3711، 3712)، ومسلم (1759)، ولفظه: «ما تركناه فهو صدقة»، من حديث عائشة **ف** عن أبي بكر مرفوعًا، وعن عائشة أيضًا مرفوعًا عند البخاري (6730)، ومسلم (1758)، ومسلم (1761).

علم. ولو كان الأمر كذلك لم يكن لتخصيص سليمان بذلك فائدة؛ إذ كلهم يسمع كلام الطيور والبهائم، ويعرف ما تقول، فليس الأمر كما زعموا ولا كما قالوا، بل لم تنزل البهائم والطيور وسائر المخلوقات من وقت خُلقت إلى زماننا هذا على هذا الشكل والمنوال. ولكن الله - سبحانه وتعالى- كان قد أفهم سليمان **غ** ما يتخاطب به الطيور في الهواء، وما تنطق به الحيوانات على اختلاف أصنافها؛ ولهذا قال: ﴿عَلِمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: مما يحتاج إليه الملك، ﴿إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ أي: الظاهر البين لله علينا.



س: ما مدى صحة هذا الحديث:

قال الإمام أحمد: حدثنا قتيبة، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن، عن عمرو بن أبي عمرو، عن المطلب، عن أبي هريرة **ق** أن رسول الله ﷺ قال: «كان داود **غ** فيه غيرة شديدة، فكان إذا خرج أغلقت الأبواب، فلم يدخل على أهله أحد حتى يرجع». قال: «فخرج ذات يوم وأغلقت الأبواب، فأقبلت امرأته تطلع إلى الدار، فإذا رجل قائم وسط الدار، فقالت لمن في البيت: من أين دخل هذا الرجل، والدار مغلقة؟ والله لنفتضحن بداود، فجاء داود **غ** فإذا الرجل قائم وسط الدار، فقال له داود: مَنْ أَنْتَ؟ قال: الذي لا يهاب الملوك، ولا يمتنع من الحجاب، فقال داود: أَنْتَ وَاللَّهِ إِذَا مَلَكَ الْمَوْتُ. مرحبًا بأمر الله، فتزمل داود **غ** مكانه حتى قُبِضَتْ نفسه، حتى فرغ من شأنه وطلعت عليه الشمس، فقال سليمان **غ** للطير: أظلي على داود، فأظلت عليه الطير حتى أظلمت عليهما الأرض، فقال لها سليمان: اقبضي

جَنَاحًا جَنَاحًا» قال أبو هريرة: يا رسول الله، كيف فعلت الطير؟ فقبض رسول الله ﷺ يده، وغلبت عليه يومئذ المضرحية (1).

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ (١٧).

ج: المعنى - والله أعلم - **وجمع لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يُجمعون ويرتبون ويُرد أولهم حتى لا يتقدم ويرفع آخرهم حتى لا يتأخر، أي: كي يكونون مجتمعين.**

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: **وجمع لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير في مسير لهم فهم يوزعون.**

وأورد الطبري عدة أقوال: في معنى يوزعون.

منها: **يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا (أي: يرد أولهم على آخرهم).**

ومنها: **يساقون.**

ومنها: **يتقدمون.**

واختار الطبري قول من قال: **معناه يرد أولهم على آخرهم.**

قال: **وذلك أن الوازع في كلام العرب هو الكاف، يقال: وزع فلان فلانًا عن الظلم: إذا كَفَّه عنه.**

ثم قال: **وإنما قيل للذين يدفعون الناس عن الولاة والأمراء: وزعة: لكفهم إياهم عنه.**

(1) أحمد (419/2)، وفي سنده ضعف للانقطاع بين المطلب وأبي هريرة فالمطلب بن عبد الله بن حنطب لم يسمع أبا هريرة.

وقال ابن كثير \$:

وقوله تعالى: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ أي: وجمع لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير يعني: ركب فيهم في أبهة وعظمة كبيرة في الإنس، وكانوا هم الذين يلونه، والجن وهم بعدهم في المنزلة، والطير ومنزلتها فوق رأسه، فإن كان حُرًّا أظلمته منه بأجنحتها (1).

وقوله: ﴿ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ أي: يكفُّ أولهم على آخرهم؛ لئلا يتقدم أحد عن منزلته التي هي مرتبة له.

قال مجاهد: جعل على كل صنف وزعة، يردون أولها على آخرها؛ لئلا يتقدموا في المسير، كما يفعل الملوك اليوم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (١٨).

ج: المعنى - والله أعلم - **أن سليمان غ** لما مرَّ مع جنوده في هذا الحشد الهائل العظيم من الجن والإنس والطير، مرَّ على وادي النمل فقالت نملة محذرة قومها وبني جنسها: يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم حفاظاً على حياتكم فقد يدمركم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون بكم.

قال الطبري \$:

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ ﴾ حتى إذا أتى سليمان وجنوده على وادي النمل ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ ﴾

(1) قلت: وهذا الترتيب الذي ذكره لا أعلم دليلاً عليه.

سَلِيمَنُ وَجُنُودُهُ ﴿١٠﴾ يقول: لا يكسرنكم ويقتلنكم سليمان وجنوده ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ يقول: وهم لا يعلمون أنهم يحطمونكم.

س: في قول النملة: ﴿لَا يَحِطُّنَاكُمْ سَلِيمَنُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ إشارة إلى أمرٍ مهمٍّ من أمور المعتقد وضحه.

ج: هذا الأمر حاصله أن سليمان غ ومن معه لا يعلمون الغيب، فمع أنه سخرت له الجن فإنه وكذا الجن الذين معه قد لا يشعرون بأن النمل سيهلك وأنهم سيحطمون النمل، فإذا كان الأمر كذلك فحريٌّ بهم ألا يعلموا الغيب. والله أعلم.

س: في قول النملة: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ إشارة إلى رافة سليمان غ وضح ذلك.

ج: إيضاحه أن سليمان غ لن يحطم النمل ومساكنهم عن عمدٍ وعن قصدٍ، إنما إن صُدِرَ ذلك منه فيكون عن عدم علم. ففيه إذن إشارة إلى رافة سليمان غ بالحيوان.

قال القرطبي \$:

فقولها: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ التفاتة مؤمن أي: من عدل سليمان وفصله وفضل جنوده لا يحطمون نملة فما فوقها إلا بالأشياء يشعروا.

وقال \$:

وقولها: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ إشارة إلى الدين والعدل والرافة ونظير قول النملة في جند سليمان: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ قول الله تعالى في جند محمد ﷺ ﴿فَصَبِّحْكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةً بَعِيرَ عَلِيمٍ﴾ [الفتح: ١٧]. التفاتاً إلى أنهم لا يقصدون هدر مؤمن. إلا أن المثني على جند سليمان هي النملة بإذن الله تعالى، والمثني

على جند محمد ﷺ هو الله ﷻ بنفسه لما لجنود محمد ﷺ من الفضل على جند غيره من الأنبياء كما لمحمد ﷺ فضل على جميع النبيين ﷺ أجمعين.

س: هل كان لهذه النملة وصفٌ معينٌ تمتاز به عن سائر أنواع النمل؟

ج: لا أعلم لها وصفًا تمتاز به عن غيرها إنما هي أقوالٌ لبعض المفسرين لا مستند لها. من كتاب أو سنةٍ صحيحة، والله أعلم.



س: اذكر بعض الوارد في النهي عن قتل النمل.

ج: من ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث: أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ: «قَرَصَتْ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَمْلَةً، فَأَمَرَ بِقَرْيَةِ النَّمْلِ فَأَحْرَقَتْ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ، أَفِي أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ أَهْلَكَتْ أُمَّةً مِنَ الْأُمَمِ تُسَبِّحُ؟! فَهَلَا نَمْلَةٌ وَاحِدَةً!».

وفي الحديث الآخر: «نهى النبي ﷺ عن قتل النمل والنحل والهدهد والصُّرْد» (1).



س: في قول النملة: ﴿لَا يَخْطَمَنَّكُمْ سَلِيمَنٌ وَمُنُودٌ﴾ إشارة إلى حرص النملة على بني جنسها، ففضل بذلك على كثير من بني آدم وضح ذلك.

ج: إيضاحه – والله أعلم – أن النملة حرصت على سلامة بني جنسها، في الوقت الذي يدمر البشر بعضهم بعضًا، ويبيد بعضهم بعضًا، ويترك بعضهم الآخر جائعًا، مع أنه أي الثري يملك ملايين الأطنان من القمح في البحار والمحيطات ويتركون إخوانهم يموتون جوعًا.

(1) مسلم (2241)، وسنده صحيح، وقد أورده البعض في العلل بما لا يكاد يؤثر، انظر علل ابن أبي حاتم رقم (2374).



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَتَبَسَّ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ (١٩).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: أن سليمان غ لما أفهمه الله ه لغة النملة وقولها: تَبَسَّ تَبَسُّمُ الشاكر لله ه الحامد له؛ إذ أعلمه قولها تَبَسَّ تَبَسُّمُ المسرور لحرصها على جنسها وتذكر نعمة الله عليه فطلب من الله ه أن يعينه على شكر هذه النعم بقوله: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ ألهمني يا رب شكر نعمتك التي أنعمت بها عليّ وكذا نعمك التي أنعمت بها على والديّ وألهمني أن أعمل عملاً صالحاً ترضاه وتتقبله وأدخلني برحمتك في عداد عبادك الصالحين وفي مدخل عبادك الصالحين، وهم الأنبياء والمرسلون والمؤمنون، ألا وهو جنات النعيم.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: فتبسم سليمان ضاحكاً من قول النملة التي قالت ما قالت، وقال: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ يعني بقوله: ﴿أَوْزِعْنِي﴾: ألهمني.

وأورد الطبري بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد، في قول الله: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ قال: في كلام العرب، تقول: أوزع فلان بفلان، يقول: حرص عليه. وقال ابن زيد: ﴿أَوْزِعْنِي﴾ ألهمني وحرّضني على أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ.

قال الطبري: وقوله: ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ يقول: وأوزعني أن أعمل

بطاعتك وما ترضاه ﴿وَأَدْخَلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ يقول: وأدخلني برحمتك مع عبادك الصالحين، الذين اخترتهم لرسالتك وانتخبتهم لوحيك، يقول: أدخلني من الجنة مداخلهم.

وأورد الطبري بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَأَدْخَلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ قال: مع عبادك الصالحين الأنبياء والمؤمنين.

وقال ابن كثير \$:

﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدَيْكَ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ أي: ألهمني أن أشكر نعمتك التي مننت بها عليّ، من تعليمي منطق الطير والحيوان، وعلى والدي بالإسلام لك، والإيمان بك ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ أي: عملاً تحبه وترضاه، ﴿وَأَدْخَلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ أي: إذا توفيتني فألحقني بالصالحين من عبادك، والرفيق الأعلى من أوليائك.



س: هل من فائدة للتقيد بقوله: ﴿ضَاحِكًا﴾ عقب قوله: ﴿فَتَبَسَّمَ﴾؟

ج: أجاب على ذلك بعض العلماء بما حاصله أن التبسم قد يكون عن سعادة وسرور، وقد يكون عن غضب، وقد يكون عن تعجب، وقد يكون عن سخرية، وقد صح عن النبي ﷺ في قصة كعب بن مالك، والثلاثة الذين خُلفوا، قال كعب: فتبسم النبي ﷺ تبسم المغضب (1) ...

وقال القرطبي \$:

وقد قيل: إن تبسم سليمان سرور بهذه الكلمة منها ولذلك أكد التبسم

(1) البخاري (4418)، ومسلم (2769).

بقوله: ﴿صَاحِكًا﴾؛ إذ قد يكون التبسم من غير ضحك ولا رضا، ألا تراهم يقولون تَبَسَّ تَبَسَّمَ الغضبان وتَبَسَّ تَبَسَّمَ المستهزئين وتبسم الضحك إنما هو عن سرور ولا يُسرُّ نبي بأمر دنيا وإنما سر بما كان من أمر الآخرة والدين.



قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿وَنَفَقَدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾
لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِنِي رَسُولٌ مِّنْ رَبِّكَ يَقِينٍ ﴿٢١﴾
فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحْطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَا يُقِينِ ﴿٢٢﴾
إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾
وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ
أَعْمَلَهُمْ فصدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ
الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا
هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ ﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ
الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَكَذَا قَالَ قَهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا
يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [النمل: 20-28].

س: وضع معنى ما يلي:

﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ﴾ - ﴿سُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ - ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ - ﴿أَحْطَتْ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ - ﴿سَيِّئًا﴾ - ﴿بَنِيًّا﴾ - ﴿يَقِينٍ﴾ - ﴿تَمْلِكُهُمْ﴾ - ﴿عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ - ﴿وَزَيْنَ لَهُمْ﴾ - ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ - ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ - ﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ - الْخَبَاءِ﴾ - ﴿رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ - ﴿سَنَنْظُرُ﴾ - ﴿يَكْتُمِي﴾ - ﴿ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ - ﴿مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ﴾	بحث عنهم - فتش في أمرهم - تفقد أحوالهم ومن الموجود ومن المتخلف الغائب
﴿سُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾	بحجة بيّنة - بعذر واضح جليّ
﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾	انتظر زمانًا ليس بالطويل
﴿أَحْطَتْ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾	علمت أشياء لا تعلمها - أحطت علمًا بأمر لا تعلمها
﴿سَيِّئًا﴾	بلاد سبأ باليمن (عند مأرب)
﴿بَنِيًّا﴾	بخبر مؤكد
﴿يَقِينٍ﴾	يقيني
﴿تَمْلِكُهُمْ﴾	يعني: أنها ملكة عليهم
﴿عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾	سرير ملك عظيم
﴿وَزَيْنَ لَهُمْ﴾	حسن لهم
﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾	فصدهم عن طريق الحق
﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾	لا يعرفون طريق الحق والصواب ولا يوقنون له

﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾	ألا يا هؤلاء اسجدوا - وقيل: إنه استفسار والله
﴿الْخَبَاءِ﴾	الشيء المخفي المكنون كوقت نزول الغيث وكذا الغائب المكنون في الأرض
﴿تُخْفُونَ﴾	تسرون
﴿تُعْلِنُونَ﴾	تظهرون
﴿رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾	صاحب العرش العظيم
﴿سَنَنْظُرُ﴾	سنبحث
﴿تَكْتَبِي﴾	برسالتني
﴿فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ﴾	فألقي عليهم
﴿ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ﴾	ثم تنح عنهم جانبًا- يعني: حتى يقرأ الرسالة - ابتعد عنهم
﴿مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾	بماذا يردون؟



س: **وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَنَفَقَدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْفُكَاكِيَةِ﴾** (٢٠) **لَأَعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ** (٢١).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - أن نبي الله سليمان **غ** تفقد الطير، نظر في أمرها وهل هي متواجدة أم لا؟ فقال: ما لي لا أرى الهدد، أهو موجود ولكن بصري غفل عنه أم أنه غير موجود؟ ثم تهدده سليمان **غ** وتوعده بقوله: لأعذبه عذابًا شديدًا، قال فريق من العلماء: وذلك بنتف

ريشه أو لأذبحنه أو ليأتيني بحجة بيّنة تبين سبب تغيبه.

قال الطبري \$:

وقوله: ﴿فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ يعني بقوله: ﴿مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْدَ﴾ أخطأه بصري فلا أراه وقد حضر أم هو غائب فيما غاب من سائر أجناس الخلق فلم يحضر؟

وقوله: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ يقول: فلما أخبر سليمان عن الهدد أنه لم يحضر، وأنه غائب غير شاهد، أقسم ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ وكان تعذيبه الطير فيما ذكر عنه إذا عذبها أن ينتف ريشها.

وقوله: ﴿وَأَلْيَأْتِيَنِ سُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ يقول: أو ليأتيني بحجة تبين لسامعها صحتها وحقيقتها.

وأورد آثارًا متعددة عن ابن عباس وغيره في قوله: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ وذلك بنتف ريشه، أما السلطان المبين أي: بحجة له فيها عذر بَيِّن.



س: لماذا بحث سليمان غ عن الهدد خاصة؟

ج: أورد الطبري هذا السؤال وأجاب عليه بقوله:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَتَفَقَّدَ﴾ سليمان ﴿الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْدَ﴾.

وكان سبب تفقده الطير وسؤاله عن الهدد خاصة من بين الطير، ما: حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، قال: سمعت عمران عن أبي مجلز، قال: جلس ابن عباس إلى عبد الله بن سلام، فسأله عن الهدد: لم تفقده سليمان من بين الطير؟ فقال عبد الله بن سلام: إن سليمان نزل منزلة في مسير له، فلم يدر ما بُعد الماء، فقال: من يعلم بُعد

الماء؟ قالوا: الهدهد، فذاك حين تفقده.

قلت: وإسناده صحيح إلى ابن عباس **ق.**

وأورد الطبري له شاهدًا آخر:

عن ابن عباس، قال: كان سليمان بن داود يوضع له ستّ مائة كرسي، ثم يجيء أشراف الإنس فيجلسون مما يليه، ثم تجيء أشراف الجن فيجلسون مما يلي الإنس قال: ثم يدعو الطير فتظلمهم، ثم يدعو الريح فتحملهم، قال: فيسير في الغداة الواحدة مسيرة شهر، قال: فبينما هو في مسيره؛ إذ احتاج إلى الماء وهو في فلاة من الأرض، قال: فدعا الهدهد، فجاءه فنقر الأرض، فيصيب موضع الماء، قال: ثم تجيء الشياطين فيسلخونه كما يسلخ الإهاب، قال: ثم يستخرجون الماء. فقال له نافع بن الأزرق: قف يا وقاف، أرأيت قولك الهدهد يجيء فينقر الأرض، فيصيب الماء، كيف يبصر هذا، ولا يبصر الفخّ يجيء حتى يقع في عنقه؟ قال: فقال له ابن عباس: ويحك إن القدر إذا جاء حال دون البصر.

وسنده صحيح إلى ابن عباس أيضًا.

وأورد الطبري وجهًا آخر عن وهب بن منبه فقال: وقال وهب بن منبه: كان تفقده إياه وسؤاله عنه لإخلاله بالنوبة التي كان ينوبها، والله أعلم بأيّ ذلك كان؛ إذ لم يأتنا بأيّ ذلك كان تنزيل، ولا خبر عن رسول الله ﷺ صحيح.

فالصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أخبر عن سليمان أنه تفقد الطير؛ إما للنوبة التي كانت عليها وأخلت بها، وإما لحاجة كانت إليها عن بُعد الماء.

قال السعدي \$ (تيسير الكريم الرحمن):

﴿وَتَقَعَّدَ الطَّيْرَ﴾ دل هذا على كمال عزمه وحزمه وحسن تنظيمه لجنوده وتدبيره بنفسه للأمور الصغار والكبار، حتى إنه لم يهمل هذا الأمر وهو تفقد الطيور والنظر: هل هي موجودة كلها أم مفقود منها شيء؟ وهذا هو المعنى للآية.

وقال السعدي منتقداً قول من قال: إن سليمان غ طلب الهدهد ليدله على مكان الماء.

ولم يصنع شيئاً من قال: إنه تفقد الطير لينظر أين الهدهد منها ليدله على بعد الماء وقربه، كما زعموا عن الهدهد أنه يبصر الماء تحت الأرض الكثيفة، فإن هذا القول لا يدل عليه دليل بل الدليل العقلي واللفظي دالٌّ على بطلانه، أما العقلي فإنه قد عرف بالعادة والتجارب والمشاهدات أن هذه الحيوانات كلها ليس منها شيء يبصر هذا البصر الخارق للعادة، وينظر الماء تحت الأرض الكثيفة، ولو كان كذلك لذكره الله لأنه من أكبر الآيات.

وأما الدليل اللفظي فلو أريد هذا المعنى لقال: «وطلب الهدهد لينظر له الماء فلما فقده قال ما قال» أو «فتش عن الهدهد» أو: «بحث عنه» ونحو ذلك من العبارات، وإنما تفقد الطير لينظر الحاضر منها والغائب ولزومها للمراكز والمواضع التي عينها لها. وأيضاً فإن سليمان غ لا يحتاج ولا يضطر إلى الماء بحيث يحتاج لهندسة الهدهد، فإن عنده من الشياطين والعفاريت ما يحفرون له الماء، ولو بلغ في العمق ما بلغ. وسخر الله له الريح غدوها شهر ورواحها شهر، فكيف -مع ذلك- يحتاج إلى الهدهد!!

وهذه التفسير التي توجد وتشتهر بها أقوال لا يعرف غيرها، تنقل

هذه الأقوال عن بني إسرائيل مجردة ويغفل الناقل عن مناقضتها للمعاني الصحيحة وتطبيقها على الأقوال، ثم لا تزال تتناقل وينقلها المتأخر مسلماً للمنتقم حتى يظن أنها الحق، فيقع من الأقوال الرديئة في التفاسير ما يقع، واللييب الفطن يعرف أن هذا القرآن الكريم العربي المبين الذي خاطب الله به الخلق كلهم عالمهم وجاهلهم وأمرهم بالتفكر في معانيه، وتطبيقها على ألفاظه العربية المعروفة المعاني التي لا تجهلها العرب العرباء، وإذا وجد أقوالاً منقولة عن غير رسول الله ﷺ ردها إلى هذا الأصل، فإن وافقته قبلها لكون اللفظ دالاً عليها، وإن خالفته لفظاً ومعنى أو لفظاً أو معنى ردها وجزم ببطانها؛ لأن عنده أصلاً معلوماً مناقضاً لها وهو ما يعرفه من معنى الكلام ودلالته.

وقال السعدي أيضاً:

والشاهد أن تفقد سليمان غ للطيور، وفقده الهدهد يدل على كمال حزمه وتدبيره للملك بنفسه وكمال فطنته حتى فقد هذا الطائر الصغير ﴿ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴾ أي: هل عدم رؤيتي إياه لقلة فطنتي به لكونه خفياً بين هذه الأمم الكثيرة؟ أم على بابها بأن كان غائباً من غير إذني ولا أمري؟

فحينئذٍ تغيّط عليه وتوعده فقال: ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ دون القتل.



س: في قوله: ﴿ فَمَكَتْ ﴾ قراءتان وضحهما.

ج: الأولى: فمكت بضم الكاف.

والثانية: فمكت بفتح الكاف.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿فَمَكَتَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾
وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَاءٍ يَقِينٍ ﴿٣٣﴾ .

ج: المعنى - والله أعلم- أن الهدد أقام زمناً قصيراً ليس طويلاً
فجاء قائلاً لسليمان غ: أحطت بعلم لا تعلمه وجئتك من سبأ بخبر يقين،
خبر مؤكد.

وقال بعض العلماء: إن قوله: ﴿فَمَكَتَ﴾ عائد على سليمان غ،
والمعنى قريب، والله أعلم.

قال الطبري \$:

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿فَمَكَتَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ فمكت سليمان غير طويل
من حين سأل عن الهدد، حتى جاء الهدد.

وقوله: ﴿فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ يقول: فقال الهدد حين سأله سليمان
عن تخلفه وغيبته: أحطت بعلم ما لم تحط به أنت يا سليمان.

وقوله: ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَاءٍ يَقِينٍ﴾ يقول: وجئتك من سبأ بخبر يقين.

وقال ابن كثير \$:

يقول تعالى: ﴿فَمَكَتَ﴾ الهدد ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ أي: غاب زمناً يسيراً، ثم
جاء فقال لسليمان: ﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ أي: اطلعت على ما لم تطلع
عليه أنت ولا جنودك، ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَاءٍ يَقِينٍ﴾ أي: بخبر صدق حق
يقين. وسبأ: هم: حمير، وهم ملوك اليمن.

وقال القرطبي \$:

والضمير في (مكت) يحتمل أن يكون لسليمان والمعنى: بقي سليمان
بعد التفقد والوعيد غير طويل أي غير وقت طويل ويحتمل أن يكون
للهدد وهو الأكثر فجاء: ﴿فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ وهي:



س: وضح معنى قوله تعالى : ﴿ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَمَّا عَزَّزْتُ عَظِيمٌ ﴾ (٣٣) وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّيْءِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٣٤﴾.

ج: معناه - والله تعالى أعلم - أن الهدهد قال لسليمان غ مبيئًا عذره في التأخر والتخلف: إني وجدت امرأة تملك قوم سبأ هي الملكة عليهم وآتاها الله ه من كل شيء يحتاج إليه الملوك ويحتاج إليه الناس في دنياهم، ولها سرير ملكٍ تجلس عليه عظيم الشأن، وقد وجدتُها - مع هذا النعيم الذي هي فيه- هي وقومها يعبدون غير الله، إنهم يسجدون للشمس من دون الله، وحسَّن لهم الشيطان أعمالهم وزَيَّنَّها في نفوسهم وقلوبهم فصرفهم بهذا التزيين عن طريق الله ومرضاته فهم لا يهتدون إلى طريق الحق ولا إلى طريق الثواب.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري \$:

يقول تعالى مخبرًا عن قيل الهدهد لسليمان مخبرًا بعذره في مغيبه عنه: ﴿ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ ﴾ يعني: تملك سبأ، وإنما صار هذا الخبر للهدهد عذرًا وحجة عند سليمان، درأ به عنه ما كان أوعد به؛ لأن سليمان كان لا يرى أن في الأرض أحدًا له مملكة معه، وكان مع ذلك ﷺ رجلًا حُبَّ إليه الجهاد والغزو، فلما دلَّه الهدهد على مُلك بموضع من الأرض هو لغيره، وقوم كفرة يعبدون غير الله، له في جهادهم وغزوهم الأجر الجزيل، والثواب العظيم في الآجل، وضمَّ مملكة لغيره إلى ملكه،

حَقَّتْ لِهَذَا الْعِزَّةِ الْمَعْذَرَةُ، وَصَحَّتْ لَهُ الْحُجَّةُ فِي مَغْيِبِهِ عَنْ سُلَيْمَانَ.

وقوله: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يقول: وأوتيت من كل شيء يؤتاه الملك في عاجل الدنيا مما يكون عندهم من العتاد والآلة.

وقوله: ﴿وَمَا عَرْشُ عَظِيمٍ﴾ يقول: ولها كرسي عظيم. وعني بالعظيم في هذا الموضع: العظيم في قدره، وعظم خطره، لا عظمه في الكبر والسعة.

وقوله: ﴿وَجَدْنَاهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يقول: وجدت هذه المرأة ملكة سبأ، وقومها من سبأ، يسجدون للشمس فيعبدونها من دون الله. **وقوله:** ﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ يقول: وحسن لهم إبليس عبادتهم الشمس، وسجودهم لها من دون الله، وحبب ذلك إليهم ﴿فَصَدَّهمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ يقول: فمنعهم بتزيينه ذلك لهم أن يتبعوا الطريق المستقيم، وهو دين الله الذي بعث به أنبياءه، ومعناه: فصدهم عن سبيل الحق ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ يقول: فهم لما قد زين لهم الشيطان ما زين من السجود للشمس من دون الله والكفر به لا يهتدون لسبيل الحق ولا يسلكونه، ولكنهم في ضلالهم الذي هم فيه يترددون.

وأورد الحافظ ابن كثير \$ أقوالاً غريبةاً لا أرتضيها، وليس عليها مستند كقول قتادة كانت أمها جنية إلى آخر ما قال فأضربت عنه عمداً، وقال \$:

قال الحسن البصري: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ وهي بلقيس بنت شراحيل ملكة سبأ.

قلت (مصطفى): وكذا قال غير واحد من أهل العلم أن اسمها بلقيس، ولم أقف على خبر عن رسول الله ﷺ يؤيد ذلك ولا ينفيه. وهذا، وقد قال

ابن كثير \$:

وقوله: ﴿ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ أي: من متاع الدنيا ما يحتاج إليه الملك المتمكن، ﴿ وَمَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ يعني: سرير تجلس عليه عظيم هائل مزخرف بالذهب، وأنواع الجواهر واللآلئ.

قال علماء التاريخ: وكان هذا السرير في قصر عظيم مشيد رفيع البناء محكم، كان فيه ثلاثمائة وستون طاقة من شرقه ومثلها من غربه، قد وضع بناؤه على أن تدخل الشمس كل يوم من طاقة، وتغرب من مقابلتها، فيسجدون لها صباحًا ومساءً؛ ولهذا قال: ﴿ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّيْءِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ ﴾ أي: عن طريق الحق، ﴿ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾.

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: ﴿ إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمْلِكُهُمْ ﴾ لما قال الهدهد: ﴿ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَايَ قَيْنٍ ﴾ قال سليمان: وما ذلك الخبر؟ قال: ﴿ إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمْلِكُهُمْ ﴾ يعني: بلقيس بنت شراحيل تملك أهل سبأ ويقال: كيف خفي على سليمان مكانها وكانت المسافة بين محطه وبين بلدها قريبة وهي من مسيرة ثلاث بين صنعاء ومأرب؟ والجواب أن الله تعالى أخفى ذلك عنه لمصلحة كما أخفى على يعقوب مكان يوسف.

وقال \$:

قوله تعالى: ﴿ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ مبالغة أي: مما تحتاجه المملكة. وقيل: المعنى أوتيت من كل شيء في زمانها شيئاً فحذف المفعول لأن الكلام دل عليه ﴿ وَمَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ أي: سرير، ووصفه بالعظم في الهيئة

ورتبة السلطان قيل: كان من ذهب تجلس عليه، وقيل: العرش هنا الملك والأول أصح؛ لقوله تعالى: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِي بِعَرْشِهَا﴾ [النمل: ٢٥] الزمخشري: فإن قلت كيف سوى الهدد بين عرش بلقيس وعرش الله في الوصف بالعظيم؟ قلت: بين الوصفين بؤنٌ عظيم لأن وصف عرشها بالعظيم تعظيم له بالإضافة إلى عروش أبناء جنسها من الملوك ووصف عرش الله بالعظيم تعظيم له بالنسبة إلى ما خلق من السموات والأرض.



س: هل ثبت شيء عن رسول الله ﷺ يفيد أن ملكة سبأ كانت أمها من الجن؟
ج: لم أفق على أي شيء ثابت عن رسول الله ﷺ يفيد ذلك. والله أعلم.



س: هل ثبت أن النبي ﷺ قال: «لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَوْ أَمَرَهُمْ امْرَأَةٌ»؟ وما مناسبة ذلك؟ يرجى إلقاء بعض الضوء على معناه؟
ج: نعم ثبت ذلك في البخاري، وكذا مناسبته في البخاري من حديث أَبِي بَكْرَةَ قَالَ: لَقَدْ نَفَعَنِي اللَّهُ بِكَلِمَةٍ سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَيَّامَ الْجَمَلِ بَعْدَ مَا كِدْتُ أَنْ أَلْحَقَ بِأَصْحَابِ الْجَمَلِ فَأُقَاتِلَ مَعَهُمْ؟ قَالَ: لَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ أَهْلَ فَارِسَ قَدْ مَلَكَوا عَلَيْهِمْ بَنَتْ كِسْرَى قَالَ: «لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَوْ أَمَرَهُمْ امْرَأَةٌ» (1).



المرأة والعمل بالفضاء

س: هل يجوز أن تعمل المرأة قاضية؟

ج: أما كونها تقضي بين الرجال كعمل دائم لها فهذا مما لا أعلم له مستنداً عن رسول الله ﷺ، ثم إن الصحابة والتابعين لم يظهر فيهم ذلك، ولا أتباع التابعين، والله أعلم.

ثم إن النساء ناقصات عقلٍ ودينٍ كما قال النبي محمد ﷺ.
ثم إن الفتنة من وراء عملها متأتية من دخول الرجال عليها وكلامهم المستمر معها إلى غير ذلك من الفتنة.

فضلاً عن كونه يُمكن الاستئناس بقوله ﷺ: «لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَوْ أَمَرَهُمْ امْرَأَةٌ» (1). وعمل الصحابة، فمن بعدهم بمقتضاه، وعدم اتخاذهم قاضية من النساء ما يدل على المنع، والله أعلم.

قال القرطبي \$:

روى البخاري من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ لما بلغه أن أهل فارس قد ملكوا بنت كسرى قال: «لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَوْ أَمَرَهُمْ امْرَأَةٌ» (2)
قَالَ الْقَاضِي

أبو بكر بن العربي: هذا نصٌّ في أن المرأة لا تكون خليفة ولا خلاف فيه ونقل عن محمد بن جرير الطبري أنه يجوز أن تكون المرأة قاضية ولم يصح ذلك عنه ولعله نقل عنه كما نقل عن أبي حنيفة أنها إنما تقضي فيما تشهد فيه وليس بأن تكون قاضية على الإطلاق ولا بأن يُكتب لها مسطور بأن فلانة مقدمة على الحكم وإنما سبيل ذلك التحكيم والاستتابة

(1) تقدم.

(2) تقدم من حديث أبي بكره عند البخاري.

في القضية الواحدة وهذا هو الظن بأبي حنيفة و ابن جرير وقد روي عن عمر أنه قدم امرأة على حسبة السوق ولم يصح فلا تلتفتوا إليه فإنما هو من دسائس المبتدعة في الأحاديث وقد تناظر في هذه المسألة القاضي أبو بكر ابن الطيب المالكي الأشعري مع أبي الفرج ابن طرار شيخ الشافعية، فقال أبو الفرج: الدليل على أن المرأة يجوز أن تحكم أن الغرض من الأحكام تنفيذ القاضي لها وسماع البينة عليها والفصل بين الخصوم فيها وذلك ممكن من المرأة كماكانه من الرجل فاعترض عليه القاضي أبو بكر ونقض كلامه بالإمامة الكبرى فإن الغرض منه حفظ الثغور وتدبير الأمور وحماية البيضة وقبض الخراج ورده على مستحقه وذلك لا يتأتى من المرأة كتأتيه من الرجل. قال ابن العربي: وليس كلام الشيخين في هذه المسألة بشيء فإن المرأة لا يتأتى منها أن تبرز إلى المجلس ولا تخالط الرجال ولا تفوضهم مفاوضة النظير للنظير لأنها إن كانت فتاة حرّم النظر إليها وكلامها وإن كانت برزة لم يجمعها والرجال مجلس واحد تزدهم فيه معهم وتكون مناظرة لهم ولن يفلح قط من تصور هذا ولا من اعتقده.

س: في قوله تعالى: ﴿أَلَّا﴾ قراءتان وضحهما مع بيان معنيهما.

ج: القراءة الأولى: أَلَّا بالتخفيف والمعنى: ألا يا هؤلاء اسجدوا لله.

والقراءة الثانية: أَلَّا بالتشديد، والمعنى متعلق بما قبله، ألا وهو

وزيّن لهم الشيطان أعمالهم لنلا يسجدوا لله أي وزيّّن لهم الشيطان أعمالهم كي لا يسجدوا لله. والله أعلم.

قال الطبري \$:

اختلف القراء في قراءة قوله: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ فقرأ بعض المكيين

وبعض المدنيين والكوفيين «ألا» بالتخفيف، بمعنى: ألا يا هؤلاء اسجدوا، فأضمروا «هؤلاء» اكتفاء بدلالة «يا» عليها. وذكر بعضهم سماعاً من العرب: ألا يا ارحمنا، ألا يا تصدق علينا؛ واستشهد أيضاً ببيت الأخطل:

ألا يا اسلمي يا هندَ هندَ بني بدرٍ وإن كان حياناً عدّاً آخرَ الدهرِ

فعلى هذه القراءة اسجدوا في هذا الموضع جزم، ولا موضع لقوله: «ألا» في الإعراب. وقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والكوفة والبصرة ﴿أَلَا يَسْجُدُوا﴾ بتشديد ألا بمعنى: وزين لهم الشيطان أعمالهم لئلا يسجدوا لله ﴿أَلَا﴾ في موضع نصب لما ذكرت من معناه أنه لئلا (ويسجدوا) في موضع نصب بأن.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار قد قرأ بكل واحد منهما علماء من القراء مع صحة معنييهما.



س: هل عند قوله تعالى: ﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ...﴾ الآية سجدة؟

ج: نعم عندها سجدة عند جماهير أهل العلم، بل نقل الإجماع على ذلك، وممن نقل الإجماع الطحاوي في شرح معاني الآثار ⁽¹⁾، ولكن اختلفوا في موضع السجود هل عند قوله تعالى: ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾، أما عقب قوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ على قولين قويين لأهل العلم في ذلك. والأمر في ذلك واسع والله الحمد.



(1) شرح معاني الآثار (359/1).

س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿الَّذِي يُخْرِجُ الْحَبَّ فِي السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٦﴾﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم - أن الهدهد تعجب من سجود القوم لغير الله- سبحانه وتعالى- تعجب من سجودهم للشمس فقال: ﴿الَّذِي يُخْرِجُ الْحَبَّ فِي السَّمَوَاتِ﴾ الشيء المخبوء في السموات، ومنه الغيث (الماء) والمخبوء من الأرض وهو النبات، والماء أيضاً، وكل مخبوء، ويعلم ما أسررنا به من النوايا والأقوال والأعمال، وما أظهرناه من ذلك، إنه الله الذي لا إله إلا هو رب العرش العظيم.

قال الطبري \$:

ويعني بقوله: ﴿يُخْرِجُ الْحَبَّ﴾ يخرج المخبوء في السموات والأرض من غيث في السماء، ونبات في الأرض ونحو ذلك.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد: في قوله: ﴿الَّذِي يُخْرِجُ الْحَبَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قال: خبء السماء والأرض ما جعل الله فيها من الأرزاق، والمطر من السماء، والنبات من الأرض، كانتا رتقا لا تمطر هذه، ولا تنبت هذه، ففتق السماء، وأنزل منها المطر، وأخرج النبات.

وقال \$:

وقيل: يخرج الخبء في السموات والأرض؛ لأن العرب تضع «من» مكان «في» و«في» مكان «من» في الاستخراج ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ يقول: ويعلم السر من أمور خلقه، هؤلاء الذين زين لهم الشيطان أعمالهم والعلانية منها، وذلك على قراءة من قرأ ﴿أَلَّا﴾ بالتشديد. وأما على قراءة من قرأ بالتخفيف فإن معناه: ويعلم ما يسره خلقه الذين أمرهم

بالسجود بقوله: «ألا يا هؤلاء اسجدوا». وقد ذكر أن ذلك في قراءة أبي: (أَلَا تَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَمَا تَعْلَمُونَ).

وقوله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ يقول تعالى ذكره: الله الذي لا تصلح العبادة إلا له، لا إله إلا هو، لا معبود سواه تصلح له العبادة، فأخلصوا له العبادة، وأفردوه بالطاعة، ولا تشركوا به شيئاً ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ يعني بذلك: مالك العرش العظيم، الذي كل عرش وإن عظم، فدونه لا يُشبهه عرش ملكة سبأ ولا غيره.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد: في قوله: ﴿أَحَطُّ بِمَا لَمْ يَحْطُ بِهِ﴾ إلى قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ هذا كله كلام الهدد.

وقال الحافظ ابن كثير \$:

أي: لا يعرفون سبيل الحق التي هي إخلاص السجود لله وحده دون ما خلق من شيء من الكواكب وغيرها، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَلَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ١٦].

وقرأ بعض القراء: «ألا يا اسجدوا لله» جعلها «ألا» الاستفتاحية، و«يا» للدعاء، وحذف المنادى، تقديره عنده: «ألا يا قوم، اسجدوا لله».

وقوله: ﴿الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: يعلم كل خبيئة في السماء والأرض.

وقوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ أي: يعلم ما يخفيه العباد، وما يعلنونه من الأقوال والأفعال. وهذا كقوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ، وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِأَلِيلٍ وَسَارِبٍ بِالنَّهَارِ﴾ [الرعد: ٥].

وقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ أي: هو المدعو الله، وهو الذي لا إله إلا هو ربُّ العرش العظيم، الذي ليس في المخلوقات أعظم منه.

وقال \$:

ولما كان الهدد داعيًا إلى الخير، وعبادة الله وحده والسجود له، نُهي عن قتله، كما رواه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه، عن أبي هريرة **ق** قال: نهى النبي ﷺ عن قتل أربع من الدواب: النملة والنحلة والهدد والصُّرَد. وإسناده صحيح **(1)**.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ **(٣٧)**
أَذْهَبَ بِكَتَبِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ **(٣٨)**.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - أن سليمان **ع** قال للهدد لما أخبره عن سبب تغيبه: قال: سننظر في خبرك واعتذارك هل أنت صادق فيما نقلت من أخبارٍ معتذراً بها أم لا، وللتأكد من ذلك أذهب برسالتني هذه فألقها عليها ثم تنحى جانباً - وهذا من أدب الرسول الذي يرسله شخص ينتحى عن المرسل إليه حتى ينظر في أمره بدقة، ثم يعيد الجواب - فانظر ما الردُّ الذي سيردون به، وقيل: إن في الجزء الأخير من الآية تقديمًا وتأخيرًا، والمعنى: فألقه إليهم فانظر ما ردهم، ثم تولَّ عنهم راجعًا إلينا.

قال الطبري \$:

(1) سنن أبي داود (5267)، وأحمد (332/1)، وابن ماجه (3223، 3224).

يقول تعالى ذكره: ﴿قَالَ﴾ سليمان للهدد: ﴿سَنْظُرُ﴾ فيما اعتذرت به من العذر، واحتججت به من الحجة لغيبتك عنا، وفيما جئتنا به من الخبر ﴿أَصَدَقْتَ﴾ في ذلك كله ﴿أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ فيه ﴿أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾.

فاختلف أهل التأويل في تأويل ذلك؛ فقال بعضهم: معناه: اذهب بكتابي هذا، فألقه إليهم، فانظر ماذا يرجعون، ثم تول عنهم منصرفاً إليّ، فقال: هو من المؤخر الذي معناه التقديم.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد: فأجابه سليمان، يعني: أجب الهدد لما فرغ: ﴿سَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ﴿٢٧﴾ اذهب بكتابي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ﴿﴾ وانظر ماذا يرجعون، ثم تول عنهم منصرفاً إليّ. وقال: وكانت لها كوة مستقبلة الشمس، ساعة تطلع الشمس تطلع فيها فتسجد لها، فجاء الهدد حتى وقع فيها فسدّها، واستبطأت الشمس، فقامت تنظر، فرمى بالصحيفة إليها من تحت جناحه، وطار حتى قامت تنظر الشمس.

قال الطبري: فهذا القول من قول ابن زيد يدلّ على أن الهدد تولى إلى سليمان راجعاً بعد إلقائه الكتاب، وأن نظره إلى المرأة ما الذي ترجع وتفعل كان قبل إلقائه كتاب سليمان إليها.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم، ثم تول عنهم، فكن قريباً منهم، وانظر ماذا يرجعون؛ قالوا: وفعل الهدد، وسمع مراجعة المرأة أهل مملكتها، وقولها لهم: ﴿إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيْكِ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ ﴿٢٨﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿﴾ وما بعد ذلك من مراجعة بعضهم بعضاً.

وقال ابن كثير \$:

يخبر تعالى عن قيل سليمان **غ** للهدد حين أخبره عن أهل سبا وملكتهم: ﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ أي: أصدقت في إخبارك هذا، ﴿أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ في مقالتك، فتتخلص من الوعيد الذي أوعدتك؟
 ﴿أَذْهَبَ بِكُنْيَتِي هَذَا فَأَلْفَيْهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾: وذلك أن سليمان **غ** كتب كتابًا إلى بلقيس وقومها. وأعطاه لذلك الهدد فحمله، قيل: في جناحه كما هو عادة الطير، وقيل: بمنقاره. وذهب إلى بلادهم فجاء إلى قصر بلقيس، إلى الخلة التي كانت تختلي فيها بنفسها، فألقاه إليها من كوة هنالك بين يديها، ثم تولى ناحية أدبًا ورياسة، فتحيرت مما رأت، وهالها ذلك.

وقال القرطبي \$:

﴿أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ دليل على أن الإمام يجب عليه أن يقبل عذر رعيته ويدرك العقوبة عنهم في ظاهر أحوالهم بباطن أعدائهم لأن سليمان لم يعاقب الهدد حين اعتذر إليه وإنما صار صدق الهدد عذرًا؛ لأنه أخبر بما يقتضي الجهاد وكان سليمان **غ** حبيب إليه الجهاد وفي الصحيح: «ليس أحد أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك أنزل الكتاب وأرسل الرسل» وقد قبل عمر عذر النعمان بن عدي ولم يعاقبه ولكن للإمام أن يمتحن ذلك إذا تعلق به حكم من أحكام الشريعة كما فعل سليمان فإنه لما قال الهدد: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ لم يستفزه الطمع ولا استجره حبُّ الزيادة في الملك إلى أن يعرض له حتى قال: ﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ فغاضه حينئذ ما سمع وطلب الانتهاء إلى ما

أخبر وتحصيل علم ما غاب عنه من ذلك فقال: ﴿ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ ونحو منه ما رواه الصحيح عن المسور بن مخرمة حين استشار عمر الناس في إملاص المرأة وهي التي يضرب بطنها فتلقي جنينها فقال المغيرة بن شعبة: شهدت النبي ﷺ قضى فيه بغرة عبد أو أمة قال: فقال عمر: ايتني بمن يشهد معك قال: فشهد له محمد بن مسلمة وفي رواية فقال: لا تبرح حتى تأتي بالمرح من ذلك فخرجت فوجدت محمد بن سلمة فجئت به فشهد ونحوه حديث أبي موسى في الاستئذان وغيره.

وقال \$:

في هذه الآية دليل على إرسال الكتب إلى المشركين وتبليغهم الدعوة ودعائهم إلى الإسلام وقد كتب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر وإلى كل جبار كما تقدم في (آل عمران):

وقال: قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُمْ ﴾ أمره بالتولي حسن أدب ليتنحي حسب ما يتأدب به مع الملوك بمعنى: وكن قريباً حتى ترى مراجعتهم قاله وهب بن منبه. وقال ابن زيد: أمره بالتولي بمعنى الرجوع إليه. أي: ألقه وارجع. قال: وقوله: ﴿ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ في معنى التقديم على قوله: ﴿ ثُمَّ تَوَلَّوْا ﴾ واتساق رتبة الكلام أظهر أي: ألقه ثم تولّ وفي خلال ذلك فانظر أي: انتظر وقيل: فاعلم كقوله: ﴿ يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ [النبا: ٢٣] أي: اعلم ماذا يرجعون؟ أي: يجيبون، وماذا يردون من القول؟ وقيل: ﴿ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ يترجعون بينهم من الكلام.



قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿٢٩﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيْكِ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٣٠﴾ أَلَا تَعْلَمُوْنَ عَلَىٰ وَاتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُوْا ﴿٣٢﴾ قَالُوْا نَحْنُ أَوْلُوْا قُوَّةً وَأُولُوْا بَأْسٌ شَدِيْدٌ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوْكَ إِذَا دَخَلُوْا قَرْيَةً أَفْسَدُوْهَا وَجَعَلُوْا أَعْرَازَ أَهْلِهَا أَدْلَةٌ ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُوْنَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاطِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُوْنَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنَ قَالَ أُنْمِدُوْنِي بِمَالٍ فَمَا ءَاتَنِ ۚ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا ءَاتَكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُوْنَ ﴿٣٦﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأَيِّنَهُمْ بِجُنُوْدٍ لَا قِيْلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَدْلَةٌ وَهُمْ صَاغِرُوْنَ ﴿٣٧﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا أَتَيْتُمُوْنَ بَعْرَشَهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُوْنِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالِ عِفْرِيتُ مَنْ الْجِنِّ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ ۚ قَبْلَ أَنْ تَقُوْمَ مِنْ مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِيْنٌ ﴿٣٩﴾ قَالِ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ ۚ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَٰذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۚ وَمَنْ أَكْفُرٌ مِّنْ شَاكِرٍ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۚ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيَ غَنِيٌّ كَرِيْمٌ ﴿٤٠﴾ قَالِ نِكْرُوْا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَنْهَدِيْ أَمْ تَكُوْنُ مِنَ الَّذِيْنَ لَا يَهْتَدُوْنَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيْلَ أَهْكَذَا عَرْشُكَ ۖ قَالَتْ كَآثُهُ ۖ هُوَ وَأُوْتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيْلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالِ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّنْ قَوَارِيرَ ۖ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾

[النمل: 29-]

س: وضع معنى ما يلي:

﴿الْمَلُؤَا﴾ - أَلْقَى إِلَيَّ - كَتَبَ كَرِيمٌ - أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ - مُسْلِمِينَ - أَفْتُونِي فِي أَمْرِي - قَاطِعَةً أَمْرًا - تَشْهَدُونَ
- أُولَؤُقُوَّةٍ - وَأُولَؤُقَا بَاسٍ شَدِيدٍ - مَاذَا تَأْمُرِينَ - أَعِزَّةَ أَهْلِهَا - أَذِلَّةٌ - فَتَاطِرَةٌ - أَتَيْدُونَنِي بِمَالٍ - لَا
قَبْلَ لَكُمْ بِهَا - صَغِيرُونَ - بَعْرُشَهَا - عِغْرِيتٌ - مَا يَكُ بِهِ - طَرْفَكَ - مُسْتَقَرًّا - نَكِرُوا لَهَا عَرْشَهَا -
أَنْهَيْدِي - وَصَدَّهَا - الصَّحْ - لُجَّةً - مُمَرَّدٌ - قَوَارِيرٌ - وَأَسْلَمْتُ ۞

ج:

الكلمة	معناها
﴿الْمَلُؤَا﴾	أشراف القوم – عليّة القوم ووجهاؤهم
﴿أَلْقَى إِلَيَّ﴾	ألقى الهدهد عليّ
﴿كَتَبَ كَرِيمٌ﴾	رسالة كريمة مختومة بختم الملوك فيها بسم الله الرحمن الرحيم
﴿أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ﴾	ألا تتكبروا على أمرى – لا تتعالوا عليّ ولا تمتنعوا من امثال ما أمرتكم به
﴿مُسْلِمِينَ﴾	مستسلمين خاضعين
﴿أَفْتُونِي فِي أَمْرِي﴾	أشيروا عليّ فيما أسألكم عنه
﴿قَاطِعَةً أَمْرًا﴾	مُبرمةً أَمْرًا – متخذة قرارًا – مُصدرة أَمْرًا
﴿تَشْهَدُونَ﴾	تحضروني وتُقروني
﴿أُولَؤُقُوَّةٍ﴾	أقوياء
﴿وَأُولَؤُقَا بَاسٍ شَدِيدٍ﴾	عند جلادة وقوة في الحرب شديدة تُنكّل
﴿مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾	ما الذي تشيرين به؟

الوجهاء والأثرياء فيها	﴿أَعَزَّةَ أَهْلَهَا﴾
جمع ذليل – ذليلين	﴿أَذِلَّةٌ﴾
منتظرة	﴿فَنَاطِرَةٌ﴾
أعطوني مالا – أتزيدوني مالا	﴿أَتَمِدُّونَنِي بِمَالٍ﴾
لا طاقة لهم بها – لم يعهدوا مثلها من قبل ولم يروا مثلها من قبل	﴿لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا﴾
أذلاء	﴿صَغِيرُونَ﴾
بسرير ملكها	﴿بِعَرْشِهَا﴾
ماردٌ – رئيس – كبير من كبرائهم	﴿عِفْرِيتٌ﴾
أحضره لك	﴿ءَانِيكَ بِهِ﴾
بصرك	﴿طَرَفُكَ﴾
ثابتًا أمامه قد جيء به	﴿مُسْتَقَرًّا﴾
غيروا لها بعض ملامح سرير ملكها (زيدوا فيه وانقصوا منه)	﴿نَكَّرُوا لَهَا عَرَشَهَا﴾
أتفهم وجه الصواب أم لا – أتعرف عرشها وتهتدي إليه أم لا؟	﴿أَتَهْتَدِي﴾
منعها (من الإيمان)	﴿وَصَدَّهَا﴾
المكان المتسع الذي أمام القصر أو أمام المبنى عمومًا	﴿الصَّحْجِ﴾
موج عاتي من موج البحر – موجٌ شديدٌ – بحرٌ	﴿لُجَّةٌ﴾

﴿مُرَدَّ﴾	مُملس
﴿قَوَارِيرٌ﴾	زجاج
﴿وَأَسْلَمْتُ﴾	دخلت في دين الإسلام مستسلمةً لأمر الله ٥



س: **وضح معنى قوله تعالى:** ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْٓٔٓ إِنِّي أَتَىٰ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٢﴾ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - أن الهدد لما ألقى الرسالة على ملكة سبأ تناولتها واطلعت على ما فيها فقالت لأشراف قومها يا أيها الملأ! إني ألقى إليّ كتاب كريم، مكتوب فيه إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم، ألا تتكبروا عليّ وأتوني مستسلمين طائعين خاضعين لله مُقرّين له بالوحدانية وأنه لا شريك له.

وبنحو هذا قال أهل العلم:

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: فذهب الهدد بكتاب سليمان إليها، فألقاه إليها فلما قرأته قالت لقومها: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْٓٔٓ إِنِّي أَتَىٰ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾.

وقال:

وقوله: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْٓٔٓ إِنِّي أَتَىٰ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ والملأ أشرف قومها، يقول تعالى ذكره: قالت ملكة سبأ لأشراف قومها: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْٓٔٓ إِنِّي أَتَىٰ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾. واختلف أهل العلم في سبب وصفها الكتاب بالكريم، فقال بعضهم: وصفته بذلك لأنه كان مختوماً.

وقال آخرون: وصفته بذلك لأنه كان من ملك فوصفته بالكريم لكرم

صاحبه. وممن قال ذلك ابن زيد.

وأورد بسند صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَتَأْتِيَهَا الْمَلَأُ إِنِّي أَلْقِي إِلَيْكَ كِتَابَ كَرِيمٍ﴾ قال: هو كتاب سليمان حيث كتب إليها.

وقوله: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ كُسِرَتْ إِنَّ الأولى والثانية على الردّ على «إني» من قوله: ﴿إِنِّي أَلْقِي إِلَيْكَ كِتَابَ كَرِيمٍ﴾. ومعنى الكلام: قالت: يا أيها الملأ إني ألقى إلي كتاب، وإنه من سليمان.

وقوله: ﴿أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ يقول: ألقى إلي كتاب كريم ألا تعلموا عليّ.

ففي «أن» وجهان من العربية: إن جعلت بدلاً من الكتاب كانت رفعاً بما رفع به الكتاب بدلاً منه؛ وإن جعل معنى الكلام: إني ألقى إليّ كتاب كريم ألا تعلموا عليّ كانت نصباً بتعلق الكتاب بها.

وعني بقوله: ﴿أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ﴾ ألا تتكبروا ولا تتعاضموا عما دعوتكم إليه. **وأورد الطبري بسند صحيح عن ابن زيد،** في قوله: ﴿أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ﴾ ألا تمتنعوا من الذي دعوتكم إليه إن امتنعتم جاهدتكم، فقلت لابن زيد: ﴿أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ﴾ ألا تتكبروا عليّ؟ قال: نعم؛ قال: وقال ابن زيد: ﴿أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ ذلك في كتاب سليمان إليها.

قال الطبري: وقوله: ﴿وَأَنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ يقول: وأقبلوا إليّ مذعنين لله بالوحدانية والطاعة.

وقال ابن كثير \$:

ثم عمدت إلى الكتاب فأخذته، ففتحت ختمه وقرأته، فإذا فيه: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿٣٠﴾ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ فجمعت عند ذلك

أمرائها ووزراءها وكبراء دولتها ومملكتها، ثم قالت لهم: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنَّ إِلَيْنَا الْكِتَابُ كَرِيمٌ﴾ تعني بكرمه: ما رأيته من عجيب أمره، كون طائر أتى به فألقاه إليها، ثم تولى عنها أدبًا. وهذا أمر لا يقدر عليه أحد من الملوك، ولا سبيل لهم إلى ذلك، ثم قرأته عليهم.

﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (٣٠) أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَأَتَوْهُ مُسْلِمِينَ﴾. فعرفوا أنه من نبي الله سليمان، وأنه لا قبل لهم به. وهذا الكتاب في غاية البلاغة والوجازة والفصاحة، فإنه حَصَلَ المعنى بأيسر عبارة وأحسنها، قال العلماء: ولم يكتب أحد ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قبل سليمان غ.



س: في رسالة سليمان غ إلى ملكة سبا ما يفيد تواضع الأنبياء و ، وضح ذلك.

ج: إيضاحه أن سليمان غ في رسالة قال: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ﴾ لم يقل من النبي الملك الذي سُخِّرَتْ له الريح والجن والإنس والطير إلى غير ذلك، ولكن بكل تواضع ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ﴾ ونحوه قول الرسول ﷺ: «مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ إِلَىٰ هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ» (1) ونحوه قول يوسف غ: ﴿أَنَا يُونُسُ وَهَذَا أَخِي﴾ [يوسف: ٢١].



س: لماذا وُصف هذا الكتاب بأنه كريم؟

ج: قيل: لأنه كان مختومًا.
وقيل: لأنه كان من ملك.

(1) البخاري (حديث رقم 7).

وقيل: لأنها قرأت فيه ما لم تقرأه في غيره ولمست فيه من التواضع والإخلاص لله ما لم تلمسه من غيره وما لم تقرأه في غيره.

قال القرطبي \$:

وقيل: توهمت أنه كتاب جاء من السماء إذا كان الموصل طيرًا. وقيل: _____

﴿كَرِيمٍ﴾ حسن كقوله: ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [الشعراء: ٢٢٦] أي: مجلس حسن، وقيل: وصفته بذلك لما تضمن من لين القول والموعظة في الدعاء إلى عبادة الله ٥ وحسن الاستعطاف والاستلطاف من غير أن يتضمن سبًا ولا لعنًا ولا ما يغير النفس ومن غير كلام نازل ولا مستغلق على عادة الرسل في الدعاء إلى الله ٥ ألا ترى إلى قول الله ٥ لنبيه ﷺ: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥] وقوله لموسى وهارون: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئَا نَعْلَهُ، يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ١٢٤] وكلها وجوه حسان وهذا أحسنها وقد روي أنه لم يكتب بسم الله الرحمن الرحيم أحد قبل سليمان.

وقال \$:

الوصف بالكريم في الكتاب غاية الوصف ألا ترى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٧] وأهل الزمان يصفون الكتاب بالخطير وبالأثير وبالمبرور فإن كان لملك قالوا: العزيز وأسقطوا الكريم غفلة وهو أفضلها خصلة فأما الوصف بالعزيز فقد وصف به القرآن في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكَنْبٌ عَزِيزٌ﴾ (٤١) لَا يَأْنِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ. [فصلت: ٢١ - ٢٢] فهذه عزته وليست لأحد إلا له فاجتنبوها في كتبكم واجعلوا بدلها العالي توفية لحق الولاية وحيطة للديانة قاله القاضي أبو بكر ابن العربي.



س: اذكر بعض ما يدل على مشروعية كتابة بسم الله الرحمن الرحيم في صدور الرسائل.

ج: من ذلك قول سليمان **غ** في رسالته: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، وقول رسول الله ﷺ: «بسم الله الرحمن الرحيم مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ» ⁽¹⁾. وكذا في اتفاقية رسول الله ﷺ مع سهيل بن عمرو ففيها أن النبي ﷺ قال لعلي: «اكتب بسم الله الرحمن الرحيم..» ⁽²⁾.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ (٣٣) قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ (٣٣).

ج: المعنى - والله أعلم - أن ملكة سبأ قالت لأشراف قومها ووجهاءهم مستشيرة لهم ومستخبرة أمرهم، ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي﴾، أشيروا عليّ في الأمر الذي قد حلّ بي ووقع بي فإني ما كنت قاضية أمراً، مُبرمة أمراً كهذا الذي سأبرمه حتى تحضروا عندي وتشيروا عليّ، فأجابوها بقولهم: ﴿نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً﴾ أي: أقوىاء وذوو شدة في الحروب، والأمر إليك، أمر القتال من عدمه موكل إليك وأنت مفوضة فيه، فأمرينا فيه بما تريدي.

وبنحو هذا قال العلماء

(1) البخاري (مع الفتح 47/11)، ومسلم (103/12).

(2) مسلم (138/12) مع النووي، والبخاري (2731)، و(2732).

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: قالت ملكة سبأ لأشراف قومها: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي﴾ تقول: أشيروا عليّ في أمري الذي قد حضرني من أمر صاحب هذا الكتاب الذي ألقى إليّ، فجعلت المشورة فتياً.
وقوله: ﴿مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ تقول: ما كنت قاضية أمراً في ذلك حتى تشهدون، فأشاوركم فيه.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد: دعت قومها تشاورهم ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ يقول في الكلام: ما كنت لأقطع أمراً دونك ولا كنت لأقضي أمراً، فلذلك قالت: ﴿مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا﴾ بمعنى: قاضية.

وقوله: ﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَيِّ شَيْءٍ﴾ يقول تعالى ذكره: قال الملأ من قوم ملكة سبأ؛ إذ شاورتهم في أمرها وأمر سليمان: نحن ذوو القوة على القتال، والبأس الشديد في الحرب، والأمر أيتها الملكة إليك في القتال وفي تركه، فانظري من الرأي ما ترين، فمُرنا نأتمر لأمرك.

وأورد بإسنادٍ حسن عن ابن زيد: ﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَيِّ شَيْءٍ﴾ عرضوا لها القتال، يقاتلون لها، ﴿وَالأَمْرُ إِلَيْكِ﴾ بعد هذا، ﴿فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾.

وقال ابن كثير \$:

لما قرأت عليهم كتاب سليمان استشارتهم في أمرها، وما قد نزل بها؛ ولهذا قالت: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ أي: حتى تحضرون وتشيروا.

﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَيِّ شَيْءٍ﴾ أي: منّا إليها بعدد هم وعُددهم وقوتهم، ثم فوضوا إليها بعد ذلك الأمر فقالوا: ﴿وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ أي: نحن

ليس لنا عاقبة ولا بنا بأس، إن شئت أن تقصديه وتحاربيه، فما لنا عاقبة عنه. وبعد هذا فالأمر إليك، مري فينا برأيك نمتثله ونطيعه.

قال الحسن البصري \$: فوضوا أمرهم إلى عُلجة تضطرب ثدياها، فلما قالوا لها ما قالوا، كانت هي أحزم رأياً منهم، وأعلم بأمر سليمان، وأنه لا قبل لها بجنوده وجيوشه، وما سُخِّر له من الجن والإنس والطير، وقد شاهدت من قضية الكتاب مع الهدهد أمراً عجيباً بديعاً، فقالت لهم: إني أخشى أن نحاربه ونمتنع عليه، فيقصدنا بجنوده، ويهلكنا بمن معه، ويخلص إليّ وإليك الهلاك والدمار دون غيرنا؛ ولهذا قالت: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾.

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: ﴿قَالَتِ يَأَيُّهَا الْمَلِكُ أَتُؤَنِّي فِي أَمْرِي﴾ الملاء أشرف القوم وقد مضى في سورة (البقرة) القول فيه قال ابن عباس: كان معها ألف قَيْل، وقيل: اثنا عشر ألف قَيْل مع كل قَيْل مائة ألف. والقيل الملك دون الملك الأعظم فأخذت في حسن الأدب مع قومها ومشاورتهم في أمرها وأعلمتهم أن ذلك مطرد عندها في كل أمر يعرض بقولها: ﴿ مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴾ فكيف في هذه النازلة الكبرى فراجعها الملاء بما يقر عينها من إعلامهم إياها بالقوة والبأس، ثم سلموا الأمر إلى نظرها وهذه محاورة حسنة من الجميع. قال قتادة: ذكر لنا أنه كان لها ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً هم أهل مشورتها، كل رجل منهم على عشرة آلاف.

وقال \$ في تأويل قولهم:

﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ سلموا الأمر إلى نظرها مع ما أظهرها لها من القوة والبأس والشدة.

قال القرطبي \$:

في هذه الآية دليل على صحة المشاورة وقد قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] في «آل عمران» إما استعانة بالأراء وإما مداراة للأولياء وقد مدح الله تعالى الفضلاء بقوله: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٢٨] والمشاورة من الأمر القديم وخاصة في الحرب فهذه بلقيس امرأة جاهلية كانت تعبد الشمس: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْأُ أَفَتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ لتختبر عزمهم على مقاومة عدوهم وحزمهم فيما يقيم أمرهم وإمضائهم على الطاعة لها بعلمها بأنهم إن لم يبذلوا أنفسهم وأموالهم ودماءهم دونها لم يكن لها طاقة بمقاومة عدوها وإن لم يجتمع أمرهم وحزمهم وجدهم كان ذلك عوناً لعدوهم عليهم وإن لم تختبر ما عندهم وتعلم قدر عزمهم لم تكن على بصيرة من أمرهم وربما كان في استبدادها برأيها وهن في طاعتها ودخيلة في تقدير أمرهم وكان في مشاورتهم وأخذ رأيهم عون على ما تريده من قوة شوكتهم وشدة مدافعتهم، ألا ترى إلى قولهم في جوابهم: ﴿نَحْنُ أَوْلُوْأُ قُوَّةٍ وَأُولُوْأُ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ قال ابن عباس: كان من قوة أحدهم أنه يركض فرسه حتى إذا احتدّ ضم فخذيه فحبسه بقوته.



س: وضع معنى: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَءَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ (٢٤).

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – أن ملكة سبأ لما وُكِّلَ إليها قومها وأشرف قومها الأمر بقولهم: ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ فبينت لهم حينئذٍ أحوال الملوك قائلة: إن الملوك إذا دخلوا قرية خربوها، وجعلوا العزيز

فيها ذليلاً، وجعلوا الخُر فيها مستعبداً، وقتلوا وسفكوا الدماء وأسروا الأسارى، فقال الله لها مقراً على ما قالت: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: قالت صاحبة سباً للملأ من قومها؛ إذ عرضوا عليها أنفسهم لقتال سليمان، إن أمرتهم بذلك: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً﴾ عنوة وغلبة ﴿أَفْسَدُوهَا﴾ يقول: خربوها ﴿وَجَعَلُوا أَعِزَّةً أَهْلَهَا أَذِلَّةً﴾ وذلك باستعبادهم الأحرار، واسترقاقهم إياهم؛ وتناهى الخبر منها عن الملوك في هذا الموضع فقال الله: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وكما قالت صاحبة سباً تفعل الملوك، إذا دخلوا قرية عنوة.

قال الحافظ ابن كثير \$:

قال ابن عباس: أي إذا دخلوا بلداً عنوة أفسدوه، أي: خربوه، ﴿وَجَعَلُوا أَعِزَّةً أَهْلَهَا أَذِلَّةً﴾ أي: وقصدوا مَنْ فيها من الولاة والجنود، فأهانوهم غاية الهوان؛ إما بالقتل أو بالأسر.

قال ابن عباس: قالت بلقيس: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةً أَهْلَهَا أَذِلَّةً﴾، قال الرب ٥: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾، ثم عدلت إلى المهادنة والمصالحة والمسالمة والمخادعة والمصانعة، فقالت: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ أي: سأبعث إليه بهدية تليق به وأنظر ماذا يكون جوابه بعد ذلك، فلعله يقبل ذلك ويكف عنا، أو يضرب علينا خراجاً نحملة إليه في كل عام، ونلتزم له بذلك ويترك قتالنا ومحاربتنا. قال قتادة: رحمها الله ورضي عنها، ما كان أ عقلا في إسلامها وفي شركها!! علمت أن الهدية تقع موقعاً من الناس.

وقال القرطبي \$:

﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ ﴿أهانوا شرفاءها لتستقيم لهم الأمور فصدق الله قولها﴾ ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ قال ابن الأنباري: ﴿وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ هذا وقف تام فقال الله ٥ تحقيقاً لقولها: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ وشبيه به في سورة (الأعراف) ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ﴾ [الأعراف: ١١٠-١١١] تم الكلام فقال فرعون: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ وقال ابن شجرة: هو قول بلقيس فالوقف ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ أي: وكذلك يفعل سليمان إذا دخل بلادنا.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾.

ج: هذا قول ملكة سبا لقومها بعد أن استشارتهم فوكلوا أمرهم إليها، فقالت: وإنني مرسلَةٌ إليهم بهديةٍ فمنتظرة ردِّهم على تلك الهدية، إن قبلوها وكفُّوا عنا فهذا الذي نريد، وإن ردُّوها فما أرى الرجل إلا نبياً يريد منا أن نتبعه على دينه، فلننتظر إذن ردُّ المرسلين الذي سنرسلهم وعلى إثر ذلك يأتي قرارنا، فكانت امرأةً حكيمة عاقلة.

قال الطبري \$:

ذكر أنها قالت: إني مرسلَةٌ إلى سليمان؛ لتختبره بذلك وتعرفه به، أملك هو، أم نبي؟ وقالت: إن يكن نبياً لم يقبل الهدية، ولم يرضه منا، إلا أن نتبعه على دينه، وإن يكن ملكاً قبل الهدية وانصرف.

وقوله: ﴿فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ تقول: فأنظر بأي شيء من خبره وفعله في هديتي التي أرسلها إليه ترجع رسلي، أقبول وانصراف عنا، أم بردّ الهدية والثبات على مطالبتنا باتباعه على دينه؟

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ﴾ هذا من حسن نظرها وتدبيرها أي: إني أجرب هذا الرجل بهدية وأعطيه فيها نفائس من الأموال وأغرب عليه بأمور المملكة: فإن كان ملكًا دنيويًا أرضاه المال وعلمنا معه بحسب ذلك وإن كان نبيًا لم يرضه المال ولازمنا في أمر الدين فينبغي لنا أن نؤمن به ونتبعه على دينه.

وقال \$:

قوله تعالى: ﴿فَنَازِلَةٌ﴾ أي: منتظرة ﴿بِمَرْجِعِ الْمُرْسَلُونَ﴾ قال قتادة: يرحمها الله أن كانت لعاقلة في إسلامها وشركها قد علمت أن الهدية تقع موقعًا من الناس وسقطت الألف في (بم) للفرق بين (ما) الخبرية وقد يجوز إثباتها قال:

على ما قام يشتمني لنيم كخنزير تمرغ في رماد



س: هل ورد عن رسول الله ﷺ شيء في وصف هذه الهدية التي أرسلتها ملكة سبا إلى سليمان غ؟

ج: لم يرد في ذلك خبر صحيح عن رسول الله ﷺ، وقد وردت أقوال لعدد من المفسرين في هذا الصدد، ذكر عددًا منها الطبري بأسانيد أغلبها ضعيف إلى قائلها.

وقال ابن كثير إجمالاً:

ذكر غير واحد من المفسرين، من السلف وغيرهم: أنها بعثت إليه بهدية عظيمة من ذهب وجواهر ولآلي وغير ذلك. وقال بعضهم: أرسلت

إليه بَلِيَّةٌ من ذهب. والصحيح أنها أرسلت إليه بَأْنِيَّة من ذهب.

قال مجاهد، وسعيد بن جبير، وغيرهما: وأرسلت جوارٍ في زي الغلمان، وغلمان في زي الجواري، وقالت: إن عرف هؤلاء من هؤلاء فهو نبي. قالوا: فأمرهم **غ** أن يتوضؤوا، فجعلت الجارية تُفرغ على يدها من الماء، وجعل الغلام يغترف، فميزهم بذلك.

وقيل: بل جعلت الجارية تغسل باطن يدها قبل ظاهرها، والغلام بالعكس.

وقيل: بل جعلت الجواري يغتسلن من أكفهن إلى مرافقهن، والغلمان من مرافقهن إلى أكفهن. ولا منافاة بين ذلك كله، والله أعلم.

وذكر بعضهم: أنها أرسلت إليه بقدر ليملاه ماء رواء، لا من السماء ولا من الأرض، فأجرى الخيل حتى عرقت، ثم ملأه من ذلك، وبخرزة وسلك فيجعله فيها، ففعل ذلك. والله أعلم أكان ذلك أم لا **وأكثره مأخوذ من الإسرائيليات.** والظاهر أن سليمان **غ** لم ينظر إلى ما جاءوا به بالكلية، ولا اعتنى به، بل أعرض عنه، وقال منكراً عليهم: ﴿ أَتَدُونَنِي بِمَا لِي ﴾.

قلت (مصطفى): ولا داعي للانشغال بصفة الهدية، فلا فائدة في ذلك فضلاً عن كون النبي ﷺ لم يذكر شيئاً في ذلك.



س: لماذا ردَّ سليمان غ الهدية؟

ج: ردّها لأنها كانت رشوة عن الدين، أي: رشوة حتى يقبل بها دينهم الباطل. فلذا لم يقبلها **غ**.

قال القرطبي \$:

كان النبي ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها⁽¹⁾ ولا يقبل الصدقة وكذلك كان سليمان غ وسائر الأنبياء - صلوات الله عليهم أجمعين- وإنما جعلت بلقيس قبول الهدية أو ردها علامة على ما في نفسها على ما ذكرناه من كون سليمان ملكًا أو نبيًا؛ لأنه قال لها في كتابه: ﴿أَلَا تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ﴾ وهذا لا تقبل فيه فدية ولا يؤخذ عنه هدية وليس هذا من الباب الذي تقرر في الشريعة عن قبول الهدية بسبيل وإنما هي رشوة وبيع الحق بالباطل وهي الرشوة التي لا تحل وأما الهدية المطلقة للتحبب والتواصل فإنها جائزة من كل أحد وعلى كل حال وهذا ما لم يكن من مشرك.



باب في الهدايا وفضلها

س: اذكر بعض الوارد في فضل الهدية وشيئًا من فقهاها.

ج: وها هي جملة نصوص عن رسول الله ﷺ في هذا الباب: باب قبول الهدية ومجازاة من أهدى إليك، والحث على الإهداء والهدية من الكافر ومن المسلم وللکافر والمسلم، والموانع التي قد تتدخل لمنع الهدية ولمنع قبولها أو كراهيتها وكراهية قبولها. وبالله التوفيق.

* أخرج البخاري⁽²⁾ رحمه الله تعالى من حديث عائشة ؓ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَيُثِيبُ عَلَيْهَا⁽³⁾.

* وفي «الصحيحين»⁽⁴⁾ من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ قَالَ: كَانَ رَسُولُ

(1) وسيأتي إن شاء الله.

(2) أخرجه البخاري (حديث 2585)، وقد أعلاه بعض العلماء بالإرسال وهو الصواب لكن

انظر إلى الشواهد التي ذكرناها في هذا الباب.

(3) معنى يثيب عليها أي: يجازي المهدي بهدية أيضًا.

(4) أخرجه البخاري (حديث 2576)، ومسلم (حديث 1077).

اللَّهُ ﷺ إِذَا أَتَيْ بِطَعَامٍ سَأَلَ عَنْهُ: أَهْدِيَّةٌ أَمْ صَدَقَةٌ؟ فَإِنْ قِيلَ: صَدَقَةٌ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: «كُلُوا» وَلَمْ يَأْكُلْ وَإِنْ قِيلَ: هَدِيَّةٌ ضَرَبَ بِيَدِهِ ﷺ فَأَكَلَ مَعَهُمْ.

الحثُّ على الهدية ولو بالقليل:

وحثُّ النبي ﷺ على الإهداء ولو بالقليل:

* فقال عليه الصلاة والسلام: «يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةً لِّجَارَتِهَا» (1) وَلَوْ فِرْسَنَ شَاةٍ» (2). والفِرْسَنُ: هو موضع الحافر، والمراد أن النبي ﷺ، حثَّ المرأة على الإهداء لجاراتها والجود بما تيسر عندها وإن كان هذا المَهْدَى قليلاً فهو خير من العدم، وهو دليلٌ على المودة، وفي الحديث أيضاً حثٌّ للمهدي إليها على قبول الهدية وإن قلَّت الهدية فهي دليل على تقدير المهدية للمهدي إليها.

* وروي أيضاً عن النبي ﷺ أنه قال: «تَهَادُّوا تَحَابُّوا» (3).

الحثُّ على قبول الهدية:

* وأخرج البخاري في «الأدب المفرد» (4) بإسناد صحيح عن عبد الله (وهو ابن مسعود) عن النبي ﷺ قال: «أَجِيبُوا الدَّاعِيَ وَلَا تَرُدُّوا الْهَدِيَّةَ» (5) وَلَا تَضْرِبُوا الْمُسْلِمِينَ».

(1) وقد تطلق الجارة على الضرة أحياناً، وهي هنا عامة فالمراد جارة المنزل والمراد الضرة أيضاً، والله أعلم.

(2) أخرجه البخاري (2566) من حديث أبي هريرة رُفِعَ مرفوعاً.

(3) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (حديث 594)، ومن المعلوم أن «الأدب المفرد» للبخاري غير «صحيح البخاري»، والحديث إسناده حسن لشواهد.

(4) البخاري في «الأدب المفرد» (حديث 157)، وأحمد في «المسند» (404/1)، وأبو يعلى (284/9)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (555/6).

(5) ذكر فريق من العلماء أن القاضي يحرم عليه قبول الهدية، خاصة ممن يقضي بينهم أو ممن يُظَنُّ أنه سيقضي بينهم أو ممن يشفع عنده في الأقضية.

قبول النبي ﷺ قليل الهدية وكثيرها:

وكان عليه الصلاة والسلام يقبل القليل كما يقبل الكثير:

* ففي «الصحيح» (1) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ **ف** عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَوْ دُعِيتُ إِلَى ذِرَاعٍ أَوْ كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ أَوْ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ».

وَالْكُرَاعُ مِنَ الدَّابَّةِ: مَا دُونَ الْكَعْبِ.

قال الحافظ ابن حجر \$ (2): وَخَصَّ الذِّرَاعَ وَالْكُرَاعَ بِالذِّكْرِ لِيَجْمَعَ بَيْنَ الْحَقِيرِ وَالْخَطِيرِ؛ لِأَنَّ الذِّرَاعَ كَانَتْ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِهَا وَالْكُرَاعَ لَا قِيَمَةَ لَهُ.

إذا رددت الهدية فبين سبب ردّها جبراً للخاطر (3):

وكذا إذا ردّ هدية علّل سبب الرد جبراً لخاطر المهدّي:

* ففي «الصحيحين» (4) من حديث الصَّعْبِ بْنِ جَثَّامَةَ **ف** أَنَّهُ أَهْدَى لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ جِمَارًا وَخَشِيًّا، وَهُوَ بِالْأَبْوَاءِ أَوْ بِوَدَّانَ، فَرَدَّهُ عَلَيْهِ فَلَمَّا رَأَى مَا فِي وَجْهِهِ قَالَ: «أَمَّا إِنَّا لَمْ نَرُدَّهُ عَلَيْكَ إِلَّا أَنَا حُرْمٌ».

قال الحافظ ابن حجر \$: وَفِيهِ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ قَبُولُ مَا لَا يَحِلُّ مِنَ الْهَدِيَّةِ.

أما عن قبول الهدية من المشركين والإهداء لهم (5):

وقبل نبينا ﷺ الهدية من المشركين:

(1) البخاري (حديث 2568).

(2) «فتح الباري» (236/5).

(3) إذا كان الخاطر يُجبر بذلك؛ أما إذا كان الخاطر يُكسر ببيان سبب الرد فلا تبين والله أعلم.

(4) أخرجه البخاري (حديث 2573)، ومسلم (حديث 1193).

(5) ومحل ذلك إذا لم تكن رشوة عن الدين أو للإقرار على باطل.

* ففي «الصحيح» (1) من حديث أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ **ق** قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ تَبُوكَ، وَأَهْدَى مَلِكُ أَيْلَةَ لِلنَّبِيِّ ﷺ بَغْلَةً بَيْضَاءَ وَكَسَاهُ بُرْدًا.
* وفي «الصحيحين» (2) كذلك أَنَّ يَهُودِيَّةً أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ فَأَكَلَ مِنْهَا.

* وَأَهْدَى أَكْيَدَرُ دُومَةَ الْجَنْدَلِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ **حُلَّةً** (3).
* وانظر ترجمة مارية ث (أم إبراهيم **غ** وسريّة رسول الله ﷺ) في «الإصابة» فقد ذُكر هناك أن المقوقس أهداها لرسول الله ﷺ.
* وأيضًا فإن إبراهيم الخليل ﷺ لما دخلت زوجته سارة على الجبار الكافر وردَّ الله يده وكتبته الله أهداها هذا الكافر هاجر ث (4).

وكذلك فالإهداء للمشركين جائز:

قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِينِكُمْ أَنَّ تَبَرُّوهُمْ وَيُقِيطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقِيطِينَ﴾ (٨) إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِينِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾ **[الممتحنة: ٩، ٨].**
* وفي «الصحيحين» من حديث أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ **ث** قَالَتْ: قَدِمْتُ عَلَىٰ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ: إِنَّ أُمِّي قَدِمَتْ وَهِيَ رَاغِبَةٌ أَفَأَصِلُ أُمِّي؟ قَالَ: «نَعَمْ صِلِي أُمَّكَ» (5).

(1) البخاري (حديث 3161)، ومسلم (حديث 1392).

(2) البخاري (حديث 2617)، ومسلم (2190) من حديث أنس بن مالك **ث**.

(3) البخاري معلقًا (2616)، ومسلم متصلًا (ص 1917) من حديث أنس بن مالك **ث**.

(4) البخاري (2635) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «هَاجَرَ إِبْرَاهِيمُ بِسَارَةَ فَأَعْطَوْهَا أَجْرًا فَرَجَعَتْ فَقَالَتْ: أَشَعَرْتُ أَنَّ اللَّهَ كَبَتَ الْكَافِرَ وَأَخَذَمَ وَلِيدَهُ؟!» والحديث مطول في مواطن آخر من الصحيح.

(5) أخرجه البخاري (2620) (5978) وهناك قال ابن عيينة: فأنزل الله تعالى فيها: ﴿لَا يَنْهَكُمُ

* وَأَهْدَىٰ عَمَرُ حُلَّةً لِأَخٍ لَهُ مُشْرِكٌ بِمَكَّةَ قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمَ أَخُوهُ ⁽¹⁾.

لكن إذا كان هذا الكافر سينتقوى بهذه الهدية على المسلمين ويؤذيهم ويتمرد عليهم ويتجبر فحينئذ لا يُهدى إليه، ولا كرامة.

* وأخرج الترمذي وأبو داود والبخاري في «الأدب المفرد» بإسناد صحيح ⁽²⁾ من طريق مجاهد أن عبد الله بن عمرو دُبِحَتْ لَهُ شاةٌ فِي أَهْلِهِ فَلَمَّا جَاءَ قَالَ: أَهْدَيْتُمْ لِجَارِنَا الْيَهُودِيَّ؟ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا زَالَ جَبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورَثُهُ».

وهناك هدايا لا تُرد:

* منها: الطيب؛ ففي «صحيح البخاري» من حديث أنس ^ف أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ لَا يَرُدُّ الطَّيِّبَ.

* وصح عن رسول الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ عُرِضَ عَلَيْهِ رِيحَانٌ فَلَا يَرُدُّهُ فَإِنَّهُ خَفِيفُ الْمَحْمِلِ طَيِّبُ الرِّيحِ».

أما إذا كانت الهدية بمنزلة الرشوة فإنها تُرد كما فعل سليمان ^ع، إذ كانت الهدية رشوة عن الدين كي تُقرَّ على عبادة الشمس. وكذا فإذا كانت الهدية بمثابة الرشوة لإبطال الحق وإثبات الباطل فلا تُقبل حينئذ.

وكذلك إذا كانت الهدية للأمرء والوزراء والمسئولين ⁽³⁾ كي

اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يَقْبَلُوا فِي الدِّينِ ... [المتنحة: 8، 9]، وأخرجه مسلم (41/3).

(1) انظر البخاري (2619).

(2) الترمذي (حديث 1943)، وأبو داود (5152)، والبخاري في «الأدب المفرد» (حديث 105).

(3) كالقضاة والشرط ونحوهم.

يعطوك شيئاً ليس من حقك أو يتجاوزوا لك عن شيء لا ينبغي لهم أن يتجاوزوا عنه فحينئذ يحرم عليك الإهداء ويحرم عليهم قبول الهدية، وقد استعمل النبي ﷺ لفظاً شديداً في الزجر في هذا الباب:

* ففي «الصحيحين» (1) من حديث أبي حميد الساعدي **قَالَ**: اسْتَعْمَلَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا مِنَ الْأَزْدِ يُقَالُ لَهُ: «ابْنُ اللَّثِيْبَةِ» عَلَى الصَّدَقَةِ، فَلَمْ

قَدِمَ قَالَ: هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أَهْدِي لِي. قَالَ: «فَهَلَّا جَسَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ - أَوْ بَيْتِ أُمِّهِ - فَيَنْظُرَ يَهْدِي لَهُ أَمْ لَا؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْهُ شَيْئًا إِلَّا جَاءَ بِهَذَا»
يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِهِ، إِنْ كَانَ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقَرَةً لَهَا خُورٌ، أَوْ شَاةٌ تَيْعَرٌ، - ثُمَّ رَفَعَ بِيَدِهِ حَتَّى رَأَيْنَا غُفْرَةً إِبْطِيَهْ -: اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتَ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتَ» ثلاثاً.

* ومن ثم روى البخاري معلقاً (2) عن عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ: كَانَتْ الْهَدِيَّةُ فِي زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هَدِيَّةً وَالْيَوْمَ رِشْوَةً.
* وأخرج عبد الرزاق في «المصنف» (3) بإسناد صحيح لغيره عن ابن مسعود **قَالَ**: السُّحْتُ الرِّشْوَةُ فِي الدِّينِ. قَالَ سَفِيَانُ: يَعْنِي الْحَكَمَ.

(1) البخاري (حديث 2597)، ومسلم (1832).

(2) معلقاً (مع الفتح 260/5) قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: وَصَلَهُ ابْنُ سَعْدٍ بِقِصَّةٍ فِيهِ، فَرَوَى مِنْ طَرِيقِ فُرَاتِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: اشْتَهَى عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ التُّفَّاحَ فَلَمْ يَجِدْ فِي بَيْتِهِ شَيْئًا يَشْتَرِي بِهِ، فَرَكِبْنَا مَعَهُ، فَتَلَقَّاهُ غُلَمَانُ الدَّيْرِ بِأَطْبَاقِ تَفَّاحٍ، فَتَنَاوَلَ وَاحِدَةً فَشَمَّهَا ثُمَّ رَدَّ الْأَطْبَاقَ، فَقُلْتُ لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ: لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ، فَقُلْتُ: أَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ؟ فَقَالَ: إِنَّهَا لِأَوْلَانِكَ هَدِيَّةٌ وَهِيَ لِلْعَمَلِ بَعْدَهُمْ رِشْوَةٌ.

(3) عبد الرزاق (المصنف 14664)، وانظر «السنن الكبرى» للبيهقي (139/10).

* وأخرج أبو داود (1) وغيره بإسناد صحيح من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو **قَالَ**: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الرَّاشِيَّ وَالْمُرْتَشِيَّ».

وكذلك إذا كانت الهدية شيئاً مسروقاً أو شيئاً محرماً فلا تقبل لما في ذلك من أكل الحرام والمعاونة على الإثم والعدوان.

* وفي «مسند الإمام أحمد» (2) أَنَّ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ صَحَبَ قَوْمًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَوَجَدَ مِنْهُمْ غَفْلَةً فَقَتَلَهُمْ وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ فَجَاءَ بِهَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَقْبَلَهَا.

* وكذلك إذا كانت الهدية إنما أهداها صاحبها لأخذ أكثر منها وإن لم يأخذ أكثر منها يتسخط، فإذا عرف من عادته هذا فلك - والله أعلم - أن تتوقف في قبول هديته.

وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أَتَيْتُم مِّن رَّبِّالْيَرَبُّوْا فِى أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرَبُّوْا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الروم: ٢٨]، وهذا في مثل هذا الموطن، في رجل يهدي وينتظر من المهدي إليه أضعاف ما يقدمه له.

(1) أخرجه أبو داود (3580)، والترمذي (مع التحفة 567/4)، وابن ماجه (775/2).

قال كثير من أهل العلم: إن الراشي هو معطي الرشوة والمرتشي هو آخذها والرائش هو الذي يسعى بينهما، وقالوا: الرشوة ما يُعطى لإبطال حقٍّ أو لإحقاق باطل، أما إذا أعطى ليتوصل به إلى حق أو ليدفع به عن نفسه ظلماً فلا بأس به.

انظر ما ذكره المباركفوري في «تحفة الأحوذى» وكذلك شمس الحق العظيم أبادي في «عون المعبود»، وكذلك الخطابي في «معالم السنن» وغيرهم.

(2) «المسند» (246/4) من طريق أبي معاوية ثنا هشام بن عروة عن أبيه عن المغيرة بن شعبه به.

وفي رواية أبي معاوية عن هشام مقال، لكن للحديث شاهد في البخاري فيه (2731)، (2732)... وكان المغيرة صحب قوماً في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم فقال النبي ﷺ: «أما الإسلام فاقبل، وأما المال فلست منه في شيء».

أو إن كان المهدي يعتبر هديته بمثابة الدِّين عليك، وأنت لا تريد أن تتحمل دينًا شرعًا ولا عرفًا، فلك في مثل هذه الحالة أن تتوقف مع اعتذارٍ لطيف للمهدي، اعتذارٍ لا يكسر له خاطرًا ولا يشوش عليه فكرًا. وكذلك إذا كان المهدي منًّا يمينُ بهديته ويتحدث بها فلك في مثل هذه الحال أن تتوقف.

وكل هذا يقدر بقدره والأصل استحباب الهدية واستحباب قبولها والإثابة عليها.

وكذلك يكره لك أن تهدي هدية لشخص سفيه يستعملها في معصية الله ٥ وفي الفساد في الأرض، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ [البقرة: ٢٧]، ويقول سبحانه: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [النساء: ٥].

وكذلك فأتناء هديتك انتبه هل ستُصلح في باب وتُفسد في باب آخر أم أن الهدية كلها خير، فقد تهدي لابنٍ من أبنائك دون الآخرين فتسبب مفسدة وضغينة بين الأولاد:

قال الثَّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ **ق(1)**: أَعْطَانِي أَبِي عَطِيَّةً، فَقَالَتْ عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ: لَا أَرْضَى حَتَّى تُشْهَدَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي أَعْطَيْتُ ابْنِي مِنْ عَمْرَةَ بِنْتِ رَوَاحَةَ عَطِيَّةً، فَأَمَرْتَنِي أَنْ أَشْهَدَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «أَعْطَيْتَ سَائِرَ وَلَدِكَ مِثْلَ هَذَا؟» قَالَ: لَا. قَالَ: «فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ» قَالَ: فَرَجَعَ فَرَدَّ عَطِيَّتَهُ.

* وأخرج عبد الرزاق **(2)** بإسناد صحيح عن ابن عباس **ق** قال: إذا

(1) أخرجه البخاري (2587)، ومسلم (حديث 1623).

(2) عبد الرزاق (المصنف 14650).

أسلفت رجلاً سلفاً، فلا تقبل منه هدية كُراع ولا عارية ركوب دابة.

* وأخرج أيضاً ⁽¹⁾ من طريق سالم بن أبي الجعد قال: جاء رجل إلى ابن عباس فقال: إنه كان لنا جار سمّاك فأقرضته خمسين درهماً، وكان يبعث إليّ من سمكه، فقال ابن عباس: حاسبه، فإن كان فضلاً فرُدَّ عليه، وإن كان كفافاً فقاصصه.

* وأخرج أيضاً ⁽²⁾ بإسناد صحيح عن إبراهيم عن علقمة قال: إذا نزلت على رجل لك عليه دين فأكلت عليه فاحسبه له ما أكلت عنده، إلا أن إبراهيم كان يقول: إلا أن يكون معروفاً كانا يتعاطيانه قبل ذلك. وثمّ جملة آثار آخر في هذا الباب، وفي أسانيد كثير منها مقال ⁽³⁾.

* قلت: لكن إذا أقرضت رجلاً مبلغاً من المال وردّه إليك مع زيادة (بدون اشتراط منك) وكانت نفسه طيبة بذلك فلا مانع من قبوله، وذلك لما في «الصحيحين» ⁽⁴⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: كَانَ لِرَجُلٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ سِنٌّ ⁽⁵⁾ مِنَ الْإِبِلِ فَجَاءَهُ يَتَقَاضَاهُ فَقَالَ ﷺ: «أَعْطُوهُ» فَطَلَبُوا سِنَّهُ، فَلَمْ يَجِدُوا إِلَّا سِنًّا فَوْقَهَا ⁽⁶⁾، فَقَالَ: «أَعْطُوهُ» فَقَالَ: أَوْفَيْتَنِي أَوْفَى اللَّهِ بِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً».

وفي «الصحيحين» ⁽⁷⁾ أيضاً من حديث جابر رضي الله عنه قال: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ

(1) عبد الرزاق (المصنف 14651)، وهو صحيح أيضاً، وأخرجه البيهقي (350/5).

(2) عبد الرزاق (المصنف 14649).

(3) انظرها في «مصنف عبد الرزاق» (142/5)، وفي «السنن الكبرى» للبيهقي (349/5).

(4) البخاري (حديث 2393)، ومسلم (حديث 1601).

(5) يعني جمل له سنٌّ معين.

(6) وفي رواية أخرى: لا نجد إلا سنّاً أفضل من سِنِّهِ.

(7) البخاري (حديث 2394)، ومسلم (ص 1222، 1223).

وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ وَكَانَ لِي عَلَيْهِ دَيْنٌ فَقَضَانِي وَزَادَنِي.

وأيضاً ينبغي أن يتحفظ الشخص ويتورع عن الهدية إن كانت تقوم مقام الربا فقد يقترض شخص من شخص مالا ويحل وقت السداد ولا يطيق المدين السداد؛ فيسلك مسلك الإهداء لصاحب المال حتى يسكته وحتى يصبر عليه فحينئذٍ من الورع ترك هذه الهدايا، نعم إنه يجوز قبولها ما لم يشترط لكن الأورع ترك الهدية إذا كانت بهذه المثابة.

وفي هذا الباب أذكر ما أخرجه البخاري ⁽¹⁾ \$ من طريق أبي بُرْدَةَ قَالَ: أَتَيْتُ الْمَدِينَةَ فَلَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ فَقَالَ: أَلَا تَجِيءُ فَأُطْعِمَكَ سَوِيْقًا وَتَمْرًا وَتَدْخُلَ فِي بَيْتٍ؟ ثُمَّ قَالَ: إِنَّكَ فِي أَرْضِ الرَّبَا بِهَا فَاشِ، إِذَا كَانَ لَكَ عَلَى رَجُلٍ حَقٌّ فَأَهْدِي إِلَيْكَ حِمْلَ تَبْنٍ أَوْ حِمْلَ شَعِيرٍ أَوْ حِمْلَ قَتٍّ فَلَا تَأْخُذْهُ فَإِنَّهُ رَبًّا.

وكما أسلفنا فيجوز أن تهدي المرأة للرجل وأن يُهدي الرجل للمرأة، ومحل ذلك - كما هو معلوم - عند أمن الفتنة، أما إذا كانت هدية المرأة للرجل أو الرجل للمرأة يتأتى من ورائها فتنة، وتقع المرأة في قلب الرجل ويقع في قلبها ويحدث من وراء ذلك المحرم، فحينئذٍ تمنع الهدية لا لكونها حراماً، ولكن سداً للذريعة الموصلة إلى الحرام فالله لا يحب الفساد.

ولا ينبغي أن تخرج أحداً وتحمله على الإهداء لك، فإنك إن فعلت أوشكت أن لا يبارك لك في هذا الشيء المهدي، ولكن إن أهدي إليك أو أخذت الشيء بغير مسألة ولا إشراف نفس بورك لك فيه، ولتحرص على أن تكون نفس المهدي طيبة وهو يهدي إليك.

(1) البخاري (حديث 3814).

س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنَ قَالَ أُمِدُّونَنِي بِمَالٍ فَمَاءَ اتْنِئَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيَتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأَيِّنَهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - فلما جاءت رسل ملكة سبأ إلى سليمان غ بهداياها التي أرسلتها قال لهم سليمان غ: أتمدونني بمالٍ فالذي أعطانيه الله ومن عليّ به من المال والدنيا خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون، ارجع إلى قومك فلنأتينهم بجنودٍ لا طاقة لهم بها ولنخرجهم من بلادهم أذلةً أشد الإذلال، مُهانون أشد الإهانة.

قال الطبري \$:

وقوله: ﴿أُمِدُّونَنِي بِمَالٍ﴾ يقول: قال سليمان لما جاء الرسول من قبل المرأة بهداياها: أتمدونن بمال.

وقوله: ﴿فَمَاءَ اتْنِئَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم﴾ يقول: فما آتاني الله من المال والدنيا أكثر مما أعطاكم منها وأفضل ﴿بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيَتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ يقول: ما أفرح بهديتكم التي أهديتم إليّ، بل أنتم تفرحون بالهدية التي تُهدى إليكم؛ لأنكم أهل مفاخرة بالدنيا، ومكاثرة بها، وليست الدنيا وأموالها من حاجتي، لأن الله تعالى ذكره قد مكّني منها وملّكني فيها ما لم يُملّك أحداً.

﴿أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ وهذا قول سليمان لرسول المرأة: ﴿أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأَيِّنَهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا﴾ لا طاقة لهم بها ولا قدرة لهم على دفعهم عما أرادوا منهم. ﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ يقول: ولنخرجن من أرسلكم من أرضهم أذلة وهم صاغرون إن لم يأتوني مسلمين.

وقال الحافظ ابن كثير \$:

﴿أُمِدُّونَنِي بِمَالٍ﴾ أي: أتصانعونني بمال لأترككم على شرككم وملككم؟!!

﴿ فَمَاءَ آتَنِ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ آتٰكُمْ ﴾ أي: الذي أعطاني الله من الملك والمال والجنود خير مما أنتم فيه، ﴿ بَلْ أَنتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾ أي: أنتم الذين تنقادون للهدايا والتحف، وأما أنا فلا أقبل منكم إلا الإسلام أو السيف.

قال الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، **ق:** أمر سليمان الشياطين فموهوا له ألف قصر من ذهب وفضة. فلما رأت رسلها ذلك قالوا: ما يصنع هذا بهديتنا. وفي هذا دلالة على جواز تهيو الملوك وإظهارهم الزينة للرسل والقصاد.

﴿ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ ﴾ أي: بهديتهم، ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلُ لَهُمْ بِهَا ﴾ أي: لا طاقة لهم بقتالهم، ﴿ وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا ﴾ أي: من بلدهم، ﴿ أَذِلَّةً لَهُمْ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ أي: مهانون مدحورون.

فلما رجعت إليها رسلها بهديتها، وبما قال سليمان، سمعت وأطاعت هي وقومها، وأقبلت تسير إليه في جنودها خاضعة ذليلة، معظمة لسليمان، نارية متابعته في الإسلام. ولما تحقق سليمان **غ** قدومهم عليه ووفودهم إليه، فرح بذلك وسرّه.

وقال القرطبي \$: ومعنى أتمدونني أتزيدونني مالا إلى ما تشاهدونه من أموال.

قوله تعالى: ﴿ فَمَاءَ آتَنِ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ آتٰكُمْ ﴾ أي: فما أعطاني الله من الإسلام والملك والنُّبوة خير مما أعطاكم فلا أفرح بالمال و(آتان) وقعت في كل المصاحف بغير ياء وقرأ أبو عمرو ونافع و حفص: ﴿ ءَاتَنِ ٱللَّهُ ﴾ بياء مفتوحة فإذا وقفوا حذفوا وأما يعقوب فإنه يثبتها في الوقف ويحذف في الوصل لالتقاء الساكنين والباقون بغير ياء في الحاليين ﴿ بَلْ أَنتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾ لأنكم أهل مفاخرة ومكاثرة في الدنيا.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالَ يَتْلِيَهَا أَلْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي

مُسْلِمِينَ﴾ (٣٨).

ج: هذا معناه - والله أعلم - أن سليمان **غ** قال لعلية القوم الذين معه ولكبرائهم: يا أيها الملأ أيكم يأتيني بسرير ملكها قبل أن يأتوني مستسلمين خاضعين، والله أعلم.



س: لماذا سأل سليمان غ الملأ أن يأتوه بعرش ملكة سبأ قبل مجيئها مستسلمة مع قومها؟

ج: قال بعض العلماء: إنما قال ذلك حتى إذا أخذه قبل إسلامها لم يكن عليه جناح.

وقال آخرون: إنما أراد أن يختبرها به إذا جاءت.

وقال آخرون: إنما أخذه ليبين لها قدرة الله **ه** على كل شيء.

قال الطبري \$:

واختلف أهل العلم في السبب الذي من أجله خصّ سليمان مساءلة الملأ من جنده إحضار عرش هذه المرأة من بين أملاكها قبل إسلامها، فقال بعضهم: إنما فعل ذلك لأنه أعجبه حين وصف له الهدد صفته، وخشي أن تسلم فيحرّم عليه مالها، فأراد أن يأخذ سريرها ذلك قبل أن يحرّم عليه أخذه بإسلامها.

وقال آخرون: بل فعل ذلك سليمان ليعاتبها به، ويختبر به عقلها، هل تثبته إذا رآته، أم تنكره؟

قال القرطبي \$:

واختلفوا في فائدة استدعاء عرشها فقال قتادة: ذكر له بعظم وجوده

فأراد أخذه قبل أن يعصمها وقومها الإسلام ويحمي أموالهم والإسلام على هذا الدين وهو قول ابن جريج. وقال ابن زيد: استدعاه ليربها القدرة التي هي من عند الله ويجعله دليلاً على نبوته لأخذه من بيوتها دون جيش ولا حرب ولا ﴿مُسْلِمِينَ﴾ على هذا التأويل بمعنى مستسلمين وهو قول ابن عباس. وقال ابن زيد أيضاً: أراد أن يختبر عقلها ولهذا قال: ﴿تَكْرُوهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَنْهَدِي﴾ وقيل: خافت الجن أن يتزوج بها سليمان غ فيولد له منها ولد فلا يزالون في السخرة والخدمة لنسل سليمان، فقالت لسليمان في عقلها خلل فأراد أن يمتحنها بعرضها (1) وقيل: أراد أن يختبر صدق الهدد في قوله: ﴿وَمَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ قاله الطبري. وعن قتادة: أحب أن يراه لما وصفه الهدد والقول الأول عليه أكثر العلماء؛ لقوله تعالى: ﴿قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ ولأنها لو أسلمت لحظر عليه مالها فلا يُؤتى به إلا بإذنها. روي أنه كان من فضة وذهب مرصعاً بالياقوت الأحمر والجوهر وأنه كان في جوف سبعة أبيات عليه سبعة أغلاق.



س: متى قال سليمان للملأ: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشَهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾؟

ج: جمهور المفسرين على أن سليمان غ قال ذلك بعد أن أتوه بالهدية وردّها لهم.

وقال ابن عطية: وظاهر الآيات أن هذه المقالة من سليمان غ بعد مجيء هديتها وردّه إياها، وبعثه الهدد بالكتاب؛ وعلى هذا جمهور المتأولين.

(1) ولا دليل على هذا القول فيما أعلم.



س: ما معنى قوله: ﴿قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾؟

ج: الظاهر – والله أعلم –: أن المراد قبل أن يأتوني مستسلمين خاضعين، وذلك لأنهم إنما خرجوا من بلادهم متجهين إلى سليمان **ع**، مستسلمين خاضعين لا عن رغبة في الإسلام.

قال الطبري \$:

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ فقال بعضهم: معناه: قبل أن يأتوني مستسلمين طوعًا.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: قبل أن يأتوني مسلمين الإسلام الذي هو دين الله.

قال الطبري \$:

وأولى الأقوال بالصواب في السبب الذي من أجله خصّ سليمان بسؤاله الملأ من جنده بإحضاره عرش هذه المرأة دون سائر ملكها عندنا؛ ليجعل ذلك حجة عليها في نبوته، ويعرفها بذلك قدرة الله وعظيم شأنه، أنها خلفته في بيت في جوف أبيات، بعضها في جوف بعض، مغلق مقفل عليها، فأخرجه الله من ذلك كله، بغير فتح أغلاق وأقفال، حتى أوصله إلى وليه من خلقه، وسلمه إليه، فكان لها في ذلك أعظم حجة، على حقيقة ما دعاها إليه سليمان، وعلى صدق سليمان فيما أعلمها من نبوته.

فأما الذي هو أولى التأويلين في قوله: ﴿قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ بتأويله، فقول ابن عباس الذي ذكرناه قبل، من أن معناه طائعين؛ لأن المرأة لم تأت سليمان؛ إذ أتته مسلمة، وإنما أسلمت بعد مقدمها عليه وبعد محاوره

جرت بينهما ومساءلة.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ^ط

وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾

ج: المعنى - والله أعلم -: أن عِفْرِيتًا من الجن، وهو المارد والداهية والرئيس فيهم: أنا أحضر لك عرشها - سرير مُلكها - قبل أن تقوم من مقامك الذي أنت فيه، وقد قال بعض أهل العلم: إن المراد بالمقام المقام الذي كان يجلس فيه للحكم، وزعم بعضهم أنه كان يمتد إلى نصف النهار، وليس على هذا دليل لا من كتاب ولا من سنة صحيحة، أما قوله: ﴿وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ أي قادر على إحضاره، أمين على ما فيه.

قال الطبري \$:

وقوله: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ يقول تعالى ذكره: قال رئيس من الجن مارد قويّ. وللعرب فيه لغتان: عفريت، وعفريّة؛ فمن قال: عفريّة، جمعه: عفاري؛ ومن قال: عفريت، جمعه: عفاريت.

وقوله: ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ^ط﴾ يقول: أنا آتيك بعرشها قبل أن تقوم من مقعدك هذا.

وكان فيما ذكر قاعدًا للقضاء بين الناس، فقال: أنا آتيك به قبل أن تقوم من مجلسك هذا الذي جلست فيه للحكم بين الناس. وذكر أنه كان يقعد إلى انتصاف النهار.

وقوله: ﴿وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ على ما فيه من الجواهر، ولا أخون فيه. وقد قيل: أمين على فَرْج المرأة.

وقال القرطبي \$:

والعفريت من الشياطين القوي المارد والتاء زائدة وقد قالوا: تعفرت
الرجل إذا تخلق بخلق الأذاية.

صفات مستحبة في الأجير

س: يستحب لصاحب العمل أن يُراعي في الأجير الذي يستأجره أمرين، قوته وقدرته على العمل، والثاني الأمانة، دَلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قول العفريت الجني: ﴿وَلِيَّ عَلَيْهِ لَقَوًى أَمِينٌ﴾ فذكر مؤهلاته لذلك، وهي القوة والأمانة.

وقول بنت العبد الصالح لأبيه في شأن موسى غ: ﴿بَتَّابَتِ اسْتَعْجَرُهُ إِيَّاكَ خَيْرَ مَنْ اسْتَعْجَرَتِ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [الفصص: ٢٤].

وقول الصديق يوسف غ: ﴿أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥]، فذكر الحفظ وهو مقتضى الأمانة، وذكر العلم بتدبير الأمور وهو من مقتضيات القوة. وبالله التوفيق.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَيْسَ عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا إِنِّي إِنيك بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: قال الذي عنده علم من الكتاب لسليمان غ مُقَدِّمًا عرضًا أسرع من العرض الذي ذكره عفريت من الجن، أن أتيتك بسرير ملكها قبل أن يرتد إليك طرفك، أي: قبل أن يرجع إليك بصرك إذا نظرت، فارفع بصرك وانظر إلى نهاية بصرك فلن تغمض عينك من تعب بصرك إليَّ وهو حاضرٌ عندك قيل إنما من عينك. فوافق سليمان غ على ذلك فإذا بسرير ملكها أمانة بين يديه فقال شاكرًا لله: هذا من فضل ربي ليختبرني أشكره على نعمه أم أكفر بنعمه عليَّ.

ثم قال مُذَكِّرًا: ومن شكر فإنما يشكر لنفسه أي: أن فائدة الشكر عائدة عليه هو لا على أحدٍ سواه، فإن الله غني عن العباد، ولكن يُجازي الشكور.

قال سليمان: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ أي: ومن جحد نعم الله عليه ولم يُقرِّ بها ولم يقدم لها شكرًا فإن ربي غني عنه كريم سبحانه، ومن كرمه تفضله على الخلق مع جحودهم نعمه ٥ وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

وقوله: ﴿أَنَا إِلَٰهِيكَ بِهٖ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: أنا آتيك به قبل أن يصل إليك من كان منك على مدِّ البصر.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: من قبل أن يبلغ طرفك مداه وغايته.

قال أبو جعفر: وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: قبل أن يرجع إليك طرفك من أقصى أثره، وذلك أن معنى قوله: ﴿يَرْتَدَّ إِلَيْكَ﴾ يرجع إليك البصر، إذا فتحت العين غير راجع، بل إنما يمتدّ ماضيًا إلى أن يتناهى ما امتدَّ نوره. فإذا كان ذلك كذلك، وكان الله إنما أخبرنا عن قائل ذلك ﴿أَنَا إِلَٰهِيكَ بِهٖ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ﴾ لم يكن لنا أن نقول: أنا آتيك به قبل أن يرتدّ راجعًا ﴿إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ من عند منتهاه.

وقوله: ﴿فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ﴾ يقول: فلما رأى سليمان عرش ملكة سبأ مستقرًّا عنده. وفي الكلام متروك استغنى بدلالة ما ظهر عما ترك، وهو: فدعا الله، فأتى به؛ فلما رآه سليمان مستقرًّا عنده.

وقال:

وقوله: ﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي﴾ يقول: هذا البصر والتمكن والملك

والسلطان الذي أنا فيه حتى حمل إليّ عرش هذه في قدر ارتداد الطرف من مأرب إلى الشام، من فضل ربي الذي أفضله عليّ وعطائه الذي جاد به عليّ، ليلبوني، يقول: ليختبرني ويمتحنني، أشكر ذلك من فعله عليّ، أم أكفر نعمته عليّ بترك الشكر له.

وقد قيل: إن معناه: أشكر على عرش هذه المرأة إذ أتيت به، أم كفر إذ رأيت من هو دوني في الدنيا أعلم مني.

وقوله: ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ يقول: ومن شكر نعمة الله عليه، وفضله عليه، فإنما يشكر طلب نفع نفسه؛ لأنه ليس ينفع بذلك غير نفسه؛ لأنه لا حاجة لله إلى أحد من خلقه، وإنما دعاهم إلى شكره تعريضاً منه لهم للنفع، لا لاجتلاب منه بشكرهم إياه نفعاً إلى نفسه، ولا دفع ضرر عنها ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رِبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ يقول: ومن كفر نعمه وإحسانه إليه، وفضله عليه، لنفسه ظلم، وحظها بخس، والله غني عن شكره، لا حاجة به إليه، لا يضره كفر من كفر به من خلقه، كريم، ومن كرمه إفضاله على من يكفر نعمه، ويجعلها وصلة يتوصل بها إلى معاصيه.

وقال ابن كثير \$:

فلما عاين سليمان وملؤه ذلك، وراه مستقراً عنده ﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾ أي: هذا من نعم الله عليّ ﴿لِيَبْلُوَنِي﴾ أي: ليختبرني، ﴿أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾، كقوله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فصلت: ٤١]، وكقوله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ [الروم: ٤١].

وقوله: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رِبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ أي: هو غني عن العباد وعبادتهم، كريم في نفسه، وإن لم يعبد له أحد، فإن عظمتها ليست مفتقرة إلى أحد، وهذا كما قال موسى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ

حَمِيدٌ.

[إبراهيم: ١٤]

وفي صحيح مسلم: «يقول الله تعالى: يا عبادي لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئاً. يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، كانوا على أفجر قلب رجل منكم، ما نقص ذلك من ملكي شيئاً. يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم [ثم أوفيكم إياها] فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه» (1).

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ﴾ أي: ثابتاً عنده ﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾ أي: هذا النصر والتمكين من فضل ربي ﴿يَبْلُغُنِي﴾ قال الأخفش: المعنى لينظر ﴿أَشْكُرُكُمْ أَكْفَرُكُمْ﴾ وقال غيره: معنى ﴿يَبْلُغُنِي﴾: ليتعبدني وهو مجاز والأصل في الابتلاء الاختبار أي: ليختبرني أشكر نعمته أم أكفرها ﴿وَمَنْ شَكَرْنَا نَمَّا يَشْكُرُنَفْسَهُ﴾ أي: لا يرجع نفع ذلك إلا إلى نفسه؛ حيث استوجب بشكره تمام النعمة ودوامها والمزيد منها والشكر قيد النعمة الموجودة وبه تُنال النعمة المفقودة ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيَ غَنِيٌّ﴾ أي: عن الشكر ﴿كَرِيمٌ﴾ في التفضل.



الذي عنده علمٌ من الكتاب

س: مَنْ هَذَا الذي عنده علمٌ من الكتاب؟

ج: لم أقف على خبر ثابت عن رسول الله ﷺ يبين فيه من هذا الذي

عنده علم من الكتاب.

والظاهر من الآية الكريمة أنه عالمٌ، شخصٌ من أهل العلم بالكتاب.
وإن كان أكثر أهل العلم على أنه رجلٌ من البشر علّمه الله اسمه
الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب وإذا سئل به أعطى.

قال القرطبي \$:

أكثر المفسرين على أن الذي عنده علم من الكتاب آصف بن برخيا
وهو من بني إسرائيل وكان صديقًا يحفظ اسم الله الأعظم الذي إذا سئل
به أعطى، وإذا دُعي به أجاب.

وهناك أقوالٌ آخر في اسمه منها:

قول قتادة: أنه بليخا.

ومنها: أنه أسطوم.

وأقول آخر غريبة: منها أنه سليمان غ نفسه، ومنها أنه الخضر وكل
ذلك لا دليل عليه، والاجتزاء بما في كتاب الله أسلم والله أعلم.



س: ما المراد بـ (عَلَّمَ مِنْ أَلَكْتَبِ)؟

ج: قال أكثر المفسرين: إنه العلم باسم الله الأعظم.



اسم الله الأعظم

س: ما اسم الله الأعظم؟

ج: لم أقف على دليلٍ ثابت في هذا عن رسول الله ﷺ، والأخبار
المنقولة عنه - صلوات الله وسلامه عليه - في ذلك معلولة.

وقد قال الجمهور⁽¹⁾: إنه لفظ الجلالة (الله) فلما اعترض عليهم في ذلك بأن كثيرًا من الناس يدعون بهذا الاسم ولا يستجاب لهم، أجيب بأنهم تخلفوا عن سائر شرائط الدعاء فلم يأتوا بها، فالله أعلم.

س: الابتلاء وكما أنه يكون بالضراء فإنه أيضًا يكون بالسراء، وأهل الفهم يفهمون ذلك دليل على ذلك.

ج: نعم فإن الابتلاء وكما أنه يكون بالضراء فإنه يكون بالسراء كذلك، وهكذا فهم نبي الله سليمان **ع** لما رأى عرش ملكة سبأ مستقرًا عنده، قال: ﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾.

وقد قال تعالى: ﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ **[الأنبياء: ١٢٩]**.

وقال تعالى: ﴿وَبَلَّوْنَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ **[الأعراف: ١٨٨]**.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَنْهَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾^(٤١).

ج: المعنى - والله أعلم -: أن سليمان **ع** قال لجنده وأتباعه: غيِّروا لملكة سبأ سرير ملكها الذي آتيتموني به، زيدوا فيه أشياء، وأنقصوا منه أشياء حتى نرى مدى فهمها وذكاؤها وقوة عقلها، وذلك إذا اهتدت إلى معرفة عرشها.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: قال سليمان -لما أتى عرش بلقيس صاحبة سبأ، وقدمت هي عليه - لجنده: غيِّروا لهذه المرأة سريرها.

(1) انظر حاشية رد المحتار (7/1)، والدعاء المأثور للطرطوسي (97)، وشرح مشكل الآثار (162/1)، والقرطبي (102/1) وغيرهم.

وقوله: ﴿نَظَرْنَا نَهْدَى﴾ يقول: ننظر أتعقل فتثبت عرشها أنه هو الذي لها ﴿أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ يقول: من الذين لا يعقلون فلا تثبت عرشها.

وقيل: إن سليمان إنما نكر لها عرشها، وأمر بالصرح يعمل لها، من أجل أن الشياطين كانوا أخبروه أنه لا عقل لها، وأن رجلها كحافر حمار، فأراد أن يعرف صحة ما قيل له من ذلك.

وقال ابن كثير \$:

لما جيء سليمان غ بعرش بلقيس قبل قدومها، أمر به أن يغير بعض صفاته؛ ليختبر معرفتها وثباتها عند رؤيته، هل تقدم على أنه عرشها أو أنه ليس به، فقال: ﴿نَكْرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَظَرْنَا نَهْدَى أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾.

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: ﴿قَالَ نَكْرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾ أي غيروه قيل: جعل أعلاه أسفله وأسفله أعلاه وقيل: غير بزيادة أو نقصان. قال الفراء وغيره: إنما أمر بتكثيره لأن الشياطين قالوا له: إن في عقلها شيئا فأراد أن يمتحنها وقيل: خافت الجن أن يتزوج بها سليمان فيولد له منها ولد فيبقون مسخرين لآل سليمان أبداً فقالوا لسليمان: إنها ضعيفة العقل ورجلها كرجل الحمار فقال: ﴿نَكْرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾ لنعرف عقلها وكان لسليمان ناصح من الجن فقال: كيف لي أن أرى قدميها من غير أن أسألها كشفها؟ ⁽¹⁾ فقال: أنا أجعل في هذا القصر ماء وأجعل فوق الماء زجاجاً تظن أنه ماء فترفع ثوبها فتري قدميها فهذا هو الصرح الذي أخبر الله تعالى عنه.



(1) وليست هناك أسانيد ثابتة إلى رسول الله ﷺ بهذا والعلم عند الله.

س: قوله تعالى: ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ مَنْ قائله؟ بَيِّنْ ذلك مع إيضاح معناه.

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: أن قائل ذلك هو سليمان **غ** وحاصل معناه: أن سليمان **غ** يقول: وأوتينا العلم بقدرة الله **هـ** والعلم الذي علمنا الله إياه عمومًا من قبل مجيء هذه المرأة وكنا مسلمين لله قبل مجيئها متدينين بدين الإسلام.

الثاني: أن قائلة ذلك هي المرأة، والمعنى: وأوتينا العلم بأنك نبيٌّ من قبل أن نرى هذه المعجزة التي ظهرت لنا من نقل عرشنا إلى بلادك، وجئناك مستسلمين خاضعين.

وبنحو هذين القولين قال أهل العلم.

قال القرطبي \$:

﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا﴾ قيل: هو من قول بلقيس أي: أوتينا العلم بصحة نبوة سليمان من قبل هذه الآية في العرش ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ منقادين لأمره وقيل: هو من قول سليمان أي: أوتينا العلم بقدرة الله على ما يشاء من قبل هذه المرة وقيل: ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ﴾ بإسلامها ومجيئها طائعة من قبل مجيئها وقيل: هو من كلام قوم سليمان والله أعلم.

وسياتي مزيدٌ عما قريب إن شاء الله.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عِرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: أن ملكة سبا لما جاءت إلى سليمان **غ** أطلعها سليمان **غ** على العرش بعد أن غيّر منه بعض الأشياء، وزاد

ونقص، وقيل لها: أهكذا عرشك؟ أهكذا سرير ملكك الذي كنت تجلسين عليه؟ أهكذا سرير ملكك الذي كنت تجلسين عليه؟ قالت: كأنه هو شبهته به وهذا من وافر عقلها لم تنكر أن يكون عرشها، ولم تثبت يقيناً لكونه تركته وراءها في بلادها.

أما قول: ﴿وَأُوْتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا﴾ فللعلماء فيه قولان سبقت الإشارة إليهما، وهذا مزيد من أقوال العلماء في الآية الكريمة.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: لما جاءت صاحبة سبأ سليمان، أخرج لها عرشها، فقال لها: ﴿أَهَكَذَا عَرْشُكَ؟﴾ قالت وشبهته به: ﴿كَأَنَّهُ هُوَ﴾.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد: كان أبي يحدثنا هذا الحديث كله، يعني حديث سليمان، وهذه المرأة ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ شكت. **وقوله:** ﴿وَأُوْتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا﴾ يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل سليمان، وقال سليمان: ﴿وَأُوْتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا﴾ أي: هذه المرأة، بالله وبقدرته على ما يشاء، ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ لله من قبلها.

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ﴾ يريد بلقيس ﴿قِيلَ﴾ لها ﴿أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ شبهته به لأنها خلفته تحت الأغلاق فلم تقر بذلك ولم تنكر فعلم سليمان كمال عقلها.

وقال ابن كثير \$:

﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ﴾ أي: عرض عليها عرشها، وقد غيّر ونكّر، وزيد فيه ونقص منه، فكان فيها ثبات وعقل، ولها لبٌ ودهاء وحزم، فلم تقدم على أنه هو لبعد مسافته عنها، ولا أنه غيره، لما رأت من آثاره

وصفاته، وإن غير وبدل ونكر، فقالت: ﴿كَأَنَّهُ هُوَ﴾ أي: يشبهه ويقاربه. وهذا غاية في الذكاء والحزم.

وقوله: ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ قال مجاهد: سليمان يقوله.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ

؟﴾

ج: هذه تحتل جملة من المعاني:

الأول: وهو الأظهر عندي والله أعلم.

أما (ما) اسم موصول بمعنى الذي، والمعنى إجمالاً ومنعتها الآلهة التي كانت تعبدها من دون الله **هـ**، منعها من عبادة الله فقد كانت من قوم كافرين.

أي: ومنعها من الإيمان عبادتها للشمس.

أي: أن عبادتها وعبادة قومها للشمس جعلتها تنصرف عن عبادة الله وحده لا شريك له.

الثاني: أن الذي صدّها هو سليمان **غ** والمعنى، وصدّها، أي: ومنعها سليمان **غ** عن ما كانت تعبد من دون الله، أي: ومنعها سليمان عن عبادة غير الله، أي: عن عبادة الشمس فقد كانت من قوم كافرين.

الثالث: وصدّها عن عبادة الله وحده لا شريك له كونها كانت من قوم كافرين، فصدوها عن عبادة الله بعبادتهم الشمس وجهلهم، وإلا فقد كانت موفورة العقل.

الرابع: وصدّها الله **هـ** عن عبادة غيره بما أطلعها عليه من معالم قدرته ووحدانيته. والله أعلم.

وهذه أقوال بعض العلماء.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: ومنع هذه المرأة صاحبة سباً ﴿مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، وذلك عبادتها الشمس أن تعبد الله.

وأورد عن مجاهد بإسنادين قد يُحسننا قال: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ قال: كفرها بقضاء الله، صدها أن تهتدي للحق.

قال الطبري \$:

ولو قيل: معنى ذلك: وصدها سليمان ما كانت تعبد من دون الله، بمعنى: منعها وحال بينها وبينه، كان وجهًا حسنًا. ولو قيل أيضًا: وصدها الله ذلك بتوفيقها للإسلام، كان أيضًا وجهًا صحيحًا.

وقوله: ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ يقول: إن هذه المرأة كانت كافرة من قوم كافرين. وكُسِرَتِ الألف من قوله: «إنها» على الابتداء. ومن تأوّل قوله: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ التأويل الذي تأولنا، كانت «ما» من قوله: ﴿مَا كَانَتْ تَعْبُدُ﴾ في موضع رُفِعَ بالصد؛ لأن المعنى فيه لم يصدها عن عبادة الله جهلها، وأنها لا تعقل، إنما صدها عن عبادة الله عبادتها الشمس والقمر، وكان ذلك من دين قومها وآبائها، فاتبعت فيه آثارهم. ومن تأوّل على الوجهين الآخرين كانت «ما» في موضع نصب.

وقال ابن كثير \$:

وقوله: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾: هذا من تمام كلام سليمان، **غ** - في قول مجاهد، وسعيد بن جبير، رحمهما الله - أي: قال سليمان: ﴿وَأَوْتَيْنَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾، وهي كانت قد صدها، أي: منعها من عبادة الله وحده. ﴿مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾. وهذا الذي قاله

مجاهد وسعيد حسن، وقاله ابن جرير أيضاً.

ثم قال ابن جرير: ويحتمل أن يكون في قوله: ﴿وَصَدَّهَا﴾ ضمير يعود إلى سليمان، أو إلى الله ٥ تقديره: ومنعها ﴿مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: صدّها عن عبادة غير الله ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾.

قلت: ويؤيد قول مجاهد: أنها إنما أظهرت الإسلام بعد دخولها إلى الصرح، كما سيأتي.

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ الوقف على ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ حسن والمعنة: منعها من أن تعبد الله ما كانت تعبد من الشمس والقمر (ما) في موضع رفع. النحاس: المعنى أي: صدّها عبادتها من دون الله وعبادتها إياها عن أن تعلم ما علمناه عن أن تسلم ويجوز أن يكون (ما) في موضع نصب؛ ويكون التقدير: وصدّها سليمان عما كانت تعبد من دون الله أي حال بينها وبينه ويجوز أن يكون المعنى: وصدّها أي منعها الله عن عبادتها غير فحذفت (عن) وتعدّى الفعل نظيره: ﴿وَأَخَذَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾ [الأعراف: ١٥٠] أي: من قومه وأنشد سيبويه:

ونبئت عبد الله بالجور أصبحت كراماً مواليتها لئيمًا صميمها

وزعم أن المعنى عنده نبئت عن عبد الله ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ قرأ سعيد ابن جبير: (أنها) بفتح الهمزة وهي في موضع نصب بمعنى لأنها ويجوز أن يكون بدلًا من (ما) فيكون في موضع رفع إن كانت (ما) فاعلة الصد والكسر على الاستئناف.

قال السعدي \$:

قال الله تعالى: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتِ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: عن الإسلام، وإلا فلها من الذكاء والفتنة ما به تعرف الحق من الباطل ولكن العقائد الباطلة تذهب بصيرة القلب ﴿إِنَّمَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ فاستمرت على دينهم، وانفراد الواحد عن أهل الدين والعادة المستمرة بأمر يراه بعقله من ضلالهم وخطئهم من أندر ما يكون فلهذا لا يستغرب بقاؤها على الكفر، ثم إن سليمان أراد أن ترى من سلطانه ما يبهر العقول فأمرها أن تدخل الصرح وهي المجلس المرتفع المتسع وكان مجلساً من قوارير تجري تحته الأنهار.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: أنه قيل لمملكة سبأ لما وصلت إلى سليمان **غ** وحدّثها ببعض ما ذكر، قيل لها ادخلي الصرح، وهو المكان الرحيب الفسيح الذي يكون في البيت أو أمامه فلما رأت حُسْبته لجة بحر؛ إذ قد كان - على ما ذكر عدد من العلماء - ماءٌ يجري وفوقه زجاج - فلم تنظن لوجود الزجاج لشفافيته الزائدة فرأت الماء فكشفت عن ساقَيْها، فقال لها سليمان **غ**؛ إنه صرح مُّمَرَّد - مُصْنَعٌ من قوارير من زجاج - فما وسعها إلا الإقرار بالإسلام، والاعتراف بظلم النفس، فقالت معلنة عن إسلامها: ربّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي بما صدر مني من عبادة الشمس من دون الله، وأسلمت مع سليمان **غ** لله رب العالمين، وتديننت بدين الإسلام الذي

هو الطاعة والانقياد لله مع الإقرار له بالوحدانية فلا شريك له ولا ربّ سواه.

قال الطبري \$:

ذكر أن سليمان لما أقبلت صاحبة سبا تريده، أمر الشياطين فبنوا له صرحًا، وهو كهيئة السطح من قوارير، وأجرى من تحته الماء ليختبر عقلها بذلك، وفهمها على نحو الذي كانت تفعل هي من توجيهها إليه الوصائف والوصفاء ليميز بين الذكور منهم والإناث معاتبة بذلك كذلك.

قال الطبري \$:

وقيل: إن سليمان إنما أمر ببناء الصرح على ما وصفه الله؛ لأن الجن خافت من سليمان أن يتزوّجها، فأرادوا أن يزهّدوه فيها، فقالوا: إن رجلها رجل حمار، وإن أمها كانت من الجنّ، فأراد سليمان أن يعلم حقيقة ما أخبرته الجنّ من ذلك.

وقال \$:

وقوله: ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ يقول: فلما رأت المرأة الصرح حسبته لبياضه واضطراب دواب الماء تحته لجة بحر، كشفت من ساقياها؛ لتخوضه إلى سليمان.

وقال \$:

وقوله: ﴿إِنَّهُ صَرَحٌ مُّمرَّدٌ مِّنْ قَوَارِيرَ﴾ يقول جلّ ثناؤه: قال سليمان لها: إن هذا ليس ببحر، إنه صرح ممرّد من قوارير، يقول: إنما هو بناء مبني مشيد من قوارير.

وقوله: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ...﴾ الآية، يقول تعالى ذكره: قالت المرأة صاحبة سبا: ربّ إنني ظلمت نفسي في عبادتي

الشمس، وسجودي لما دونك ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَنِ اللَّهِ﴾ تقول: وانقذت مع سليمان مذنة لله بالتوحيد، مفردة له بالألوهة والربوبية دون كل من سواه.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد في: ﴿حَسِبْتُهُ لُجَّةً﴾ قال: ﴿إِنَّهُ صَرَحَ مُرَدُّ مِّن قَوَارِيرٍ﴾ فعرفت أنها قد غلبت ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَنِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

وقال الحافظ ابن كثير \$:

وقوله: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا﴾ وذلك أن سليمان غ أمر الشياطين فبنوا لها قصرًا عظيمًا من قوارير، أي: من زجاج، وأجرى تحته الماء، فالذي لا يعرف أمره يحسب أنه ماء، ولكن الزجاج يحول بين الماشي وبينه. واختلفوا في السبب الذي دعا سليمان غ إلى اتخاذه، فقيل: إنه لما عزم على تزويجها واصطفائها لنفسه؛ ذكر له جمالها وحسنها، ولكن في ساقها هُلبٌ عظيم، ومؤخر أقدامها كمؤخر الدابة. فسأه ذلك، فاتخذ هذا ليعلم صحته أم لا؟ - هذا قول محمد بن كعب القرظي، وغيره - فلما دخلت وكشفت عن ساقها، رأى أحسن الناس وأحسنه قدمًا، ولكن رأى على رجليها شعرًا؛ لأنها ملكة ليس لها بعل فأحب أن يذهب ذلك عنها ف قيل لها: الموسى؟ فقالت: لا أستطيع ذلك. وكره سليمان ذلك، وقال للجن: اصنعوا شيئًا غير الموسى يذهب به هذا الشعر، فصنعوا له النُورَةَ. وكان أول من اتخذت له النُورَةَ (1).



(1) وورد ذلك بأسانيد عن عددٍ من السلف لكن في جُلِّها مقال، ولا يثبت منها شيء عن النبي

س: اذكر مزيداً من الأقوال في تفسير الصرح.

ج: قال القرطبي \$:

وكان الصرح صحناً من زجاج تحته ماء وفيه الحيتان، عمله ليريهها ملُكاً أعظم من ملكها قاله مجاهد وقال مجاهد: كان من قوارير خلفه ماء (حسبته لُجَّة) أي: ماء وقيل: الصرح القصر عن أبي عبيدة كما قال:

تَحْسِبُ أَعْلَامَهُنَّ الصُّرُوحَا

وقيل: الصرح: الصحن كما يقال: هذه صرحة الدار وقاعتها بمعنى وحكى أبو عبيدة في الغريب المصنف أن الصرح كل بناء عالٍ مرتفعٍ من الأرض وأن الممرد الطويل. النحاس: أصل هذا أنه يقال لكل بناء عمل عملاً واحداً صرح من قولهم: لبن صريح إذا لم يشبه ماء ومن قولهم: صرح بالأمر ومنه: عربي صريح وقيل: عمله ليختبر قول الجن فيها إن أمها من الجن ورجلها رجل حمار قاله وهب بن منبه. فلما رأت اللُّجَّة، فزعت وظنت أنه قصد بها الغرق: وتعجبت من كون كرسيه على الماء ورأت ما هالها ولم يكن لها بُدٌّ من امتثال الأمر ﴿وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا﴾ فإذا هي أحسن الناس ساقاً سليمة مما قالت الجن غير أنها كانت كثيرة الشعر، فلما بلغت هذا الحد، قال لها سليمان بعد أن صرف بصره عنها: ﴿إِنَّهُ صَرَحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾ والممرد المحكوك المملس ومنه الأمرد وتمرد الرجل إذ أبطأ خروج لحيته بعد إدراكه قاله الفراء ومنه الشجرة المرداء التي لا ورق عليها ورملة مرداء إذا كانت لا تنبت والممرد أيضاً المطول ومنه قيل للحصن: مارد. أبو صالح: طويل على هيئة النخلة.

وابن شجرة: واسع في طوله وعرضه.

وقال الحافظ ابن كثير \$:

أصل الصرح في كلام العرب: هو القصر، وكل بناء مرتفع، قال الله سبحانه وتعالى إخبارًا عن فرعون -لعنه الله- أنه قال لوزيره هامان: ﴿ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ (٢٦) ﴿أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ الآية [غافر: ٢٦]، والصرح: قصر في اليمن عالي البناء، والممرد أي: المبنى بناء محكمًا أملتس ﴿مَنْ قَوَّارٍ﴾ أي: زجاج. وتمريد البناء تمليسه. ومارد: حصن بدومة الجندل.

والغرض أن سليمان غ اتخذ قصرًا عظيمًا منيفًا من زجاج لهذه الملكة؛ ليربها عظمة سلطانه وتمكنه، فلما رأت ما آتاه الله - تعالى - وجلالة ما هو فيه، وتبصرت في أمره انقادت لأمر الله وعرفت أنه نبي كريم، وملك عظيم، فأسلمت لله ه وقالت: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ أي: بما سلف من كفرها وشركها وعبادتها وقومها الشمس من دون الله، ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: متابعة لدين سليمان في عبادته لله وحده، لا شريك له، الذي خلق كل شيء فقدره تقديرًا.



شيء من ذكر نبي الله صالح غ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴾ ٤٥ قَالَ يَتَقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا أَطِيعْنَا بَكَ وَيَمَن مَّعَكَ قَالَ طَاعُواكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ شَجْعَةٌ رَهْطٌ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِهِمْ أَنَّا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِبَةٌ بِمَا ظَلَمُوا ۖ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُوتُونَ ﴿٥٣﴾

[النمل: 45-53]

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿فَرِيقَانِ﴾ - يَخْتَصِمُونَ - تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ - أَطَّيَّرْنَا بِكَ - طَطَّرَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ
- تَفْتَنُونَ - تَسْعَةُ رَهْطٍ - تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ - لَنُبَيِّتَنَّهُ - لَوْلِيَّهِ - مَهْلِكُ أَهْلِهِ - وَمَكْرُومًا مَّكَرًا
- عَقِيبَةُ مَكْرِهِمْ - خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ﴿﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿فَرِيقَانِ﴾	قسمان – فرقتان (مؤمنون وكافرون)
﴿يَخْتَصِمُونَ﴾	بينهما خصومة
﴿تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾	تطلبون العقوبة وتستعجلون وقوعها بدلاً من طلبكم الرحمة والعفو والمغفرة من الله
﴿أَطَّيَّرْنَا بِكَ﴾	تشاءمنا بك وبوجودك معنا (فمنذ أن رأيناك والمصائب تحل بنا)
﴿طَطَّرَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾	ما حلّ بكم مقدّر عند الله – عذابكم مقدر من الله عليكم (بسبب كفركم)
﴿تَفْتَنُونَ﴾	تختبرون
﴿تَسْعَةُ رَهْطٍ﴾	تسعة أفراد
﴿تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ﴾	أقسم بعضهم لبعض بالله
﴿لَنُبَيِّتَنَّهُ﴾	لنقتلنه ليلاً
﴿لَوْلِيَّهِ﴾	لأقربائه وأولياء دمه وعصبته
﴿مَهْلِكُ أَهْلِهِ﴾	وقت هلاكه وهلاك أهله

﴿وَمَكْرُومَكْرًا﴾	دبروا تدبيرًا، تأمروا مؤامرةً
﴿عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ﴾	نهاية أمر تدبيرهم – جزاء تأمرهم
﴿خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾	فارغة منهم، فقد أبيدوا وأهلكوا بسبب ظلمهم



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ

فَإِذَا هُمْ فِرْقَانٍ يَخْتَصِمُونَ ﴿٥٥﴾ قَالَ يَنْقُورُ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

ج: ولقد أرسلنا إلى قبيلة ثمود أخاهم صالحًا غ يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وترك ما كانوا يعبدون من الأوثان والأصنام فاستجاب له فريق منهم وعارضه آخرون، وتخاصم الفريقان وطلب فريق الكفار نزول العذاب عليهم مكذبين به منكرين وقوعه فقالوا مكذبين وبعد أن عقروا الناقة التي أيد الله بها نبيه صالحًا غ: ﴿يَصْلِحُ أَثْنَايِمَا تَعْدُنَا إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٧٧]، فقال لهم صالح غ: يا قوم لم تطلبون نزول العذاب وحلوله بكم ولا تسألون الله أن يرحمكم، هلا استغفرتم الله وتبتم إليه وسألتموه أن يرحمكم لعلمكم ترحمون؟!!!!

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحده لا شريك له، ولا تجعلوا معه إلها غيره ﴿فَإِذَا هُمْ فِرْقَانٍ يَخْتَصِمُونَ﴾ يقول: فلما أتاهم صالح داعيًا لهم إلى الله صار قومه من ثمود فيما دعاهم إليه فريقين يختصمون، ففريق مصدق صالحا مؤمن به، وفريق مكذب به

كافر بما جاء به.

وقوله: ﴿قَالَ يَنْقُومَ لِمَ اسْتَعْجِلُونِ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ يقول تعالى ذكره: قال صالح لقومه: يا قوم لأي شيء تستعجلون بعذاب الله قبل الرحمة.

وقوله: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ يقول: هلا تتوبون إلى الله من كفركم، فيغفر لكم ربكم عظيم جرمكم، يصفح لكم عن عقوبته إياكم على ما قد أتيتم من عظيم الخطيئة.

وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ يقول: ليرحمكم ربكم باستغفاركم إياه من كفركم.

وقال الحافظ ابن كثير \$:

يخبر تعالى عن ثمود وما كان من أمرها مع نبيها صالح **ع** حين بعثه الله إليهم، فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ قال مجاهد: مؤمن وكافر -كقوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ (٧٥) قال الذين استكبروا: إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنُمْ بِهِ كَفَرُونَ.

[الأعراف: ٧٥، ٧٦]

﴿قَالَ يَنْقُومَ لِمَ اسْتَعْجِلُونِ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ ، أي : لم تدعون بحضور العذاب، ولا تطلبون من الله رحمته؟ ولهذا قال: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ تقدم معناه ﴿فَإِذَا

هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٠﴾ قال مجاهد: أي: مؤمن وكافر قال: والخصومة ما قصه الله تعالى في قوله: ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صُلَيْحًا مُّرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ [الأعراف: ٦٠] إلى قوله: ﴿كَفَرُوا﴾ وقيل: تخاصمهم أن كل فرقة قالت: نحن على الحق دونكم.

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَنْقُومِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ قال مجاهد: بالعذاب قبل الرحمة المعنى: لم تؤخرون الإيمان الذي يجلب إليكم الثواب وتقدمون الكفر الذي يوجب العقاب فكان الكفار يقولون لفرط الإنكار: ايتنا بالعذاب وقيل: أي: لم تفعلون ما تستحقون به العقاب لا أنهم التمسوا تعجيل العذاب ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ﴾ أي: هلا تتوبون إلى الله من الشرك ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ لكي ترحموا وقد تقدم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَطِيعْنَا بَكَ وَيَمِنْ مَعَكَ قَالَ طَاعْتَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُفْتَنُونَ﴾ (٥٧).

ج: المعنى - والله أعلم -: أن قوم صالح **غ** لما دعاهم إلى الله **ه** كذبوه وعارضوه، بل وتشاءموا بوجوده، فكلما حلت بهم مصيبة قالوا: إن المتسبب فيها صالح **غ** ومن معه، كأنهم قالوا: منذ أن رأيناكم والمصائب تحل بنا فقال لهم صالح **غ**: بل الذي يقع بكم ويحل بكم مقدر من الله **ه** عليكم، ولكنكم قوم تبتلون وتختبرون.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: قالت ثمود لرسولها صالح: ﴿أَطِيعْنَا بَكَ وَيَمِنْ مَعَكَ﴾ أي: تشاءمنا بك وبمن معك من أتباعنا، وزجرنا الطير بأنا سيصيبنا بك وبهم

المكاره والمصائب، فأجابهم صالح فقال لهم: ﴿طَبِّرْكُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: ما زجرتم من الطير لما يصيبكم من المكاره عند الله علمه، لا يدري أي ذلك كائن، أما تظنون من المصائب أو المكاره، أم ما لا ترجونه من العافية والرجاء والمحاب.

وقوله: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّفْتَنُونَ﴾ يقول: بل أنتم قوم تختبرون، يختبركم ربكم إذ أرسلني إليكم، أطيعونه، فتعملون بما أمركم به، فيجزيكم الجزيل من ثوابه؟ أم تعصونه فتعملون بخلافه، فيحلّ بكم عقابه؟

وقال ابن كثير \$:

﴿قَالُوا أَطِيزَنَا بِكَ وَيَمُنْ مَعَكَ﴾ أي: ما رأينا على وجهك ووجوه من اتبعك خيراً. وذلك أنهم -لشقاؤهم- كان لا يصيب أحداً منهم سوء إلا قال: هذا من قبل صالح وأصحابه.

قال مجاهد: تشاءموا بهم. وهذا كما قال تعالى إخباراً عن قوم فرعون: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَرُوا يُمُوسِي وَمَنْ مَعَهُ ۖ أَلَا إِنَّمَا طَبَّرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ٦٤]. وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۚ قُلْ كُلُّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨] أي: بقضاء الله وقدره. وقال مخبراً عن أهل القرية إذ جاءها المرسلون: ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٨) قَالُوا طَبَّرَكُم مَّعَكُمْ﴾

[يس: ١٨، ١٩]. وقال هؤلاء: ﴿أَطِيزَنَا بِكَ وَيَمُنْ مَعَكَ قَال طَبَّرَكُم عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: الله يجازيكم على ذلك ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّفْتَنُونَ﴾ قال قتادة: تبتلون بالطاعة والمعصية.

والظاهر أن المراد بقوله: ﴿تُفْتَنُونَ﴾ أي: تستدرجون فيما أنتم فيه من

الضلال.

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَطِیرَتَا بِكَ وَمِنْ مَعَكَ﴾ أي تشاء منا. والشؤم النحس. ولا شيء أضر بالرأي ولا أفسد للتدبير من اعتقاد الطيرة. ومن ظن أن خوار بقرة أو نعيق غراب يرد قضاء ، أو يدفع مقدورا فقد جهل. وقال الشاعر :

طيرة الدهر لا ترد قضاء فاعذر الدهر لا تشبه بلوم
أي يوم يخصصه بسعود والمنايا ينزلن في كل يوم
ليس يوم إلا وفيه سعاد ونحوس تجري لقوم فقوم

وقد كانت العرب أكثر الناس طيرة ، وكانت إذا أرادت سفرا نفرت طائرا ، فإذا طار يمنة سارت وتيمنت ، وإن طار شمالا رجعت وتشاءمت.

﴿قَالَ طَطِیرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي مصائبكم. ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّفْتَنُونَ﴾ أي تمتحنون. وقيل : تعذبون بذنوبكم.

وقال الشنقيطي \$ (أضواء البيان):

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّفْتَنُونَ﴾، قال بعض العلماء: تختبرون. وقال بعضهم: تعذبون؛ كقوله: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢]، وقد قدمنا أن أصل الفتنة في اللغة، وضع الذهب في النار ليختبر بالسبك أرائف هو أم خالص؟ وأنها أطلقت في القرآن على أربعة معانٍ:

الأول: إطلاقها على الإحراق بالنار؛ كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾

﴿، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَنُّوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [البروج: ٢٥]، أي: حرقوهم بنار الأخدود على أحد التفسيرين، وقد اختاره بعض المحققين.

المعنى الثاني: إطلاق الفتنة على الاختبار، وهذا هو أكثرها استعمالاً؛ كقوله تعالى: ﴿الْمَوْتُ وَبَلُّوْكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَفْتَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً عَذَقًا ﴿١٦﴾ لَنُفَنِّنَهُمْ فِيهِ﴾ [الجن: ٢٥]، والآيات بمثل ذلك كثيرة.

الثالث: إطلاق الفتنة على نتيجة الاختبار إن كانت سيئة خاصة، ومن هنا أطلقت الفتنة على الكفر والضلال؛ كقوله تعالى: ﴿وَقَلْبُهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً﴾، أي: لا يبقى شرك، وهذا التفسير الصحيح، دلَّ عليه الكتاب والسنة.

أما الكتاب: فقد دلَّ عليه قوله بعده في «البقرة»: ﴿وَيَكُونُ الَّذِينَ لِلَّهِ﴾، وفي «الأنفال»: ﴿وَيَكُونُ الَّذِينَ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾، فإنه يوضح أن معنى: ﴿لَا تَكُونَ فِتْنَةً﴾، أي: لا يبقى شرك؛ لأن الدين لا يكون كله لله، ما دام في الأرض مشرك، كما ترى.

وأما السنة: ففي قوله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله»، الحديث. فقد جعل ﷺ الغاية التي ينتهي إليها قتاله للناس، هي شهادة ألا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ﷺ، وهو واضح في أن معنى: ﴿لَا تَكُونَ فِتْنَةً﴾: لا يبقى شرك، فالآية والحديث كلاهما دال على أن الغاية التي ينتهي إليها قتال الكفار هي ألا يبقى في الأرض شرك، إلا أنه تعالى في الآية عبر عن هذا المعنى بقوله: ﴿حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً﴾، وقد عبر ﷺ عنه بقوله: «حتى يشهدوا ألا إله إلا الله»، فالغاية في الآية والحديث واحدة في المعنى، كما ترى.

الرابع: هو إطلاق الفتنة على الحجة، في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَآتِكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٥]، أي: لم تكن حجتهم، كما قاله غير واحد، والعلم عند الله تعالى.



س: **وضح معنى قوله تعالى:** ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يَصْلِحُونَ﴾ (٤٨) **قَالُوا اتَّقَاسْمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِأُولِيئِهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ (٤٩).**

ج: هذا - والله أعلم- إخبار عن مكر قوم صالح **ع** بنبيهم، وكيف أن الله **ه** قد انتقم منهم فقد كان في المدينة تسعة أشخاص تسعة نفر هم أكابر المجرمين فيها كثيرو الإفساد فيها بالكفر والظلم والدعوة إلى الكفر، وقد قيل: إنهم الذين حرضوا على قتل الناقة، الحاصل أن شأنهم الإفساد في الأرض وعدم الإصلاح فكل عملهم فساد، فتأمر هؤلاء فيما بينهم واجتمعوا وأقسم بعضهم لبعض بالله لنقتلن صالحاً وأهله من الليل ثم إذا التقينا بأولياء الدم، أولياء صالح لنقولن لهم: ما حضرنا قتل أهله، ولا رأينا ذلك ولا نعلم عن ذلك شيئاً، وإننا لصادقون فيما نقوله لكم فنووا القتل، وعزموا على الكذب.

وبنحوه قال العلماء.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: وكان في مدينة صالح، وهي جبر ثمود، تسعة أنفس يفسدون في الأرض ولا يصلحون، وكان إفسادهم في الأرض، كفرهم بالله، ومعصيتهم إياه، وإنما خص الله جلّ ثناؤه هؤلاء التسعة الرهط بالخبر عنهم أنهم كانوا يفسدون في الأرض، ولا يصلحون، وإن

كان أهل الكفر كلهم في الأرض مفسدين؛ لأن هؤلاء التسعة هم الذين سعوا فيما بلغنا في عقر الناقة، وتعاونوا عليه، وتحالفوا على قتل صالح من بين قوم ثمود. وقد ذكرنا قصصهم وأخبارهم فيما مضى من كتابنا هذا.

وقوله: ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ يقول تعالى ذكره: قال هؤلاء التسعة الرهط الذين يُفسدون في أرض حجر ثمود، ولا يصلحون. تقاسموا بالله: تحالفوا بالله أيها القوم، ليحلف بعضهم لبعض: لنبيتن صالحاً وأهله، فلنقتلنه، ثم لنقولن لوليه: ما شهدنا مهلك أهله.

وأورد الطبري (1) بإسناده إلى ابن إسحاق: قال التسعة الذين عقروا الناقة: هلم فلنقتل صالحاً، فإن كان صادقاً -يعني فيما وعدهم من العذاب بعد الثلاث- عجلناه قبله، وإن كان كاذباً نكون قد ألحقناه بناقته، فأتوه ليلاً لبيبتوه في أهله، فدمغتهم الملائكة بالحجارة؛ فلما أبطئوا على أصحابهم أتوا منزل صالح، فوجدوهم مشدوخين قد رضخوا بالحجارة.

وقال الطبري \$:

وقوله: ﴿وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ﴾ نقول لوليه -وإننا لصادقون- أنا ما شهدنا مهلك أهله.

وقال ابن كثير \$:

يخبر تعالى عن طغاة ثمود ورؤوسهم، الذين كانوا دعاة قومهم إلى الضلالة والكفر وتكذيب صالح، وآل بهم الحال إلى أنهم عقروا الناقة، وهموا بقتل صالح أيضاً، بأن لبيبتوه في أهله ليلاً فيقتلوه غيلة، ثم يقولوا

(1) وفي سنده إلى ابن إسحاق عند الطبري ضعف، ولكن بين ابن إسحاق والقصة بون شاسع.

لأوليائه من أقربيه: إنهم ما علموا بشيء من أمره، وإنهم لصادقون فيما أخبروهم به، من أنهم لم يشاهدوا ذلك، فقال تعالى: ﴿وَكَاذِبٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾ أي: مدينة ثمود، ﴿تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ أي: تسعة نفر، ﴿يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ وإنما غلب هؤلاء على أمر ثمود؛ لأنهم كانوا كباراً فيهم ورؤساءهم.

وقال القرطبي \$:

وكانوا أهل كفر ومعاصٍ جمّة، وجملّة أمرهم أنهم يفسدون ولا يصلحون والرهط اسم للجماعة فكأنهم كانوا رؤساء يتبع كل واحد منهم رهط والجمع أرهط وأراهط قال:

يا بؤس للحرب التي وضعت أرهط فاستترأحوا

وهؤلاء المذكورون كانوا أصحاب قدار عاقر الناقة ذكره ابن عطية.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَكْرُؤٌ مَكْرُؤٌ مَكْرُؤٌ مَكْرُؤٌ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾

﴿٥٠﴾ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَبِئْسَ الْيُودُوتُ خَاوِبَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَنْقُوتُونَ ﴿٥٣﴾

ج: المعنى – والله أعلم – ودبر أهل الإجرام من قوم صالح، وهم التسعة نفر، دبّروا لصالح **غ** وأهله كي يقتلوه ويقتلوا أهله ودبر الله **هـ** لهم ومكر بهم، فهم يرتبون لقتل صالح ومن معه، وربى **هـ** يستدرجهم من حيث لا يعلمون، فانظر بعين الاعتبار وبعين التفكير والتدبر إلى ماذا آل أمر هؤلاء وكيف كانت عاقبتهم، لقد دمرهم الله **هـ** ودمر قومهم أجمعين، فما هي بيوتهم فارغة منهم شاهدة على الدمار الذي حلّ بهم وعلى النكال الذي نالهم والعذاب الذي أصابهم إن في ذلك لدلالة وعلامة

على قدرتنا وانتقامنا من أعدائنا، لدلالة لقوم يعلمون قدرتنا، ويعلمون وحدانيتنا وأنه لا شريك لنا في ملكنا، ثم يخبر تعالى عن مصير أهل الإيمان والتقوى، أهل التوحيد وطاعة الله فيقول تعالى: ﴿وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ كانوا يتقون الشرك بالله، ويتقون عذاب الله وغضبه وعقابه.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: وغدر هؤلاء التسعة الرهط الذين يفسدون في الأرض بصالح بمصيرهم إليه ليلاً ليقتلوه وأهله، وصالح لا يشعر بذلك ﴿وَمَكْرَنَامَكْرًا﴾ يقول: فأخذناهم بعقوبتنا إياهم، وتعجيلنا العذاب لهم ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بمكرنا.

وقد بينا فيما مضى معنى: مكر الله، بمن مكر به، وما وجه ذلك، وأنه أخذه من أخذه منهم على غرة، أو استدراجهم من استدراج على كفره به، ومعصيته إياه، ثم إحلاله العقوبة به على غرة وغفلة.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا وَمَكْرَنَامَكْرًا﴾ قال: احتالوا لأمرهم، واحتال الله لهم، مكروا بصالح مكرًا، ومكرنا بهم مكرًا ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بمكرنا وشعرنا بمكرهم، قالوا: زعم صالح أنه يفرغ منا إلى ثلاث فنحن نفرغ منه وأهله قبل ذلك، وكان له مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه، فخرجوا إلى كهف وقالوا: إذا جاء يصلي قتلناه، ثم رجعنا إذا فرغنا منه إلى أهله، ففرغنا منهم، وقرأ قول الله تبارك وتعالى: ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ فبعث الله صخرة من الهضب حيالهم، فخشوا أن تشدخهم، فبادروا الغار، فطبقت الصخرة عليهم فم ذلك الغار، فلا يدري قومهم أين هم؟ ولا يدرون

ما فعل بقومهم، فعذب الله تبارك وتعالى هؤلاء ههنا، وهؤلاء هناء، وأنجى الله صالحًا ومن معه.

وقال الطبري \$:

وقوله: ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ مُكْرِمِهِمْ﴾ يقول تعالى ذكره: فانظر يا محمد بعين قلبك إلى عاقبة غدر ثمود بنبيهم صالح، كيف كانت؟ وما الذي أورثها اعتداؤهم وطغيانهم وتكذيبهم؟ فإن ذلك سنتنا فيمن كذب رسلنا، وطغى علينا من سائر الخلق، فحذّر قومك من قریش، أن ينالهم بتكذيبهم إياك، ما نال ثمود بتكذيبهم صالحا من المثلثات.

وقوله: ﴿إِنَّا دَمَرْنَا الْقَوْمَ الَّذِيْنَ كَذَّبُوا رُسُلَهُمْ﴾ يقول: إنا دمرنا التسعة الرهط الذين يفسدون في الأرض من قوم صالح وقومهم من ثمود أجمعين، فلم نبق منهم أحدًا.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ﴾ فتلك مساكنهم خاوية خالية منهم، ليس فيها منهم أحد، قد أهلكهم الله فأبادهم ﴿بِمَا ظَلَمُوا﴾ يقول تعالى ذكره: بظلمهم أنفسهم بشركهم بالله، وتكذيبهم رسولهم ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: إن في فعلنا بتمود ما قصصنا عليك يا محمد من القصة، لعظة لمن يعلم فعلنا بهم ما فعلنا، من قومك الذين يكذبونك فيما جئتهم به من عند ربك وعبرة.

﴿وَأَنْجَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ﴾ يقول: وأنجينا من نعمتنا وعذابنا الذي أحلناه بتمود رسولنا صالحًا والمؤمنين به. ﴿وَكَاثُرًا يُنْفُثُونَ﴾ يقول: وكانوا يتفنون بإيمانهم، وبتصديقهم صالحًا الذي حلّ بقومهم من ثمود ما حل بهم من عذاب الله، فكَذَلِكَ نُنْجِيكَ يَا مُحَمَّد وَأَتْبَاعَكَ، عند إحلالنا عقوبتنا

بمشركي قومك من بين أظهرهم.

وذكر أن صالحًا لما أحل الله بقومه ما أحل، خرج هو والمؤمنون به إلى الشام، فنزل رملة فلسطين.

وقال ابن كثير \$:

وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم: لما عقروا الناقة وقال لهم صالح: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [هود: ٦٤]، قالوا: زعم صالح أنه يفرغ منا إلى ثلاثة أيام، فنحن نفرغ منه وأهله قبل ثلاث. وكان لصالح مسجد في الحجر عند شعب هناك يصلي فيه، فخرجوا إلى كهف، أي: غار هناك ليلاً فقالوا: إذا جاء يصلي قتلناه، ثم رجعنا إذا فرغنا منه إلى أهله، ففرغنا منهم. فبعث الله صخرة من الهضاب حيالهم، فخشوا أن تشدخهم فتبادروا فانطبقت عليهم الصخرة وهم في ذلك الغار، فلا يدري قومهم أين هم، ولا يدرون ما فعل بقومهم. فعذب الله هؤلاء هاهنا، وهؤلاء هاهنا، وأنجى الله صالحًا ومن معه، ثم قرأ: ﴿وَمَكْرُؤًا مَكَرًا وَمَكْرَنًا مَكَرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ٥٠ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَقِيبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ٥١ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً ٥٢ أَي: فارغة ليس فيها أحد ﴿بِمَا ظَلَمُوا﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٥٣ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ٥٤.



س: كيف أنجى الله ٥ صالحًا والمؤمنين معه من العذاب الذي أنزله

على القوم الكافرين؟

ج: ذهب بعض أهل العلم إلى أن صالحًا غ خرج بمن آمن معه وتركوا البلاد فنزل بأهلها العذاب هذا، وقد ذكر البعض في كيفية الإنجاء

أقوالاً لا أعلم لها مستنداً صحيحاً، ولكن يقيناً فإن الله ه أنجاهم.

قال القرطبي \$:

قيل: آمن بصالح قدر أربعة آلاف رجل والباقون خرج بأبدانهم - في قول مقاتل وغيره - خراج مثل الحمص وكان في اليوم الأول أحمر ثم صار من الغد أصفر، ثم صار في الثالث أسود وكان عقر الناقة يوم الأربعاء وهلاكهم يوم الأحد. قال مقاتل: فقعت تلك الخراجات وصاح جبريل بهم خلال ذلك صيحة فخدموا وكان ذلك ضحوة وخرج صالح بمن آمن معه إلى حضرموت فلما دخلها مات صالح فسُمِّيَت حضرموت. قال الضحاك: ثم بنى الأربعة الآلاف مدينة يقال لها: حاضورا. وكما أسلفت فليس لهذه الأقوال كبير مستند ولكن الله أنجاهم كما أخبر على وجه الإجمال والله أعلم.



شيء من ذكر نبي الله لوط غ

قال الله تعالى:

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾
أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ بِجَهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ﴿ فَمَا
كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوْهُ لَوْ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ أَنْهُمْ أَنْاسُ
يَنْطَهُرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَاهَا مِنَ الْغَايِبِينَ ﴿٥٧﴾
وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [النمل: 54-58].

س: وضع معنى ما يلي:

﴿ أَتَأْتُونَ الْفَلَحِشَّةَ - تُبْصِرُونَ - لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ مِن دُونِ النِّسَاءِ - تَجْهَلُونَ -
يَنْظَهُرُونَ - قَدَّرْنَاهَا - الْغَيْرِيتَ - وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا - فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ ﴾.

ج:

معناها	الكلمة
أتفعلون الفعلة الفاحشة	﴿ أَتَأْتُونَ الْفَلَحِشَّةَ ﴾
يرى بعضكم بعضاً أمام بعضكم- تعلمون أنها	﴿ تُبْصِرُونَ ﴾
لتجامعون الرجال في أدبارهم بدلاً من النساء	﴿ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ مِن دُونِ النِّسَاءِ ﴾
تجهلون عاقبة أمركم – تفعلون فعل الجهلاء	﴿ تَجْهَلُونَ ﴾
ينتزهون عن أدبار الرجال – لا يأتون الرجال	﴿ يَنْظَهُرُونَ ﴾
كتبنا عليها	﴿ قَدَّرْنَاهَا ﴾
الباقين في العذاب – الهالكين	﴿ الْغَيْرِيتَ ﴾
أرسلنا عليهم حجارةً	﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا ﴾
فساء ذلك المطر من أنذروا وحذروا فلم يقبلوا ولم يحذروا، أي: فساءهم ذلك المطر وما سرهم وما فرحوا به بل كان نكداً عليهم وكرها عليهم وبلاء	﴿ فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ ﴾



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ (٥٤) أَيُّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ يَّجْهَلُونَ (٥٥) ﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ أَلْ لَّوْطُ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّطْهَرُونَ﴾ (٥٦) فَأَجْبَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَانَهُ، قَدَرْنَاهُمَا مِنَ الْغَدِيرِ (٥٧) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ (٥٨) ﴿

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: واذكر نبي الله لوطاً **ع** إذ قال لقومه الذين كانوا يرتكبون الفواحش القذرة المستقرة التي لم يسبقهم إليها أحدٌ، فقد كانوا يأتون الذكران من العالمين، كان الرجل يجامع الرجل، ويترك جماع النساء، كانوا يفعلون ذلك أمام بعضهم البعض، يُبصر بعضهم بعضاً وهم يفعلون تلك الفاحشة، يفعلونها وهم يعلمون أنها فاحشة، وأنهم لم يسبقهم بها أحدٌ، فقد كانوا أهل جهلٍ وغباء، يجهلون حتى الآداب والأخلاق، فضلاً عن جهلهم بشرائع الله واستخفافهم بها، يجهلون عقوبة من فعل ذلك ليس جهلاً عن قلة علم، بل جهل المستخف المستهزئ المنكر الجاحد، وإلا فقد حذرهم لوطٌ **ع** أشد التحذير، ونصحهم أبلغ نُصح وذكرهم أجمل تذكير، ولكن ما انتفعوا بشيء من ذلك، فما كان جواب قومه إلا أن طالبوا بإخراجه وإخراج أهله من بلادهم لا لجرم فعلوه، ولكن أخرجوهم لتطهرهم!!

أخرجوهم لبعدهم عن الفواحش!!؟

أخرجوهم لامتناعهم عن أدبار الرجال ومجامعة الرجال!!؟

فحقاً إنها انتكاسات في الأفهام، وانتكاسات في الأخلاق فضلاً عن ضياع الدين وذهابه؛ إذ يريدون إخراج المتطهر من بينهم، وطرده من بينهم.

أصبح التطهر - في عُرْف قوم لوط - جريمة يستحق فاعلها الطرد من البلاد والإخراج منها.

فهكذا حين يُطمس على القلوب، يصبح الحق باطلاً في الأفهام ويصبح المنكر معروفاً في الأذهان، ويُطرد أهل الفضل والصلاح من البلاد، ويبقى الأشرار والأراذل وأهل الإجرام.

ولكن ربي بالمرصاد، بالمرصاد لكل من خالف شرعه وعاند رسله وكذبهم، ربي يكرم أوليائه وينتقم من أعدائه، قال تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ﴾ فقد كانت خائنة له في دينها تدل أهل الشرك على خباياه، وعلى من آمن به فيسومونهم سوء العذاب، تدل على أضيافه إذا جاءه أضياف فلذا قَدَّر الله عليها أن تكون من المعذبين، من الغابرين الباقين في العذاب الذي لحق بقوم لوط ألا وهو المطر ولكن أي مطر! إنها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك، كل حجر عليه اسم صاحبه، حجارة من سجيل منضود، بعد أن قَلَّبَ الله قريتهم، بعد أن جعل عاليها سافلها، أمطر عليها حجارة من سجيل منضود، فساء هذا المطر وبئس هذا المطر الذي أمطر على هؤلاء القوم الذين أنذروا فلم ينتفعوا بالإنذار ولم تغن عنهم النذر.

وبنحو ما ذَكَرَ قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: وأرسلنا لوطاً إلى قومه؛ إذ قال لهم: يا قوم ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ أنها فاحشة؛ لعلمكم بأنه لم يسبقكم إلى ما تفعلون من ذلك أحد. وقوله: ﴿أَيُّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً﴾ منكم بذلك من دون

فروج النساء التي أباحها الله لكم بالنكاح. وقوله: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ بِجَهْلُونَ﴾ يقول: ما ذلك منكم إلا أنكم قوم سفهاء جهلة بعظيم حق الله عليكم، فخالفتهم لذلك أمره، وعصيتهم رسوله.

وقال: في تأويل قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ أَلْأَلُوطِ مِنْ قَرِيَّتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْطَهُرُونَ﴾.

يقول تعالى ذكره: فلم يكن لقوم لوط جواب له؛ إذ نهاهم عما أمره الله بنهيبهم عنه من إتيان الرجال، إلا قيل بعضهم لبعض: ﴿أَخْرِجُوهُمْ أَلْأَلُوطِ مِنْ قَرِيَّتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْطَهُرُونَ﴾ عما نفعله نحن من إتيان الذكران في أدبارهم.

وقال: في تأويل قوله تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَاهَا مِنْ الْغَيْرِ﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾.

يقول تعالى ذكره: فأنجينا لوطاً وأهله سوى امرأته من عذابنا حين أحللناه بهم، ثم ﴿قَدَرْنَاهَا﴾ يقول: فإن امرأته قدرناها: جعلناها بتقديرنا ﴿مِنْ الْغَيْرِ﴾ من الباقيين ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ وهو إمطار الله عليهم من السماء حجارة من سجيل ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ يقول: فساء ذلك المطر مطر القوم الذين أنذرهم الله عقابه على معصيتهم إياه، وخوفهم بأسه بإرسال الرسول إليهم بذلك.

وقال ابن كثير \$:

يخبر تعالى عن عبده لوط غ، أنه أنذر قومه نقمة الله بهم، في فعلهم الفاحشة التي لم يسبقهم إليها أحد من بني آدم، وهي إتيان الذكور دون الإناث، وذلك فاحشة عظيمة، استغنى الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، قال: ﴿أَتَأْتُونَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ أي: يرى بعضكم بعضاً، وتأتون في

ناديكم المنكر؟

﴿ أَيُنَكِّمُ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ أي: لا تعرفون شيئاً لا طبعاً ولا شرعاً، كما قال في الآية الأخرى: ﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مَنِ الْعَلَمِينَ ۖ ﴾ (١٦٥) وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون ﴿ الشعراء: ١٦٥، ١٦٦ ﴾.

﴿ فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ ۚ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ أَلْ لَّوِطِ مِّنْ قَرِينِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّطْهَرُونَ ﴾ أي: يتخرجون من فعل ما تفعلونه، ومن إقراركم على صنيعكم، فأخرجوهم من بين أظهركم فإنهم لا يصلحون لمجاورتكم في بلادكم. فعزموا على ذلك، فدمر الله عليهم وللكافرين أمثالها.

قال الله تعالى: ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾ أي: من الهالكين مع قومها؛ لأنها كانت رداء لهم على دينهم، وعلى طريقتهم في رضاها بأفعالهم القبيحة، فكانت تدل قومها على ضيفان لوط؛ ليأتوا إليهم، لا أنها كانت تفعل الفواحش تكريماً لنبي الله ﷺ لا كرامة لها.

وقوله: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا ﴾ أي: حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد؛ ولهذا قال: ﴿ فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ ﴾ أي: الذين قامت عليهم الحجة، ووصل إليهم الإنذار، فخالفوا الرسول وكذبوه، وهموا بإخراجه من بينهم.

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ﴾ أي: وأرسلنا لوطاً أو اذكر لوطاً ﴿ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ﴾ وهم أهل سدوهم وقال لقومه: ﴿ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ ﴾ الفعلة القبيحة الشنيعة ﴿ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ أي: فاحشة وذلك أعظم لذنوبكم وقيل: يأتي بعضكم بعضاً وأنتم تنظرون إليه وكانوا لا يستترون عتواً

منهم وتمردًا. ﴿ أَيْنَكُم لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ ﴾ أعاد ذكرها لفرط قبحها وشنعتها ﴿ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ إما أمر التحريم أو العقوبة واختيار الخليل وسيبويه تخفيف الهمزة الثانية من ﴿ أَيْنَكُم ﴾ فأما الخط فالسبيل فيه أن يكتب بالالفين على الوجوه كلها؛ لأنها همزة مبتدأة دخلت عليها ألف الاستفهام.

قوله تعالى: ﴿ فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوْنَا أَلْ لُّوطِ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّنْطَهَرُونَ ﴾ أي: عن أدبار الرجال يقولون ذلك استهزاء منهم قاله مجاهد. وقال قتادة: عابوهم والله بغير عيب بأنهم يتطهرون من أعمال السوء. ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ قَدَرْنَاهَا مِّنَ الْغَابِرِينَ ﴾ وقرأ عاصم: (قَدَرْنَا) مخففاً والمعنى واحد ويقال: قد قدرت الشيء قدرا وقدرا وقدرت. قوله تعالى: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴾ أي: من أنذر فلم يقبل الإنذار.



بعض الأدلة على وحدانية الله ٥

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِي اصْطَفَى﴾ ٥٩ اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ
أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ
حَدَائِقَ ذَاتِ بَهْجَةٍ مَا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِ
هُمْ قَوْمٌ يَعِدُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ
لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَكْثَرُكُمْ لَا
يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ
خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَلَيْسَ اللَّهُ قَلِيلًا مَّا نَذَكِّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ
فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ
أَعْلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ عَظِيمًا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّنْ يَبْدُوَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ
مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ۖ ﴿٦٤﴾
قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾
بَلِ ادْرَاكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ۗ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُمْ عَنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾

[النمل: 59-65]

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿أَصْطَفَى﴾ - حَدَائِقَ - ذَاتَ بَهْجَةٍ - يَعْدِلُونَ - قَرَارًا - خِلَالَهَا - رَوَّسَى - حَاجِزًا -
الْمُضْطَرَّ - وَيَكْشِفُ الشُّوْءَ - خُلَفَاءَ الْأَرْضِ - نَذَكَّرُونَ - يَهْدِيكُمْ - بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ
رَحْمَتِهِ - تَعَلَّى اللَّهَ - يَبْدُوا - يُعِيدُهُ - بُرْهَنَكُمْ - الْغَيْبَ - آيَاتٍ - أَدْرَكَ - شَيْءٍ - عَمُونَ ﴿﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿أَصْطَفَى﴾	اختار ووفق للإيمان، اختار للرسالة وللنبوة
﴿حَدَائِقَ﴾	بساتين
﴿ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾	ذات منظر حسن بهيج يسر الناظرين
﴿يَعْدِلُونَ﴾	يميلون عن عبادته إلى عبادة غيره - يُساوون بين الله وغيره
﴿قَرَارًا﴾	مستقرة ساكنة
﴿خِلَالَهَا﴾	بينها
﴿رَوَّسَى﴾	جبالاً
﴿حَاجِزًا﴾	مانعاً من اختلاط العذب بالمالح
﴿الْمُضْطَرَّ﴾	الذي ألجأته الضرورة والحاجة وانقطع رجأؤه في الخلق ولم يعدله من ينتظر عنده الفرج إلا الله فلجأ
﴿وَيَكْشِفُ الشُّوْءَ﴾	يعافي من البلاء - يصرف المكروه
﴿خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾	يخلف بعضهم بعضاً - يأتي بعضهم خلفاً للآخر
﴿نَذَكَّرُونَ﴾	تتعضون وتعتبرون

يرشدكم ﴿يَهْدِيكُمْ﴾	
مبشرات بالخير قبل نزول المطر ﴿بَشْرَاتٍ يَدْرِى رَحْمَتُهُ﴾	
تعظم الله وتنزهه ﴿تَعَالَى اللَّهُ﴾	
يخلق الخلق لأول مرة ﴿يَبْدُوا﴾	
يبعثه يوم القيامة ﴿يُعِيدُهُ﴾	
حجتكم ودليلكم ﴿بُرْهَانَكُمْ﴾	
ما غاب عن البشر واستأثر الله ٥ بعلمه كما قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ...﴾ الآية.	
متى ﴿إِيَّانَ﴾	
تتام وتكامل – تتابع وتوارد ﴿أَذْرَكَ﴾	
ريب من وقوعها ﴿شَكِّكَ﴾	
العمه عمى القلب، والعمى عمى البصر ﴿عَمُونَ﴾	



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ ٥

ج: خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾

ج: المعنى – والله تعالى أعلم:- ﴿قُلِ﴾ (يا رسول الله) وكذا قل يا عبد الله ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على نعمه التي لا تُحصى، تلك النعم السابغة الظاهرة والباطنة وعلى آلائه التي لا تُعد.

الحمد لله على نعمة الإسلام والإيمان، وكذا الحمد لله على انتقامه من الظالمين كقوم لوط وثمود وغيرهم ﴿وَسَلَامٌ﴾ وأمانٌ من الله ٥ وسلامة لهم

من العذاب، سلام على هؤلاء المرسلين الذين اصطفاهم الله، أمانٌ عليهم فقد أَمَّنهم الله وحفظهم، سلام على أمة محمد ﷺ أمان لها مما أصاب به ربنا قوم لوط الأشرار، سلام على أهل التوحيد، وقل يا رسول الله لأهل الشرك هؤلاء: الله خيرٌ وعبادة الله وحده لا شريك له خيرٌ أم هذه الأوثان وتلك الأصنام والآلهة الباطلة وعبادتها والركوع لها والسجود؟!

فبلا شك أن الله هـ خير وبلا ريب ولا تردد فعبادة الله خير ولكن سلمهم هذا السؤال على سبيل التوبيخ والتأنيب والتبكييت. والله أعلم.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على نعمه علينا، وتوفيقه إيانا لما وقَّفنا من الهداية، ﴿وَسَلَّمَ﴾ يقول: وأمنة منه من عقابه الذي عاقب به قوم لوط، وقوم صالح، على الذين اصطفاهم، يقول: الذين اجتباهم لنبيه محمد ﷺ، فجعلهم أصحابه ووزراءه على الدِّين الذي بعثه بالدعاء إليه دون المشركين به، الجاحدين نبوة نبيه.

وقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء الذين زَيَّنَّا لهم أعمالهم من قومك فهم يعمهون: الله الذي أنعم على أوليائه هذه النعم التي قصَّها عليكم في هذه السورة، وأهلك أعداءه بالذي أهلكهم به من صنوف العذاب التي ذكرها لكم فيها خير، أما تشركون من أوثانكم التي لا تنفعكم ولا تضركم، ولا تدفع عن أنفسها، ولا عن أوليائها سوءاً، ولا تجلب إليها ولا إليهم نفعاً؟ يقول: إن هذا الأمر لا يشكل على من له عقل، فكيف تستجيزون أن تشركوا عبادة من لا نفع عنده لكم، ولا دفع ضرر عنكم في عبادة من بيده النفع والضرر وله كل شيء؟ ثم ابتدأ تعالى ذكره تعديد نعمه عليهم، وأيديه عندهم، وتعريفهم بقلة شكرهم إياه على ما أولاهم من ذلك،

وقال ابن كثير \$:

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ قال الفراء: قال أهل

المعاني: قيل للوط: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على هلاكهم وخالف جماعة من العلماء
 الفراء في هذا وقالوا: هو مخاطبة لنبيينا محمد ﷺ أي: قل الحمد لله على
 هلاك كفار الأمم الخالية. قال النحاس: وهذا أولى لأن القرآن مُنَزَّل على
 النبي ﷺ وكل ما فيه فهو مخاطب به **غ** إلا ما لا يصح معناه إلا لغيره
 وقيل: المعنى أي: ﴿قُلِ﴾ يا محمد ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾ يعني:
 أمته **غ** قال الكلبي: اصطفاهم الله بمعرفته وطاعته وقال ابن عباس
 وسفيان: هم أصحاب محمد ﷺ وقيل: أمر رسول الله ﷺ أن يتلو هذه
 الآيات الناطقة بالبراهين على وحدانيته وقدرته على كل شيء وحكمته
 وأن يستفتح بتحميده والسلام على أنبيائه والمصطفين من عباده وفيه
 تعليم حسن وتوقيف على أدب جميل وبعث على التيمن بالذكرين والتبرك
 بهما والاستظهار بمكانهما على قبول ما يلقي إلى السامعين وإصغائهم
 إليه وإنزاله من قلوبهم المنزلة التي يبغيها المستمع ولقد توارث العلماء
 والخطباء والوعاظ كابراً عن كابر هذا الأدب فحمدوا الله وصلوا على
 رسول الله ﷺ أمام كل علم مفاد وقبل كل عِظَة وفي مفتتح كل خُطبة
 وتبعهم المترسلون فأجروا عليه أوائل كتبهم في الفتوح والتهاني وغير
 ذلك من الحوادث التي لها شأن.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾ اختار أي: لرسالته وهم الأنبياء **و** ودليله
 قوله تعالى: ﴿وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصفات: ٢٤].



س: من هم العباد الذين اصطفاهم الله؟

ج: هؤلاء هم المرسلون، وكذا هم أمة محمد ﷺ وكذا السابقون من
 سائر الأمم.

قال تعالى: ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبَّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات: ١٨٢-١٨٠].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ١٧].

وقال تعالى: ﴿وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة: ١٠].



س: معلوم أن الأصنام ليس فيها خيرٌ على الإطلاق ولا في عبادتها أي خيرٌ، فكيف يوجه قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ؟

ج: هذا – والله أعلم- من باب أفعّل التفضيل الذي ليس في المقابل منه شيء.

كقوله تعالى: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤].
وليس في أصحاب النار خيرٌ.

وكقول الصحابييات لعمر **ف: «أنت أفض وأغلظ من رسول الله ﷺ»**
وليس في رسول الله ﷺ أية فظاظة ولا أية غلظة.

هذا وقد قال القرطبي \$:

(خير) ههنا ليس بمعنى أفضل منك وإنما هو مثل قول الشاعر:
أتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكَفَاءٍ فَشَرَكَمَا لَخَيْرِكَمَا الْفِدَاءُ

فالمعنى: فالذي فيه الشر منكما للذي فيه الخير الفداء ولا يجوز أن يكون بمعنى (من) لأنك إذا قلت: فلان شرٌّ من فلان ففي كل واحد منهما شرٌّ وقيل: المعنى: الخير في هذا أم في هذا الذي تشركونه في العبادة !
وحكى سيبويه: السعادة أحب إليك أم الشقاء وهو يعلم أن السعادة أحب إليه وقيل: هو على بابهِ من التفضيل والمعنى: الله خير أم ما تشكرون،

أي: أثوابه خير أم عقاب ما تشركون وقيل: قال لهم ذلك لأنهم كانوا يعتقدون أن في عبادة الأصنام خيرًا فخطبهم الله ه على اعتقادهم وقيل: اللفظ لفظ الاستفهام ومعناه الخبر.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَبَائِقَ ذَاتٍ بِهِجْرَ مَا كُنْتُمْ تَنْتَبِتُونَ شَجَرَهَا أَوَّلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: أألهمتكم خيرٌ وعبادتها خيرٌ أم الله ه وعبادته وحده لا شريك له، ذلكم الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماءً يغيثكم به وينفعكم به ويحييكم به فأنبت به بساتين وحدائق ذات منظرٍ حسن بهيج ما كان بإمكانكم ولا باستطاعتكم أبدًا أن تنبتوا شجرها أمعبود يُعبد مع الله فعل هذا؟؟

كلا فلا معبود مع الله يقدر على فعل هذا، ولكنهم قوم ينصرفون عن عبادة الله إلى عبادة غيره، ويجعلون ربًّا لهم مع الله ه يدعونه ويرجونه ويسألونه، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره للمشركين به من قريش: أعبادة ما تعبدون من أوثانكم التي لا تضر ولا تنفع خير، أم عبادة من خلق السموات والأرض؟ ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ يعني: مطرًا، وقد يجوز أن يكون مريدًا به العيون التي فجرها في الأرض؛ لأن كل ذلك من خلقه ﴿فَأَنْبَتْنَا بِهِ﴾ يعني: بالماء الذي أنزل من السماء ﴿حَبَائِقَ﴾ وهي جمع حديقة، والحديقة: البستان عليه حائط محوط، وإن لم يكن عليه حائط لم يكن

حديقة. وقوله: ﴿ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ يقول: ذات منظر حسن. وقيل: ذات بالتوحيد. وقد قيل: حقائق، كما قال: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨]، وقد بَيَّنَّتْ ذلك فيما مضى.

وقوله: ﴿مَا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾ يقول تعالى ذكره: أنبتنا بالماء الذي أنزلناه من السماء لكم هذه الحقائق؛ إذ لم يكن لكم لولا أنه أنزل عليكم الماء من السماء، طاقة أن تنبتوا شجر هذه الحقائق، ولم تكونوا قادرين على ذهاب ذلك؛ لأنه لا يصلح ذلك إلا بالماء.

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ اللَّهِ﴾ يقول تعالى ذكره: أمعبود مع الله أيها الجهلة خلق ذلك، وأنزل من السماء الماء، فأنبت به لكم الحقائق؟ فقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ مردود على تأويل: أمع الله إله، ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعِدُونَ﴾ يقول جل ثناؤه: بل هؤلاء المشركون قوم ضلال، يعدلون عن الحق، ويجورون عليه، على عمد منهم لذلك، مع علمهم بأنهم على خطأ وضلال ولم يعدلوا عن جهل منهم، بأن من لا يقدر على نفع ولا ضرر، خير ممن خلق السموات والأرض، وفعل هذه الأفعال، ولكنهم عدلوا على علم منهم ومعرفة، اقتفاء منهم سنة من مضى قبلهم من آبائهم.

وقال ابن كثير \$:

فقال: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ أي: تلك السموات بارتفاعها وصفائها وما جعل فيها من الكواكب النيرة والنجوم الزاهرة والأفلاك الدائرة، والأرض باستفالها وكثافتها، وما جعل فيها من الجبال والأوعار والسهول، والفيافي والقفار، والأشجار والزرع، والثمار والبحور والحيوان على اختلاف الأصناف والأشكال والألوان وغير ذلك.

وقوله: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ أي: جعله رزقا للعباد، ﴿فَأَنْبَتْنَا بِهِ

حَدَّيْكَ ﴿ أَي: بساتين ﴾ ذَاتِ بَهْجَةٍ مَّا ﴿ أَي: منظر حسن وشكل بهي،
 ﴿ كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ﴾ أَي: لم تكونوا تقدر على إنبات شجرها،
 وإنما يقدر على ذلك الخالق الرازق، المستقل بذلك المنفرد به، دون ما
 سواه من الأصنام والأنداد، كما يعترف به هؤلاء المشركون، كما قال
 تعالى في الآية الأخرى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [الزخرف: ٢٢]، ﴿ وَلَئِنْ
 سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [العنكبوت: ٢٤]
 أَي: هم معترفون بأنه الفاعل لجميع ذلك وحده لا شريك له، ثم هم
 يعبدون معه غيره مما يعترفون أنه لا يخلق ولا يرزق، وإنما يستحق أن
 يُفْرَدَ بالعبادة مَنْ هو المتفرد بالخلق والرزق؛ ولهذا قال: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ مَعَ اللَّهِ ﴾
 أَي: أله مع الله يعبد. وقد تبين لكم، ولكل ذي لبٍّ مما يعرفون به أيضًا
 أنه الخالق الرازق.

ومن المفسرين من يقول: معنى قوله: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ مَعَ اللَّهِ ﴾ أَي: أله مع الله فعل
 هذا. وهو يرجع إلى معنى الأول؛ لأن تقدير الجواب أنهم يقولون: ليس ثمَّ
 أحدٌ فعل هذا معه، بل هو المتفرد به. فيقال: فكيف تعبدون معه غيره وهو
 المستقل المتفرد بالخلق والتدبير؟ كما قال: ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ ﴾ [النحل: ١٦].

وقوله هاهنا: ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾: ﴿ أَمَّنْ ﴾ في هذه الآيات
 تقديره: أمن يفعل هذه الأشياء كَمَنْ لا يقدر على شيء منها؟ هذا معنى
 السياق وإن لم يذكر الآخر؛ لأن في قوة الكلام ما يرشد إلى ذلك، وقد
 قال: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ خَيْرًا مِمَّا يُشْرِكُونَ ﴾.

ثم قال في آخر الآية: ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعِدُونَ ﴾ أَي: يجعلون لله عدلاً
 ونظيراً. وهكذا قال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ إِذْ نَادَىٰ لِقُلٍّ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا
 رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾ [الزمر: ٢١] أَي: أمن هو هكذا كَمَنْ ليس كذلك؟ ولهذا قال: ﴿ قُلْ هَلْ

يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَؤُلَا الْأَلْبَبِ ﴿[الزمر: ١٧]﴾ ، ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْفُتُورِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أَوْلَيْكَ فِي ضَلَالٍ مُّبينٍ﴾ ﴿[الزمر: ١٨]﴾ ، وقال: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ ﴿[الرعد: ٣٢]﴾ أي: أَمَنْ هو شهيد على أفعال الخلق حركاتهم وسكناتهم، يعلم الغيب جليله وحقيقه، كَمَنْ هو لا يعلم ولا يسمع ولا يبصر من هذه الأصنام التي عبدوها؟ ولهذا قال: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلُوبُهُمْ سَمُوهُمْ﴾ ﴿[الرعد: ٣٣]﴾ ، وهكذا هذه الآيات الكريكات كلها.

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: ﴿أَمَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ قال أبو حاتم: تقديره ألهمتكم خير أم من خلق السموات والأرض وقد تقدم ومعناه: قدر على خلقهن وقيل: المعنى أعبادة ما تعبدون من أوثانكم خير أم عبادة من خلق السموات والأرض؟ فهو مردود على ما قبله من المعنى وفيه معنى التوبيخ لهم والتنبيه على قدرة الله ٥ وعجز آلهتهم ﴿فَأَنْبَتْنَاهُ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ الحديقة البستان الذي عليه حائط والبهجة المنظر الحسن. قال الفراء: الحديقة البستان المحظر عليه حائط وإن لم يكن عليه حائط فهو البستان وليس بحديقة وقال قتادة وعكرمة: الحدائق النخل ذات بهجة والبهجة الزينة والحسن يبهج به من رآه ﴿مَا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾ (ما) للنفي ومعناه الحظر والمنع من فعل هذا أي: ما كان للبشر ولا يتهيأ لهم ولا يقع تحت قدرتهم أن ينبتوا شجرها؛ إذ هم عجزة عن مثلها لأن ذلك إخراج الشيء من العدم إلى الوجود.

ثم قال على جهة التوبيخ: ﴿أَلَمْ نَكُنْ مَعَ اللَّهِ﴾ أي: هل معبود مع الله يعينه

على ذلك؟ ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعِدُونَ﴾ بالله غيره وقيل: ﴿يَعِدُونَ﴾ عن الحق والقصد أي: يكفرون وقيل: (إله) مرفوع بـ(مع) تقديره: أمع الله ويلكم إله والوقف على (مع الله) حسن.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لِمَارُوسِهِمْ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَكْثَرُهُمْ لَاعِلًا﴾ (٦١).

ج: المعنى – والله أعلم:- ألهمكم خيرٌ وعبادتها خيرٌ أم الله ٥ وعبادته وحده لا شريك له ذلكم الله الذي جعل لكم الأرض مستقرةً بكم لا تميد بكم بل ثابتة كي تسيروا عليها وتقضوا عليها حوائجكم، وجعل خلالها أنهارًا وشققها فيها وجعلها جارية بما ينفع العباد، وكذا جعل في الأرض جبالاً رواسي هي سبب في استقرارها وثباتها وكذا جعل بين البحر المالح والماء العذب حاجزاً يحجز هذا عن ذاك حتى لا يختلط به ويفسد على الناس معاشهم، أمعبود مع الله ٥ يفعل ذلك؟! كلا فلا معبود مع الله يفعل ذلك، ولكن أكثرهم جهلة لا يعلمون عظمة الله ولا يعلمون قدره، ولا يقدرونه حق قدره ومن ثمَّ فلا يخلصون العبادة له وحده لا شريك له لجهلهم قدره ٥.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: أعباد ما تشركون أيها الناس بربكم خير وهو لا يضر ولا ينفع، أم الذي جعل الأرض لكم قراراً تستقرون عليها لا تميد بكم ﴿وَجَعَلَ﴾ لكم ﴿خِلَالَهَا أَنْهَارًا﴾ يقول: بينها أنهاراً ﴿وَجَعَلَ لِمَارُوسِهِمْ﴾ وهي ثوابت الجبال، ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ بين العذب والملح، أن يفسد

أحدهما صاحبه ﴿إِنَّ لَهُ مَعَ اللَّهِ﴾ سواه فعل هذه الأشياء فأشركتموه في عبادتكم إياه؟

وقوله: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: بل أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون قدر عظمة الله، وما عليهم من الضر في إشراكهم في عبادة الله غيره، وما لهم من النفع في إفرادهم الله بالألوهة، وإخلاصهم له العبادة، وبراءتهم من كل معبود سواه.

وقال ابن كثير \$:

يقول: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ أي: قارة ساكنة ثابتة، لا تميد ولا تتحرك بأهلها ولا ترجف بهم، فإنها لو كانت كذلك لما طاب عليها العيش والحياة، بل جعلها من فضله ورحمته مهادًا بساطًا ثابتة لا تتزلزل ولا تتحرك، كما قال في الآية الأخرى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾.

[غافر: ٢٤]

﴿وَجَعَلْ خِلَالَهَا أَنْهَارًا﴾ أي: جعل فيها الأنهار العذبة الطيبة تشقها في خلالها، وصرفها فيها ما بين أنهار كبار وصغار وبين ذلك، وسيرها شرقًا وغربًا وجنوبًا وشمالًا بحسب مصالح عباده في أقاليمهم وأقطارهم؛ حيث ذرأهم من أرجاء الأرض، سَيَّرَ لهم أرزاقهم بحسب ما يحتاجون إليه، ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ﴾ أي: جبالًا شامخة ترسي الأرض وتثبتها؛ لنلا تميد بكم ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ أي: جعل بين المياها العذبة والمالحة حاجزًا، أي: مانعًا يمنعها من الاختلاط؛ لنلا يفسد هذا بهذا وهذا بهذا، فإن الحكمة الإلهية تقتضي بقاء كل منهما على صفته المقصودة منه، فإن البحر الحلو هو هذه الأنهار السارحة الجارية بين الناس. والمقصود

منها: أن تكون عذبة زلاًلاً تسقى الحيوان والنبات والثمار منها. والبحار المالحة هي المحيطة بالأرجاء والأقطار من كل جانب، والمقصود منها: أن يكون ماؤها ملحاً أجاباً؛ لئلا يفسد الهواء بريحتها، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ [الفرقان: ٢٦]؛ ولهذا قال: ﴿أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ﴾ أي: فعل هذا؟ أو يعبد على القول الأول والآخر؟ وكلاهما متلازم صحيح، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: في عبادتهم غيره.

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ أي: مستقرًا ﴿وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا﴾ أي: وسطها مثل: ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا﴾ [الكهف: ٢٠] ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ﴾ يعني: جبلاً ثوابت تمسكها وتمنعها من الحركة ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ مانعاً من قدرته لئلا يختلط الأجاج بالعذاب. وقال ابن عباس: سلطاناً من قدرته فلا هذا يُغيّر ذاك ولا ذاك يغير هذا والحجز: المنع ﴿أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ﴾ أي: إذا ثبت أنه لا يقدر على هذا غيره فلم يعبدون ما لا يضر ولا ينفع؟! ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يعني كأنهم يجهلون الله فلا يعلمون ما يجب له من الوجدانية.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَأَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَدْكُرُونَ﴾ (١٢).

ج: المعنى – والله أعلم –: ألهتكم التي جعلتموها ندّاً لله، وعبادتها خير أم الله ٥ وعبادته وحده لا شريك له أم الله الذي يجيب من ألجأته الضرورة

والحاجة إليه، فالمضطر هو الذي انقطع وعجز عن كل الأسباب ولم يعد له في الدنيا بابٌ يلتمسه فكل الأبواب أغلقت في وجهه، فاتجه حينئذٍ إلى الله ٥ يسأله ويرجوه أن يمنحه ويعطيه ويكشف عنه الضرَّ، الله الذي يجيب المضطر ويكشف الضر، ويصرف السوء والمكروه، ويجعل الخلق خلفاء على هذه الأرض يخلف بعضهم بعضاً عليها، أمعبود معه؟؟ كلا فلا إله إلا الله ولا ربَّ سواه ولا معبود غيره، ولكن قلَّ اتعاطكم، وقلَّ من يتعظ منكم، وقلَّ من ينتفع بالذكرى منكم.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: أم ما تُشركون بالله خير، أم الذي يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء النازل به عنه؟

وقوله: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ يقول: ويستخلف بعد أمرائكم في الأرض منكم خلفاء أحياء يخلفونهم. وقوله: ﴿أَإِنَّ لَهُ مَعَ اللَّهِ﴾ يقول: أإله مع الله سواه يفعل هذه الأشياء بكم، وينعم عليكم هذه النعم؟ وقوله: ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ يقول: تذكراً قليلاً من عظمة الله وأياديه عندكم تذكرون وتعتبرون حجج الله عليكم يسيروا، فلذلك أشركتم بالله غيره في عبادته.

وقال ابن كثير \$:

ينبه تعالى أنه هو المدعو عند الشدائد، المرجو عند النوازل، كما قال: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهُ﴾ [الإسراء: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ﴾ [النحل: ٩٣]. وهكذا قال هاهنا: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ أي: مَنْ هو الذي لا يلجأ المضطر إلا إليه، والذي لا يكشف ضر

المضرورين سواه.

وقال \$:

وقوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ أي: يُخْلِفُ قَرْنًا لِقَرْنٍ قبلهم وخَلَفًا لِسَلَفٍ، كما قال تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفَ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٣]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [الأنعام: ١٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٢٥٤]، أي: قومًا يخلف بعضهم بعضًا كما قدمنا تقريره. وهكذا هذه الآية: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ أي: أمة بعد أمة، وجيلًا بعد جيل، وقومًا بعد قوم. ولو شاء لأوجد لهم كلهم في وقت واحد، ولم يجعل بعضهم من ذرية بعض، بل لو شاء لخلقهم كلهم أجمعين، كما خلق آدم من تراب. ولو شاء أن يجعلهم بعضهم من ذرية بعض ولكن لا يميّز أحداً حتى تكون وفاة الجميع في وقت واحد، فكانت تضيق عليهم الأرض وتضيق عليهم معاشهم وأكسابهم، ويتضرر بعضهم ببعض. ولكن اقتضت حكمته وقدرته أن يخلقهم من نفس واحدة، ثم يُكثِّرهم غاية الكثرة، ويذرهم في الأرض، ويجعلهم قرونًا بعد قرون، وأممًا بعد أُمم؛ حتى ينقضي الأجل وتفرغ البشرية، كما قدر ذلك تبارك وتعالى، وكما أحصاهم وعدَّهم عدًّا، ثم يقيم القيامة، ويوفي كل عامل عمله إذا بلغ الكتاب أجله؛ ولهذا قال تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٠٧] أي: يقدر على ذلك، أو أله مع الله يُعْبَد، وقد علم أن الله هو المنفرد بفعل ذلك ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٧] أي: ما أقل تذكرهم فيما يرشدهم إلى الحق، ويهديهم إلى الصراط المستقيم.

وقال القرطبي \$:

ضمن الله تعالى إجابة المضطر إذا دعاه وأخبر بذلك عن نفسه والسبب في ذلك أن الضرورة إليه بالحاء ينشأ عن الإخلاص وقطع القلب عما سواه وللإخلاص عنده سبحانه موقع وزمة وُجِدَ من مؤمن أو كافر طائع أو فاجر كما قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكَ وَجَرَّجَنَ بِهِم بِرِيحٍ طَبَئَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَجَبْنَاهُمْ مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [يونس: ٢٢] وقوله: ﴿ فَلَمَّا نَجَّيْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت: ٢٥] فأجابهم عند ضرورتهم ووقوع إخلاصهم مع علمه أنهم يعودون إلى شركهم وكفرهم وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [العنكبوت: ٢٥] فيجيب المضطر لموضع اضطراره وإخلاصه.

ثم قال \$:

فالمظلوم مضطر ويقرب منه المسافر لأنه منقطع عن الأهل والوطن منفرد عن الصديق والحميم لا يسكن قلبه إلى مسعد ولا مُعين لغربته فتصدق ضرورته إلى المولى فيخلص إليه في اللجوء وهو المجيب للمضطر إذا دعاه وكذلك دعوة الوالد على ولده لا تصدر منه مع ما يعلم من حنته عليه وشفقته إلا عند تكامل عجزه عنه وصدق ضرورته وإيase عن برّ ولده مع وجود أذيته فيسرع الحق إلى إجابته.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ وَمَنْ

يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَوَلَمْ مَعَ اللَّهُ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (١٣).

ج: المعنى – والله أعلم –: ألهمتكم التي تعبدون من دون الله خير أم

الله ٥ الذي يهديكم إذا ضللتكم في ظلمات البر والبحر، بما أودعه في الكون من آياته ودلالاته كالنجوم التي تهتدون بها كما قال: ﴿وَعَلَّمَنَّا وَيَلْتَجِمُ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: ٢٨] وبما رزقكم من الأفهام التي تهتدون بها. وكذا الذي أرسل الرياح قبيل نزول المطر تبشركم بنزوله بعد أن يُستَم من رحمة الله، أمعبود يفعل ذلك غير الله؟ كلا، بل الله يفعل ذلك وحده لا شريك له - تعالى الله عن شرككم علواً كبيراً.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: أم ما تشركون بالله خير، أم الذي يهديكم في ظلمات البر والبحر إذا ضللتكم فيهما الطريق، فأظلمت عليكم السبل فيهما؟

قوله: ﴿وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ يقول: والذي يرسل الرياح نُشْرًا لموتان الأرض بين يدي رحمته، يعني: قدام الغيث الذي يحيي موات الأرض. وقوله: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: أله مع الله سوى الله يفعل بكم شيئاً من ذلك فتعبدوه من دونه، أو تشركوه في عبادتكم إياه ﴿تَعَالَى اللَّهُ﴾ يقول: لله العلو والرفعة عن شرككم الذي تشركون به، وعبادتكم معه ما تعبدون.

وقال ابن كثير \$:

يقول: ﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ﴾ أي: بما خلق من الدلائل السماوية والأرضية، كما قال: ﴿وَعَلَّمَنَّا وَيَلْتَجِمُ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ﴾ الآية.

[الأنعام: ١٧]

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ أي: بين يدي السحاب

الذي فيه مطر، يغيث به عباده المجدين الأزلين القنطين، ﴿أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى
اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: ﴿أَمْ يَهْدِيكُمْ﴾ أي: يرشدكم الطريق ﴿فِي ظُلُمَاتٍ أَلْبَرٍ
وَأَبْحَرٍ﴾ إذا سافرتكم إلى البلاد التي تتوجهون إليها بالليل والنهار وقيل:
وجعل مفاز البر التي لا أعلام لها ولجج البحار كأنها ظلمات لأنه ليس
لها علم يهتدى به ومن يرسل الرياح نشرًا بين يدي رحمته أي: قدام
المطر باتفاق أهل التأويل ﴿أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ﴾ يفعل ذلك ويعينه عليه ﴿تَعَالَى اللَّهُ
عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ من دونه.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ يَدْعُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ

وَالْأَرْضِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قُلُوبٌ كَاتِبَةٌ بَرَهَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم:- ألّهتكم التي عبدتموها من دون الله خير؟ أم
الله ٥ الذي خلق الخلق لأول مرة، وقد اعترفتم بذلك وأقررتكم به، أالله
الذي خلق الخلق لأول مرة، ثم يميتهم ثم يحييهم، والذي يرزقكم من
السموات من غيث والأرض من نباتها وكنوزها أمعبود يفعل ذلك مع
الله؟! كلا فلا ربَّ غيره ولا معبود سواه، فإن زعمتم أن معه إلهًا فهاتوا
دليلكم وبرهانكم على هذا إن كنتم صادقين في دعواكم.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: أم ما تشركون أيها القوم خير، أم الذي يبدأ الخلق
ثم يعيده، فينشئه من غير أصل، ويبتدعه ثم يفنيه إذا شاء، ثم يعيده إذا
أراد كهينته قبل أن يفنيه، والذي يرزقكم من السماء والأرض فينزل من

هذه الغيث، وينبت من هذه النبات لأقواتكم، وأقوات أنعامكم ﴿إِلَهُهُ مَعَ اللَّهِ﴾ سوى الله يفعل ذلك؟ وإن زعموا أن إلهاً غير الله يفعل ذلك أو شيئاً منه ف﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿مَا تَأْبُرُهُنَّكُمْ﴾ أي: حجتكم على أن شيئاً سوى الله يفعل ذلك ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في دعوكم. ومن التي في «أَمَّن» و«ما» مبتدأ في قوله: أما يشركون، والآيات بعدها إلى قوله: ﴿وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾.

وقال ابن كثير \$:

أي: هو الذي بقدرته وسلطانه يبدأ الخلق، ثم يعيده، كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ ١٣ إِنَّهُ هُوَ بَدِئُ وَيُعِيدُ ﴿[البروج: ١٣، ١٤]﴾ وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]. ﴿وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: بما ينزل من مطر السماء، وينبت من بركات الأرض، كما قال: ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الرَّجْعِ﴾ ١١ وَالْأَرْضَ ذَاتَ الصَّدْعِ ﴿[الطارق: ١١، ١٢]﴾ وقال: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلْجِ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ [الحديد: ١٦]، فهو تبارك وتعالى ينزل من السماء ماء مباركاً فيسكنه في الأرض، ثم يخرج به أنواع الزروع والثمار والأزاهير، وغير ذلك من ألوان شتى، ﴿كُلُوا وَارْزَعُوا أَنْعَمَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ لَا يَتَّبِعُ لِأُولِي النُّهَى﴾ [طه: ٤٤] ؛ ولهذا قال: ﴿إِلَهُهُ مَعَ اللَّهِ﴾ أي: فعل هذا؟ وعلى القول الآخر: يعبد؟ ﴿قُلْ مَا تَأْبُرُهُنَّكُمْ﴾ على صحة ما تدعونه من عبادة آلهة أخرى، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في ذلك، وقد علم أنه لا حجة لهم ولا برهان، كما قال: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٥].

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ كانوا يقولون أنه الخالق الرازق

فألزّمهم الإعادة أي: إذا قدر على الابتداء فمن ضرورته القدرة على الإعادة وهو أهون عليه ﴿إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ﴾ يخلق ويرزق ويبدئ ويعيد ﴿قُلْ مَا تَوْأَمُكُمْ﴾ أي: حجتكم أن لي شريكاً أو حجتكم في أنه صنع أحد شيئاً من هذه الأشياء غير الله ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ (٥٥).

ج: المعنى – والله أعلم:- قل يا رسول الله للسائلين عن الساعة – عن القيامة- متى هي؟ قل لهم: لا يعلم من في السموات والأرض الغيب الذي استأثر الله بعلمه إلا الله، ومن ذلك الغيب وقت قيام الساعة، فلا يعلم أحدٌ متى تقوم الساعة إلا الله وما يشعر هؤلاء متى يبعثون من قبورهم، والله أعلم.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لسائليك من المشركين عن الساعة متى هي قائمة؟ ﴿لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ﴾ الذي قد استأثر الله بعلمه، وحجب عنه خلقه غيره والساعة من ذلك ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ يقول: وما يدري من في السموات والأرض من خلقه متى هم مبعوثون من قبورهم لقيام الساعة.

وأورد بسندٍ صحيح عن عائشة ؓ قالت: من زعم أنه يخبر الناس بما يكون في غد، فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: ﴿لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبِ إِلَّا اللَّهُ ﴿١﴾ .

وقال ابن كثير \$:

يقول تعالى أمراً رسوله ﷺ أن يقول معلماً لجميع الخلق: أنه لا يعلم أحد من أهل السموات والأرض الغيب. وقوله: ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ استثناء منقطع، أي: لا يعلم أحد ذلك إلا الله ﷻ فإنه المنفرد بذلك وحده، لا شريك له، كما قال: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا﴾ الآية [الأنعام: ٦٢]، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤]، والآيات في هذا كثيرة.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ أي: وما يشعر الخلائق الساكنون في السموات والأرض بوقت الساعة، كما قال: ﴿ثُقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَأَتَأْتِكُمُ إِلَّا بَغْنَةً﴾ [الأعراف: ١٧٧]، أي: ثقل علمها على أهل السموات والأرض.



س: في قوله تعالى: ﴿أَذْرَكَ﴾ قراءتان، وضحهما.

ج: القراءة الأولى: (أدرِك).

والثانية: (أذارِك).

قال الطبري \$:

وقوله: ﴿بَلْ أَذْرَكَ عِلْمَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء أهل المدينة سوى أبي جعفر وعامة قراء أهل الكوفة: ﴿بَلْ أَذْرَكَ﴾ بكسر اللام من «بل» وتشديد الدال من «ادراك»، بمعنى: بل تدارك علمهم أي: تتابع علمهم بالآخرة هل هي كائنة أم لا، ثم أدغمت

التاء في الدال كما قيل: ﴿ثُمَّ أَفْلَحْنَا إِلَى الْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٢٤] وقد بيّنا ذلك فيما مضى بما فيه الكفاية من إعادته.

وقرائه عامة قراء أهل مكة: «بَلْ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ» بسكون الدال وفتح الألف، بمعنى: هل أدرك علمهم علم الآخرة؟



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿بَلْ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾.

ج: أولاً:

تأويل الآية على قراءة من قرأ (ادارك) معناها بل تم علمهم بالساعة يوم القيامة، أما في الدنيا فقد كانوا متشككين في وقوعها، وفي عماية عنها وكانت قلوبهم في عمى عنها.

أو بصياغة أخرى: إن هؤلاء المنكرين للقيامة كَمَلْ علمهم بوقوعها يوم القيامة؛ حيث لا ينفعهم حينئذ علم، وقد كانوا في دنياهم في شك منها وارتباب، وكانت قلوبهم في عمى عن وقوعها، وهم وإن كان علمهم تكامل في الآخرة إلا أن إيمانهم آنذاك لم ينفعهم.

هذا هو الوجه الأول: على قراءة من قرأ (ادارك).

والوجه الثاني: بل تتابع علمهم اليوم في الآخرة، فهذا يقول فيها قولاً وآخر يقول فيها قولاً، وهكذا تتابعت أقوالهم في شأنها هل هي كائنة أم لن تكون؟! وكلُّ أدلى برأيه في ذلك، بل هم إجمالاً في شكٍّ من وقوعها وفي عماية عنها وعن العمل لها.

قال القرطبي \$:

أصل: «أَدَارَكَ» تدارك؛ أدغمت الدال في التاء وجيء بألف الوصل؛

وفي معناه قولان: أحدهما: أن المعنى بل تكامل علمهم في الآخرة؛ لأنهم رأوا كل ما وُعدوا به معاينة فتكامل علمهم به. والقول الآخر أن المعنى: بل تتابع علمهم اليوم في الآخرة؛ فقالوا تكون وقالوا لا تكون.

ثانياً:

أما القراءة الثانية (بل أدرك علمهم في الآخرة) فمعناها قريب من المعنى الأول، وحاصله بل أدرك علمهم في الآخرة حقيقتها حين عاينوها وقد كانوا في الدنيا في شكٍّ منها، بل وقد كانت قلوبهم في عمى عن وقوعها. ولكن لا ينفعهم علمهم بها في الآخرة.

والوجه الثاني في معناها على قراءة (أدرك) بمعنى تساوى علمهم في شأن الآخرة ألا وهو عدم المعرفة بوقتها.

قال ابن كثير \$:

وقرأ آخرون: «بل أدرك علمهم»، أي: تساوى علمهم في ذلك، كما في الصحيح لمسلم: أن رسول الله ﷺ قال لجبريل - وقد سألته عن وقت الساعة -: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل؟» أي: تساوى في العجز عن درك ذلك علم المسؤول والسائل.

وقوله: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا﴾ عائد على الجنس، والمراد: الكافرون، كما قال تعالى: ﴿وَعَرِضُْوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾ [الكهف: ٢٢] أي: الكافرون منكم. وهكذا قال هاهنا: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا﴾ أي: شاكُّون في وجودها ووقوعها، ﴿بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ أي: في عماية وجهل كبير في أمرها وشأنها.

وقال القرطبي \$:

القراءة الثانية فيها أيضاً قولان: أحدهما: أن معناه كَمُلَ في الآخرة

وهو مثل الأول. قال مجاهد: معناه يدرك علمهم في الآخرة ويعلمونها إذا عاينوها حين لا ينفعهم علمهم لأنهم كانوا في الدنيا مكذبين والقول الآخر: أنه على معنى الإنكار وهو مذهب أبي إسحاق واستدل على صحة هذا القول بأن بعده ﴿بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ أي: لم يدرك علمهم علم الآخرة وقيل: بل ضلّ وغاب علمهم في الآخرة فليس لهم فيها علم.

وقال الطبري \$:

وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب على قراءة من قرأ «بَلْ أَدْرِكُ» القول الذي ذكرناه عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس، وهو أن معناه: إذا قرئ كذلك ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ بل أدرك علمهم نفس وقت ذلك في الآخرة حين يبعثون، فلا ينفعهم علمهم به حينئذٍ، فأما في الدنيا فإنهم منها في شك، بل هم منها عمون.

وقال \$:

وأما على قراءة من قرأه ﴿بَلْ أَدْرِكُ﴾ بكسر اللام وتشديد الدال، فالقول الذي ذكرنا عن مجاهد، وهو أن يكون معنى بل: أم، والعرب تضع أم موضع بل، وموضع بل: أم، إذا كان في أول الكلام استفهام كما قال الشاعر:

فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَسَلَمَى تَعَوَّلْتُ أَمْ النَّوْمُ أَمْ كُلُّ إِلَيَّ حَبِيبُ

يعني بذلك بل كل إلي حبيب، فيكون تأويل الكلام: وما يشعرون أيان يبعثون، بل تدارك علمهم في الآخرة يعني: تتابع علمهم في الآخرة أي: بعلم الآخرة أي: لم يتتابع بذلك ولم يعلموه، بل غاب علمهم عنه، وضل فلم يبلغوه ولم يدركوه.

وقوله: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا﴾ يقول: بل هؤلاء المشركون الذين يسألونك عن الساعة في شكٍّ من قيامها، لا يوقنون بها ولا يصدقون بأنهم مبعوثون من بعد الموت ﴿بَلْ هُمْ مِّنْهَا عَمُونَ﴾ يقول: بل هم من العلم بقيامها عمون.

قال الشنقيطي \$ (أضواء البيان):

أظهر أقوال أهل العلم عندي في هذه الآية الكريمة أن المعنى: ﴿بَلْ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾، أي: تكامل علمهم في الآخرة حين يعاينونها، أي: يعلمون في الآخرة علماً كاملاً، ما كانوا يجهلونه في الدنيا، وقوله: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا﴾، أي: في دار الدنيا، فهذا الذي كانوا يشكون فيه في دار الدنيا، ويعمون عنه مما جاءتهم به الرسل، يعلمونه في الآخرة علماً كاملاً لا يخالجه شك، عند معاينتهم لما كانوا ينكرونه منه البعث والجزاء.

وإنما اخترنا هذا القول دون غيره من أقوال المفسرين في الآية؛ لأن القرآن دلَّ عليه دلالة واضحة في آيات متعددة؛ كقوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، فقوله: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾، بمعنى: ما أسمعهم وما أبصرهم للحق الذي كانوا ينكرونه يوم يأتوننا، أي: يوم القيامة، وهذا يوضح معنى قوله: ﴿بَلْ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾، أي: تكامل علمهم فيها لمبالغتهم في سمع الحق وإبصاره في ذلك الوقت، وقوله: ﴿لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، يوضح معنى قوله: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا﴾، لأن ضلالهم المبين اليوم، أي: في دار الدنيا، هو شكهم في الآخرة، وعماهم عنها؛ وكقوله تعالى: ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ

غَطَّاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٦١﴾، أي: علمك اليوم بما كنت تنكره في الدنيا مما جاءتك به الرسل حديد، أي: قوي كامل.



قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذْ كُنَّا تَرَاً وَءَابَاؤُنَا إِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴾ (٦٧) لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (٦٨) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (٦٩) وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ (٧٠) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٧١) قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ (٧٢) وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ (٧٣) وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ (٧٤) وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (٧٥) إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُضُّ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (٧٦) وَإِنَّهُ هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٧٧) إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ (٧٨) فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴾ (٧٩) إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَوْ أُمَّدِيرِينَ ﴾ (٨٠) وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ ۖ إِنْ تُسْمِعْ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (٨١)

[النمل: 67-81]

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿لَمُخْرِجُونَ﴾ - ﴿أَسْطِيطُ الْأَوَّلِينَ﴾ - عَقِيبَةُ الْمُجْرِمِينَ - الْوَعْدُ - رَدِفَ لَكُمْ - تَسْتَعْجِلُونَ -
 تُكِنُّ - غَابَةِ - كَتَبَ مُبِينٍ - يَقْضُ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ - يُحْكِمُهُ - فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ - الْحَقِّ الْمُبِينِ -
 الْأَصَمُّ - وَلَوْ مُدِيرِينَ - يَهْدِي أَلْمَنِي عَنْ ضَلَالَتِهِمْ - إِنْ تُسْمِعْ ﴿

ج:

معناها	الكلمة
لمخرجون أحياء من قبورنا يوم القيامة -	﴿لَمُخْرِجُونَ﴾
ما سطره الأولون الذين سبقونا من الخرافات والحكايات والقصص	﴿أَسْطِيطُ الْأَوَّلِينَ﴾
نهاية أمر أهل الإجمام	﴿عَقِيبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾
الوعد بالعذاب - ما تعدنا به من العذاب	﴿الْوَعْدُ﴾
دنا واقترب	﴿رَدِفَ لَكُمْ﴾
تطلبون وقوعه عاجلاً	﴿تَسْتَعْجِلُونَ﴾
تُخْفِي	﴿تُكِنُّ﴾
أي أمر عائب	﴿غَابَةِ﴾
المراد اللوح المحفوظ	﴿كَتَبَ مُبِينٍ﴾
يخبرهم - يخبر بني إسرائيل بحقيقة الأمور التي يختلفون فيها	﴿يَقْضُ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾
بعده وقضائه	﴿يُحْكِمُهُ﴾

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾	فاعتمد على الله
﴿الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾	الحق الواضح الظاهر – الحق المظهر لمن تأمله أنه الحق الذي لا مرية فيه
﴿الضَّمَّ﴾	الذين لا يسمعون
﴿وَلَوْ أُمْدِينِ﴾	انصرفوا معرضين
﴿يَهْدِي الْعَمَى عَنْ ضَلَالِهِمْ﴾	بموفق عُمي البصيرة وبمنقذهم من ضلالتهم
﴿إِنْ تَسْمِعْ﴾	ما تسمع



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذْ كُنَّا تَرَاً وَآبَاؤُنَا أَيْمَانًا

لَمُخْرَجُونَ﴾ (١٧) لَقَدْ وَعَدْنَا مَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٨).

ج: المعنى - والله أعلم :- وقال الذين جحدوا وحدانية الله ه وعبدوا معه غيره، قالوا منكرين للبعث والثواب والعقاب، قالوا: إئذا كنا تراباً بعد موتنا، وقد كان آباؤنا من قبل تراباً كذلك أسنعود أحياءً ويعود آباؤنا أحياءً بعد الممات وبعد صيرورتنا إلى تراب؟ لقد وعدنا هذا، لقد وعدتنا يا محمد بهذا من قبل مرات ومرات، وكذا وعد آباؤنا بهذا من قبل مرات ومرات، ولم يتحقق شيء من الذي وعدنا به نحن وآباؤنا فما هذا الذي ذكرتموه لنا إلا أساطير سطرها الأولون وخرافات كتبوها في كتبهم ليس لها في الواقع حقيقة.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: قال الذين كفروا بالله: أننا لمخرجون من قبورنا

أحياء، كهيتتنا من بعد مماتنا بعد أن كنا فيها ترابًا قد بلينا؟ ﴿لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ﴾ يقول: لقد وعدنا هذا من قبل محمد واعدون، وعدوا ذلك آباءنا، فلم نر لذلك حقيقة، ولم نتبين له صحة ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ يقول: قالوا: ما هذا الوعد إلا ما سطر الأولون من الأكاذيب في كتبهم، فأثبتوه فيها وتحذثوا به من غير أن يكون له صحة.

وقال ابن كثير \$:

يقول تعالى مخبرًا عن منكري البعث من المشركين: أنهم استبعدوا إعادة الأجساد بعد صيرورتها عظامًا ورفاتًا وترابًا ثم قال: ﴿لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ﴾ أي: ما زلنا نسمع بهذا نحن وآبائنا، ولا نرى له حقيقة ولا وقوعًا.

وقولهم: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾: يعنون: ما هذا الوعد بإعادة الأبدان، ﴿إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: أخذه قوم عمّن قبلهم، من قبلهم يتلقاه بعضهم عن بعض، وليس له حقيقة.

قال الله تعالى مجيبًا لهم عما ظنوه من الكفر وعدم المعاد:



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

الْمُجْرِمِينَ﴾ (٢١) وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (٧٠).*

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - : قل يا رسول الله لهؤلاء المنكرين للبعث الجاحدين وحدانية الله، سيروا في الأرض أيها الناس فانظروا إلى مدائن قوم لوط، وإلى ديار عاد وثمود، وإلى القرى التي أبداها الله وأفناها ودمرها، تلك القرى التي قالت بنحو قولكم وكذبت كتكذيبكم،

انظروا كيف كان عقاب الله لهم واعتبروا بذلك، فمنهم من خسف الله به الأرض ومنهم من أخذته الصيحة، ومنهم من أغرقه الله ومنهم من أرسلنا عليهم الريح العقيم، ومنهم من أرسل عليه عذاب يوم الظُّلَّة، إلى غير ذلك من صور العذاب، فانظروا إليهم بعين الاعتبار والاتعاظ فلا تحزن يا رسول الله على قومك المكذبين لك فالله أعلم بهم، وهو ناصرك فلا تكن في حرج ولا في ضيق مما يخوفونك به، ومما يمكرون بك فيه.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء المكذبين ما جئتهم به من الأنبياء من عند ربك: ﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا﴾ إلى ديار من كان قبلكم من المكذبين رسل الله ومساكنهم كيف هي، ألم يخربها الله، ويهلك أهلها بتكذيبهم رسلهم، وردهم عليهم نصائحهم فخلت منهم الديار وتعفت منهم الرسوم والآثار، فإن ذلك كان عاقبة إجرامهم، وذلك سنة ربكم في كل من سلك سبيلهم في تكذيب رسل ربهم، والله فاعل ذلك بكم إن أنتم لم تبادروا الإنابة من كفركم وتكذيبكم رسول ربكم.

وقوله: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ولا تحزن على إدبار هؤلاء المشركين عنك وتكذيبهم لك **﴿وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾** يقول: ولا يضيق صدرك من مكرهم بك، فإن الله ناصرك عليهم، ومهلكهم قتلاً بالسيف.

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: ﴿قُلْ﴾ لهؤلاء الكفار ﴿سِيرُوا﴾ في

بلاد الشام والحجاز واليمن ﴿فَانْظُرُوا﴾ أي: بقلوبكم وبصائرکم ﴿كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ المكذبين لرسولهم. ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: على كفر مكة إن لم يؤمنوا ﴿وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ﴾ في حرج ﴿مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ نزلت في المستهزئين الذين اقتسموا عقاب مكة وقد تقدم ذكرهم.

وقال ابن كثير \$:

﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء: ﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: المكذبين بالرسول وما جاءوهم به من أمر المعاد وغيره، كيف حلت بهم نقم الله وعذابه ونكاله، ونجى الله من بينهم رسوله الكرام ومن اتبعهم من المؤمنين، فدل ذلك على صدق ما جاءت به الرسل وصحته. ثم قال تعالى مسلماً لنبيه - صلوات الله وسلامه عليه: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: المكذبين بما جئت به، ولا تأسف عليهم وتذهب نفسك عليهم حسرات، ﴿وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ أي: في كيدك ورد ما جئت به، فإن الله مؤيدك وناصرك، ومظهر دينك على من خالفه وعانده في المشارق والمغرب.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٧٦) قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون (٧٦).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - **ويقولون: (أي: ويقول أهل الشرك والتكذيب بالبعث) متى هذا الوعد بقيام الساعة وبالثواب والعقاب إن كنتم صادقين يا أهل الإسلام في دعوكم إن الساعة قائمة؟! فقل لهؤلاء المنكرين المستعجلين للعذاب: عسى أن يكون قد اقترب العذاب الذي**

تستعجلونه، فقله: ﴿رَدَفَ﴾ بمعنى اقترب ودنا. والله أعلم.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: ويقول مشركو قومك يا محمد، المكذبوك فيما أتيتهم به من عند ربك ﴿مَتَى﴾ يكون ﴿هَذَا أَلْوَعْدُ﴾ الذي تعدناه من العذاب، الذي هو بنا فيما تقول حال ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيما تعدونا به ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ﴾ يقول جل جلاله: قل لهم يا محمد: عسى أن يكون اقترب لكم ودنا ﴿بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ من عذاب الله.

وقال الطبري أيضاً:

واختلف أهل العربية في وجه دخول اللام في قوله: ﴿رَدِفَ لَكُمْ﴾ وكلام العرب المعروف: ردفه أمرٌ، وأردفه، كما يقال: تبعه وأتبعه، فقال بعض نحويي البصرة: أدخل اللام في ذلك فأضاف بها الفعل كما يقال: ﴿لِلرَّءِيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف: ١٢]، و﴿لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]. وقال بعض نحويي الكوفة: أدخل اللام في ذلك للمعنى؛ لأن معناه: دنا لهم، كما قال الشاعر:

فَقُلْتُ لَهَا الْحَاجَاتُ يَطْرَحُنَ بِالْفَتَى

فأدخل الباء في يطرحن، وإنما يقال طرحته؛ لأن معنى الطرح: الرمي، فأدخل الباء للمعنى؛ إذ كان معنى ذلك يرمين بالفتى، وهذا القول الثاني هو أولاها عندي بالصواب، وقد مضى البيان عن نظائره في غير موضع من الكتاب، بما أغنى عن تكراره في هذا الموضع.

وقال ابن كثير \$:

يقول تعالى مخبراً عن المشركين، في سؤالهم عن يوم القيامة

واستبعادهم وقوع ذلك: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ قال الله مجيباً لهم: ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﴿ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴾. [قال ابن عباس أن يكون قرب -أو: أن يقرب -لكم بعض الذي تستعجلون]. وهكذا قال مجاهد، والضحاك، وعطاء الخراساني، وقتادة، والسدي.

وهذا هو المراد بقوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴾ [الإسراء: ٩٤]، وقال تعالى ﴿ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ [العنكبوت: ٩٤].

وإنما دخلت «اللام» في قوله: ﴿ رَدِفَ لَكُمْ ﴾ ؛ لأنه ضُمن معنى «عجل لكم» كما قال مجاهد في رواية عنه: ﴿ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ ﴾: عجل لكم.

وقال القرطبي \$:

﴿بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ من العذاب فكان ذلك يوم بدر. وقيل: عذاب القبر.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ (٧٣) وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٤) ؟

ج: المعنى - والله أعلم -: وإن ربك لذو نعم على الناس؛ إذ يؤخر عنهم العذاب والعقاب كي يتوبوا، ونعمه عليهم لا تحصي ويرزقهم مع عصيانهم له ولكن أكثر الناس لا يقدمون لذلك شكراً، وإن ربك ليعلم ما تخفيه صدورهم، وما يظهرونه من الأقوال والأعمال وكل شيء ربي به عليم.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾ يا محمد ﴿لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ بتركه معاجلتهم بالعقوبة على معصيتهم إياه، وكفرهم به، وذو إحسان إليهم في ذلك وفي غيره من نعمه عندهم ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ لا يشكرونه على ذلك من إحسانه وفضله عليهم، فيخلصوا له العبادة، ولكنهم يشركون معه في العبادة ما يضرهم ولا ينفعهم ومن لا فضل له عندهم ولا إحسان.

وقوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ يقول: وإن ربك ليعلم ضمائر صدور خلقه، ومكنون أنفسهم، وخفي أسرارهم، وعلانية أمورهم الظاهرة، لا يخفى عليه شيء من ذلك، وهو محصيها عليهم حتى يجازي جميعهم بالإحسان إحساناً وبالإساءة جزاءها.

وقال الحافظ ابن كثير \$:

ثم قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ أي: في إسباغه نعمه عليهم مع ظلمهم لأنفسهم، وهم مع ذلك لا يشكرونه على ذلك إلا القليل منهم، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ أي: يعلم السرائر والضمائر، كما يعلم الظواهر، ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾ [الرعد: ٥]، ﴿لَيَعْلَمُ السِّرَ وَالْخَفَى﴾ [طه: ٥]، ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [هود: ٥].



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمِنْ غَائِبٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾



ج: المعنى – والله أعلم: وما من أمرٍ غائب عن الناس عن علمهم وعن أعينهم وعن حواسهم، أي أمر كان في السماء والأرض، إلا وعلمه عند الله ٥ في كتاب مبين لمن نظر فيه أن الله يعلم ذلك تمام العلم.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَمَآءٍ﴾ مكتوم سر وخفي أمر يغيب عن أبصار الناظرين ﴿فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كَنْبٍ﴾ وهو أم الكتاب الذي أثبت ربنا فيه كل ما هو كائن من لدن ابتداء خلق خلقه إلى يوم القيامة. ويعني بقوله: ﴿مُئِينٍ﴾ أنه يبين لمن نظر إليه، وقرأ ما فيه مما أثبت فيه ربنا جل ثناؤه.

وقال ابن كثير \$:

ثم أخبر تعالى بأنه عالم غيب السموات والأرض، وأنه عالم الغيب والشهادة - وهو ما غاب عن العباد وما شاهدوه - فقال: ﴿وَمَآءٍ غَآبٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ قال ابن عباس: يعني: وما من شيء، ﴿فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كَنْبٍ مُّئِينٍ﴾ وهذا كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٥].

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: ﴿وَمَآءٍ غَآبٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كَنْبٍ مُّئِينٍ﴾ قال الحسن: الغائبة هنا القيامة وقيل: ما غاب عنهم من عذاب السماء والأرض حكاة النقاش. وقال ابن شجرة: الغائبة هنا جميع ما أخفى الله تعالى عن خلقه وغيبه عنهم وهذا عامٌّ وإنما دخلت الهاء في ﴿غَآبَةٍ﴾ إشارة إلى الجمع أي: ما من خصلة غائبة عن الخلق إلا والله عالم بها قد أثبتها في أم الكتاب عنده فكيف يخفى عليه ما يسرُّ هؤلاء وما يعلنونه وقيل: أي كل شيء هو مثبت في أم الكتاب يخرج له للأجل المؤجل له فالذي يستعجلونه من العذاب له أجل مضروب لا يتأخر عنه ولا يتقدم عليه والكتاب اللوح المحفوظ أثبت الله فيه ما أراد ليعلم بذلك من يشاء من ملائكته.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَنْفُصُ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ .

ج: المعنى – والله أعلم:- إن هذا القرآن الذي أنزلناه عليك يا رسول الله يقص القصص الحق في أكثر المسائل التي يختلف فيها الإسرائيليون، وذلك أنهم اختلفوا فيما بينهم في مسائل كثيرة فنزل كتاب الله ه ببيان وجوه الحق والصواب فيها كاختلافهم الشديد المتباين في شأن عيسى ع؛ إذ اتهمته اليهود بأشد الاتهامات وكذا اتهموا أمه بأشد الاتهامات، وهما بريئان من تلك التهم، وغالت فيه النصارى أشد الغلو فأنزلوه منزلة الإله ونسبوه إلى الله يعنون بذلك أنه ابنُ الله ه وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. إلى غير ذلك من صور الاختلافات التي جرت بين الإسرائيليين فنزل القرآن بالفصل فيها.

قال الطبري \$:

وقوله: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَنْفُصُ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: إن هذا القرآن الذي أنزلته إليك يا محمد يقص على بني إسرائيل الحق، في أكثر الأشياء التي اختلفوا فيها، وذلك كالذي اختلفوا فيه من أمر عيسى، فقالت اليهود فيه ما قالت، وقالت النصارى فيه ما قالت، وتبرأ لاختلافهم فيه هؤلاء من هؤلاء، وهؤلاء من هؤلاء، وغير ذلك من الأمور التي اختلفوا فيها، فقال جل ثناؤه لهم: إن هذا القرآن يقص عليكم الحق فيما اختلفتم فيه فاتبعوه، وأقروا لما فيه، فإنه يقصُ عليكم بالحق، ويهديكم إلى سبيل الرشاد.

وقال ابن كثير \$:

يقول تعالى مخبرًا عن كتابه العزيز، وما اشتمل عليه من الهدى والبيّنات والفرقان: إنه يقصُّ على بني إسرائيل -وهم حملة التوراة والإنجيل- ﴿أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾، كاختلافهم في عيسى وتباينهم فيه، فاليهود افترّوا، والنصارى غلّوا، فجاء القرآن بالقول الوسط الحق العدل: أنه عبد من عباد الله وأنبيائه ورسله الكرام - عليه الصلاة والسلام- كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ [مريم: ٣٤].

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَنْقُضُ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ وذلك أنهم اختلفوا في كثير من الأشياء حتى لعن بعضهم بعضًا فنزلت والمعنى: إن هذا القرآن يبين لهم ما اختلفوا فيه لو أخذوا به وذلك ما حرفوه من التوراة والإنجيل وما سقط من كتبهم من الأحكام.



س: لماذا قيل: ﴿أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ولم يقل كل الذي فيه

يختلفون؟

ج: ذلك - والله أعلم - سترًا عليهم ولعدم فضيحتهم، فقد اختلفوا في أمور لو ظهرت الحقائق فيها لكان في ذلك فضيحة عظيمة لهم فهناك أمور فعلوها فمسخوا قرده وخنازير، وأمور أخر لم تُذكر سترًا عليهم كما قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾. أي ويستر على

كثير لا يخبركم به.

هذا، وثم توجيه آخر لقوله: ﴿أَكْثَرُ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ حاصله أن هناك مسائل يختلفون فيها تنطعاً وجدالاً لا تستحق أن تُذكر فأهمل ذكرها والله أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلِئِنَّهُ لَكُدَىٰ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم:- وإن هذا القرآن لدلالة على الحق لأهل الإيمان، يدلهم على الحق والخير وطريق الجنان، ويوفقون بسببه لسلوك هذا الطريق المستقيم.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: إن هذا القرآن لهُدًى، يقول: لبيان من الله، يبين به الحق فيما اختلف فيه خلقه من أمور دينهم ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول: ورحمة لمن صدق به وعمل بما فيه.



س: لماذا خُصَّت الهداية بالمؤمنين؟

ج: لأنهم هم المنتفعون به الذين قبلوا هذا القرآن واستفادوا منه واهتدوا بهديه. والله أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾.

✽

ج: المعنى – والله أعلم:- إن ربك يفصل بينهم ويحكم بينهم بحكمه الذي لا يظلم فيه ولا يجور، فيجازى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته

يوم القيامة ويظهر المحق من المبطل، وكذا قيل يقص بينهم في الدنيا فيظهر ما حرّفوه، وهو ﴿الْعَزِيزُ﴾ الغالب الذي لا يرد أمره ﴿الْعَلِيمُ﴾ الذي لا يخفى عليه شيء.

قال الطبري \$:

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾ يقول: إن ربك يقضي بين المختلفين من بني إسرائيل ﴿بِحُكْمِهِ﴾ فيهم، فينتقم من المبطل منهم، ويجازي المحسن منهم المحق بجزائه، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ يقول: وربك العزيز في انتقامه من المبطل منهم ومن غيرهم، لا يقدر أحد على منعه من الانتقام منه إذا انتقم العليم بالمحق المحسن من هؤلاء المختلفين من بني إسرائيل فيما اختلفوا فيه، ومن غيرهم من المبطل الضال عن الهدى.

وقال ابن كثير \$:

ثم قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾ أي: يوم القيامة، ﴿بِحُكْمِهِ﴾ وهو العزيز في انتقامه، ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأفعال عباده وأقوالهم.



س: **وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ (٧١).**

ج: **المعنى** - والله أعلم- فاعتمد في شؤونك كلها على الله ٥ وفوض أمورك إليه ولا تتشكك فيما أنت عليه فإنك على الحق الواضح الجلي، المظهر لمن تأمله أنك على الحق بلا ريب ولا امتراء.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ففوض إلى الله يا محمد أمورك، وثق به فيها، فإنه كافيك. ﴿إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ لمن تأمله، وفكر ما فيه بعقل، وتدبره بفهم، أنه الحق، دون ما عليه اليهود والنصارى، المختلفون

من بني إسرائيل، ودون ما عليه أهل الأوثان، المكذبوك فيما أتيتهم به من الحق، يقول: فلا يحزنك تكذيب من كذبك، وخلاف من خالفك، وامض لأمر ربك الذي بعثك به.

وقال ابن كثير \$:

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: في أمورك، وبلغ رسالة ربك، ﴿إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ أي: أنت على الحق المبين وإن خالفك مَنْ خالفك، مِمَّنْ كتبت عليه الشقاوة وحقَّت عليهم كلمة ربك أنهم لا يؤمنون، ولو جاءتهم كل آية.

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: فوض إليه أمرك واعتمد عليه فإنه ناصرك ﴿إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ أي: الظاهر وقيل: المظهر لمن تدبر وجه الصواب.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمِعُ الْقُلُوبَ﴾

﴿٨٠﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - : توكل على الله يا رسول الله وفوض أمرك إليه ٥ فإنه ناصرك ومعينك ولا تحزن على تكذيب هؤلاء المشركين واليهود لك فإنك على الحق المبين ولن يهتدي بما جنبت به أهل الكفر الذين كُتِبَتْ عليهم الشقاوة فإنهم موتى القلوب فلن ينتفعوا بمواعظك وبما تلقينه عليهم وتذكروهم به، وفضلاً عن كونهم موتى القلوب فإنهم لا يُقبلون على هذا القرآن بل ينصرفون عنه فارين هاربين، فكيف تسمعهم وهم موتى

وكيف تسمعهم وقد انصرفوا هاربين مدبرين مع موات قلوبهم كذلك، وكذا لن تستطيع هداية الأعمى الذي سلك طريق الضلال والبعد عن الحق إنما تسمع فقط من آمن بهذا القرآن وصدق أنه من عند الله ﷻ، وأقبل على هذا القرآن يستنير بنوره ويهتدي بهداه فهؤلاء هم المسلمون الذين تدينوا بدين الإسلام وعملوا بتعاليمه، هم كذلك المستسلمون الخاضعون لأمر الله ﷻ المنتهون عما نهاهم عنه.

قال الطبري \$:

وقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْكَلِمَ﴾ يقول: إنك يا محمد لا تقدر أن تفهم الحق من طبع الله على قلبه فأماته؛ لأن الله قد ختم عليه أن لا يفهمه ﴿وَلَا تَسْمَعُ أَلْسُنُ الْأَعْمَى﴾ يقول: ولا تقدر أن تسمع ذلك من أصم الله عن سماعه سمعه ﴿إِذَا وَلَوْ سَرَوْنَ﴾ يقول: إذا هم أدبروا معرضين عنه، لا يسمعون له لغلبة رَيْنِ الكفر على قلوبهم، ولا يُصغون للحق، ولا يتدبرونه، ولا ينصتون لقائله، ولكنهم يعرضون عنه، وينكرون القول به، والاستماع له.

وقال \$:

﴿وَمَا أَنتَ﴾ يا محمد ﴿بِهَدِيٍّ﴾ من أعماه الله عن الهدى والرشاد فجعل على بصره غشاوة أن يتبين سبيل الرشاد عن ضلالته التي هو فيها إلى طريق الرشاد وسبيل الرشاد. وقوله: ﴿إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ يقول: ما تقدر أن تفهم الحق وتوعيه أحداً إلا سمع من يصدق بآياتنا، يعني: بأدلتها وحججه وآي تنزيله ﴿فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ فإن أولئك يسمعون منك ما تقول ويتدبرونه، ويفكرون فيه، ويعملون به، فهم الذين يسمعون.

وقال القرطبي \$:

﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتِ﴾ يعني: الكفار لتركهم التدبر فهم كالموتي لا حس لهم ولا عقل وقيل: هذا فيمن علم أنه لا يؤمن ﴿وَلَا تَسْمِعُ الضَّمَّ الدُّعَاءَ﴾ يعني: الكفار الذين هم بمنزلة الصم عن قبول المواعظ فإذا دعوا إلى الخير أعرضوا وولو أكانهم لا يسمعون نظيره: ﴿صُمُّ بَكْمٌ عُمِيٌّ﴾ [البقرة: ١٧٦] كما تقدم وقرأ ابن محيصن وحميد وابن كثير وابن أبي إسحاق وعباس عن أبي عمرو: (ولا يسمع) بفتح الياء والميم (الصم) رفعًا على الفاعل الباقيون ﴿تَسْمِعُ﴾ مضارع أسمعت ﴿الضَّمَّ﴾ نصبًا.

وقال ابن كثير \$:

ولهذا قال: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتِ﴾ أي: لا تسمعهم شيئًا ينفعهم فذلك هؤلاء على قلوبهم غشاوة وفي آذانهم وقر الكفر ولهذا قال: ﴿وَلَا تَسْمِعُ الضَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ ﴿٨٠﴾ وَمَا أَتَى هَدَى الْعُمِيَّ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾. إنما يستجيب لك مَنْ هو سميع بصير، السمع والبصر النافع في القلب والبصيرة الخاضع لله، ولما جاء عنه على السنة الرسل **ف**.

قال الشنقيطي \$ (أضواء البيان):

ومن الآيات النازلة تسلية له ﷺ، قوله هنا: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتِ﴾، أي: لا تسمع من أضله الله إسماع هدى وقبول، ﴿إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾، يعني: ما تسمع إسماع هدى وقبول، إلا من هديناهم للإيمان بآياتنا ﴿فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

والآيات الدالة على هذا المعنى كثيرة؛ كقوله تعالى: ﴿إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾ الآية. [النحل: ١٢٦]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِمْ قُلُوبَهُمْ هُمْ فِي

الَّذِينَ خَرَّوْا لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ الآية. [المائدة: ٢٤]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾، وقوله تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (١١) وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ إلى غير ذلك من الآيات. ولو كان معنى الآية وما شابهها: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى﴾، أي: الذين فارقت أرواحهم أبدانهم لما كان في ذلك تسلية له ﷺ، كما ترى.



قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَخْشُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ أَكْذَبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِطُوا بِهَا عَلِمْنَا أَنَّمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا آلِيلَ لِسَانِكُمْ فِيهِ وَلَنَهَارٍ مُّبِينٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَضَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِ لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ فَاعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ

﴿ النمل: 82-93 ﴾.

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ - لَا يُوقِنُونَ - نَحْشُرُ - فَوْجًا - يُوزَعُونَ - لَيْسَ كُنُوفِيهِ - الصُّورِ -
دَاخِرِينَ - جَامِدَةً - تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ - أَنْقَنَ - بِالْحَسَنَةِ - فَرَجَ - بِالسَّيِّئَةِ - فَكُتِبَتْ لَهُمْ -
الْبَلَدَةِ - حَرَمَهَا - أَتَلَوْا - الْمُنْذِرِينَ ﴿.

ج:

الكلمة	معناها
﴿وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾	وجب عليهم العذاب - انتهى أمرهم فلم يعد يقبل من الناس إيمان
﴿لَا يُوقِنُونَ﴾	لا يصدقون بالبعث
﴿نَحْشُرُ﴾	نجمع
﴿فَوْجًا﴾	جماعة
﴿يُوزَعُونَ﴾	يرد أولهم على آخرهم ويساق آخرهم حتى يلحق بأولهم
﴿لَيْسَ كُنُوفِيهِ﴾	ليناموا فيه - ليستريحوا فيه
﴿الصُّورِ﴾	قرنٌ ينفخ فيه
﴿دَاخِرِينَ﴾	أذلاء
﴿جَامِدَةً﴾	قائمة
﴿تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾	تسير كما يسير السحاب
﴿أَنْقَنَ﴾	أحكم
﴿بِالْحَسَنَةِ﴾	بـ لا إله إلا الله

﴿فَزَعِ﴾	خوفٍ
﴿بِالسَّيِّئَةِ﴾	بالشرك
﴿فَكَبَّتْ وَجُوهُهُمْ﴾	طُرحت وجوههم – طُرخوا على وجوههم
﴿الْبَلَدَةِ﴾	المراد بها مكة
﴿حَرَمَهَا﴾	جعلها حرامًا لا يعضد شوكرها ولا ينفّر صيدها ولا تلتقط لقطتها ولا يُختلى خلاها.. إلى آخر ما يخص مكة لكونها حرم
﴿أَتْلَوْا﴾	اقرأ – اتبع
﴿الْمُنْذِرِينَ﴾	المبلغين عن الله المُحذرين من عقابه وناره



دابة الأرض وشيء من الوارد في شأنها

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾.

ج: أما قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾.

فللعلماء فيه أقوال:

أحدها: إذا وجب عليهم العذاب.

الثاني: إذا انتهى أمر إيمان الناس ولن يؤمن إلا مَنْ قد آمن، أي: حق القول عليهم بأنهم لا يؤمنون.

الثالث: إذا وجب عليهم الغضب.

* أما متى تخرج دابة الأرض هذه، فقد قال عدد من العلماء: إن خروجها من أشراط الساعة الكبرى، أي: أن خروجها قبيل قيام الساعة.

وقد قيل إن ذلك حين ينتهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أما من أي مكان تخرج: فلم أقف في ذلك على خبر ثابت عن رسول الله ﷺ، وإن كان كثير من المفسرين ذكروا أنها تخرج من مكة، وقال بعضهم: من جبل الصفا بمكة على وجه الخصوص.

أما عن صفة هذه الدابة: فلم أقف فيها على خبر ثابت عن رسول الله ﷺ.

أما قوله تعالى: ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ أي: تنطق وتكلمهم كلامًا، وقد قيل أن تقول للمؤمن: يا مؤمن، وللكافر: يا كافر.

أما قوله تعالى: ﴿تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾.

فللعلماء فيه أقوال:

أحدها: تكلمهم تخبرهم بأن أهل الكفر كانوا لا يوقنون بالقرآن ولا برسالة رسول الله محمد - عليه الصلاة والسلام.

الثاني: تكلمهم ببطلان الأديان سوى دين الإسلام.

وقيل: تكلمهم بما يسوؤهم.

وقيل: تكلمهم. تقول لهم: إن الناس كانوا بخروجي لا يوقنون.

وقيل: تكلمهم. تجر جرهم وتسمهم على وجوههم. والله أعلم

قال السعدي \$:

أي: إذا وقع على الناس القول الذي حتمه الله وفرض وقته.
﴿أَخْرَجَاهُمْ دَابَّةً﴾ خارجة ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ أو دابة من دواب الأرض ليست من السماء.

وهذه الدابة ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ أي: تكلم العباد أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون، أي: لأجل أن الناس ضعف علمهم ويقينهم بآيات الله، فإظهار الله هذه الدابة من آيات الله العجيبة ليبين للناس ما كانوا فيه يمترون.

وهذه الدابة هي الدابة المشهورة التي تخرج في آخر الزمان وتكون من أشراط الساعة كما تكاثرت بذلك الأحاديث لم يذكر الله ورسوله كيفية هذه الدابة، وإنما ذكر أثرها، والمقصود منها، وأنها من آيات الله تكلم الناس كلامًا خارجًا للعادة حين يقع القول على الناس، وحين يمترون بآيات الله فتكون حجة وبرهانًا للمؤمنين وحجة على المعاندين.



باب في ذكر الدابة من الآيات والأحاديث

س: اذكر بعض الوارد في ذكر الدابة وخروجها.

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾.

ومن ذلك أيضاً ما يلي: ما أخرجه مسلم من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ (1): حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثًا لَمْ أَنْسَهُ بَعْدُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحَى، وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا فَلْأُخْرَى عَلَى إِثْرَهَا قَرِيبًا».

وعند مسلم أيضاً من حديث حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ رَأًهُ قَالَ: اطَّلَعَ عَلَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ نَتَذَكَّرُ السَّاعَةَ. فَقَالَ: «مَا تَذَكَّرُونَ؟» قَالُوا: نَذَكَّرُ السَّاعَةَ. قَالَ: «إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ» فَذَكَرَ الدُّخَانَ، وَالذَّجَالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَ...

وعند مسلم أيضاً من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَأًهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا...، أَوِ الدَّابَّةَ..» (2).

هذا وقد ورد في هذا الباب جملة أحاديث ضعيفة، منها:

ما أخرجه الطيالسي في «مسنده» رقم (1069) عن طَلْحَةَ بْنِ

(1) أخرجه مسلم (2941)، وأبو داود (4310) وغيرهما.

(2) قال الحافظ ابن كثير \$ (374/3): (هذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم أوامر الله وتبديلهم الدين الحق، يُخرج الله لهم دابة من الأرض. قيل: من مكة، وقيل من غيرها).

عَمْرُو، وَجَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ، قَالَ طَلْحَةُ: أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، أَنَّ أَبَا الطُّفَيْلِ حَدَّثَهُ، عَنْ حُدَيْفَةَ بْنِ أَسِيدِ الْغِفَارِيِّ أَبِي سَرِيحَةَ، وَأَمَّا جَرِيرٌ، فَقَالَ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ آلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَحَدِيثُ طَلْحَةَ أَتَمُّهَا وَأَحْسَنُهَا، قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الدَّابَّةَ، فَقَالَ: «لَهَا ثَلَاثُ خُرَجَاتٍ مِنَ الدَّهْرِ: فَتَخْرُجُ فِي أَقْصَى الْبَادِيَةِ وَلَا يَدْخُلُ ذِكْرُهَا الْقَرْيَةَ - يَعْنِي مَكَّةَ - ثُمَّ تَكْمُنُ زَمَانًا طَوِيلًا، ثُمَّ تَخْرُجُ خُرْجَةً أُخْرَى دُونَ ذَلِكَ، فَيَعْلُو ذِكْرُهَا أَهْلُ الْبَادِيَةِ وَيَدْخُلُ ذِكْرُهَا الْقَرْيَةَ - يَعْنِي: مَكَّةَ»، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثُمَّ بَيْنَمَا النَّاسُ فِي أَعْظَمِ الْمَسَاجِدِ عَلَى اللَّهِ حُرْمَةً، خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ، لَمْ يَرْعُهُمْ إِلَّا وَهِيَ تَرْغُو بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ، تَنْفُضُ عَنْ رَأْسِهَا التُّرَابَ، فَارْفَضَ النَّاسُ مَعَهَا شَتَّى وَمَعًا، وَثَبَّتْ عَصَابَةً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَرَفُوا أَنَّهُمْ لَنْ يُعْجِزُوا اللَّهَ، فَبَدَأَتْ بِهِمْ، فَجَلَّتْ وَجُوهُهُمْ حَتَّى تَجْعَلَهَا كَأَنَّهَا الْكَوْكَبُ الدَّرِّي، وَوَلَّتْ فِي الْأَرْضِ لَا يَذُرْكُهَا طَالِبٌ، وَلَا يَنْجُو مِنْهَا هَارِبٌ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَعَوَّذُ مِنْهَا بِالصَّلَاةِ، فَتَأْتِيهِ مِنْ خَلْفِهِ، فَتَقُولُ: يَا فُلَانُ يَا فُلَانُ الْآنَ تُصَلِّي، فَيُقْبَلُ عَلَيْهَا، فَتَسِمُهُ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ يَنْطَلِقُ، وَيَشْتَرِكُ النَّاسُ فِي الْأَمْوَالِ، وَيَصْطَبِحُونَ فِي الْأَمْصَارِ، يُعْرِفُ الْمُؤْمِنُ مِنَ الْكَافِرِ، حَتَّى إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَقُولُ: يَا كَافِرُ، أَفْضَنِي حَقِّي، وَحَتَّى إِنَّ الْكَافِرَ يَقُولُ: يَا مُؤْمِنُ! أَفْضَنِي حَقِّي».

قلت: وهذا إسناده ضعيف جداً، فيه ثلاث علل:

العلة الأولى: طلحة بن عمرو، وهو: ابن عثمان الحضرمي المكي، وقد أطبق أهل العلم على تضعيفه.

العلة الثانية: كون جرير (وهو أثبت بلا شك من طلحة) روى الحديث عن عبد الله بن عبيد عن رجل من آل عبد الله بن مسعود وهذا الرجل مبهم.

العلة الثالثة: كون الحديث روي موقوفًا ببعضه عند ابن جرير الطبري في «التفسير» (11/10).

حديث آخر ضعيف:

قال ابن جرير الطبري (11/20): حدثنا عصام بن رواد بن الجراح، قال: ثنا أبي، قال: ثنا سفيان بن سعيد الثوري، قال: ثنا منصور بن المعتمر، عن ربعي بن حراش، قال: سمعت حذيفة بن اليمان يقول: قال رسول الله ﷺ يقول: وذكر الدابة، فقال حذيفة: قلت: يا رسول الله! من أين تخرج؟ قال: «مَنْ أَعْظَمَ الْمَسَاجِدِ حُرْمَةً عَلَى اللَّهِ، بَيْنَمَا عِيسَى يَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَمَعَهُ الْمُسْلِمُونَ؛ إِذْ تَضَطَّرِبُ الْأَرْضُ تَحْتَهُمْ، تُحَرِّكُ الْقِنْدِيلَ، وَيَنْشَقُّ الصَّفا مِمَّا يَلِي الْمَسْعَى، وَتَخْرُجُ الدَّابَّةُ مِنَ الصَّفا، أَوَّلُ مَا يَبْدُو رَأْسُهَا، مُلَمَعَةً ذَاتَ وَبَرٍ وَرَيْشٍ، لَمْ يُدْرِكْهَا طَالِبٌ، وَلَنْ يَفُوتَهَا هَارِبٌ، تَسِمُ النَّاسَ مُؤْمِنٌ وَكَافِرٌ، أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَتَتْرَكَ وَجْهَهُ كَأَنَّهُ كَوْكَبٌ دَرِّيٌّ، وَتَكْتُمُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مُؤْمِنٌ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَتَنَكُّتُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ كَافِرٌ».

قلت: وآفة هذا الحديث «عصام بن رواد» ضعيف.

وأيضًا: أبوه رواد بن الجراح قد روى هذا الحديث عن سفيان الثوري، وفي روايته عن سفيان الثوري ضعف.

وقد روى بنحو هذا الإسناد، استعجبه أهل العلم واستنكروه، ولأنه في باب الفتن، فنورده مع التنبيه على أنه ضعيف لا يثبت عن رسول الله

قال ابن جرير الطبري \$ («التفسير» 72/22-73) آخر تفسير سورة سبأ: حدثنا عصام بن رواد بن الجراح قال: ثنا أبي قال: ثنا سفيان بن سعيد قال: ثني منصور بن المعتمر عن رباعي بن جراح قال: سمعت حذيفة بن اليمان يقول: قال رسول الله ﷺ، «وذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب، قال: فبينما هم كذلك؛ إذ خرج عليهم السفيناني من الوادي اليابس في فورة ذلك، حتى ينزل دمشق، فيبعث جيشين؛ جيشاً إلى المشرق، وجيشاً إلى المدينة، حتى ينزلوا بأرض بابل في المدينة الملعونة والبقة الخبيثة، فيقتلون أكثر من ثلاثة آلاف، ويبقرون بها أكثر من مائة امرأة، ويقتلون بها ثلاثمائة كبش من بني العباس، ثم ينحدرون إلى الكوفة فيخربون ما حولها، ثم يخرجون متوجهين إلى الشام، فتخرج راية هذا من الكوفة، فتلحق ذلك الجيش منها على الفئتين، فيقتلونهم لا يفلت منهم مخبر، ويستنقذون ما في أيديهم من السبي والغنائم، ويخلي جيشه التالي بالمدينة، فينتهبونها ثلاثة أيام ولياليها، ثم يخرجون متوجهين إلى مكة، حتى إذا كانوا بالبيداء، بعث الله جبريل، فيقول: يا جبرائيل! اذهب فأبدهم، فيضربها برجله ضربة يخسف الله بهم، فذلك قوله في سورة سبأ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ...﴾ [سبأ: ١٥] الآية، ولا ينفلت منهم إلا رجلان؛ أحدهما بشير والآخر نذير، وهما من جهينة، فلذلك جاء القول: وَعِنْدَ جُهَيْنَةَ الْخَبَرُ الْيَقِينُ».

حدثنا محمد بن خلف العسقلاني قال: سألت رواد بن الجراح، عن هذا الحديث الذي حدث به عنه، عن سفيان الثوري، عن منصور، عن

ربعى عن حذيفة، عن النبي ﷺ، عن قصة ذكرها في الفتن، قال: قلت له: أخبرني عن هذا الحديث سمعته من سفيان الثوري؟ قال: لا قلت: فقرأته عليه؟ قال: لا قلت: فقرئ عليه وأنت حاضر؟ قال: لا قلت: فما قصته فما خبره؟ قال: جاءني قوم فقالوا: معنا حديث عجيب، أو كلام هذا معناه، نقرؤه وتسمعه، قلت لهم: هاتوه، فقرؤوه عليّ، ثم ذهبوا فحدثوا به عني، أو كلام هذا معناه.

قلت (القائل مصطفى): فهذا مما يؤيد ضعف رواية رواد عن سفيان. والله أعلم.

وأخرج ابن جرير الطبري أيضاً من حديث أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «تَخْرُجُ الدَّابَّةُ وَمَعَهَا خَاتَمٌ سُلَيْمَانُ وَعَصَا مُوسَى، فَتَجْلُو وَجْهَ الْمُؤْمِنِ بِالْعَصَا، وَتَخْتِمُ أَنْفَ الْكَافِرِ بِالْخَاتَمِ، حَتَّى إِنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ لَيَجْتَمِعُونَ فَيَقُولُ هَذَا: يَا مُؤْمِنُ، وَيَقُولُ هَذَا: يَا كَافِرُ».

قلت: وإسناده ضعيف، أيضاً ففيه: علي بن زيد، وهو: ابن جدعان، وهو ضعيف.

وأخرج ابن ماجه (4067) من حديث بُرَيْدَةَ   قَالَ: ذَهَبَ بِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى مَوْضِعٍ بِالْبَادِيَةِ قَرِيبٍ مِنْ مَكَّةَ، فَإِذَا أَرْضٌ يَابِسَةٌ حَوْلَهَا رَمْلٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَخْرُجُ الدَّابَّةُ مِنْ هَذَا الْمَوْضِعِ فَإِذَا فَتَرَ فِي شَيْءٍ».

قلت: وإسناده ضعيف جداً، ففي إسناده خالد بن عبيد أبو تميلة وهو ضعيف جداً.

وأخرج أحمد (268/5) من طريق حُجَيْنُ بْنُ الْمُثَنَّى، ثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ يَعْنِي: ابْنَ أَبِي سَلَمَةَ الْمَاجِشُونِ، عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَطِيَّةَ بْنِ

دَلَاْفِ الْمُرْنِيِّ- لَا أَعْلَمُهُ إِلَّا حَدَّثَهُ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ يَرْفَعُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «تَخْرُجُ الدَّابَّةُ، فَتَسِمُ النَّاسَ عَلَى خَرَاطِيمِهِمْ، ثُمَّ يَغْمُرُونَ فِيكُمْ، حَتَّى يَشْتَرِيَ الرَّجُلُ الْبَعِيرَ فَيَقُولُ: مِمَّنِ اشْتَرَيْتُهُ؟ فَيَقُولُ: اشْتَرَيْتُهُ مِنْ أَحَدِ الْمُخْطَمِينَ».

قلت: وفي إسناده عمر بن عبد الرحمن بن عطية بن دلاف، لم يوثقه معتبر، أما قول من قال: «إن مالكا روى عنه، ورواية مالك عنه توثيق له» فهذا القول مما لا يلاقي عندنا قبولا سريعا، فنحن الآن على جهالة الرجل. والحديث ضعيف.

هذا وقد أورد ابن جرير الطبري \$ وكذلك الحافظ ابن كثير جملة آثار في هذا الباب توضّح من أين تخرج الدابة وصفتها وما معها وما تعمل إلى غير ذلك، وفي أغلب الاسانيد التي ذكروها نظر، ولم نقف على شيء مرفوع يُعول عليه في هذا الباب. والله أعلم.



س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿وَيَوْمَ نَخْشُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ أَكْذَبْتُمْ بِآيَاتِنَا وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّا أَنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا آلِيلَ لِسَانِكُمْ فِيهِ وَآلْتَهَارَ مُبْصِرًا إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: واذكر يا رسول الله، واذكر يا عبد الله يوم القيامة، يوم يجمع الله من كل أمة، من كل قرن، جماعة من المكذبين بحججنا وأدلتنا فهم يدفعون إلى النار، وقيل: يرد أولهم إلى آخرهم وآخرهم إلى أولهم حتى لا يتقدم أحدٌ عن أحدٍ حتى إذا أوقفوا بين يدي الله

كما قال تعالى: ﴿وَقَفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ [الصفات: ٤٤].

سألهم ربهم ٥ أكذبتكم في الدنيا بحجبي وأدلتني ورسلي وما جاءوكم به من البينات، ولم تعرفوا آياتي وحجبي حق المعرفة، أم ماذا كنتم تعملون في آياتي وحجبي، وما كان موقفكم منها.

وأيضاً أكذبتكم بحجبي وأدلتني ورسلي ولم تحيطوا علماً ببطلانها، أي أكذبتكم بآياتي بدون علمٍ وكذبتكم بها بجهل أم ماذا كان موقفكم منها؟؟

أما قوله تعالى: ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾ فمعناه: ووجب عليهم العذاب بسبب ظلمهم، إذا ليس لهم عذرٌ يعتذرون به ولا جواب يجيبون به.

ثم يقول تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا آلِيلَ لِسِ كُنُوفِهِ وَالنَّهَارَ مَبْصِرًا﴾ ألم ير هؤلاء المكذبون بآياتي وحجبي ألم يروا قدرتي وكوني جعلت الليل لهم سكناً هادئاً ينامون فيه فيستريحون ويهدأون، وجعلت لهم النهار مضيئاً مشرقاً يلتمسون فيه المعاش ويسافرون ويروحون ويجيئون طلباً للرزق، إن في ذلك الاختلاف اختلاف الليل والنهار بما فيه من مصالح لهم وراحة لأبدانهم وسبيلاً لقضاء حوائجهم، إن في ذلك لدلالات يستدل به أهل التصديق على وحدانية الله ٥ وقدرته وعظيم فضله.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: ويوم نجمع من كل قرن وملة فوجاً، يعني: جماعة منهم، وزمرة ﴿مَنْ يَكْذِبْ بِآيَاتِنَا﴾ يقول: ممن يكذب بأدلتنا وحججنا، فهو يحبس أولهم على آخرهم؛ ليجتمع جميعهم، ثم يساقون إلى النار.

وقال \$:

وقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ وَقَالَ أَكْذَبْتُمْ بَيَّاتِي﴾ يقول تعالى ذكره: حتى إذا جاء من كل أمة فوج ممن يكذب بآياتنا فاجتمعوا قال الله: ﴿أَكْذَبْتُمْ بَيَّاتِي﴾ أي: بحجبي وأدلتني ﴿وَلَمْ تُحِطُوا بِهَا عِلْمًا﴾ يقول: ولم تعرفوها حق معرفتها، ﴿أَمَّا ذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيها من تكذيب أو تصديق.

وقال الطبري أيضًا:

ويقول تعالى ذكره: ووجب السخط والغضب من الله على المكذبين بآياته ﴿بِمَا ظَلَمُوا﴾ يعني: بتكذيبهم بآيات الله، يوم يحشرون ﴿فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾. يقول: فهم لا ينطقون بحجة يدفعون بها عن أنفسهم عظيم ما حل بهم ووقع عليهم من القول. وقوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا آيَلًا يَسْكُنُوا فِيهِ﴾ يقول تعالى ذكره: ألم ير هؤلاء المكذبون بآياتنا تصریفنا الليل والنهار، ومخالفتنا بينهما بتصويرنا هذا سكنًا لهم يسكنون فيه ويهدءون، راحة أبدانهم من تعب التصريف والتقلب نهارًا، وهذا مضيئًا يبصرون فيه الأشياء ويعاينونها فيقلبون فيه لمعايشهم، فينفكروا في ذلك، ويتدبروا، ويعلموا أن مصرف ذلك كذلك هو الإله الذي لا يعجزه شيء، ولا يتعذر عليه إماتة الأحياء، وإحياء الأموات بعد الممات، كما لم يتعذر عليه الذهاب بالنهار والمجيء بالليل، والمجيء بالنهار والذهاب بالليل مع اختلاف أحوالهما ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: إن في تصويرنا الليل سكنًا، والنهار مبصرًا لدلالة لقوم يؤمنون بالله على قدرته على ما آمنوا به من البعث بعد الموت، وحجة لهم على توحيد الله.

وقال ابن كثير \$:

يقول تعالى مخبرًا عن يوم القيامة، وحشر الظالمين المكذبين بآيات الله ورسله إلى بين يدي الله ٥ ليسألهم عما فعلوه في الدار الدنيا، تقريرًا وتوبيخًا، وتصغيرًا وتحقيرًا فقال: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ أي: من كل قوم وقرن فوجًا، أي: جماعة، ﴿مِمَّنْ يَكْذِبُ بِآيَاتِنَا﴾، كما قال تعالى: ﴿أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ [التكوير: ٢٤].

وقوله: ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ قال ابن عباس ٢: يدفعون. وقال قتادة: وَرَعَةً ترد أولهم على آخرهم. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: يساقون. ﴿حَقَّ إِذَا جَاءُوا﴾ أي: أوقفوا بين يدي الله ٥ في مقام المساءلة، ﴿قَالَ أَكْذَبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّا أَنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: ويسألون عن اعتقادهم، وأعمالهم فلما لم يكونوا من أهل السعادة، وكانوا كما قال الله تعالى عنهم: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ۝٣١﴾ وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى ﴿[القيامة: ٥٠، ٥١]، فحينئذ قامت عليهم الحجة، ولم يكن لهم عذر يعتذرون به، كما قال تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ ۝٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ۝٣٦﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿[المرسلات: ٢٥-٢٦]، وهكذا قال هاهنا: ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾ أي: بهتوا فلم يكن لهم جواب؛ لأنهم كانوا في الدار الدنيا ظلمة لأنفسهم، وقد ردوا إلى عالم الغيب والشهادة الذي لا تخفى عليه خافية.

ثم قال تعالى منبهاً على قدرته التامة، وسلطانه العظيم، وشأنه الرفيع الذي تجب طاعته والانقياد لأوامره، وتصديق أنبيائه فيما جاءوا به من الحق الذي لا محيد عنه، فقال: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا آلِيلَ لِسِ كُفْرِهِ فِيهِ﴾ أي: فيه ظلام تسكن بسببه حركاتهم، وتهدا أنفاسهم، ويستريحون من نَصَب

التعب في نهارهم. ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ أي: منيرًا مشرقًا، فبسبب ذلك يتصرفون في المعاش والمكاسب، والأسفار والتجارات، وغير ذلك من شئونهم التي يحتاجون إليها، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ أي: زمرة وجماعة ﴿مِمَّنْ يَكْذِبُ بَيِّنَاتِنَا﴾ يعني: بالقرآن وبأعلامنا الدالة على الحق ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي: يدفعون ويساقون إلى موضع الحساب قال الشماخ:

وكم وزعنا من خميس جحفل وكم حبونا من رئيس مسحل

وقال قتادة: ﴿يُوزَعُونَ﴾ أي: يرد أولهم على آخرهم حتى إذا جاؤوا قال أي: قال الله: ﴿أَكْذَبْتُمْ بَيِّنَاتِي﴾ التي أنزلتها على رسلي وبالآيات التي أقمتها دلالة على توحيدي ﴿وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا﴾ أي ببطانها حتى تعرضوا عنها بل كذبتهم جاهلين غير مستدلين. ﴿أَمَّا أَكُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ تفريع وتوبيخ أي: ماذا كنتم تعملونه حين لم تبحثوا عنها ولم تتفكروا ما فيها ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا﴾ أي: وجب العذاب عليهم بظلمهم أي بشركهم. ﴿فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾ أي: ليس لهم عذر ولا حجة وقيل: يختم على أفواههم فلا ينطقون قاله أكثر المفسرين.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا آلَآءَ لَيْسَ كُنُوفِهِ﴾ أي: يستقرون فينامون ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ أي: يبصر فيه لسعي الرزق ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ بالله ذكر الدلالة على إلهيته وقدرته أي: يعلموا كمال قدرتنا فيؤمنوا.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوَّهٍ دَاخِرِينَ﴾ (٨٧).

ج: المعنى - والله أعلم -: واذكر يوم يُنفخ في الصور، والصور: قرنٌ ينفخ فيه، ينفخ فيه إسرافيل **ع**، فعند ذلك يفرع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله.

وقد قيل في الذين استثناهم الله إنهم الملائكة وقيل: الشهداء، وقيل: المؤمنون، وقيل غير ذلك فالله أعلم.

أما قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ أَتَوَّهٍ دَاخِرِينَ﴾ أي: اتوه يوم القيامة أذلة صاغرون.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال ابن كثير \$:

يخبر تعالى عن هول يوم نفخة الفزع في الصُّور، وهو كما جاء في الحديث: «**قرن ينفخ فيه**». وفي حديث (الصُّور) أن إسرافيل هو الذي ينفخ فيه بأمر الله تعالى، فينفخ فيه أولاً نفخة الفزع ويطولها، وذلك في آخر عمر الدنيا، حين تقوم الساعة على شرار الناس من الأحياء، فيفرع مَنْ في السموات وَمَنْ في الأرض ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾، وهم الشهداء، فإنهم أحياء عند ربهم يرزقون.

ثم أورد ابن كثير \$: حديث رسول الله ﷺ الذي أخرجه مسلم (1)

وفيه:

قَالَ: سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ وَأَحْلَامِ السِّبَاعِ. لَا يَعْرِفُونَ مَعْرِوفاً وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَراً. فَيَتَمَثَّلُ لَهُمْ

الشَّيْطَانُ فَيَقُولُ: أَلَا تَسْتَجِيبُونَ؟ فَيَقُولُونَ: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ. وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارٌ رِزْقُهُمْ، حَسَنَ عَيْشِهِمْ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ. فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لَيْتًا. وَرَفَعَ لَيْتًا. قَالَ: وَأَوَّلَ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يُلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ قَالَ: فَيُصْعَقُ وَيُصْعَقُ النَّاسُ ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ - أَوْ قَالَ يُنْزِلُ اللَّهُ - مَطَرًا كَأَنَّهُ الظَّلَّ أَوْ الظِّلَّ (نُعْمَانُ الشَّائِكُ) فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ. ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ. ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ! هَلُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ. ﴿وَقَفُّهُمْ إِلَيْهِمْ مَسْئُولُونَ﴾ [الصفات: ٤٤]، ثُمَّ يُقَالُ: أَخْرِجُوا بَعَثَ النَّارِ. فَيُقَالُ: مِنْ كَمْ؟ فَيُقَالُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ، تِسْعِمِائَةٍ وَتِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ. قَالَ: فَذَلِكَ يَوْمٌ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا وَذَلِكَ يَوْمٌ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ».

وقال الحافظ ابن كثير \$:

فقوله: «ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ. فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لَيْتًا. وَرَفَعَ لَيْتًا» الليت: هو صفحة العنق، أي: أمال عنقه ليستمعه من السماء جيدًا. فهذه نفخة الفزع. ثم بعد ذلك نفخة الصعق، وهو الموت. ثم بعد ذلك نفخة القيام لرب العالمين، وهو النشور من القبور لجميع الخلائق؛ ولهذا قال: ﴿وَكُلُّ أُنُوفٍ ذَخِيرٍ﴾ - قرئ بالمد، وبغيره على الفعل، وكلٌ بمعنى واحد - و﴿ذَخِيرٍ﴾ أي: صاغرين مطيعين، لا يتخلف أحد عن أمره، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٥]، وقال: ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [الروم: ٢٥]. وفي حديث الصور: أنه في النفخة الثالثة يأمر الله الأرواح، فتوضع في ثقب في الصور، ثم ينفخ إسرافيل فيه بعدما تنبت الأجساد في قبورها وأماكنها، فإذا نفخ في الصور طارت الأرواح، تتوهج أرواح المؤمنين نورًا، وأرواح الكافرين ظلمة، فيقول

الله ٥: وعزتي وجلالي لترجعن كل روح إلى جسدها. فتجيء الأرواح إلى أجسادها، فتدب فيها كما يدب السم في اللدغ، ثم يقومون فينفضون التراب من قبورهم، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَانَهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾

[المعارج: ٢٤].

وأورد الطبري بسند ضعيف من حديث أبي هريرة: أنه قال لرسول الله ﷺ: يا رسول الله! ما الصور؟ قال: «قَرْنٌ»، قال: وكيف هو؟ قال: «قَرْنٌ عَظِيمٌ يُنْفَخُ فِيهِ ثَلَاثُ نَفَخَاتٍ: الْأُولَى: نَفْخَةُ الْفَرْعِ، وَالثَّانِيَّةُ: نَفْخَةُ الصَّعْقِ، وَالثَّالِثَةُ: نَفْخَةُ الْقِيَامِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، يَأْمُرُ اللَّهُ إِسْرَافِيلَ بِالنَّفْخَةِ الْأُولَى، فَيَقُولُ: انْفُخْ نَفْخَةَ الْفَرْعِ، فَيَنْفُخُ نَفْخَةَ الْفَرْعِ، فَيَفْزَعُ أَهْلُ السَّمَوَاتِ وَأَهْلُ الْأَرْضِ، إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، وَيَأْمُرُهُ اللَّهُ فَيَمْدُ بِهَا وَيَطْوِلُهَا، فَلَا يَفْتَرُ، وَهِيَ الَّتِي يَقُولُ اللَّهُ: ﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ فَوْاقِ﴾ [ص: ٤١] فَيَسِيرُ اللَّهُ الْجِبَالَ، فَتَكُونُ سَرَابًا، وَتَرْجُ الْأَرْضُ بِأَهْلِهَا رَجًّا، وَهِيَ

التي يقول الله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۖ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ ۖ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ [النازعات: ٢٤-٢٦] فَتَكُونُ الْأَرْضُ كَالسَّفِينَةِ الْمُوثَقَةِ فِي الْبَحْرِ، تَضْرِبُهَا الْأَمْوَاجُ، تُكْفَأُ بِأَهْلِهَا، أَوْ كَالْقَنْدِيلِ الْمُعَلَّقِ بِالْوَتَرِ، تُرْجَحُهُ الْأَرْيَاحُ، فَتَمِيدُ النَّاسُ عَلَى ظَهْرِهَا، فَتَذْهَلُ الْمَرَاضِعُ، وَتَضَعُ الْحَوَامِلُ، وَتَشِيْبُ الْوُلْدَانُ، وَتَطِيرُ الشَّيَاطِينُ هَارِبَةً، حَتَّى تَأْتِيَ الْأَفْطَارُ، فَتَتَلَقَّاهَا الْمَلَائِكَةُ، فَتَضْرِبُ وُجُوهَهَا، فَتَرْجِعُ، وَيُولِي النَّاسُ مُدْبِرِينَ يُنَادِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ اللَّهُ: ﴿

يَوْمَ النَّادِ ۚ﴾ يَوْمَ تُولُونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ [غافر: ٣٢] فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذْ تَصَدَّعَتِ الْأَرْضُ مِنْ قَطَرٍ إِلَى قَطَرٍ، فَرَأَوْا أَمْرًا عَظِيمًا، فَأَخَذَهُمْ لَذَلِكَ مِنَ الْكَرْبِ مَا اللَّهُ أَعْلَمُ بِهِ، ثُمَّ نَظَرُوا إِلَى السَّمَاءِ،

فَإِذَا هِيَ كَالْمُهْلِ، ثُمَّ خُسِفَ شَمْسُهَا وَقَمَرُهَا، وَانْتَثَرَتْ نُجُومُهَا، ثُمَّ كُشِطَتْ عَنْهُمْ». قال رسول الله ﷺ: «وَالْأَمْوَاتُ لَا يَعْلَمُونَ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَمَنْ اسْتَنْثَى اللَّهُ حِينَ يَقُولُ: ﴿فَنُفِخَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ﴾ [النمل: ٨٧]؟ قال: «أُولَئِكَ الشُّهَدَاءُ، وَإِنَّمَا يَصِلُ الْفَرْعُ إِلَى الْأَحْيَاءِ، أُولَئِكَ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، وَقَاهُمْ اللَّهُ فَرْعَ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَآمَنَهُمْ، وَهُوَ عَذَابُ اللَّهِ يَبْعَثُهُ عَلَى شِرَارِ خَلْقِهِ».

وأورد بسند حسن: عن قتادة، قوله: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ أي: في الخلق. قوله: ﴿فَنُفِخَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾ يقول: ففرع من في السموات من الملائكة ومن في الأرض من الجن والإنس والشیاطين، من هول ما يعاينون ذلك اليوم.

وقال الطبري \$:

وقوله: ﴿إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ﴾ قيل: إن الذين استثناهم الله في هذا الموضع من أن ينالهم الفرع يومئذ الشهداء، وذلك أنهم أحياء عند ربهم يُرْزَقُونَ، وإن كانوا في عداد الموتى عند أهل الدنيا، وبذلك جاء الأثر عن رسول الله ﷺ، وقد ذكرناه في الخبر الماضي.

وقوله: ﴿وَكُلُّ أُنثَى دَخِيرَةٍ﴾ يقول: وكل أتوه صاغرين.

وأورد بسند صحيح عن ابن زيد: في قوله: ﴿وَكُلُّ أُنثَى دَخِيرَةٍ﴾ قال: الداخر: الصاغر الراغم، قال: لأن المرء الذي يفزع إذا فزع إنما همته الهرب من الأمر الذي فزع منه، قال: فلما نُفِخَ في الصور فزعوا، فلم يكن لهم من الله منجى.

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ أي: واذكر يوم أو ذكرهم يوم في ينفخ في الصور ومذهب الفراء أن المعنى: وذلكم يوم ينفخ في الصور وأجاز فيه الحذف والصحيح في الصور أنه قرن من نور ينفخ فيه إسرافيل. وقال مجاهد: كهيئة البوق وقيل: هو البوق بلغة أهل اليمن وقد مضى في (الأنعام) بيانه وما للعلماء في ذلك ﴿فَرَزَعَ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ قال أبو هريرة قال النبي ﷺ: «إن الله لما فرغ من خلف السموات خلق الصور فأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر بالنفخة» قلت: يا رسول الله ما الصور؟ قال: «قرن والله عظيم والذي بعثني بالحق إن عظم دارة فيه كعرض السماء والأرض فينفخ فيه ثلاث نفحات: النفخة الأولى نفخة الفزع، والثانية نفخة الصعق، والثالثة نفخة البعث والقيام لرب العالمين» وذكر الحديث ذكره علي بن معبد والطبري والثعلبي وغيرهم وصححه ابن العربي وقد ذكرته في كتاب التذكرة وتكلمنا عليه هنالك وأن الصحيح في النفخ في الصور أنهما نفختان لا ثلاث وأن نفخة الفزع إنما تكون رابعة إلى نفخة الصعق لأن الأرين لازمان لهما أي: فزعا فزعا ماتوا منه أو إلى نفخة البعث وهو اختيار القشيري وغيره فإنه قال في كلامه على هذه الآية: والمراد النفخة الثانية أي: يحيون فزعين يقولون: ﴿مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدًا﴾ [يس: ٥١] ويعاينون من الأمر ما يهولهم ويفزعهم وهذا النفخ كصوت البوق لتجتمع الخلق في أرض الجزاء قاله قتادة وقال الماوردي: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ هو يوم النشور من القبور قال وفي هذا الفزع قولان: أحدهما: أنه الإسراع والإجابة إلى النداء من قولهم: فزعت

إليك في كذا إذا أسرعت إلى ندائك في معونتك والقول الثاني: إن الفزع هنا هو الفزع المعهود من الخوف والحزن؛ لأنهم أزعجوا من قبورهم ففزعوا وخافوا وهذا أشبه القولين.

قلت: والسنة الثابتة من حديث أبي هريرة وحديث عبد الله بن عمرو يدل على أنهما نفختان لا ثلاث. خرجهما مسلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا شَيْءٌ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ (٨٨).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - : وتري يا رسول الله - يوم القيامة يوم ينفخ في الصور - ترى الجبال تحسبها قائمة، ولكنها تسير وتتحرك بسرعة كما يتحرك السحاب، كما قال تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبا: ٦٤]، وكما قال: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦٤]، فهذا صنع الله ٥، صنع الله الذي أحكم صناعة كل شيء، إنه خبير بكل ما تفعلونه أيها الناس.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ﴾ يا محمد ﴿تَحْسَبُهَا﴾ قائمة ﴿وَهِيَ تَمُرُّ﴾.

وإنما قيل: ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ لأنها تجمع ثم تسير، فيحسب رائيها لكثرتها أنها واقفة، وهي تسير سيرًا حثيثًا، كما قال الجعدي:

**بَارِعًا مِثْلَ الطَّوْدِ تَحْسِبُ أَنَّهُمْ
وُقُوفٌ لِحَاجٍ وَالزَّكَابُ تَهْمَلُجُ**

قوله: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا شَيْءٌ﴾ وأوثق خلقه.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ يقول تعالى

ذكره: إن الله ذو علم وخبرة بما يفعل عباده من خير وشر وطاعة له

وقال ابن كثير \$:

وقال القرطبي \$:

بأرعن مثل الطود تحسب أنهم وقوف لحاج والركاب تهملج

قال القشيري: وهذا يوم القيامة أي: هي لكثرتها كأنها جامدة أي: واقفة في مرأى العين وإن كانت في أنفسها تسير سير السحاب والسحاب المتراكم يظن أنها واقفة وهي تسير أي: تمر مر السحاب حتى لا يبقى

منها شيء، فقال الله تعالى: ﴿وَسَيَرَى الْجِبَالُ كَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبا: ٢٤] ويقال: إن الله تعالى وصف الجبال بصفات مختلفة ترجع كلها إلى تفريغ الأرض منها وإبراز ما كانت تواريه فأول الصفات الاندكاك وذلك قبل الزلزلة ثم تصير كالعهن المنفوش وذلك إذا صارت السماء كالمهل وقد جمع الله بينهما فقال: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَلِّ ۖ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ [المعارج: ٢٤ - ٢٥] والحالة الثالثة أن تصير كالهباء وذلك أن تتقطع بعد أن كانت كالعهن والحالة الرابعة أن تنسف لأنها مع الأحوال المتقدمة قارة في مواضعها والأرض تحتها غير بارزة فتتنسف عنها لتبرز فإذا نسفت فبارسال الرياح عليها والحالة الخامسة أن الرياح ترفعها على وجه الأرض فتظهرها شعاعاً في الهواء كأنها غبار فمن ننظر إليها من بعد حسبها لتكاثرها أجساداً جامدة وهي بالحقيقة مارة إلا أن مرورها من وراء الرياح كأنها مندكة متفتنة والحالة السادسة أن تكون سراباً فمن نظر إلى مواضعها لم يجد فيها شيئاً منها كالسراب.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ

﴿٨٩﴾ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم- من جاء ربه يوم القيامة بالتوحيد بـ(لا إله إلا الله) التي كان يقولها في الدنيا خالصاً من قلبه فله أجر ذلك مضاعف أضعافاً كثيرة، وهم من فزع يوم القيامة آمنون، آمنون من الفزع، آمنون من الخوف، لا يفزع إذا فزع الناس، ومن جاء ربّه يوم القيامة بـ(الشرك) أي: أنه كان في الدنيا مشركاً ومات على ذلك، فيُلقي

على وجهه يوم القيامة في نار جهنم والعياذ بالله، وما ظلمناه بإلقائه في النار على وجهه، وإنما جازيناه بعمله السيئ الذي كان يعمل في الدنيا، جازيناه بعبادته غير الله، جازيناه بشركه الذي أشرك.

وهذه أقوال بعض العلماء.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: ﴿مَنْ جَاءَ﴾ الله بتوحيده والإيمان به، وقول لا إله إلا الله موقناً به قلبه ﴿فَلَهُ﴾ من هذه الحسنة عند الله ﴿خَيْرٌ﴾ يوم القيامة، وذلك الخير أن يثيبه الله ﴿مِنْهَا﴾ الجنة، ويؤمنه ﴿مِنْ فَزَعٍ﴾ الصيحة الكبرى وهي النفخ في الصور. ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ يقول: ومن جاء بالشرك به يوم يلقاه، وجحود وحدانيته ﴿فَكَبَّتْ وَجُوهُهُمْ﴾ في نار جهنم.

وأورد الطبري عدة آثار مفادها أن السيئة: الشرك، وأن الحسنة: قول

لا إله إلا الله.

وقال \$:

وقوله: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره. يقال لهم: هل تجزون أيها المشركون إلا ما كنتم تعملون؛ إذ كذبكم الله لوجوهكم في النار، وإلا جزاء ما كنتم تعملون في الدنيا بما يسخط ربكم؛ وترك «يقال لهم» اكتفاء بدلالة الكلام عليه.

وقال ابن كثير \$:

ثم بين تعالى حال السعداء والأشقياء يومئذ فقال: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ - قال قتادة: بالإخلاص. وقال زين العابدين: هي لا إله إلا الله - وقد بين في المكان الآخر أن له عشر أمثالها ﴿وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمِذٍ آمِنُونَ﴾، كما قال

في الآية الأخرى: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَجُ الْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ٤٦]، وقال: ﴿أَفَمَنْ يَلْقَى فِي النَّارِ خَيْرًا مِّنْ يَأْتِيهِ آمَنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [فصلت: ٤١]، وقال: ﴿وَهُمْ فِي الْعُرْفَتِ آمِنُونَ﴾ [سبا: ٤٧].

وقوله: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ أي: مَنْ لقي الله مسيئًا لا حسنة له، أو: قد رجحت سيئاته على حسناته، كلُّ بحسبه؛ ولهذا قال: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

أما القرطبي \$: فقد نقل الإجماع على أن الحسنه لا إله إلا الله، وأن السيئة الشرك في هذه الآية.



س: **وضح معنى قوله تعالى:** ﴿إِنَّمَا أَمَرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّتِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (١١).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - : قل يا رسول الله لأهل الشرك: إنما أمرني ربي ٥ أن أعبد وحده لا شريك له فهو ربُّ هذه البلدة مكة البلد الحرام الذي جعلها محرمةً، جعلها حرامًا آمنًا فكان ذلك سببًا في أمانكم وهيبتكم عند الناس، فالتاس من حولكم يُتخطفون، يقتل بعضهم بعضًا ويسبي بعضهم بعضًا، ويسرق بعضهم بعضًا. أما أنتم فقد جعلكم الله ببلدة حرام حرما هو سبحانه وقذف في الناس هيبتها فلا يعتدي عليكم معتدٍ ولا يبغي عليكم كما قال تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ (٢) الَّتِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿ [فريش: ٢٥].

فإني من ثمَّ أعبد وحده لا شريك له فهو ربي وربكم وربُّ هذه البلدة وربُّ البلاد كلها وله كل شيء مُلْكًا وخلقًا وأمرًا ونهيًا يفعل ما يشاء

ويخلق ما يشاء.

الأشياء كلها ملك له سبحانه وتعالى، وكذا فإنه يأمر فيها بما يشاء ويقضي فيها بما يريد، وقد أمرني ربي أن أكون من المستسلمين الخاضعين المنقادين له ٥، وكذا من المتدينين له بدين الإسلام.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: يَا مُحَمَّدُ قُلْ: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ﴾ وهي مكة ﴿الَّذِي حَرَّمَهَا﴾ على خلقه أن يسفكوا فيها دمًا حرامًا، أو يظلموا فيها أحدًا، أو يصاد صيدها، أو يختلئ خلاها دون الأوثان التي تعبدونها أيها المشركون.

وقوله: ﴿وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾ يقول: ولرب هذه البلدة الأشياء كلها ملكًا. فإياه أمرت أن أعبد، لا من لا يملك شيئًا. وإنما قال جل ثناؤه: ﴿رَبِّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا﴾ فخصها بالذكر دون سائر البلدان، وهو رب البلاد كلها؛ لأنه أراد تعريف المشركين من قوم رسول الله ﷺ، الذين هم أهل مكة، بذلك نعمته عليهم، وإحسانه إليهم، وأن الذي ينبغي لهم أن يعبدوه هو الذي حرّم بلادهم، فمنع الناس منهم، وهم في سائر البلاد يأكل بعضهم بعضًا، ويقتل بعضهم بعضًا، لا من لم تجر له عليهم نعمة، ولا يقدر لهم على نفع ولا ضرر. وقوله: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ يقول: وأمرني ربي أن أسلم وجهي له حنيفًا، فأكون من المسلمين الذين دانوا بدين خليله إبراهيم وجدكم أيها المشركون، لا من خالف دين جده المحق، ودان دين إبليس عدو الله.

وقال ابن كثير \$:

يقول تعالى مخبراً رسوله وأمرًا له أن يقول: ﴿ إِنَّمَا أَمَرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّتِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ ﴾، كَمَا قَالَ: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّنَا ﴾ [يونس: ٢٥]. وإضافة الربوبية إلى البلدة على سبيل التشريف لها والاعتناء بها،

قال: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴾ (٢) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ.

[فريش: ٢٠٠]

وقوله: ﴿ الَّذِي حَرَّمَهَا ﴾ أي: الذي إنما صارت حراماً قدرًا وشرعاً، بتحريمه لها، كما ثبت في الصحيحين عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: «إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يُعَصَّدُ شوكه، ولا ينفر صيده، ولا يلتقط لُقْطَتُهُ إِلَّا لِمَنْ عَرَفَهَا، ولا يختلى خلاها» (1) الحديث بتمامه. وقد ثبت في الصحاح والحسان والمسانيد من طرق جماعة تفيد القطع، كما هو مبين في موضعه من كتاب الأحكام، والله الحمد.

وقوله: ﴿ وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ ﴾: من باب عطف العام على الخاص، أي: هو رب هذه البلدة، ورب كل شيء ومليكه، ﴿ وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ أي: الموحدين المخلصين المنقادين لأمره المطيعين له.

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَمَرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّتِي حَرَّمَهَا ﴾ يعني: مكة التي عظم الله حرمتها أي: جعلها حرماً آمناً لا يسفك فيها دم ولا يظلم فيها أحد ولا يصاد فيها صيد ولا يعصد فيها شجر.

(1) البخاري (1834)، ومسلم (1353).

وقال \$:

﴿وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾ ﴿خَلَقَا وَمَلَكًا﴾ ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿أَي: مَنْ الْمُنَاقِدِينَ لِأَمْرِهِ وَالْمُوحِدِينَ لَهُ.﴾

س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَأَنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٣﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - وأمرت أن أتلو عليكم القرآن فمن اتبع هذا القرآن واهتدى بهديه واستنار بآياته واستبصر بها فإن ثواب استقامته واتباعه للقرآن وآياته عائدٌ على نفسه، ومن ضلَّ وحاد عن طريق الهداية والاستقامة فإثمه على نفسه وإنما عليَّ البلاغ والإنذار فحسب. والله أعلم.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ﴾ ﴿وَأَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ﴾ ﴿فَأَنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ ﴿يَقُول: فَمَنْ تَبِعَنِي وَأَمَّنَ بِي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ، فَسَلَّكَ طَرِيقَ الرِّشَادِ﴾ ﴿فَأَنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ ﴿يَقُول: فَإِنَّمَا يَسْلُكُ سَبِيلَ الصَّوَابِ بِاتِّبَاعِهِ إِيَّايَ، وَإِيمَانِهِ بِي، وَبِمَا جِئْتُ بِهِ لِنَفْسِهِ؛ لِأَنَّهُ بِإِيمَانِهِ بِي، وَبِمَا جِئْتُ بِهِ يَأْمَنُ نَقْمَتَهُ فِي الدُّنْيَا وَعَذَابَهُ فِي الْآخِرَةِ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ ضَلَّ﴾ ﴿يَقُول: وَمَنْ جَارَ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ بِتَكْذِيبِهِ بِي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ ﴿فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ ﴿يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: فَقُلْ يَا مُحَمَّدُ لِمَنْ ضَلَّ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ، وَكَذَّبَكَ، وَلَمْ يَصَدِّقْ بِمَا جِئْتُ بِهِ مِنْ عِنْدِي: إِنَّمَا أَنَا مِمَّنْ يَنْذِرُ قَوْمَهُ عَذَابَ اللَّهِ وَسَخَطَهُ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِمْ إِيَّاهُ، وَقَدْ أَنْذَرْتُكَ ذَلِكَ مَعْشَرَ كِفَارٍ قَرِيشٍ، فَإِنْ قَبَلْتُمْ وَانْتَهَيْتُمْ عَمَّا يَكْرَهُهُ اللَّهُ مِنْكُمْ مِنَ الشِّرْكِ بِهِ، فَحُظُوْظُ أَنْفُسِكُمْ

تصيبون، وإن رددتم وكذبتم فعلى أنفسكم جنيتكم، وقد بلغتكم ما أمرت بإبلاغه إليكم، ونصحت لكم.

وقال ابن كثير \$:

وقوله: ﴿وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ﴾ أي: على الناس أبلغهم إياه، كقوله: ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ٣]، وكقوله: ﴿تَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [القصص: ٢٩] أي: أنا مبلغ ومنذر، ﴿فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ. وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ أي: لي سوية الرسل الذين أُنذروا قومهم، وقاموا بما عليهم من أداء الرسالة إليهم، وخلصوا من عهدتهم، وحساب أمهم على الله، كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤]، وقال: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [هود: ٦].



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (١٣).

ج: قول الحمد لله على عموم نعمه، وعلى نعمة الإسلام التي هدانا إليها وعلى القرآن الذي أنزله عليّ فاتبعته وتلوته، وسيريك ربّي آياته فيكم سينزل عليكم عذاباً فتعرفون صدقي فيما أخبرتكم به من الحقائق، ستعرفون حقيقة أقوالي، وسيريك آياته في الآفاق، تلك الآيات الدالة على قدرته ووحدانيته فتعلمون صدق ما دعوتكم إليه من توحيد الله ٥، وما ربك بغافل عن أعمالهم التي يعملونها وعن أقوالهم التي يقولونها.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَقُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء القائلين لك

من مشركي قومك: ﴿مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على نعمته علينا بتوفيقه إيانا للحق الذي أنتم عنه عمون، سيريكم ربكم آيات عذابه وسخطه، فتعرفون بها حقيقة نصحي كان لكم، ويتبين صدق ما دعوتكم إليه من الرشاد.

وقوله: ﴿وَمَارَبُّكَ يُغَفِّلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وما ربك يا محمد بغافل عما يعمل هؤلاء المشركون، ولكن لهم أجل هم بالغوه، فإذا بلغوه فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون. يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: فلا يحزنك تكذيبهم إياك، فإني من وراء إهلاكهم، وإني لهم بالمرصاد، فأيقن لنفسك بالنصر، ولعدوك بالذل والخزي.

وقال ابن كثير \$:

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا﴾، أي: الله الحمد الذي لا يُعَذِّبُ أَحَدًا إلا بعد قيام الحجة عليه، والإعذار إليه؛ ولهذا قال: ﴿سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا﴾ كما قال تعالى: ﴿سَيُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾.

[فصلت: ٢٤]

وقوله: ﴿وَمَارَبُّكَ يُغَفِّلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ أي: بل هو شهيد على كل شيء.

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي: على نعمه وعلى ما هدانا ﴿سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ أي: في أنفسكم وفي غيركم كما قال: ﴿سَيُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [فصلت: ٢٤] ﴿فَتَعْرِفُونَهَا﴾ أي: دلائل قدرته ووحدانيته في أنفسكم وفي السموات وفي الأرض نظيره قوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾ ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١ - ٢٢] ﴿وَمَارَبُّكَ يُغَفِّلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

